



جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ



منطقة الجلفة

دراسة مونوغرافية (1830 – 1954 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ
تخصص حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور
بن يوسف فلمساني

إعداد الطالبة
حفيظة معمر

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الاسم واللقب
رئيسا	جامعة الجزائر - 2	أ.د. فلة موسى الفشاحي
مشرفا ومقررا	جامعة البليدة	أ.د. بن يوسف فلمساني
عضوا	جامعة الجزائر - 2	أ.د. الأزهر بديعة
عضوا	جامعة الجزائر - 2	د. صليحة علامة
عضوا	جامعة الجلفة	أ.د. محمد الشيخ بواب
عضوا	جامعة خميس مليانة	د. محفوظ ناونزة

الموسم الجامعي: 2020/2021



جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله)

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ



منطقة الجلفة

دراسة مونوغرافية (1830 – 1954 م)

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ
تخصص حديث ومعاصر

إشراف الأستاذ الدكتور
بن يوسف فلمساني

إعداد الطالبة
حفيظة معمر

لجنة المناقشة

الصفة	الجامعة	الاسم واللقب
رئيسا	جامعة الجزائر - 2	أ.د. فلة موسى الفشاحي
مشرفا ومقررا	جامعة البليدة	أ.د. بن يوسف فلمساني
عضوا	جامعة الجزائر - 2	أ.د. الأزهر بديعة
عضوا	جامعة الجزائر - 2	د. صليحة علامة
عضوا	جامعة الجلفة	أ.د. محمد الشيخ بواب
عضوا	جامعة خميس مليانة	د. محفوظ ناونزة

الموسم الجامعي: 2020/2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

إلى أستاذي وقُدوتي ومشرفي: الأستاذ الدكتور بن يوسف تلمساني .. إلى من يستحق لقب "سعد الله الثاني" لأنه يستحق وبكل فخر ان يكون خليفة شيخ المؤرخين الجزائريين ..
فالدكتور تلمساني لم يكن مشرفا فقط.. بل جمع كل صفات الأبهة العلمية: ناصحا وموجها وداعما وسندا ومرافقا ومدافعا ومتابعا وحريصا .. نعم.. هو ذلك الاستاذ الذي جمع بين الصرامة والطيبة بين السمو العلمي و التواضع.. كيف لا وهو من هو في مكانته العلمية والوطنية المرموقة، لا تكاد تجد برنامجه اليومي خاليا من نشاط علمي أو وطني.. ومع هذا خصص لي من وقته الكثير، وفتح لي ابواب بيته وخزائن مراجعه ورفوف مكتبته ليكون الراعي الأول لهذا العمل العلمي.. ويواصل المرافقة إلى لحظة المناقشة و إعلان النتيجة الباهرة التي لولى الله سبحانه ولولاه لما تحققت ..

الشكر موصول إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة الموقرين لمكانتهم العلمية الكبيرة ، على جهدهم في تصحيح ومراجعة هذا العمل وهو ما يشكل إضافة علمية كبيرة له .
كما أشكر كل الأساتذة و الأشخاص الذين ساهموا بشكل أو بآخر في إعداد هذه الأطروحة ومنهم: الدكتور عبد الحميد فرج قدم لي يد المساعدة كثيرا لإتمام هذا العمل فجزاه الله كل خير، كما أشكر الأستاذة عتيقة نصيب، الأستاذ الدكتور حمام زهير (عميد كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الجلفة)، الدكتور بوهالي بلخير، والدكتور بن خيرة أحمد، الأستاذ سويسي طيب، سي جابري مفتي ولاية الجلفة، السيد بلقاسم ضيف حفيد زاوية عين أغلال، والسيد بوخلخال، الأستاذ شكيب حفيد محمد الرايس، وشكر كذلك إلى: كل طاقم كلية الحقوق والعلوم السياسية بجامعة الوادي زملائي في العمل على كل التسهيلات التي قدموها من أجل اتمام هذا العمل؛ عمال متحف المجاهد بالجلفة، عمال المركز الوطني للأرشيف بولاية الجلفة؛ عمال متحف الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية بالجلفة؛ وعمال مكتبة دار الثقافة بالوادي.

وقبل أن أختم بالتعبير عن شكري لكل من قدم لي المساعدة لإنجاز هذا العمل، أتوجه بشكر خاص للدكتورة نظيرة شتوان الطيبة، التي كانت نعمة السند والدعم ففضلها لا يمكن أن أنساه، خاصة أثناء المرحلة الأخيرة من البحث، فجزاها الله كل خير ودوام الصحة والعافية، وحفظ الله ابنها محمد الأمين وجعله من الصالحين.

أهداء

نبدا باسم الله ننظم في لشعار..... نحكي عن تاريخ نايل مسطر
ألف سلام عليك يا سيد لخيار..... من بنت العربان حفيضة معمر
زيدوا صلوا عليه أنتم يا حضار ألف صلاة عليه والكون منور
أرض المعجزات جزاير لحرار..... عنها جبت القول نحكي ونعبر
في كل الجهات مدينة و دوار..... كلهم في التاريخ كتبوا فيه سطر
احكي يا تاريخ في الجلفة ما صار..... احكي عالابطال بيهم نفتخر
وهاذي دكتوراه تجينا لخبار عن سيدي نايل تحكي و تخبر
نهديها مل القلب لنوارة الدار فاطنة الحنانة والوجه منور
ونزيد سلامي لبابا سيد الدار عمري كل عليه ندعي ونشكر
بلا ما ننسى خاوتي منهم مختار..... قاسم و سليم، محمد وعمر
وهاك النوارات بيهم راحة البال.....خواتاتي لعزاز نظرتهم تسر
زهوة ورشيدة فطوم النوار و معاهم حدة ذهب معبر
وهاك الكتاكيت هم زينة الدار يوسف وعماد، يونس منور
وفاء الزينة حذاقة وسرار عبدلكريم عليه نحكي و نشكر
لؤي ومريم فؤاد المسرار يا ربي عنهم تحفظ وتستتر
وان شاء الله يا خالقي تزيدينا لعمار..... وتعطي كل منايتوا بدعوة فجر
و جداتي نهديك أجمل الأشعار..... خالاتي وعمومتي بيهم نفخر
ونهديها لخوات رزق من الستار صبرينة وفطوم الهمة و لقدر
بلا ما ننسى نسابناكي خوت الدار..... بلخير وحمزة، احمد وثامر
ونهديها ليكم كل كبار وصغار بوزيدي و لكل لقب معمر

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل حفيضة

المختصرات بالعربية

تحقيق	تح
ترجمة	تر
تقديم	تق
جمع	جم
دون سنة نشر	د.س. ن
طبعة خاصة	ط.خ
غير مطبوع	غ. م
فرنك فرنسي قديم	ف.ف.ف

المختصرات بالفرنسية

A.M.G	Archives du ministère de Guerre
A.N.O.M /OA	Archive Nationale d'Outre – Mer /Oasis
éd:	édition
G. G.A. T. S	Gouvernement général de l'Algérie
G.G.A	Gouvernement général de l'Algérie
Imp	Imprimerie
N ⁰	Numéro
R.A	REVUE AFRICAINE
R.O	REVUE l'Orient

مقدمة

مقدمة

يعتبر البحث التاريخي عملية هامة لكل الأمم التي أنتجت عبر العصور مؤرخين حسب حاجاتها الآنية وأهدافها، وذلك للحفاظ على ذاكرتها والاعتزاز بانتماؤها ومواجهة من ينكرها، وتاريخ أي بلد لا يمكن فهمه إلا إذا كتب بأقلام أبنائه على رأي الباحث عمار هلال الذي قال: أنه من المسلم به أن تاريخ بلد ما لا يعتبر تاريخا وطنيا بالمعنى الذي نفهمه نحن، إلا إذا كتب بأقلام أبنائه، لسبب بسيط هو أن هؤلاء أدري من أين كان بمشاكل بلدهم، وبتطورات التاريخ الخطيرة التي مر بها عبر مختلف العصور، فضلا عن معرفتهم الدقيقة لزمان، ومكان وقوع الحادثة التاريخية، والظروف الاجتماعية، والثقافية، والسياسية التي وقعت فيها تلك الحادثة، وما ترتب عنها من نتائج.

وتاريخ الجزائر - خاصة الفترة الحديثة والمعاصرة - قد تصدى لتدوينه مجموعة من الباحثين الذين حملوا على عاتقهم مهمة حفظ الذاكرة أمثال: مبارك الملي، عبد الرحمن الجيلالي، توفيق المدني، أبو القاسم سعد الله، يحي بوعزيز... الخ، إذ لا غنى للباحث في التاريخ الجزائري عن الرجوع إلى مؤلفاتهم.

إلا أنه و رغم ما كتب عن تاريخ الجزائر من طرف أبنائها لا يزال يحتاج إلى بحث وتدوين سواء في مواضيع لم يتطرق لها من قبل؛ أو في ظل اكتشاف وثائق جديدة تكشف حقائق كانت غائبة عن الأذهان، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن أغلب الدراسات حول تاريخ الجزائر لحد الآن تناولت بالتحليل الخطوط العريضة لتاريخ الجزائر خلال الفترة الاستعمارية ونضال الجزائريين في سياق تاريخي عام.

في حين أن المتتبع لحركة التأليف في المجال التاريخي في العالم العربي - وقد سبقهم إلى ذلك العالم الغربي - خلال العقود الأخيرة يلاحظ ظاهرة الاهتمام المتزايد بالمونوغرافيا كمنهج يتوخى استخلاص معلومات دقيقة، لكون الدراسات المونوغرافية الجزئية والمحلية تعطي نظرة مفصلة وتصورا دقيقا للوقائع التاريخية، فهي تنطلق من الجزء ليبني الكل للوصول إلى فهم أدق لتاريخ بلد ما.

فالجزائر ومساحتها الواسعة وتاريخها الحافل بالأحداث، أوجب تضافر مجهود الكثير من أبنائها الباحثين للإلمام بمختلف تفاصيل تاريخها عبر مراحل مختلفة من الزمن وفي أماكن

مقدمة

متعددة، لبناء تاريخ وطني كامل في كل جزئياته وتفصيله، لذا وجب على المدرسة التاريخية الجزائرية أن تتجهج منهج الدراسات المنوغرافية لتدوين تاريخها والانطلاق من الجزء لبناء الكل.

ومن منطلق السير في هذا المنهج كان اختيار منطقة من مناطق الوطن كمحور دراسة، منطقة لها من المميزات والعناصر التي تستدعي البحث من عدة زوايا: تاريخيا وديمغرافيا واجتماعيا وسياسيا وثقافيا ...، ألا وهي منطقة الجلفة، بحكم أنها جزء من هذا الوطن، وما وقائعها التاريخية إلا حلقة من حلقات تاريخ الجزائر، و بما تمتلكه أيضا من خصائص ومقومات تتميز بها عن سائر أنحاء الوطن، لتشكّل مع غيرها من مناطق الجزائر فسيفساء متنوعة الطّبوع والتراث والعادات والتقاليد، تجتمع كلها لتبني الجزائر وطننا واحدا موحدا .. ، وقد جاء اختيار هذه المنطقة لعدة اعتبارات، سنأتي على ذكرها لاحقا.

فجاءت الدراسة بعنوان: **منطقة الجلفة دراسة منوغرافية (1830 - 1954م)**، وتكمن أهمية هذه الفترة في كونها مرحلة مفصلية في تاريخ الجزائر؛ فالتاريخ الأول يمثل بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وما تمخض عنه من نتائج لا تزال أثارها إلى اليوم، رغم أن المد الاستعماري لم يكن قد وصل إلى منطقة الجلفة في هذا التاريخ، إلا أن ذلك لم يمنع أبنائها من مشاركة أبناء جلدتهم في مجابهة هذا الدخيل، أما التاريخ الثاني فهو بداية جديدة من الكفاح ومجابهة المحتل والمتمثلة في اندلاع الثورة التحريرية الكبرى، والتي أردت أن أفرد لها مستقبلا دراسة خاصة لما تميزت به من خصوصيات عن المرحلة التي سبقتها.

و يجدر التوضيح هنا إلى أن الحدود المكانية لمنطقة الجلفة خلال الفترة الاستعمارية الخاضعة للدراسة تخص مدينة الجلفة وضواحيها ما بين (1830 - 1954م)، كما رسمتها الإدارة الفرنسية والتي كانت تمتد من قلعة السطّل المحاذية لجنوب الهضاب العليا شمالا، وتتضمن جزءا من الأطلس الصحراوي المتمم جنوبا بامتداد طويل للهضبة الصحراوية بين الأغواط وغرداية وأولاد جلال وتقرت شرقا، وليس الحديث عن الجلفة كولاية حالية استحدثت خلال التقسيم الإداري لسنة 1974م، كما يجب التنبيه أنه أثناء تصفح الرسالة

مقدمة

يجد القارئ أنه يطلق على المنطقة مجال البحث مرة كلمة منطقة الجلفة ومرة أولاد نايل غرابة فهما كلمتان متطابقتان.

• أهمية الموضوع:

ولموضوع الدراسة أهمية بالغة تكمن في شقين بارزين؛ علمية وعملية، فالأهمية العلمية تستمدّها أساساً من أهمية المكان؛ فمنطقة الدراسة تحتل مكانة هامة في التاريخ الوطني ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، لذا فالدراسة هي محاولة لإنجاز بحث علمي موثق ومحكم حولها في الفترة المحددة ما بين (1830 - 1954م)، فموضوع البحث يعتبر محاولة جادة لإثراء المكتبة الوطنية الجزائرية المتخصصة في الدراسات التاريخية المحلية، لتكون مرجعاً تتوارثه الأجيال، ورصيداً علمياً يفيد الطلبة والباحثين في هذا المجال، وهي في نفس الوقت محاولة لتشجيع الباحثين لطرق مثل هذه المواضيع.

أما الأهمية العملية فتتمثل في كونها تساهم في إثراء الوعي التاريخي لأبناء المنطقة من خلال إبراز مآثرها وعلمائها وقادتها ومعالمها واعطائهم حقهم من الدراسات العلمية؛ كما تساهم في زيادة الاعتزاز والفخر بتراث أجدادنا، وبأن هذه المنطقة وأبنائها كانوا صنّاعاً للتاريخ الوطني، ومساهمين مساهمة بارزة في كل محطاته التاريخية وصولاً إلى مرحلة الاستقلال الوطني، خاصة في ظل أن المنطقة لم تتل حظها الوافر من الدراسة عند الباحثين الجزائريين في فترة الاحتلال، وإبراز أن منطقة الجلفة لم تكن بعيدة عن الأحداث التي كانت تجري عبر الوطن في ذلك الوقت، فقد تأثرت وأثرت، فهي لم تسلم من المد الاستعماري إليها، وآثاره التي خلفها في الجانب الإداري والاجتماعي والاقتصادي والثقافي على المجتمع النابلي، وكيف جابها أبناء المنطقة هذا المد الاستعماري وهذه التحولات التي مرّ بها.

• أسباب اختيار الموضوع:

ويعود اختيار الباحثة لهذا الموضوع لعدة أسباب ذاتية وموضوعية:

فمن باب الأمانة لابد من الإشارة إلى أن الموضوع كان من اقتراح الأستاذ المشرف على هذا العمل، الأستاذ الدكتور بن يوسف تلمساني الذي كان واعياً بأهمية الدراسات

مقدمة

المونوغرافية لبناء تاريخ وطني متكامل، ولم تتردد الباحثة لحظة في الاقتناع بالموضوع، ليكون هذا هو المنطلق الذاتي لاختياره، والذي زكته عدة اعتبارات أخرى يمكن إيجازها في ما يلي:

- بحكم التخصص الدراسي للباحثة في التاريخ، أرادت استغلال ذلك لمعرفة المزيد عن تاريخ مسقط رأسها لمحاولة الإجابة عن الكثير من الأسئلة التي كانت تدور في ذهنها حول منطقة الجلفة، خصوصا في ظل غياب شبه تام في الكتب الوطنية التي تناولت تاريخ مناطق الجزائر التي اطلعت عليها.
- القناعة الكبيرة بأهمية الدراسات المونوغرافية لاستكمال البحث حول تاريخ وطننا ومواكبة التحولات التي تؤثر فيه، إذا لا سبيل غيره للامساك بالقضايا العامة للبلاد.

أما عن الأسباب الموضوعية فتتمثل أساسا في كون المنطقة عانت التهميش العلمي ولو بغير قصد، وهو ما ترجمته نقص الدراسات العلمية حولها، لتأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على تاريخ منطقة الجلفة المغمور، والغوص في الحلقات التاريخية المفقودة في ماضي الأمكنة ومحيطها، ورصد الثابت والمتحول في البنيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لقصورها وبواديها.

• الدراسات السابقة:

وفي خضم البحث عن موضوع الدراسة، ومحاولة الامام به من أجل بنائه بناء علميا وبأسس منهجية صحيحة استفدت من بعض الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع - على قلتها - مع الاجتهاد في البناء عليها، حيث استعنت بالدراسات التالية التي تناولت الموضوع أو أحد زوايا:

أطروحة دكتوراه للأستاذ بن يوسف تلمساني بعنوان: التوسع الفرنسي في الجزائر (1830 - 1870م)، من جامعة الجزائر 2 نوقشت سنة 2005م، وفي شق منها ركزت على التوسع الفرنسي بالمنطقة مجال البحث فكانت دراسة جد قيمة مبنية على وثائق أرشيفية،

مقدمة

فاستفدت منها في جانب التوسع الفرنسي بالمنطقة، والتنظيم السياسي الفرنسي للمنطقة في بداية الاحتلال.

رسالة ماجستير للأستاذ ضيف الله شلالي بعنوان: دور السكة الحديدية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر - الجلفة أنموذجا - ما بين (1857 - 1962) نوقشت سنة 2012، وهي دراسة مستفيضة عن مد خط السكة الحديدية بالمنطقة اعتمد فيها صاحبها على الأرشيف الوطني تضمنت إحصائيات عن الخيرات الطبيعية التي استنزفت من المنطقة.

غير أن هذه الدراسات تعتبر دراسات جزئية تفصيلية في جانب واحد من جوانب الموضوع وموضوع دراستي هذه، على اعتبار أنها دراسة منوغرافية يشمل العديد من زوايا الموضوع.

• إشكالية الموضوع والتساؤلات الفرعية:

أما عن الإشكالية التي حاولت الدراسة الإجابة عنها فتمثلت فيما يلي:

إن تعرض الجزائر للاحتلال الفرنسي نجم عنه تحولات سياسية؛ اقتصادية؛ اجتماعية وثقافية مست مختلف مناطقها، ونظرا لصعوبة رصد مختلف هذه التحولات عبر مختلف مناطق الوطن وبناء تاريخ وطني متكامل، كانت الدراسات المنوغرافية هي الحل الأمثل لمثل هذه المواضيع؛ فجاءت إشكالية الموضوع لتعالج:

ما هي أهم التحولات التاريخية والديمغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي طرأت على مجتمع منطقة الجلفة أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (1830 - 1954م) ؟، وما مدى تأثيره بتلك التحولات ؟ .

وبناء على هذه الإشكالية تم طرح تساؤلات فرعية التي تتيح لنا معرفة الكثير من تفاصيل الموضوع المدروس، وهي كالتالي:

1- ماهي مؤهلات الوسط الطبيعي لمنطقة الجلفة، وهل كان لها أثر في رسم أحداث تاريخها ؟

مقدمة

- 2- هل تأثرت منطقة الجلفة بالأحداث التي كانت تجري بالجزائر، وكيف كانت ردت فعل أبنائها تجاهها ؟
- 3- كيف كان واقع الحياة الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية في مجتمع الجلفة أثناء الفترة المدروسة؟
- 4- ما مدى تأثر منطقة الجلفة بمختلف السياسات الاستعمارية الفرنسية؟

• أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

ومن أجل الإلمام بالموضوع والإجابة على الإشكالية المطروحة تم الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع ذات صلة بالموضوع ولعل أهمها:

من بين أهم المصادر ذات صلة بالموضوع تلك التي كتبت بأقلام من عاشوا بالمنطقة أثناء فترة الدراسة؛ ودونوا أحداثها رغم أن أصحابها لم يكونوا موضوعيين في كثير من النقاط، وهذا طبيعي بحكم انتمائهم للطرف الاستعماري، فكان من الواجب التعامل معها بحذر لخطورة التلاعب بها من طرف العدو الاستعماري، إلا أن ذلك لا ينفي أهميتها وامكانية استغلالها لكتابة تاريخ الجزائر أثناء الفترة الاستعمارية عموما بما فيها تاريخ الجلفة.

هذه الكتابات كتبت من طرف العسكريين والباحثين والاداريين والسياسيين الفرنسيين ابان الفترة الاستعمارية الذين اهتموا بدراسة خصوصية المجتمع الجزائري المحلي، من خلال القيام بانجاز دراسات منوغرافية للقرى والقبائل والمناطق الجبلية والداخلية للجزائر منذ القرن التاسع عشر، وقد كان لمنطقة الجلفة نصيب من هذه الكتابات، ومن بين الكتابات الأساسية الخاصة بالموضوع:

مجموعة تقارير سير الحملات التي توجهت لمنطقة الجلفة ومنها:

- A. M. G: **Observations Sur les Oulad nail**, 1847, par le general Marey Monge. H229
- A.M.G: **Note sur les opérations de la colonne légère aux ordres du général yusuf dans le Sahara**, 15 mars – 25 Avril 1846, H213.

مقدمة

- A.M.G: **Rapport de l'expédition dirigée par le Général de brigade Ladmiraault dans le sud de Médéa** du 6 mai au 25 juin 1849, H 215.

وكذا التقارير الخاصة بالوحدات في الجزائر التي كانت تقوم بتدوين كل ما يتعلق بها:

A.N.O.M /OA83 Rapporte: 1908, 1909, 1911,..... .

بالإضافة إلى مجموعة من المقالات الواردة في المجالات المتخصصة مثل:

المجلة الإفريقية (REVUE AFRICAINE) وعلى سبيل المثال مقالات المترجم العسكري أرنو Arnaud الذي عاش مدة طويلة بمنطقة الجلفة ومن مقالاته عنها:

- **Exploration du djebel Boukahil (suite)**, VOL: 06, 1862, et 07, 1863.
- **Notice sur: les Sahari, les Oulad ben Ailya, les Oulad Nail Et sur l'origine des tribus Cheurfa "**, Vol: 8, 1864.
- **" Histoire de Oulad Nail "**, IN: R.A, VOL: 16, 1872.

المجلة الشرقية: (R. O):

- De Sanvitale: **" tribus du Sahara algérien les – Ouled- Nays de l'Ouest"**, IN: R.O, T: 15 libraire de la société orientale, Paris, 1854 .

و أعداد من جريدة المبشر، وغيرها

كما قامت الباحثة بالعديد من المقابلات الشخصية مع: صانعي الحدث؛ شيوخ زوايا المنطقة وأبنائهم، وتحصلت منهم على مجموعة من الوثائق المحلية.

واستفادت الباحثة أيضا من بعض المصادر العربية التي تناولت تاريخ المنطقة ك:

تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، لمحمد الصغير وهو نجل أحد أبرز معلمي أبناء المنطقة الشيخ المختار الجيلالي شيخ الزاوية المختارية بأولاد جلال .

بالإضافة إلى مجموعة من المراجع باللغة الفرنسية والعربية التي تناولت بصفة مباشرة تاريخ المنطقة ككتاب البابا فرونسوا دوفيلاري (François de Villaret) والذي حمل عنوان:

Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa (deuxième partie: les oulad Nail), éd: centre de documentation saharienne Ghardaïa, Algérie, 1995

مقدمة

وهو كتاب يحتوي على معلومات جد مهمة خاصة تلك المتعلقة بالجانب الجغرافي والبشري وبداية الاحتلال الفرنسي، خاصة وأن المؤلف عاش بالمنطقة وعاينها وعاشرة أهلها. كما أن الباحثة اعتمدت على مراجع عامة تناولت الخطوط العريضة لتاريخ الجزائر.

• مناهج البحث:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية والأسئلة الفرعية، اعتمدت الدراسة على مجموعة من المناهج التي اقتضتها طبيعة الموضوع، وهي:

المنهج التاريخي: باعتبار أن الموضوع في جوهره موضوع تاريخي، حتم الارتكاز لدراسته على المنهجية التاريخية، وذلك من خلال تتبع وتوثيق الأحداث وعرضها بعد الاطلاع على الوثائق التاريخية المتخصصة من مصادر ومراجع التي تناولت موضوع الدراسة.

المنهج الوصفي: وقد تم توظيفه على قدر موسع في ثنايا سرد الأحداث التاريخية وذلك لرسم صورة عن الآثار التي تتمتع بها منطقة الجلفة.

المنهج التحليلي: الذي يحلل أسباب الوقائع والأحداث ويفسر دوافع نشوئها ونتائجها السلبية والإيجابية.

• خطة البحث:

ولمعالجة الموضوع ومحاولة إعطائه حقه من الدراسة و البحث، خاصة وأن موضوع الدراسة واسع جدا ومتشعب المجالات، وممتد عبر الزمن لفترات طويلة، فقد تم تقسيم الدراسة إلى: فصل تمهيدي؛ وثلاثة أبواب؛ مقدمة؛ خاتمة؛ مع تدعيم الدراسة بعدد من الملاحق المتنوعة.

وقد قسم كل باب إلى فصول، وكل فصل إلى مجموعة من العناصر المتفرعة...، افتتحت الدراسة بفصل تمهيدي تناول دراسة جغرافية بشرية تاريخية لمنطقة الجلفة، تضمنت خصائصها الجغرافية، معرجة على المصطلح ودلالاته؛ وموقعها ومناخها ومواردها المائية،

مقدمة

وأخيرا غطائها النباتي وثرواتها الحيوانية، بالإضافة إلى خصائصها البشرية مروراً بالتعمير البشري لها وكذا تركيبها البشرية، وفي الأخير لمحة تاريخية عنها.

تضمن الباب الأول في فصله الأول التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة ورد فعل الوطني لأبنائها والتنظيمات السياسية والإدارية والعسكرية أثناء الاحتلال، حيث تم التطرق إلى: ظروف احتلال منطقة الجلفة مع سرد للعمليات العسكرية الفرنسية، في حين تناولت الدراسة في الفصل الثاني لرد الفعل الوطني لأبناء منطقة الجلفة تجاه التوسع الفرنسي سواء المسلح منه من خلال المقاومة الشعبية للاحتلال داخل وخارج تراب منطقة الجلفة خاصة مقاومتي الأمير عبد القادر وموسى الدرقاوي وغيرهما، والمقاومة السياسية من خلال المشاركة في نشاطات الأحزاب السياسية المختلفة التي ظهرت بالجزائر، أما الفصل الثالث من هذا الباب تطرقت فيه إلى التنظيم السياسي والإداري والعسكري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي.

وبعد عرض شامل للمسار التاريخي للفترة الاستعمارية وما تبعها من مقاومات شعبية رافضة لهذا الاحتلال، أما الباب الثاني بفصليه، حيث تطرقت إلى الحياة الاقتصادية لمنطقة الجلفة بمختلف مكوناتها وعناصرها (الزراعة و تربية المواشي الصناعة والحرف اليدوية الأسواق والمبادلات التجارية، وما تبع ذلك من السياسات الاستعمارية في هذا المجال، بهدف نهب واستنزاف ثروات المنطقة، بالإضافة إلى التطرق إلى الحياة الاجتماعية وما تتضمنه من عناصر تلخص التركيبة البشرية والاجتماعية لسكان المنطقة، وكذا المظاهر المعيشية للفرد النابلي في حياة البدو أو المدن، وما عاناه السكان من جراء السياسة الاستعمارية الاجتماعية المتعجرفة والتي تضمنت تشجيع الهجرة الأوربية و سياسة الإدماج الاجتماعي، وغيرها من الأساليب الاستعمارية الرامية لتدجين الأهالي وقمعهم.

في الباب الثالث الذي قسّم إلى ثلاثة فصول، حيث تناول الفصل الأول منه الحياة الحياة الدينية والتعليمية في المنطقة قبل الاحتلال وأثناءه، أما الفصل الثاني فيتناول الحياة الثقافية لأولاد نايل بمختلف طبوعها ومظاهرها كاللباس والشعر والأعراس والفروسية والألعاب الشعبية ... وغيرها، وعلى غرار كل المجالات التي عملت فرنسا على تغييرها ومحاربتها، فقد كان للجانب الثقافي النصيب الأوفر من تلك المحاولات الرامية لطمس الهوية

مقدمة

الوطنية بعناصرها المختلفة (اللغة والدين والتاريخ) ، ليختتم هذا الباب بالبحث عن الحركية الثقافية التي شهدتها المنطقة من خلال علمائها و مثقفها وجمعياتها في محاولة منهم لصد تلك الحملات التغريبية التي كان يشنها الاستعمار الفرنسي .

• صعوبات الدراسة:

و في خضمّ البحث في ثنايا هذا الموضوع و الغوص في تفاصيله ، والبحث عن حل لإشكاليته، اعترضت الدراسة عدة صعوبات وعراقيل، لاسيما أنها تناولت أحداث جزئية ودقيقة تخص مناطق وشخصيات محددة لصعوبة الوصول إلى مادة المصدرية، وكذا ندرة الدراسات الحديثة التي تناولت تاريخ المنطقة.

ولا يفوتني - وأنا أنهي هذا العمل المتواضع - أن أتقدم بالشكر لكل من قدم لي المساعدة لإنجاز هذا العمل، وعلى رأسهم صاحب الفضل الأول، بعد الله عز وجل، الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور بن يوسف تلمساني - الذي تشرفت أن يكون مشرفا لي في مرحلتي الماجستير والدكتوراه- ، بداية من اختيار الموضوع إلى تتبعه من بدايته إلى ما وصل إليه اليوم، فقد كان نعم الناصح والموجه ونعم المشرف والمرشد، ففي كل لقاء لي معه كان يعطيني توجيهات تغنيني وتكون زادي لمدة طويلة، وأعمل بها وأستطيع اتباعها للمضي قدما في العمل فكل كلمة يقولها كانت تلخص وتصوب شق كبير من العمل، فله مني كل الشكر والامتنان، ولا بد أن أنوه بصبره الكبير معي، فله مني كل الاحترام والتقدير.

وكما تقول الحكمة "وَكُلُّ عَمَلٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانٌ"، فإن هذه الدراسة لا يمكن أن تكون كاملة، - مع أنها سعت جاهدة للإحاطة بأكبر قدر ممكن بعناصر الموضوع وحيثياته، حيث أنها لا تستطيع تناول الموضوع من جميع جوانبه و تفاصيله و تفرعاته، كما أنها لن تخلوا من بعض النقائص والسلبيات التي يمكن أن تعتري كل عمل إنساني، بما فيه البحث العلمي، فهي تعتبر غيض من فيض، في الساحة العلمية في مجال التاريخ، ولا بد لها من دراسات وبحوث أخرى تكملها.

الفصل التمهيدي :

دراسة جغرافية وبشرية وتاريخية لمنطقة الجلفة

1 - الخصائص الجغرافية لمنطقة الجلفة :

1 - 1 الجلفة المصطلح ودلالاته

1 - 2 الموقع والحدود

1 - 3 التضاريس

1 - 4 الخصائص المناخية والموارد المائية

1 - 5 الغطاء النباتي و الثروة الحيوانية

2 - الخصائص البشرية لمنطقة الجلفة :

2 - 1 التعمير البشري

2 - 2 التركيبة الاجتماعية

2 - 3 قصور منطقة الجلفة

3 - لمحة تاريخية عن منطقة الجلفة قبل 1830 :

3 - 1 منطقة الجلفة في العصور القديمة (الحجري

والروماني)

3 - 2 منطقة الجلفة في الوسيط .

3 - 3 منطقة الجلفة في الفترة الحديثة العثمانية.

تمهيد

دراسة أي منطقة من المناطق لا بد أن ينطلق أولا من بعض العناصر التمهيديّة والتعريفية لها، لتكون منطلقا معرفيا وقاعدة علمية تبنى عليها الدراسة، وحتى يتتسّى للباحث فيما بعد مواصلة المسار البحثي عليها بكل وضوح وتسلسل منهجي، وهو ما ستقوم به الدراسة من خلال هذا الفصل التمهيدي، حيث تم تناول خصائصها الجغرافية باعتبار أن البيئة هي الوعاء الذي تجري عليه الأحداث، للانتقال إلى البحث عن صناع الأحداث لذا وجب البحث في خصائصها البشرية، وأخيرا إعطاء لمحة تاريخية عن المنطقة قبل فترة الاحتلال الفرنسي لها.

1 — الخصائص الجغرافية لمنطقة الجلفة¹ :

¹ لغة: أورد ابن المنظور في كتابه لسان العرب معنى كلمة جلفة، في مادة جلفاء لَمْفُ: الْقَشْرُ حَفَفَ الشَّيْءَ يَجْلِفُهُ حَفًّا: قَشَرَهُ، وَقِيلَ: هُوَ قَشَرُ الْجِلْدِ مَعَ شَيْءٍ مِنَ اللَّحْمِ، وَالْجُلْفَةُ مَا حَفَّتْ مِنْهُ، وَالْجُلْفُ أَجْحَى مِنَ الْجَفِّ وَأَشَدُّ اسْتِمصَالًا وَالْجُلْفُ: مَصْدَرُ حَفَّتْ أَيْ قَشَرَتْ وَحَفَفَ ظَفُوءٌ عَنْ إِبْصَعِهِ: كَنَظَرٍ عَلَى حَفِيفَةٍ وَطَعَةٍ جَالٍ فَتَقَشَّرَ الْجِلْدُ وَلَا تَخَالِطُ الْجَوْفَ وَلَتَدْخُلُهُ، وَالْجَالِفَةُ: الشَّجَّةُ الَّتِي تَقَشِّرُ الْجِلْدَ مَعَ اللَّحْمِ وَهِيَ خِلَافُ الْجَائِفَةِ. وَحَفَّتْ الشَّيْءَ حَفًّا: وَاسْتَأْصَلَتْهُ: وَحَفَفَ الطِّينَ عَنْ رَأْسِ الدَّنِّ يَجْلِفُهُ، بِالضَّمِّ، حَفًّا: نَزَعَهُ. وَيُقَالُ: أَصَابَتْهُمْ حَفِيفَةٌ عَظِيمَةٌ إِذَا احْتَلَفَتْ أُمُومُهُمْ، وَهُمْ مُجْتَلِفُونَ، أَنْظَرُ: ابْنُ الْمَنْظُورِ: لِسَانُ الْعَرَبِ، 9 أجزاء، دار صادر، بيروت، ج: 9، مادة جلف، ص ص: 30، 31.

أما اصطلاحاً: لم يرد في المصادر العربية وحتى الأجنبية (على حد علم الباحثة) التي تناولت تاريخ منطقة الجلفة أصل تسميتها، لذا بات من الضروري توظيف الروايات الشفوية ومحاولة مقارنتها مع ما ورد عند الرحالة الذين زاروها لاستخلاص أصل تسميتها، فهناك عدة روايات شفوية متداول بين سكان منطقة الجلفة عن أصل التسمية فمنها؛

- من ذكرت أن أصل تسمية الجلفة من قشرة البطيخ، حيث تسرد الرواية: "أنه قديماً كان هناك رجلين مارين بمنطقة الجلفة وجلسا ليستريحا من التعب وكانا يحلمان معهما بطيخة وبعد الانتهاء من الأكل والاستراحة أكملتا سفرهما، وبعد قطع مسافة تفقدتا السكين فقال أحدهما للآخر أين السكين فقال: تركناه في الجلفة وقصدا بها قشرة البطيخ أو الدلاعة"، ومن هنا اطلق الاسم على المنطقة واشتهرت باسم الجلفة.

- في حين أن هناك رواية أخرى مفادها أن: "تسمية الجلفة تسمية ليست قديمة جداً بل وقعت في الفترة العثمانية، ومن الراجح أنه - قبل إنشاء المدينة من طرف المحتل الفرنسي- إذ كان سكان الفاطق المجاورة ينظمون سوقاً أسبوعياً يقصدونها من كل الجهات والأماكن البعيدة، كما أن مواشيهم كانت ترعى في المكان المعروف بضاية الجلفة والتي كانت أرضها تسقى بفيضانات الأودية (الوادي المالح الذي تقع على ضفته ضاية الجلفة)، ولكن بعد أن يحل الجفاف صيفا على أرض هذا المفترق تتشكل قشرة (أو جلفة) يابسة تميز أرضه"، ومنها جاءت تسمية الجلفة أي من تقشر الأرض بعد الجفاف إلى قشر يابسة.

وبعد عرض الروايتين يبدو أنهما تتجاذب بين الأسطورة الخيالية والحقيقة، فالرواية الأولى وهي قريبة من الخيال مقارنة بالرواية الثانية التي تعتبر أقرب للحقيقة، فبمقارنة بسيطة بينها - أي الرواية الثانية - وبين ما ورد عند الرحالة الفرنسي فيكتور بيرار (Victor Berard) والذي زار المنطقة المدروسة الجلفة في السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للمنطقة، والذي أكد صحة الرواية بخصوص السوق المنعقد ومن أنه يأتيه التجار من بني ميزاب و الأغواطين فقال: «...ها [أي مدينة الجلفة الحالية] سوق كبير مسيح يأتيه التجار من بني ميزاب خاص ببيع الملح، والقطران، الصوف... ويأتي إليه الأغواطيين لشراء اللحوم...». أنظر:

بما أن كل منطقة خصائصها الجغرافية التي تتفرد بها عن باقي المناطق، ونظرا لما لها من تأثير على حياة الفرد ونشاطه، سيتم التفصيل فيها أدناه.

1 - 1. الجلفة المصطلح ودلالاته:

عند البحث في الكتب التاريخية والجغرافية التي تناولت تاريخ منطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي لها¹ لا يجد الباحث مصطلح الجلفة²، بل تقتصر هذه الكتابات على تسمية الحيز الجغرافي الذي تقع فيه - أي جنوب بايلك التيطري ابتداء من الحصن العسكري برج السواري - باسم: أولاد نايل، ويرجح أن هذا الاسم أطلقه العثمانيون على هذا النطاق الجغرافي³، نسبة للقبيلة التي كانت تقطنه⁴، إذ كانت هذه القبيلة معروفة بكثرة حلها

Victor Berard: **Indicateur Général de l'Algérie Description; Géographique historique et statistique de toutes les localités**, 3^{ème} édition, Bastide libraire-éditeur, Alger, 1867, p: 306.

فلربما أن الفرنسيين عند انشائهم لمدينة الجلفة وجد هذا السوق فأبقوا عليه، خاصة وأن الرواية ذكرت أن الاسم الذي أطلق على المنطقة في فترة متأخرة من العهد التركي أي أن السوق كان مزال يعقد، هذا من جهة ومن جهة ثانية وكما سيتم شرحه أدناه حول المناخ العام لمدينة الجلفة الذي يتميز بأنه ممطر وبارد شتاء وحار وجاف صيفا، هذا التقلب المناخي خاصة في فصل الصيف هو الذي يؤدي إلى جفاف الأودية وبالتالي جفاف الأرض وتقسرها وتكوين ما يعرف بالجلفة على سطح الأرض، وهذا ما لم يألفه لا تجار الأغواط ولا تجار بني ميزاب في أرضهم الرملية التي لا تتأثر بالعوامل المناخية، على عكس أرض منطقة الجلفة التي تتأثر بالعوامل المناخية من رطوبة وجفاف، هذا الأخير الذي يؤدي إلى جفاف الأرض وتجلفها أي تكوين جلفة أي قشرة على الأرض، ومن هنا قد يكون وقع إطلاق اسم الجلفة على هذه المنطقة.

وعليه فإن هذا الاسم أو هذا المصطلح وجدته السلطات الاستعمارية الفرنسية متداولاً عند سكان المنطقة فاعتمدته عقب بناءها للحصن العسكري هناك سنة 1852م وإنشاء النواة الأولى لمدينة الجلفة، هذه الأخيرة التي أصبحت عاصمة الإقليم طيلة الفترة الاستعمارية وتحمل اسمه، بل لا تزال إلى اليوم، لتفاصيل أكثر عن إنشاء مدينة الجلفة أنظر ص: 245 - 248 من الأطروحة

¹ ومنها: عبد الرحمان التنيلاي: رحلة الشيخ عبد الرحمان بن ادريس بن عمر بن عبد القادر التنيلاي الى ثغر الجزائر عام 1231-1816م، - دراسة للواقع السياسي والاجتماعي والديني والثقافي للجزائر في أواخر العهد العثماني-، دراسة و تح: خير الدين شترة، دار كردادة، طبعة خاصة، بوسعادة، 2015، ص: 460، 461، الحاج ابن الدين الأغواطي: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين (منشورة في كتاب: مجموع رحلات، رحلات جزائرية 03 تأليف وتح: أبو القاسم سعد الله)، طبعة خاصة، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص: 91.

Shaw Thomas: **Travels, or observations relating to several parts of Barbary and the Levant**, , Printed at the Theatre, MDCCXXX VIII, Oxford, 1738, p: 67.

² على حد علم الباحثة.

³ شولي بلخضر، شويحة حكيم،... وآخرون: المقاومات الشعبية ببلاد أولاد نايل - مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي (1831-1849)، ط: 1، الجلفة انفو، الجلفة، 2017، ص: 30، خلف الرحالة الإنجليزي توماس شو الذي زار الجزائر أثناء الحكم العثماني ودامت رحلته 12 سنة (من 1720 إلى 1732م) و وصل لمنطقة الدراسة وأشار إليها، ووضع خريطة كتب على حيز الدراسة أولاد نايل أنظر الخريطة في الملحق رقم: 1، ص: 409

⁴ لتفاصيل أكثر عن قبيلة أولاد نايل أنظر، عنصر التركيبة الاجتماعية من هذا الفصل.

وترحالهم شمالا وجنوبا هذا التنقل فرضه عليهم نشاطهم الاقتصادي¹، وبالتالي فأصل التسمية هنا هو الأنساب، كما أن هناك بعض الكتابات عند تناولها لتاريخ هذه المنطقة تورده بأسماء معالمها: كالقصور أو الجبال أو الوديان...².

وبمتابعة التقصي والبحث في الكتابات التي اهتمت بتاريخ الحيز الجغرافي الذي يقع في نطاقه مجال البحث، يجد الدارس أنها حافظت على نفس الاسم الذي اعتمدت فيه الأنساب وأضافت مصطلح جغرافي، فأصبحت تعرف ببلاد أولاد نايل الشراقة وبلاد أولاد نايل الغرابة³، وبقي الأمر كذلك إلى غاية انشاء الحصن العسكري بضاية الجلفة بداية من سنة 1852م، ومع اعتماد التنظيم الإداري الذي أحدثته السلطة الفرنسية، أصبحت بلاد أولاد نايل الشراقة تابعة لدائرة بوسعادة وبسكرة، وبلاد أولاد نايل الغرابة تابعة لدائرة الجلفة⁴.

وعليه فالباحث في تاريخ منطقة الجلفة في الكتب التاريخية والجغرافية التي كتبت قبل خمسينات القرن التاسع عشر لن يجد لفظ منطقة الجلفة، بل يجد أن النطاق الجغرافي الذي تقع فيه بلفظ بلاد أولاد نايل، وذلك نسبة إلى قبيلة أولاد نايل ذات القوة الاقتصادية والبشرية الكبيرة، ومع بداية الاهتمام الفرنسي يصبح لفظ بلاد أولاد نايل الغرابة مرادف لكلمة منطقة الجلفة، لتصبح المنطقة ترد باسم منطقة الجلفة بداية من سنة 1854م، وذلك نسبة لمدينة الجلفة المحدثه من طرف الاستعمار الفرنسي واعتبارها العاصمة الإدارية لبلاد أولاد نايل الغرابة وقصورها.

¹ عن النشاط الاقتصادي لهذه القبائل أنظر ص: 182 من الأطروحة.

² ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج: 7، ص: 64، 68، وغيرها، عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية (1661-1663)، تح وتقا: سعد الفاضلي، سليمان القرشي، ط: 1، دار السويدي، أبو ظبي، 2006، ص: 545، 546، أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتقا: محمد بن عبد الكريم، عالم الكتب، القاهرة، 1969، ص: 49، 50،.... وغيرهم.

³ دumas: الصحراء الجزائرية، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دار غرناطة، الجزائر، 2013، ص: 208.

⁴ De Sanvitale: " Tribus du Sahara algérien les – Ouled– Nays de l' Ouest", IN: R.O, T: 15 librairie de la société orientale, Paris, 1854 , pp: 202, 203.

1 - 2 الموقع والحدود¹:

أما فيما يخص موقع منطقة الجلفة أو بلاد أولاد نايل الغرابة سابقا، فكما تم الإشارة إليه أعلاه أنها تقع جنوب بايلك التيطري، متمركزة في القسم الشمالي الأوسط للجزائر، وقد حدد موقعها سانفتال سنة 1854م أنها تمتد: ما بين جبل السحاري الظهر اوي² شمالا إلى وادي جدي جنوبا، ومن بلاد أولاد شعيب والعجلات غربا، إلى بوسعادة شرقا، وشبه شكلها بالمستطيل مساحته ألف ميل مربع³.

في حين ذكر المترجم العسكري أرنو سنة 1872م أن منطقة الجلفة أو بلاد أولاد نايل الغرابة: « محددة شرقا، بجبل الجديد وجبل بوكحيل: وغربا بجبل سردون. يجتاها بالتوازي مع البحر، جبل السحاري أو جبل مشنتل، وجنوبا بجبل الصرة، وأخيرا بجبل قبت، هذين الجبلين الأخيرين إن تكلمنا بدقة، ليسا سوى حزام ضيق من الصخور....»⁴.

كما حددها الأب فرونسوا دوفيلاري الذي عاش بمنطقة الجلفة ردحا من الزمن بأن منطقة الجلفة: « تبدأ من قلعة السطل المحاذية لجنوب الهضاب العليا، وتتضمن جزءا من الأطلس الصحراوي المتم جنوبا بامتداد طويل للهضبة الصحراوية بين الأغواط وغرداية وأولاد جلال وتقرت شرقا»⁵، وأضاف أن التاريخ حددها كذلك لحاجات الحل والترحال الرعوي لتكون هناك منطقة باردة للرعي صيفا، ومنطقة أكثر دفئا شتاء⁶.

¹ تجدر الإشارة أن حدود منطقة الجلفة المعنية بالدراسة أثناء الفترة الاستعمارية ليست هي حدود ولاية الجلفة اليوم لأن الجزء الشمالي لحدود ولاية الجلفة اليوم وابتداء من قلعة السطل كانت تابعة لدائرة بوغار، أنظر حدود منطقة الجلفة المعنية بالدراسة في الفترة الزمنية المحددة، في ملحق رقم: 2، ص: 410.
² ذكر سنفتال أن سكان المنطقة هم من أطلقوا على الجبال التي تقع شمال حوض زاغر اسم جبل السحاري نسبة إلى قبيلة السحاري الزغبية التي قطنت المنطقة قبل أولاد نايل (تم إعطاء تفاصيل أكثر عن هذه القبائل في العناصر الموالية من هذا الفصل) أنظر:

De Sanvitale: op .cit, p: 202.

³ Ibid, pp: 202, 203

⁴ Arnaud: " Histoire de Oulad Nail ", IN: R.A, VOL: 16, 1872, p: 327.

⁵ فرونسوا دوفيلاري: السهوب عبر العهود (مراعي لتاريخ الجلفة)، ط: 1، ج: 1، تر: عيسى بن محمد بونوة، منشورات دار الضحى، الجلفة، 2015، ص: 13.

⁶ نفسه.

1 - 3 التضاريس:

تتميز جغرافية منطقة الجلفة بأنواع تضاريسية متعددة على امتداد مساحتها الشاسعة، فتوجد سلسلة جبلية تمتد من الشرق إلى الغرب مشكلة أساسا من جبل السحاري (القعدة 1410م)، جبل سبع روس (جبل الأحداب)، جبل الخيدر، جبل أوكات الشرقي، جبل أوكات الغربي، جبل كاف المحكة (920م)، وكل هذه السلاسل الجبلية متوجهة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ويقع جنوب السلسلة الجبلية السابقة منخفض زاغز الشرقي و زاغز الغربي، وهما عبارة عن أحواض مائية (شطوط) يعلو كل منهما عن سطح البحر بارتفاع 820 م لزاغز الغربي و 750م لزاغز الشرقي، كما يسمى هذه المنطقة وجود شريط رملي يمتد من الشرق إلى الغرب على مسافة 150 كلم بعرض من 2 إلى 5 كلم¹.

و نزولا الى الجنوب توجد السلسلة الرئيسية لجبال أولاد نايل التي تمتد من منطقة بوسعادة (قمة سلاة) الى جبل "سردون" و جبل "الحرشة" زينة، و يبلغ أقصى ارتفاع لها بمنطقة بن يعقوب في جبل "محسن قفاه" بمقدار 1612م، و تنتشر ضمن جبال أولاد نايل مجموعة من المنخفضات و السهول مثل منخفض الادريسية و منطقة النثيلة، و سهول عين الابل و مسعد و فيض البطمة²، و في الجنوب الشرقي توجد كتلة جبال بوكحيل التي تمتد من شرق مسعد إلى غاية عين الريش بولاية المسيلة لتمتد سلاسل أخرى إلى ولاية بسكرة، كما تمتد من الشرق إلى الغرب سلسلة موازية تدعى ب "الانكسار الصحراوي" و تتشكل من عدة قمم هي "جبل السن" و "جبل أصباع الحديد" و "ثية ايفري" و "جبل الكريطيط" و "جبل كاف الدخان" الى غاية قصر العسافية بالأغواط، و يلي هذه السلسلة منخفض وادي جدي جنوبا و منطقة "الهضبة الصحراوية" أو ما يعرف ب "منطقة الضايات"، و التي تتميز فيها " واحة قطارة " القريبة من تقرت و القرارة، إضافة إلى مراعي الابل بفضل وجود نبات "الرمث"³.

¹ الشولي بلخضر، وآخرون... مرجع سابق، ص ص: 33، 34.

² نفسه، ص: 34.

³ شولي بلخضر: مرجع سابق، ص ص: 34، 35.

1 - 4 - الخصائص المناخية والموارد المائية:

المناخ هو عبارة عن حالة الجو في إقليم ما وفي فترة مستمرة وطويلة، أو هو معدل أحوال الطقس في مكان ما في مدة طويلة خلال الفصول الأربعة لذا فإن الدراسة المناخية من بين الأولويات التي يجب التطرق لها، وذلك لما له من تأثير مباشر على النشاط الطبيعي و البشري لأي منطقة¹.

يتميز مناخ منطقة الجلفة بالقحط والجذب كلما اتجهت نحوى الجنوب، فالمعطيات المناخية المتوفرة منذ سنة 1878م من قبل محطات الأرصاد الجوية، والتقارير التحليلية لمقاطع المنطقة، تؤكد كلها بأن هذا الإقليم الشاسع ينتمي إلى ثلاث أنماط بيومناخية أو طبقات مناخية حيوية ألا وهي²:

- الصنف القاحل الجاف إلى شبه الجاف بالشمال؛
 - الجاف إلى شبه الجاف السفلي في القسم الأوسط؛
 - القاحل إلى الجوار صحراوي أو شبه صحراوي بالجنوب.
- و عموما فإقليم منطقة الدراسة يسوده و يطبعه مناخ شديد البرودة شتاء، وحاراً وجافاً صيفاً، وهي موزعة كتالي:
- مناخ شبه جاف معتدل البرودة أو منعش إلى لطيف بالشمال مع مُسَحَّة من الرطوبة حول الشطوط؛
 - مناخ شبه جاف منعش إلى شبه جاف بارد في القسم الأوسط من الأطلس الصحراوي؛
 - جاف لطيف منعش إلى صحراوي جنوب الأطلس.

¹ طيب سويس: تقييم المشرع الكبرى للمحافظة السامية للسهب (1994، 2010)، رسالة ماجستير، معهد علوم الأرض - الجغرافيا، جامعة باب الزوار، 2004، الجزائر، (غير منشورة)، ص: 24.

² نفسه.

وعليه فمناخ منطقة الجلفة غير متجانس،

أما عن الموارد المائية فلقد أعطى المترجم العسكري أرنو عند وصفه لدائرة الجلفة سنة 1872م واصفا الأودية الرئيسية المتواجدة بالمنطقة وهي¹:

وادي الجلفة: الذي يولد على بعد 4 أو 5 كيلومترات ما وراء القرية التي يحمل اسمها. هذا النهر يقسم جبل السحاري إلى نصفين، يكتسب الملح أثناء مروره بسفح حجرة الملح من هنا يختفي تحت اسم وادي المالح، بالسبحة الغربية؛

وادي حجية: غرب الواد السابق الذكر، والذي يرتمي بنفس السبخة المذكورة أعلاه؛

وادي حمويضة، ووادي بودريم، كلاهما من روافد وادي جدي. يحتويان على الأسماك، كذا وادي مرقد ووادي تعظميت، وعلى ضفافها تتواجد معظم القصور التابعة لدائرة الجلفة.

1 - 5 - الغطاء النباتي والثروة الحيوانية:

باعتبار أن المناخ العامل الأساسي المؤثر في الغطاء النباتي لمنطقة ما، فكما تمت الإشارة إليه أعلاه أن مناخ منطقة الجلفة بصفة عامة جاف وعموما وقليل الرطوبة، لذا كان غطاؤها النباتي يتمثل أساسا في: الحلفاء، والألياف النباتية، الشيح، وكذلك الغابات، لاسيما منها أشجار الصنوبر الحلبي و التي تغطي مساحات شاسعة ما تزال إلى اليوم موجودة، رغم الاستنزاف الكبير الذي تعرض له إبان الاحتلال الفرنسي كما سيتم التفصيل فيه في محله.

الحلفاء: تنتشر على مساحة واسعة في مجال البحث، دائمة النمو طول العام، لها دور كبير في الحفاظ على الأعشاب الصغيرة التي تنمو عقب تساقط الأمطار وحمايتها كما تساعد على نموها و تطورها، نظرا لقطرها البالغ 50 سم ولعلوها المتراوح ما بين 50 سم و 1 م، تتكيف الحلفاء مع كمية التساقط في المنطقة ومع التربة الفقيرة؛ شريطة ألا تكون ملحية أو رطبة، يكون توزيعها في الهكتار الواحد من 3000 - 5000 باقة نباتية في الحالة العادية، بينما تتناقص في المناطق الجافة والمتدهورة لتبلغ اقل من 2000 باقة في الهكتار الواحد.²

¹ Arnaud: " Histoire de Oulad Nail ", IN: R.A, VOL: 16, op. cit, p: 329.

² طيب سويسبي: مرجع سابق، ص: 55.

للحلفاء أهمية كبرى فإضافة لكونها مقاومة للانجراف والتعرية وحماية النباتات الصغيرة...، فهي تعتبر بمثابة كلاء للمواشي خاصة وقت الجفاف، كما أنها كانت بمثابة مادة أولية تصنع بها الاحتياجات الأساسية للفرد الجلفاوي؛ كالحصائر والقبعات والأوعية والقدرور التي تحوي الحليب والماء والصحون الواسعة لتقديم الفاكهة¹.

الشيخ: يغطي هذا النبات هو الآخر مساحات شاسعة بمنطقة الدراسة، وهو معروف بكثرة عند الساكنة خاصة مربّي الأغنام منهم، فهم يعتمدون عليه كغذاء طبيعي لأنعامهم علاوة على أنه يمنح لمنتج لحم الضأن نكهة وذوقاً متميزاً²، الذي تشتهر به خرفان وكباش المنطقة يتهافت عليه المستهلكون لجودته، يبلغ طوله من 20 إلى 60 سم، ويمكن التعرف عليه بسهولة بواسطة أوراقه وأيضاً أفنانه وأغصانه الصغيرة البيضاء الصوفية؛ كما يحبّذ الشيخ النمو في المناطق ذات المناخ الحار والجاف، على غرار المنطقة الجنوبية للسهوب وهو غطاء هام يساعد على محاربة التصحر خاصة وأنّ بساطه يمتدّ أحياناً على مساحة لأكثر من عشرات الكيلومترات حيث يسود نبات الشيخ دون منازع في الطبيعة الشبه صحراوية، ويتميز الشيخ برائحته القوية الزكية العطرة التي تروج في الأرجاء، كما استعمل ساكنة السهوب في الطب الشعبي³.

السدر⁴: نباتات شوكيه نجدها في التربة العميقة تنتشر في الضايات وضاف الأودية، ثمارها محبذة للماعز في فصل الصيف، وهي مثبت جيد للكثبان الرملية، تغطي مساحات شاسعة من أراضي منطقة الجلفة السهلية، و تستعمل من قبل الساكنة خاصة الموالين ومربي الماشية بكثافة حيث تعتبر كعلفٍ مُغذٍّ لماشيتهم، و السدرية أو العناب لون لحائها رمادي، أمّا مقطّعها فبلون وردي أو أحمر، يتخلّل أفنانها زغبٌ، ليتحوّل السدر أمرداً أجرد حاملاً لونا رمادياً أو أبيض أشيب، مع وجود أنبوبة فيما بين المفاصل والعقد ببعد 1 سم على الأقل بينها، أمّا الأشواك فمرتبة أزواجا بإبط الأوراق تكاد تكون مستقيمة و ممشوقة، فواحدة منها متجهة

¹ Eugène Fromentin: **Un été dans le Sahara**, Michel Lévy Frères, paris, 1857, pp: 54, 55.

² Arnaud: " **Histoire de Oulad Nail** ", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit**, p: 329.

³ طيب سويسبي: مرجع سابق، ص ص: 56 - 59.

⁴ نفسه، ص ص: 56 - 58.

صوب الأعلى بطول 1,8 سم، بالنسبة للشوكة الثانية الأكثر قصرا فمتجهة للأسفل. أما الأوراق فهي متقابلة متناوبة إهليجية بيضاوية الشكل، و حواف الأوراق وحواشيها محززة ومسننة برقة و قمّتها مذنبة بإبر و أشواك مستدقة مقرّنة و قاعدتها مُكوّرة متماثلة متناظرة.

وفيما يتعلق بنصل الأوراق فهو أمرط أجرد نوعا ما في الأعلى و زَاغِب في الأسفل، أما الأضلع فهي راحيّة في القاعدة بثلاث 3 أضلع أو نتوءات قاعدية، و يحمل كل من الضلعين الخارجيين 4 - 7 أضلع ثلاثية بارزة مقوسة و نوعا ما متوازية فيما بينها، و توجد حزم تحوي 2 - 3 من الأزهار أو أزهار مفردة بإبط الأوراق؛ بقطر 3-4 مم، بكمّ و كأس زاغب كفاية ذو 5 أسنان، بتويج ذو 5 بتلات ؛ أما ثمار السدرية فهو النبق كما يسمى محليا، هو ثمر مفرد النواة الأجرد و الكروي الشكل و الذي قطره 1سم، و لونه أَمَغَرُّ بمسحة برتقالية عند نضجه و يحوي بداخله نواة كبيرة غارقة في لُبّاب نوعا ما كمسحوق الطحين.

الرمث: هو قصير لا يزيد ارتفاعه عن 10 سم، يلائم الجفاف الشديد كما أنه يستعمل كدواء، ومن الملاحظ أن الأغنام التي قد اقتاتت الرمث أثناء الرحلة الشتوية في الجنوب يكون لديها حصانة من الأمراض التي تتعرض لها في فصل الربيع عندما تنتقل إلى المنطقة الباردة شمالا، ولهذا نجد الأغنام التي تقوم بهذه الرحلات أحسن لحوما من الأغنام التي تخضع لعملية التسمين في نفس المكان¹.

الزعر: وهو نبات مشهور برائحته المميزة والقوية، طعمه حار ينمو في أغلب مناطق الجلفة يحتوي على زيت عطري طيار، عديم اللون يحتوي على مواد فينولية أهمها: التيمول مضاد للجراثيم ويحتوي على السكريات، ويستعمل لتنشيط الجسم وضد السعال كما يستعمل لعلاج الروماتيزم وأمراض أخرى ... الخ.

الحرمل: نبات ينمو في أغلب تراب المنطقة جذوره شديدة التفرع سيقانه متعددة أزهاره صفراوية، ثماره كروية الشكل، يستعمل في حالات التهاب الحلق والحنجرة والشلل وأمراض عديدة... الخ .

¹ طيب سويسى: مرجع سابق، ص: 55.

هذا بالإضافة إلى؛ نبات الدرين الذي يتلاءم مع الجفاف ويتبع المناطق المنخفضة و الأودية، و ينمو في التربة الرملية؛ ونبات السناق وهو يشبه الحلفاء، وهو ذو قيمة غذائية هامة ينمو في مناطق الضايات¹.

كما لم يخلو الغطاء النباتي للمنطقة من الأشجار والغابات والتي تمثلت أساسا في:

شجرة الصنوبر: تتميز بكونها شجرة برية أوراقها إبرية دائم الخضرة، وتشكل أشجار الصنوبر حزاما حول مدينة الجلفة، حيث يحتوي هذا النوع من النباتات على الكثير من الفيتامينات مثل الفيتامين: A، B وله فوائد كثيرة، يشفي من القروح و الحروق، و وجع الكبد ونافع للقيح ونزف الدم والسعال، وتساقط الشعر...الخ

شجرة العرعار: وهو نبتة ثمارها حمصية الشكل تبدو خضراء اللون، ثم تتلون الى اللون البني الضارب الى السواد، و تحتوي ثمارها على الكثير من البروتينات والفيتامينات مثل الفيتامين: A.B، ونبتة العرعار تشفي السعال الديكي المزمن والروماتيزم، كما يستعمل كذلك ضد الروائح الكريهة، ومعالجة المعدة...الخ.

شجرة البطم: وهو من سلالة الأشجار الكبيرة النادرة وارقة أوراقها، كثير الأغصان بحيث تتمدد أفقيا عوض أن ترتفع نحو الأعلى، لتصنع مظلة حقيقية، عادة تمتد لخمسین أو ستين قدما، كما تثمر تويئات مجموعة في عناقيد حمراء، حامضة قليلا، منعشة للأكل، كبديل مفضل لإطفاء العطش².

كما كانت منطقة الجلفة - ولا تزال - تزخر ببساتين ذات مساحة كبير بجنوب المنطقة خاصة في قصري مسعد ودمد تحتوي على: التفاح، السفرجل، الإجاص، التين المشمش، الخوخ، والعنب، والبطيخ، إضافة إلى بعض الخضر مثل: اللفت اليقطين، الجزر، البطاطا، ناهيك عن أشجار النخيل³.

¹ نفسه.

² Eugène Fromentin: **op. cit**, p: 53.

³ Arnaud : "**Exploration du djebel Boukahil (suite)**", IN: R.A, VOL: 07, 1863, p: 53.

أما عن الثروة الحيوانية فالمشهور عن بلاد أولاد نايل بما فيها منطقة الجلفة أنها غنية بحيواناتها لاسيما الماشية منها ¹، فقبائلها تهتم بتربية الحيوانات بل تمتعتها من ماشية وجمال وأبقار وخيول، هذه الأخيرة التي جعلت الأمير عبد القادر يعتبرها من أجود الخيول ²، وخير دليل على الثروة الحيوانية التي كانت تمتلكها هي تلك المساعدات التي قدمتها قبائل أولاد نايل لتدعم للأمير عبد القادر سنة 1841م لمواجهة العدو المشترك والتي قدرت بـ ³:

نوع الماشية	الغنم	الجمال	الخيول
العدد	1100 رأس	786	10

بالإضافة إلى 27 حمل من الأنسجة الصوفية.

ناهيك عن الأعداد الكبيرة التي نهبتها سلطات الاحتلال طيلة وجودها بالجزائر، وهذا ما عكسته الأرقام الكبيرة التي نقلت عبر سكة الحديد التي أنشأتها سلطات الاحتلال لتسهيل عملية النقل لتصدر من الجزائر إلى فرنسا وأسواقها، كما سيتم توضيحها في محله من الدراسة.

كما وجدت بالمنطقة حيوانات كثيرة ومتنوعة منها ⁴:

الحبارة: وهو من صنف الطيور وذكر هذا النوع من الطيور دائما أكبر من الأنثى، يتميز هذا الطائر بعنق مزركش بحلقة من الريش الناعم الأبيض والأسود، ويتواجد هذا الحيوان بالمناطق الجرداء والقاحلة، يتغذى بالنباتات والحشرات (أبوجعرون، الخنافس، الجراد، الزواحف، النمل)، كما أنه لا يشرب الماء أبدا، تبيض الأنثى من بيضتان إلى

¹ هذه الثروة أدركت السلطات الفرنسية أهميتها فسطرت لذلك سياسة تهدف إلى استنزاف أكبر عدد ممكن من هذه الثروة، أنظر ص: 210، 224، 225

² Eugène Daumas: **Les Chevaux du Sahara Textes de L'Emir Abdelkader**, Edition Ola, 1998, Paris, p: 35.

³ A. M. G. **Observations sur les Oulad Nail**, 1847, par le général Marey Monge. H229

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي في الجزائر (1830-1870)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، (2004-2005)، (غير منشورة)، ص: 282.

⁴ Arnaud: "**Exploration du Djebel Boukahil.**", IN: R A, VOL: 07, 1863, pp: 43, 60.

ثلاث بيضات، وعند حضنها تضعها في عش داخل نبات الحلفاء أو الشيح في الحمادة ، طائر الحبارة لا يمكن لأي شخص القيام بتربيته وذلك لطبيعته المتوحشة والعدائية.

الورن: يعود أصله إلى الواحات بالجنوب ويعيش بالمنطقة ويستعمل جلده لصنع أكياس التبغ، أما لحمه فيأكل ويأكله سكان الجنوب بكثرة ويقال أن لحمه لذيذ جدا، يصل طوله الى 80 سم، ويعتبر العدو للدود للأفعى ذات القرنين بحيث عندما يلتقي بها لا تنتهي مبارزتهما إلا بموت أحدهما.

الأفعى: أفعى لها قرون وهي موجودة بكثرة في المنطقة عدد صغارها يبلغ 99 صغير.

البلكاز: نوع من أنواع العناكب يتواجد كثير في الصحراء، عضته خطيرة جدا كالأفعى، يصنف العرب البلكاز إلى ثلاث أصناف حسب خطورتها، ومنها البلكاز الذي له سيقان صغيرة وكبيرة الحجم، الرأس لونه ما بين الأسود والأصفر، عضته تحدث الموت وبعضها مميت وعلاجها كغيرها، وتداوى بدواء تقليدي من صنع العرب الأوائل.

هذا بالإضافة إلى العديد من الحيوانات الأخرى مثل: الأرنب والأرنب البري، الحجل، السحالي الرمادية وعددها لا يحصى وهناك الكبيرة والصغيرة، تمتلك جلدا لامعا وبطنا أصفرا وظهرا مبرقعا، مع رأس دقيقة وطويلة تشبه حيات الحنش، الجربوع، طائر أبو الحناء، النعام رفقة الضباء الكثيبة، والعقارب، النسور، الحمام¹، الغزلان، إلا أنها كانت مهددة من طرف الإنسان عن طريق الصيد.

هذه صورة عامة عن الخصائص الجغرافية لمنطقة الجلفة.

¹ Eugène Fromentin: **op. cit**, pp: 52 -85.

2 - الخصائص البشرية:

2 - 1 التعمير البشري لمنطقة الجلفة:

دلت الآثار والمخلفات المتمثلة في: الحجارة المنحوتة؛ الفخار؛ بقايا حجارة؛ رسوم جدارية؛ بقايا عضوية؛ النقوش الحجرية... الخ، وكذا بعض الكتابات المنتشرة في عدة مواقع أثرية بمنطقة الجلفة بداية من القرن التاسع عشر ميلادي على عمق التعمير البشري وتجذره بالمنطقة.

وقد أرجع الباحثون والمستكشفون الأوروبيون تلك النقوش الصخرية إلى العصر الحجري القديم أو الأول (paléolithique)، والعصر الحجري الأخير (néolithique)¹، ومن ذلك ما أشار إليه قزال (Gsel) من تأثير المناخ المباشر في عملية توطين والاستقرار البشري، حيث ذكر بأن المناخ الرطب والمطير الذي عرفته حواف الأطلس الصحراوي خلال العصر النيوليتي كان عاملا مساعدا على كثافة الغطاء النباتي، وانتشار الأحواض المائية والمستقعات ومن ثم تهيأت ظروف وشروط الاستقرار للكائن الحي ويتجلى بصورة واضحة في صور الحيوانات المنقوشة على الصخور بأشكال منها: الفيلة، والبقر الوحشي والزرافة²، ووجود الإنسان كان مرتبط بوجود النباتات والحيوانات التي شكلت محور حياته، وغذائه الأساسي.

إن النظرية التي طرحها قزال (Gsel) في ما يخص تأثير المناخ على عملية التوطن والاستقرار البشري، تجد ما يدعمها ويؤكد مضمونها من الدراسات والأبحاث الأخرى الخاصة بالمنطقة، فقد وجد نقوش صخرية تمثلت النقش الصخري المسمى "العاشقان الخجولان" بعين الناقة³، وكذا نقش: الثوران الضخمان القديمان؛ والتيس السنفيرويد (sphéroïde)؛ وبقر

¹ مثال على هذه الاكتشافات أنظر:

Reboud: " Notes archéologiques sur les ruines de Djelfa ", IN: R.A, VOL: 01, Alger, 1856, pp: 26- 31

G. Camps: **les Civilisations de l'Afrique du nord et du sahara**, Dion, paris, 1974.

Grébenart: **Aïn Naga; Capsien et Néolithique**, in libyca ,1969.

Henri lhote: **les Gravures Rupestres de l'atlas Saharien**, office national du parc du tassili, 1984.

² Stéphane Gsell: **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord**, T: 1 , librairie hachette, Paris, pp: 51-60.

³ Henri Lhote: **op. cit**, p:102-104.

الوحش القديم؛ الوعل؛ الفيل؛ الأسود؛ وحيد القرن؛ الضباء؛ الخنزير؛ النعامة؛ الأرنب؛... وغيرها من رسوم الحيوانات¹، مما يؤكد فرضية حدوث تساقط كبير في المنطقة مما سمح بوجود كائنات عشبية، وبالتالي توفر عوامل استقرار الانسان، وفي هذا الصدد تم احصاء حوالي خمسين محطة للنقوش بالمنطقة، وقد صنفت ثلاث مواقع أثرية من طرف وزارة الثقافة وهي: عين الناقة، زكار، حجر سيدي بوبكر بعامرة²، وهناك العديد من المواقع لم تجرد بعد.

وقد استطاع غريبينار (Grébenart) بعد التقرير الذي أعده حول المنطقة الأثرية عين الناقة، واستنادا على التحاليل واستعمال الكربون المشع من تحديد فترة تواجد الإنسان بهذه المنطقة والذي أرجعه إلى الفترة الأولى من العهد (néolithique) أي الإيباليوتيك³ (Epipaléolithique) 7200 ق.م والنيوليتيك (néolithique) 5550 ق.م⁴.

في حين أن فرنسوا دوفيلاري ذكر أن تواجد الإنسان بالمنطقة عائد إلى العصر الحجري الأول (paléolithique) واستدل على ذلك بما عثر عليه ببواد الذيب وصفية بورنان وحجر الريق، إذ أورد أن هناك أحجار مشابهة لحجارة العصر الحجري الأول، مع أنه ذكر في نفس الوقت بأنها في محيط العصر الحجري الأخير⁵.

رغم أن منطقة الجلفة لم تحظى بقسط وافر من عملية البحث والتنقيب مما يصعب على الباحث تحديد دقيق لتواجد الإنسان بالمنطقة، إلا أنه واعتمادا على ما ورد أعلاه فإن تواجد الإنسان بالمنطقة على الأقل يعود إلى حوالي 7000 سنة قبل الميلاد، وهذا ما دلت عليه التحاليل التي قام بها غريبينار (Grébenart) على منطقة عين الناقة والآثار التي تم اكتشافها تؤكد قدم تواجد الإنسان بالمنطقة.

وعليه فمنطقة الجلفة كانت عامرة بالبشر منذ العصور الحجرية الأولى.

فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 45.

¹ نفسه، ص ص: 46، 51.

² الجريدة الرسمية رقم 10 بتاريخ 6 ماي 1979.

³ Grébenart: **op. cit**, p: 186.

⁴ Ibid, T: 16, p: 188.

⁵ فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 39.

كما وجد بالمنطقة الخطوط ونقش الحصان الأليف في كل من جارت الحمام، ووادي الحصباية، وصفية البارود، وعين الناقة، ووادي بوزقينة، وصفية بورنان¹، والذي يدل على أن المنطقة كانت عامرة بالبشر، وحددت فترة تواجدها منذ 1500 قبل الميلاد².

أما عن أطلال القرى التي خلفتها الشعوب التي سكنت منطقة الجلفة « تلك الموجودة في سن اللبا، أبو عيشاوية، وحاسي العود، وعقيلة، والعين الكحلة، و الأرجام، على واد نومسن، واد مجدل، بمخوخ...»³.

وقد أشار أطلال الآثار إلى ثمانين وحدة التي شملها التقيب، بالإضافة إلى وثيقة عن الآثار الموجودة بمسعد لم تنتشر، ومن هذه الأطلال والموجودة في "عمورة" و"بني زروال"، "دمد" بن حلوان "الفج"، "بودريم" (على واد جدي)، "غمرة" في منطقة بوسعادة قريبا من حدود الجلفة.⁴

إن هذه الأدلة المتوفرة التي تزخر بها المنطقة في كل من: جارت الحمام، ووادي الحصباية، وصفية البارود، وعين الناقة، ووادي بوزقينة، وصفية بورنان، زكار، سيدي بوبكر من مخلفات أثرية ورسومات وحفريات، وغيرها من الشواهد تكشف للباحث عن درجة التحضر التي بلغها الانسان الذي عمر المنطقة منذ بداية تكوين البشرية، ومن ثم ندرك جميعا بأن مؤشرات الحضارة كانت مبكرة بالمنطقة، والتي صنفت من أقدم المناطق تعميرا في العالم بحكم ملائمة المناخ وتوفر شروط الاستقرار والتوطن.

¹ فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 67.

² G. Camps: **op. cit**, p: 246.

³ Arnaud: **op. cit**, pp: 106.

⁴ فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 94، أعطى هذا الاخيرة نموذج عن الشكل العام الذي كانت تبنى عليه هذه القرى، واختار قرية كاف الدشرة الموجود قرب مدينة الجلفة كمثال وفصل لنا في شكلها وأعطى رسم تقريبي لها، أنظر: ص: 95 – 97.

2 - 2 التجمعات البشرية بمنطقة الجلفة:

بقيت منطقة الجلفة مجال حيوي للتجمعات البشرية التي اتخذت منه موطناً لها ومحوراً تفاعل مع المجموعات البشرية المجاورة، فموقعها الجغرافي جعل منها مركز عبور بشري، ونقطة تفاعل حضاري عبر مختلف العصور التاريخية.

وكما هو معروف أن توافد العرب المسلمين إلى المغرب الأوسط بأعداد كبيرة، كان مع بداية الفتوحات الإسلامية للمغرب، ومنطقة الجلفة وصلها المسلمون في نفس الفترة تقريباً، وهذا ما دلت عليه الشواهد التي وجدت بالمنطقة¹، وازدادت أكثر مع هجرات القبائل العربية بني هلال² إلى المغرب بدءاً من منتصف القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي، فأصبحت التركيبة الاجتماعية لمنطقة الجلفة تتكون من:

قبيلة السحاري: السحاري هم إحدى فروع قبيلة زغبة³ الهلالية التي وفدت إلى المنطقة مع هجرات بنو هلال إلى المغرب الأوسط أواخر القرن 12 م⁴، فهم أبناء نضر بن عروة بن زغبة⁵

¹ لتفصيل أكثر حول الموضوع أنظر العناصر الموالية من هذا الفصل.

² يعود أصل هذه القبائل إلى مضر الذين قطنوا بجبل غزوان عند الطائف وكانوا يطوفون في رحلة الصيف والشتاء أطراف العراق والشام ثم انتقلوا إلى مصر، وفي مرحلة صراع الفاطميين في مصر مع المعز ابن باديس في القيروان، هذا الأخير الذي أعلن الولاء للعباسيين في المشرق ورفض مذهب الشيعة الفاطمي سنة 437 هـ الموافق لـ: 1049 م، قرر الخليفة الفاطمي الانتقام منه وذلك بتحفيز قبائل بني هلال وسليم بالهجرة إلى المغرب لينتقم من المعز ابن باديس، وأعطاهم ما سماه « ملك المعز ابن بلكين الصنهاجي فلا تفتقروا [يقصد هنا بني هلال وبنو سليم] »، و هكذا انتقل بنو هلال من جحشم والأنبج و زغبة ورياح وريبعة وعدي من مصر إلى الغرب ووصلوا برقة حوالي سنة 443 هـ / 1051 م، ونزلتها بطون هلالية وتكاثر فيها، أنظر ابن خلدون: مصدر سابق، ج: 6، ص: 18 - 20، حسين مؤنس: معالم المغرب و الأندلس، ط: 4، دار الرشاد، القاهرة، 2000، ص: 171 - 177.

³ هذه القبيلة كانت لها عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية وتغلبوا على نواحي قابس وطرابلس، وسبب هجرتها إلى المغرب الأوسط هي الحروب التي كانت بين ابن غانية والموحدين، الذين ساندتهم الزغبة ضد ابن غانية فقام هذا الأخير بمضايقه قبيلة الزغبة، مما جعل الموحدين يكافؤهم بأن أقطع لهم أرضاً ببلاد المغرب الأوسط، فأصبحت أراضيهم تمتد ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار، ابن خلدون: مصدر سابق، ج: 6، ص: 54، 55، فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 113.

⁴ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 113.

⁵ ابن خلدون: مصدر سابق، ج: 6، ص: 75.

الهلال، وعقب وفودهم إلى المنطقة استوطن السحاري جبل المشتل¹، ومنذ ذلك الحين أصبح - ولا يزال إلى اليوم - جبل مشتل يعرف بجبل السحاري نسبة لهذه القبيلة².

ورغم أن منطقة الجلفة كانت مقصد العديد من القبائل العربية - كما سيتم التفصيل فيه أدناه - ، إلا أن الغلبة كانت لصالح السحاري الذين أضحوا ملاك جبل مشتل دون منازع منذ سنة 1350م³، وحدد أرنو - استنادا على الروايات الشفوية التي جمعها من السحاري أنفسهم حوالي منتصف القرن التاسع عشر ميلادي - ، أن أقصى توسع لهم في منطقة الجلفة كان: « بدءا من عين حليلة شرقا إلى واد حجية غربا ولغاية سفوح الجبال المسماة جبال بن يعقوب الواقع بين الشارف، زينة، تعظمية، وعمار، واد حجية »⁴، في حين حددها فرونسوا دوفيلاري بـ: « بقي السحاري وحلفائهم أسيادا لجبل السحاري والسهول المحيط به مثل زاغز ومراعيه ومناخه الهادئ، سهل زينة وسهل عين الإبل، ويبدو أنهم لم يتوسعوا إلى الجنوب الشرقي في "الويعال" أو في منطقة "دمد" وعمورة، ولكن قوافلهم استطاعت الوصول إلى أولاد جلال وتقرت جنوبا، وإلى سرسو وحدود المدية شمالا »⁵.

قبيلة السحاري تفرعت إلى ثلاث أقسام وهم: " أولاد خليف " (توجهوا إلى تيارت) و " أولاد علي " و " أولاد عطية " أو " السحاري العطايا "، - التي تهم الدراسة - وسميت كذلك نسبة لجدهم عطية بن علي بن عثمان⁶.

وتجدر الإشارة أن قبيلة السحاري العطايا هذه لم تكن تتكون من القبائل السحاري فقط، بل انضمت إليها العديد من القبائل، وكانت تعيش جنب إلى جنب بل أكثر من ذلك فقد قبلت قيادة السحاري لها، كما سيتم تبينه أدناه.

¹ ابن خلدون: مصدر سابق، ج: 7، ص: 64. جبل مشتل هو الجبل المعروف حاليا بجبل السحاري القبلي ويقع شمال عاصمة ولاية الجلفة بمسافة 25 كلم تقريبا ويمتد غربا إلى غاية مواطن قبائل سحاري أولاد سيدي يونس أين يوجد قصر بن يعقوب، ليحمل اسم جبل السحاري الظهراوي، أما لفظ السحاري فهو نسبة لقبيلة السحاري الهلالية التي وفدت على المنطقة.

² Arnaud: **op. cit**, pp: 107.

³ فرونسوا: مرجع سابق، ص: 128.

⁴ Arnaud: **op. cit**, p: 109.

⁵ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 133.

⁶ Arnaud: **op. cit**, p: 105.

أولاد راشد بن مرشد: وفد على قبيلة السحاري رجل يدعى راشد بن مرشد من المغرب الأقصى، وعند وفاة زعيم السحاري عطية بن علي تم اختياره لزعامتهم، وقام بمصاهرتهم فكان له: **أولاد راشد وأولاد بختة** زوجة سيدي محمد بن عبد الله وهو من الأشراف الذين يعودون أحفادا له من إحدى بناته، و **أولاد بختة** هم محسوبين من عرش السحاري¹.

أولاد سيدي زيد: سيدي زيد هو صديق راشد بن مرشد المذكور أعلاه أحضره معه، فتزوج إحدى بنات راشد بن مرشد صهر السحاري، وتوزع هؤلاء إلى جانب السحاري في دمد وهم أولاد جلال بن زيد².

بني مايدة: وتقول الرواية أنهم سمو بهذا نسبة إلى مائدة الطعام التي كان يعدها رجل صالح دعى سيدي عيسى، هذا الأخيرة الذي وفد على منطقة الجلفة، وعرف بصلاحه وسخاءه الكبير فكان يعد لهم موائد الطعام للوفود التي كانت تأتيه، فعرف مريديه ببني مايدة، وقد تزامن هذا الرجل مع راشد بن مرشد - المذكور أعلاه - ، وقد تزوج أحد أبناء بختة بنت مرشد امرأة من بني مايدة، وقاموا بطرد قطاع الطرق الذي عاثوا في زكار والخنق³.

العبايز: نسبة إلى جدهم سيدي عبد العزيز بلحاج⁴، وفد على منطقة الدراسة بالقرب من قصر الشارف وتكاثر عقبه هناك بعيدا عن مضارب قبيلة السحاري، وكانت قبيلة العبايز في البداية من حلفائهم، لكن حلف السحاري والعبايز لم يدم طويلا إذ وقعت معركة انتصر فيها العبايز، كانت السبب في انتهاء هذا الحلف، واتحدوا مع أولاد نايل، وأولاد سيدي يونس، وكونا اتحادا جديدا كان سببا في انحدار السحاري⁵.

أولاد بن علي: نسبة إلى جدهم المعروف ب: سيدي امحمد بن علي، قيل أن جده أحمد بن إبراهيم نسل سي عبد القادر الجيلالي قدم من المغرب الأقصى مع ابنه عبد القادر ونزل وسط

¹ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص ص: 122، 123.

² نفسه، ص: 122.

³ نفسه، ص ص: 123، 124.

⁴ قيل أن جد سيدي عبد العزيز بلحاج سيدي علي بن محمد سبقه إلى منطقة الدراسة من الساقية الحمراء، و حفيد راشد بن مرشد السابق الذكر في المتن، كان في نيته الحج إلى مكة ولكن في طريقه التقى بسيدي بوزيد قرب قرية الشارف فتزوج ابنة سيدي بوزيد وأقام قرب الشارف، أنظر: فرونسوا دوفيلاري:

مرجع سابق: ص: 124.

⁵ نفسه.

قبيلة السحاري، وعرف حفيده هذا بن عليّة بالزهد ونسبة إليه كرامات وشهرة واسعة، وعاش وسط السحاري وأمه سحراوية، توفي سنة 1650م، ضريحه في قبة بسطامة¹.

أولاد سيدي يونس: هناك فرق بين أولاد يونس الذين هم من السحاري وبين أولاد سيدي يونس فهؤلاء أحفاد سيدي يونس، كانوا في البداية حلفاء السحاري لكن مع ثورة العبايزر انضموا إليهم إلى جانب أولاد نايل ضد السحاري، بقي عدد كبير من أولاد سيدي يونس قرب ضريح جدهم في بن يعقوب وبن يعقوب نسبة لأحد أحفاد سيدي يونس كان يسمى سيدي يعقوب².

أولاد سيدي أحمد بن محمد: وفد على المنطقة سيدي أحمد بن محمد منجذبا إلى الشهرة التي عرفها سيدي عبد الرحمان بن سالم من أولاد نائل، وقد سمع عن سيدي محمد بن عليّة وأصبح تلميذا له، ونظرا لشرفه فقد صادق عالما آخر لا يعرف سوى لقب مولى الأنشاد، سمي بهذا الاسم لأنه كان ينظم أقوالا وحكما وكان له خادم يسمى بن عكو، وكلاهما مدفونان في عين معبد، ولهما فيها مزار مقصود، وقد عاش أولاد سيدي أحمد بن محمد وأولاد عكو وهم قليلون متفرقين وسط السحاري، وعند ثورة العبايزر، اتحد أولاد سيدي أحمد بن محمد معهم وتركوا السحاري وانضموا إلى أولاد سيدي يونس، أما أحفاد بن عكو والمعروفون باسم "الردادة"، فقد انقسموا إلى قسمين بعضهم التحق بأولاد سيدي يونس والقسم الثاني بقي وفي السحاري³.

ورغم وفود كل هذه القبائل العربية إلا أنها كلها قبلت قيادة السحاري العطايا بداية من 1350م⁴، إلا أنه في النصف الأول للقرن 18م عند وصف الرحالة الانجليزي توماس شاو منطقة الدراسة وقبائلها لم يذكر قبيلة السحاري رغم أنه أشار لجبل السحاري، فمن الممكن أنه لم تعد لهم أهمية تذكر، في حين أشار إلى أولاد نايل وأولاد مليك⁵.

¹ Arnaud: op. cit, p: 110, 111.

فرونسو دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 125

² فرونسو دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 127، 128.

³ نفسه، ص: 126، 127.

⁴ نفسه، ص: 128.

⁵ نفسه.

قبيلة أولاد سيدي نايل أو أولاد نايل: تجمع المصادر العربية والفرنسية بأنها قبائل عربية، إلا أن الاختلاف قائم على أنهم عرب أدارسة أشرف¹ أو هلاليين²، كما أن هناك هناك رأي ثالث وهو أنهم هلاليين خالطوا الأشرف¹.

¹ ومنهم على سبيل المثال: العشماوي: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله، ص: 262، عبد الرحمان الديسي: تحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نايل، ط: 1، تح: محمد بسكر، دار كردادة، بوسعادة، 2016، ص: 58، 71، القاضي حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929م، ص: 42، عامر محفوظي: تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، دار أسامة، الجزائر، ص: 8، 11، شجرة نسب سيدي نايل التي وضعها سي عطية المسعودي، أنظر ملحق رقم: 3، ص: 411

Arnaud: " Histoire de Oulad Nail " IN: R.A, VOL: 16, op. cit, p: 329

أما عن عصره فهناك اختلاف بين المراجع فمنهم من يرجعه إلى القرن السادس عشر ميلادي، ويستندون في ذلك على أن نايل عندما وفد إلى الجزائر تتلمذ على يد الشيخ سيدي أحمد الملياني بن يوسف الراشدي، المتوفي سنة 927هـ/ 1521م، وفي رواية أخرى 931هـ/ 1525م، وعليه يكون سيدي نايل عاش خلال القرن السادس عشر ميلادي، أما عن تلقيبه بنائل أو نايل فهي من الألقاب المادحة أطلقه عليه شيخه أحمد بن يوسف الملياني لأن سيدي نايل نال بركة شيخه الملياني.

في حين أن المترجم العسكري الفرنسي أرنو ذكر أن سيدي نايل ولد بقيق وقت نزوح العرب من الأندلس، وفي ما بعد عين سيدي نايل حاكما لمنطقة الساقية الحمراء لمكانته المرموقة عند الأمير آنذاك، وقد اندلعت حرب بين تونس والمغرب الأقصى، فأخذ السلطان حسان جيش قوي ودخل تونس من جنوبها، لكنه هزم من أول لقاء وقتل هناك، وكان سيدي نايل برفقته فجمع بقايا الجيش وتراجع إلى الغرب ولم يشأ العودة إلى المغرب، فذهب إلى منداس في جبل قبيلة فليتة، ولم يطلب له العيش هناك، فغادرها إلى الجنوب في منطقة عين الريش، وأصبح ينتقل بين أرجائها باحثا عن الأماكن المناسبة للعيش لكن الموت فاجأه بضواحي وادي اللحم حيث دفن هناك.

ولكي يحدد فرونسوا دوفيلاري الزمن الذي عاش فيه سيدي نايل اعتمد على ما أورده أرنو الذي ذكر أن سيدي نايل ولد زمن نزوح العرب من الأندلس (إسبانيا اليوم)، فقال فرنسوا أن نزوح العرب من الأندلس بدأ سنة 1236م وهي سنة الاستلاء على قرطبة إلى غاية 1492م عند سقوط غرناطة وخلال هذه الفترة لا يعرف سلطان باسم حسان إلا اثنين من سلاطين المغرب وهما:

أبو الحسن علي السعيد: سلطان الموحدين 1242 - 1248م والذي لم يذهب أبدا إلى تونس للقتال، فلا يمكن أن يكون هو من تعنيه الرواية، والآخر هو أبو الحسن المريني فقددها هاجم تونس من الجنوب واهزم في 1348م قرب القيروان أين انعزل، وهو التاريخ الذي رجحه دوفيلاري، أي أن سيدي نايل عاش في القرن 14م أي ولد حوالي سنة 1300م، وهو ما قد يفسر المعلومات التي قدمها شاو عند زيارته لجنوب التيطري حوالي 1730 عن انتشار عدد كثير قبيلة أولاد نايل التي تنتقل بين برج السواري (نواحي بوغزول) والأغواط، فبعد تحليل ما ورد عند أرنو من طرف فرونسوا تفهم هذا الأخير ما ورد عند شاو في رحلته سنة 1730م، حول التعداد الكبير لقبيلة أولاد نايل، الذي لا يمكن أن يكون نتيجة 200 سنة، (أي حوالي 4 أجيال)، لو كان عصر سيدي نايل القرن 16م، مع أنه ينفي أن تكون تأكيد قاطع. أنظر: عبد الرحمان الديسي: تحفة الأفاضل، ص: 62، 63، 67، الحفناوي أبي القاسم: تعرف الخلف برجال السلف، ج: 2، بير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص: 98، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ط: 1، دار الغرب، بيروت، 1998، ص: 498، عامر محفوظي: المرجع السابق، ص: 11، دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 146، 147.

Arnaud: "Histoire de Oulad Nail ...", IN, R.A, VOL: 16, op. cit..., pp. 330, 331.

² ويُستند في هذا الرأي إلى القبائل العربية التي وفدت على منطقة الدراسة أثناء هجرات بنو هلال للمغرب، حيث أورد ابن خلدون في معرض حديثه عن هذه الهجرات الهلالية ذكر القبيلة الزغبية الهلالية وفرعها النضر الذي ينقسم إلى فرعين وهم: قبائل النضر بن عروة، و قبائل حميس أو عميص بن عروة، فعن النضر بن عروة وفد فرعها السحاري إلى منطقة الدراسة، كما أشرنا إليه أعلاه، أما بطون خميس أو عميص ثلاثة هم: يقظان (لا تهم الدراسة) عبيد الله وفرغ أو فرج، هذا الفرع الأخير ذكر ابن خلدون أن من بطونه بني نائل أقاموا في جبل راشد (جبال عمور حاليا) ، ورجح فروسوا دوفيلاري أنهم قد يكونوا

إلا أن الثابت أن هذه القبيلة كانت هي المسيطرة على المنطقة التي تقع جنوب برج السواري بداية من القرن 18م، بل أكثر من ذلك فقد حملت اسمها: أولاد نايل²، ويعزو ذلك إلى أن هذه القبيلة بعد سيطرتها على منطقة الممتدة من أولاد جلال شرقا إلى زينة غربا ومن دزيرة جنوبا إلى جبال قلعة السطل شمالا شكلت القبائل كتلة واحدة، فالقبائل متشعبة رحلت والباقي التحق وتحالف مع أولاد نايل وقبلت قيادته³، وحملت المنطقة اسم أولاد نايل نظرا لقوتهم البشرية والاقتصادية الكبيرة التي تمتعوا بها.

نسل سيدي نايل:

هناك اختلاف كبير بين مؤرخي سيدي نايل حول عدد أولاده لصلبه أكثر منه حول أسلافه⁴، لذا سيتم الاكتفاء بذكر الجيل الأول لأولاد سيدي نايل والذين لهم عقب بمنطقة الجلفة، وهم: يحيى، ومليك⁵، و التفصيل حول فروعهما، وأماكن انتشارهما بالمنطقة مجال البحث.

قد وصلوا إلى منطقة الجلفة، بحكم أنها امتداد لحدودها الجنوبية الغربية. أنظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج: 6، ص: 75، فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 154.

¹ وهو ما ذهب إليه فرونسوا دوفيلاري وفسر ذلك كما يلي: بما أن قبائل بني نائل الهلالية وفدت إلى المنطقة وهذا ما أكدته ابن خلدون، وأن سيدي نايل هو الآخر جاء إلى المنطقة كما يذهب إليه أصحاب الرأي الآخر - النوايل أنفسهم يذكرون ذلك-، فقد أعطى فرونسوا دوفيلاري تفسيراً لهذا التناقض والتباين في الآراء إذ لم ينكر أي رأي، بل أن القبائل الهلالية النائلية فعلا وفدت على المنطقة، وسيدي نايل هو الآخر جاء للمنطقة وخلف ذرية هناك، وهو معروف بالورع والعلم والصلاح وعندما وصل للمنطقة وجد قبيلة النوايل الهلاليين، وهناك عادة عند العرب والمسلمين وهي أنهم: يجلبون الأولياء الصالحين وسلالة الرسول صل الله عليه وسلم، وعليه فقد وفد سيدي نايل إلى المنطقة التي كان يعيش فيها النوايل الهلاليين قبله، فعاش بينهم وبجلوه واندمج معهم، فحملت القبيلة اسم أولادي سيدي نايل، أنظر: فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 42.

² أنظر ملحق رقم: 1، ص: 409

³ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 179.

⁴ لتفاصيل أكثر حول الموضوع أنظر: العشماوي: مصدر سابق، ص: 261 وما بعدها، عبد الرحمان الديسي: مصدر سابق، ص: 58، 71،

القاضي حشلاف: مصدر سابق، ص: 42، سي عطية المسعودي منجز شجرة نسب سيدي نايل،

A. M. G; **Observations sur les Oulad nail**, H229.

Arnaud: "**Histoire de Oulad Nail**", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit...**, p: 331.

⁵ Ibid, pp: 331, 332.

ذكر سي عطية مسعودي أن مليك هو بن يحيى بن سيدي نايل، وأن عيسى هو بن سيدي نايل أنظر شجرة النسب التي وضعها سي عطية في الملحق رقم: 3، ص: 411=

أولاد يحيى بن سيدي نايل: خَلَفَ يحيى شكلوا أولاد عيسى الشراقة (بوسعادة)، وأولاد عيسى الغرابية ¹ (الجلفة)، وأولاد ساسي (بسكرة)، وأولاد فرج (بوسعادة) ²، وتمشيا مع مجال الدراسة سيتم التفصيل في فروع أولاد عيسى الغرابية.

أولاد عيسى لغرابية: أولاد لعور، أولاد أم الإخوة (املخوة)، أولاد عيفة ³، ويحتل أولاد عيسى كل الجانب الشرقي من دائرة الجلفة، ابتداء من جبل سحاري إلى غاية مسعد، لكن في موسم قطف التمر، أو عندما تتساقط الأمطار بغزارة في الجنوب، يرتحلون إلى ضواحي تقرت. دزيرة ⁴.

وفي ما يلي تفصيل لكل بطن من فرقة أولاد عيسى لغرابية:

أولاد لعور: أولاد صالح، نقاقزة، مهاش، نيوف (نعيم)، أولاد سالم، دباز، أولاد عبد الرحمان، أولاد عبد الله ⁵.

أولاد أم الاخوة (أولاد ام لخوة): أولاد سيدي ساعد، أولاد لخضر (لخال)، أولاد ناصر، أولاد جاب الله، أولاد كاكي، أولاد بن جدو، أولاد قويسم، أولاد ناجي ⁶.

= نظرا لهذا الاختلاف القائم حول نسبة كل من أبناء نايل المباشرين عيسى ومليك أو غير مباشر، سنكتفي بنسبة كل من مليك لسيدي نايل، وعيسى بن يحيى بن نايل، وهذا لا يعني ترجيح رأي عن آخر، لكن فقط من أجل سلاسة العمل وحتى نتجنب إثقال النص بالتذكير المستمر للآراء المختلفة. ¹ الغرابية مصطلح أطلقه الفرنسيون نسبة للجهة الغربية من المنطقة، أشارت بعض الأطروحات أن أولاد عيسى الغرابية هم أولاد عيسى فقط، في ما تحدثت أطروحات أخرى على أنهم أبناء كل من يحيى وعيسى أبناء يحيى بن نايل.

² Arnaud: "Histoire de Oulad Nail", IN: R.A, VOL: 16, op. cit..., p: 331.

³ François de Villaret: **Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa (Supplément: Généalogies)**, éd: centre de documentation saharienne Ghardaïa, Algérie, 1995, pp: A66, A67

ذكر أرنو أن أولاد زير ضمن خَلَفَ أولاد عيسى الغرابية، أنظر:

Arnaud: op. cit..., pp: 330, 331.

⁴ Ibid, p: 338.

⁵ François de Villaret: op. cit, p: A68.

⁶ Ibid, p: A69

أولاد العيفة: أولاد زير، أولاد نسير، أولاد قاسمية، أولاد ساعد، أولاد عبد الله بن أحمد، شرابة¹.

فروع أولاد مليك:

أولاد مليك بن نايل: قيل أن مليك لم ينجب سوى ولد واحد هو سالم، وأنجب سالم أربعة أولاد هم: عبد الرحمان، يحيى، ساعد (فروع هؤلاء الثلاثة استقرت بمنطقة الجلفة)، أما عامر فإن عقبه استقر ببوسعادة²، وتفصيل فروع أولاد سالم بن مليك بن نايل الذين استقروا بمنطقة الجلفة كما يلي:

– عبد الرحمان بن سالم بن مليك: أنجب عبد الرحمان طفلاً واحداً اسمه امحمد والذي سُمي باسمه هذا الفرع من العائلة (أولاد سي أمحمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك)، تزوج سي امحمد ثلاثة نساء هن: أم هاني (وهي إحدى حفيدات يحيى بن سالم)، ضية، شليحة، ونسب لكل واحدة أبنائها، فأصبح أولاد أمحمد يتفرعون إلى: أولاد أم هاني، أولاد ضية، أولاد شليحة³.

ينتشر أولاد سي أمحمد عبر المنطقة الممتدة بزاغز بشقيه الغربي والشرقي - شمال منطقة الدراسة - ، فغطى أولاد ضية زاغز الشرقي، أما "أولاد شليحة" المنطقة الوسطى من الزاغز وانتشر "أولاد أم هاني" بزاغز الغربي⁴ حتى زينة، أما عن فروهم فهي:

أولاد أم هاني: أولاد سي بلقاسم، أولاد شيخ، أولاد مريم، أولاد بيضة، أولاد بلحنة، أولاد مريجة¹.

¹ François de Villaret, p: A70

² Arnaud: "**Histoire de Oulad Nail...**", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit...**, p: 332.

³ Ibid,, p: 332, et François de Villaret: **op. cit**, p: A72.

⁴ Arnaud: "**Histoire de Oulad Nail...**", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit...**, p: 335.

يبدو أن الجنرال في بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة لم يكن يفرق بين أولاد ضية وأولاد أم هاني حيث ضم إلى أولاد ضية أولاد أم هاني واعتبر هذه الأخيرة فرع عن الأولى، أنظر:

- أولاد ضية: ولها فرعان هما: أولاد بو عبد الله، وأولاد عبد القادر²، وفروعهما هي:

أولاد بوعبد الله: أولاد بوشارب، أولاد مصير، أولاد جريبيع، أولاد سي أحمد، أولاد لعقون، أولاد دنيدينة³.

أولاد عبد القادر: أولاد أحمد بودهن، أولاد شامخ، أولاد شيبوط، أولاد جدي، قواديرية، أولاد درام⁴.

- أولاد شليحة: وهم كذلك فرعان: أولاد سي أحمد، وأولاد لغويني⁵، ولكل منهما فروع وهم:

أولاد سي أحمد: أولاد شريف، أولاد سليم، أولاد كاكي، أولاد سيدي سالم، أولاد معيلب⁶.

أولاد لغويني: أولاد الغربي، أولاد عبد الرحمان، أولاد منصور (أولاد العارية)، أولاد العربية، أولاد بورقبة، أولاد عمران (أولاد تليميدة، أولاد براهيم)، أولاد عثمان، أولاد عبد النبي (أولاد مسعود، أولاد خالد)⁷.

أولاد ساعد بن سالم بن مليك وهم: أولاد أحمد رقاد، أولاد خناثة، أولاد طعبة⁸، بالنسبة لمضاربهم فهم يسيطرون على كامل الجانب الغربي من دائرة الجلفة، ابتداء من طريق الأغواط، إلى غاية زينة¹. ويتفرع كل فرع إلى عدة فروع هي:

¹ François de Villaret: **op. cit**, p: A72

² Arnaud: "**Histoire de Oulad Nail...**", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit...**, p: 332

³ François de Villaret: **op. cit**, p: A73

⁴ Ibid, p: A74

⁵ Arnaud: "**Histoire de Oulad Nail...**", IN: R.A, VOL: 16, **op. cit...**, p: 332

⁶ François de Villaret: **op. cit**, p: A75

⁷ Ibid, p: A76

⁸ Ibid, p: A77

ملاحظة: لم يذكر أرنو أولاد طعبة ضمن فروع أولاد سعد بن سالم، في حين ذكر في مقال آخر له منشور في المجلة الإفريقية أنهم فرع من أولاد خناثة وأيده في ذلك الطيب بن لخضر قرشي الغربي أنظر: =

أولاد أحمد رقاد: موطنهم عين الابل، مدينة الجلفة²، ويتفرعون إلى فرعي هما:

أولاد رقاد الشراقة³: أولاد عطية، أولاد عبيد الله، أولاد أمباركة، أولاد مجبر⁴،

أولاد رقاد الغرابة: أولاد الأصهب، أولاد لحاج، أولاد كرد الواد، أولاد حبش، أولاد بلول⁵.

أولاد خناثة: أولاد بلقاسم بن عمور، أولاد النوع، أولاد فاطنة، أولاد غويني بن سالم (موطنهم تعظمية)، أولاد بريكة (أولاد قريد)⁶.

أولاد طعبة: أولاد الايالة، أولاد بكار⁷، موطنهم: مسعد، دلدول، زكار⁸.

– أولاد يحيى بن سالم بن مليك: أولاد جحيش، أولاد ساعد بن بوزيد، أولاد جنيدي، أولاد لعيشي⁹، مكان التخييم الاعتيادي لأولاد يحيى بن سالم هو بودرين، بين جبل قوبتر ووادي جدي¹⁰.

ومما سبق هذه هي القبائل العربية التي تشكل منها المجتمع الجلفاوي العربي الأصيل.

=Arnaud : "Exploration du djebel Boukahil (suite)" IN: R.A, VOL: 06, 1862, p: 254 .

و الطيب بن لخضر قرشي الغربي: زهرة الخمائل في نسب سيدي نايل ومن جاورهم من الأشراف والقبائل، دار الخلدونية، الجزائر، 2018، ص: 206.

¹ Arnaud: "Histoire de Oulad Nail..." , IN: R.A, VOL: 16, op. cit..., p: 338.

² الطيب بن لخضر قرشي الغربي: مرجع سابق، ص: 206.

³ ذكر صاحب كتاب زهرة الخمائل أن أولاد رقاد الشراقة هم ثلاثة فروع: أولاد مجبر، أولاد أمباركة، أولاد عبيد الله، أنظر: الطيب بن لخضر قرشي الغربي: مرجع سابق، ص: 206.

⁴ François de Villaret: op. cit, p: A78

⁵ Ibid, p: A79

⁶ Ibid, p: A80

⁷ Ibid, p: A81.

⁸ الطيب بن لخضر قرشي الغربي: مرجع سابق، ص: 206.

⁹ François de Villaret: op. cit, p: A71.

¹⁰ Arnaud: "Histoire de Oulad Nail..." , IN: R.A, VOL: 16, op. cit..., p: 338.

2 - 3 قصور منطقة الجلفة:

انقسم سكان منطقة الجلفة أو بلاد أولاد نايل الغرابة حسب مواطن اقامتهم إلى: مقيمين (الحضر) و هم: أهل القصور؛ و متقلين وهم: البدو الرحل الذين يمثلون الأغلبية، كان بين سكان بلاد أولاد نايل المقيمين بالقصور والمتقلين (البدو الرحل) ما يمكن الاصطلاح عليه بعقد شراكة، إذ كان الرحل في إطار ممارستهم لانشطهم الرعوي يتوجهون للتل ويجلبون معهم الحبوب التي يعمل المقيمون بالقصور على زراعة بعضها¹، والاحتفاظ بالباقي في مطامير بالقصور التي تعتبر بمثابة مخازن لقبائل منطقة الجلفة².

وكما هو معروف أن القصور كانت تتشأ بالقرب من مصادر الماء الضروري لحياة سكانه: سواء آبار تقليدية أو عيون، للسماح لهم بالسقي والفلاحة، فهذا الاستقرار سمح لساكنيه بممارسة حياتهم بشكل طبيعي، - وهو ما كانت عليه أغلب قصور منطقة الجلفة-، فاضحت هذه القصور مقصدا لطلاب العلم في حالة حوزته على زاوية، أو مدرسة قرآنية. أو ضريح لأحد أولياء الله الصالحين، أو يسكنه شيخ عالم، أو مرابط. مثلما هو الأمر مع الشارف، و زينة، و بن يعقوب، و دمد.

وبذلك فقد ساهمت القصور في الحفاظ على الدين الاسلامي و اللغة العربية ووحدة السكان بدوا و رُحلا حول دين واحد، كما مارس ساكني هذه القصور مختلف الأنشطة كالحرف، والصناعات التي اشتهرت بها بلاد أولاد نايل مثل: صناعة البارود، و الأسلحة، و الحدادة، والنسيج بأنواعه، والصناعات الجلدية، والسلالة، والفخار، وصناعة الحللي النايلية، هذه الوسائل مكنت سكان المنطقة من سد حاجاتهم اليومية بل أكثر من ذلك أضحي الفائض منها سلعة يتجارون بها³.

¹ Eugène Fromentin: **op. cit**, pp: 40, 41.

² دumas: مصدر سابق، ص ص: 200، 206.

³ بن سالم المسعود: " قصور بلاد أولاد نايل...النشأة و التاريخ"، محاضرة ألقى في الملتقى الوطني " تاريخ و آثار الجلفة عبر العصور"، المنظم بمعهد الآثار بجامعة الجزائر 02 " أبو القاسم سعد الله" و مديرية الثقافة بالجلفة، يومي: 25-26/04/2017.

تم تقسيم قصور منطقة بلاد أولاد نايل إلى ستة نطاقات تضم قصورا و دشرات، وهي ¹ :
 قصور نصف قوس الجلفة (الشارف، عامرة، زكار، المجبارة، عين الابل)؛ قصور زينية (زينية،
 بن يعقوب)؛ قصور حاضرة مسعد (دمد، مسعد، الحنية)؛ قصور منطقة جبل بوكحيل (عمورة،
 عين السلطان، البرج، عبد المجيد، سلمانة)؛ قصور منطقة تعظميت (النشيلة، الهيوهي، عين
 الحاجب)؛ قصور زنزاش (حد السحاري) ² التي تعرف أحيانا ب "بوية السحاري"، وقد حفظت
 لنا كتب الرحلات الحجازية أسماء هذه القصور كما ستم تبيينه أدناه.

هذه القصور منها ما اندثر ولم تبق سوى أطلاله، ومنها ما هو موجود الى اليوم، خاصة
 تلك عملت السلطات الاستعمارية على تعميرها خدمة لمصالحها، وفي ما يلي تفاصيل أكثر عن
 هذه القصور والتي شكلت إقليم منطقة الجلفة:

• قصور نصف قوس الجلفة ³ :

قصر الشارف ⁴ : يتمركز على طرف المنحدر الشمالي لجبل السحاري الظهراوي على
 ضفاف واد الحاجية على بعد 48 كلم شمال غرب مدينة الجلفة عاصمة الإقليم، به عين ماء
 عذب وعين ساخنة درجة حرارتها بين 33⁰ و 53⁰، كانت مياهها تستعمل - ولا تزال - لشفاء
 بعض الأمراض، والآثار التي وجدت به ⁵ دالة على قدمه.

أما عن أرض قصر الشارف وصفها أرنو بأنها خصبة، ومن أنها « أحسن مكان للزراعة
 يمكننا مصادفته، آلاف الهكتارات يمكن سقيها من واد الحاجية، مياه نبع الشارف عبارة عن

¹ نفسه.

² غير معني بمجال الدراسة في الفترة الزمنية المحددة.

³ سماها هكذا الرائد نيوكس لأنها تشكل نصف قوس حول الجلفة.

⁴ ذكرت الروايات الشفوية أن أصل تسميته بالشارف نسبة إلى الحصان العجوز (الشارف باللغة العامية) الذي كان للمرابط عبد العزيز بلحاج المعروف بأنه
 رجل علم ودين، وقد وفد هذا المرابط إلى المنطقة وبقي هناك وقت للتدريس، ثم هَمَّ بالرحيل، إلا أن سكان المنطقة طَلَبُوا منه الاستقرار عندهم لكنه رفض،
 وبينما هو على موقفه هذا فإذا به يسمع بأن حصانه الشارف قد سقط في النبع ومات، مما جعل سيدي عبد العزيز يعتبر هذا الحدث أمر من الله ليقبل
 عرض أهل البلد، وتركوا بالشيخ وحصانه الشارف الذي كان سببا في بقاءه سمي القصر باسمه سيدي عبد العزيز الشارف لكن طول الاسم أدت بهم
 لاختصاره والاقصاء على الشارف، أنظر:

Arnaud : " Exploration du djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL: 07, op. cit, p: 345.

⁵ Victor Bérard: op. cit, pp: 307, et Arnaud: op. cit, pp: 345, 346.

مجموعة لامتناهية من جداول وعيون أقل أهمية، كل هذا يؤدي بنا للقول: بأن مجرد نداء للعبازيز لأخذ زمام المبادرة، وستكون هذه القبيلة الأغنى في الملحقة وتحقق تنمية كبيرة»¹.

سكان قصر الشارف هم عبازيز الشارف أو العبازيز نسبة لجدهم سيدي عبد العزيز²، الذي أسس زاوية أصبحت تستقطب الطلاب والمرددين لفترة طويلة³. كما كان قصر الشارف عبارة عن مخزن لبعض قبائل أولاد نايل⁴.

قصر عامرة: يقع جنوب - غرب مدينة الجلفة ما بين عين الابل وتعظमित⁵، يبعد عن عاصمة الولاية حوالي 35 كلم، وهي مدينة أثرية كما تم الإشارة إليه أعلاه، ذكرها الناصري في رحلته⁶.

قصر زكار: يقع هذا القصر جنوب شرق مدينة الجلفة بمسافة حوالي 33 كلم، وهو الآخر يحتوي على معالم أثرية كثيرة تعود إلى حقبة ما قبل التاريخ⁷.

قصر المجبارة: يقع هذا القصر على بعد 23 كلم إلى الجنوب الشرقي على طريق الرابط بين الجلفة و مسعد به عين ماء عذب⁸، أما عن تاريخ بنائه فالروايات الشفوية أوردت أنه بني

¹ Arnaud: **op. cit**, p: 347.

² Ibid, p: 345.

لقد سبق سيدي عبد العزيز بلحاج إلى قصر الشارف أحد أجداده الأوائل وهو سيدي علي بن أحمد الذي قدم من المغرب ووفد على صديقه سيدي بوزيد الذي سبقه إلى هناك قاصدا الحج فطاب له المقام هناك فاستقر به بالمكان المسمى المجنون غرب مدينة الشارف وأسس زاويته هناك لمزيد من التفاصيل أنظر:

Trumelet, Corneille: **l'Algérie légendaire: en pèlerinage ça et là aux tombeaux des principaux thaumaturges de l'islâm, Tell et Sahara**, librairie Adolphe Jourdan, alger, 1892, p: 15 et suit.

³ لمزيد من التفاصيل حول سيدي عبد العزيز أنظر:

Ibid, p: 40-70.

⁴ دumas: **مصدر سابق**، ص: 202.

⁵ Victor Bérard : **op. cit**, p: 308.

⁶ أبي بكر عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: **الرحلة الناصرية الكبرى**، تح: المهدي الغالي، دار أبي الرقاق، المغرب، 2013، ص: 208.

⁷ أنظر أعلاه

⁸ Victor Bérard: **op. cit**, p: 307

نهاية 18م وبداية 19م أثناء العهد العثماني، وكان عامرا وفيه مسجد ومدرسة قرآنية، وكما هو معروف عن القصور فإن من عوامل اختيار مواقعها عيون الماء، وما يحيط به من أراضي خصبة ومصادر سقي وأنظمة ري تقليدية في البساتين تعتمد على نظام التناوب وهو ما ساهم في ازدهار الفلاحة فيه¹، وما يزال القصر إلى اليوم كذلك.

قصر عين الإبل: يقع جنوب مدينة الجلفة ب: مسافة 34 كلم على الطريق الوطني الرابط بين الجزائر والأغواط².

• قصور زنينة³:

قصر زنينة: يقع قصر زنينة جنوب غرب مدينة الجلفة بحوالي 65 كلم⁴، شكل هذا القصر آخر نقطة من بلاد أولاد نايل من جهته الغربية وهو قصر قديم جدا إذ وجدت به آثار تعود إلى العصور الحجرية⁵، وبعد الإسلام ذكرت الروايات الشفوية أنه سكنته قبيلة "البدارنة"⁶ ثم وفد عليهم سيدي امحمد بن صالح الولي الصالح الذي باعوه البدارنة قصرهم⁷، وأنشأ هناك زاويته التي أصبحت مقصدا لكل راغب في التزود بعلوم القرآن⁸.

أكاردو: معجم قبائل ودواوير الجزائر (مرفق بخارطة قبائل ودواوير الجزائر)، تر: حمزة الأمين يحياوي ومالك بن خيرة، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص: 155.

¹ المسعود بن سالم: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر المجبرة"، شوهذ بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 00:42، عبر الموقع الإلكتروني:

http://www.djelfa.info/ar/mobile/homme_histoire/10882.html

² أكاردو: المصدر السابق، ص: 24.

³ قيل أنها سميت كذلك نسبة إلى امرأه قدمت لهذه المنطقة قبل ظهور الاسلام واستقرت هناك إلى أن توفيت وحملة المنطقة اسمها أما اليوم فهي تحمل اسم الإدريسية، لتفاصيل أكثر أنظر:

Arnaud: "Exploration du djebel Boukahil", IN: R.A, VOL: 07, op, cit, p:347.

⁴ أكاردو: مصدر سابق، ص: 295.

⁵ لتفاصيل أكثر أنظر عنصر الجلفة في العصور القديمة من هذا الفصل

⁶ لتفاصيل أكثر عن هذه القبيلة أنظر فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص:

⁷ Arnaud: op, cit, p: 348.

⁸ Corneille et Trumelet: op. cit, p: 41.

وصف ابن الهطال¹ أهل زينة فأثناء رحلة قاداته إليها أواخر القرن 18 م ب: « وهي لأي زينة» لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد وأهلها أصحاب قوة وعدة وعزة... »²، وقد ذكر ابن هطال حادثة وقعت بين باي وهران وأهل هذا القصر، وهي: أن محمد الكبير أغار عليها بخيله ورجاله، عندما علم من اعتداد أهلها بأنفسهم وتمردهم على باي التيطري، فلما رآه أهلها مقبلا عليهم علموا ألا طاقة لهم بمواجهته، ففروا من أمامه مخلفين كل أمتعتهم وأقواتهم وتركوا المدينة، فدخلها الباي بـرجاله وأخذوا ما كان فيها من القماش والسمن، وذكر ابن هطال أنهم وجدوا بها من القمح والشعير ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى³.

وصفها المترجم العسكري أرنو منتصف القرن 19 م بأن أرض قصر زينة بها: « عدة منابع، محاطة كل واحدة منها بسور لحمايتها من أقدام الحيوانات، والتي يتم تجميع مياهها في عين واحدة بالاستعانة بقنوات صغيرة تحت الأرض، لتسقى أولا بساتين رائعة، لتغذي بعد ذلك ساقية... [ل: إحياء .. حقول القمح النخيفة التي تجتازها.»⁴

قصر بن يعقوب: يقع هو الآخر في الجهة الغربية لبلاد أولاد نايل على الطريق الجنوبي الرابطة بين قصري زينة والشارف، يحده الغطاء الغابي الكثيف الذي يغطي بجبل السحاري الظهر اوي، القصر حديث النشأة مقارنة بقصر زينة ورغم أن قصر "بن يعقوب" سابق لعهد الاحتلال الفرنسي إلا أنه شبه غائب في التقارير الفرنسية أو ربما هو ضمن تلك الإحصائيات التي تجمع "أهل زينة وأولاد سيدي يونس" مجموعة واحدة⁵

¹ هو أبو العباس الحاج أحمد بن محمد بن علي بن أحمد بن هطال التلمساني، كان كاتباً ومستشاراً لمحمد الكبير باي الإيالة الوهرانية، ومبعوثاً له في المهمات الخارجية، إلى المغرب الأقصى وجبل الطارق ورافقه في رحلته إلى الصحراء، بعد ذلك أصبح كاتباً للباي عثمان ابن محمد الكبير ثم كاتباً للباي مصطفى بن عبد الله العجمي. توفي في معركة وقعت بين العثمانيين وابن الشريف الدرقاوي في أوائل ربيع الأول سنة 1219 هـ (حوالي سنة 1798 هـ) أنظر مقدمة محقق كتاب ابن أحمد بن هطال التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط: 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م، ص ص: 13، 14.

² نفسه، ص: 49.

³ ابن أحمد بن هطال التلمساني: مصدر سابق، ص ص: 50، 51.

⁴ Arnaud: " Exploration du djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL: 07, op, cit, p:347

⁵ بن سالم المسعود: " قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر زينة وقصر بن يعقوب "، شهود بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 30: 00، عبر الموقع الإلكتروني:

يقال أن من أسس القصر هو: سيدي يعقوب بن أحمد وذلك خلال الفترة العثمانية ما بين 1630 و1720م، وأشارت الروايات الشفهية إلى أن نجل "سيدي يعقوب بن أحمد" الولي الصالح "سيدي محمد بن يعقوب" عمر القصر ببنائه زاوية للتعليم القرآني، ولعل هذا القصر قد لعب دوره الحضاري اقتداءً بالقصرين المجاورين له وهما الشارف وزينة الذين سبقاه نشأة وتعلima قرآنيا¹.

• قصور مسعد:

قصر دمد: يقع قصر دمد على الضفة اليسرى لوادي الحمويضة²، وعند مخرج الجسر على طريق بوسعادة³، جنوب شرق مدينة الجلفة بمسافة 63 كلم⁴، استمد هذا القصر تسميته من الحصن الروماني "كاستيلوم ديميدي" الذي شُرع في بنائه منذ سنة 198 للميلاد حيث استمر في شغل وظيفته إلى غاية سنة 238م⁵، كما عرف باسم قصر البارود لشهرة سكان دمد في كامل الصحراء بصناعة البارود العالي الجودة الذي كان يباع في قرطيس من القصب الجاف حجمها كحجم الخرطوش⁶.

ورد قصر دمد في كتب الرحلات الحجازية للحجاج المغاربة كمحط ومُستراح، ومنها كتاب الرحلة العياشية وهو عبارة عن خلاصة لرحلة قام بها العياشي إلى الحج ما بين سنتي (1661- 1663م) فذكره باسم دماك⁷، أما في كتاب رحلة اليوسي نسبة إلى صاحب الرحلة التي كانت ما بين سنتي (1690 - 1691م)؛ أشار إلى قصر دمد فقال: «وقد بلغنا مكان المكيّد (المقيد على الطريق الرابط بين دمد والعفاسية) ووجدنا قبيلة يقال لهم أولاد نايل، ولقيني رجل منهم وقال لي هذا شاوك، ولم أفهم قوله، ثم قال لي انسان: إنه سألك هل

¹ بن سالم المسعود: " قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر زينة.."، مرجع سابق.

² واد حمويضة، يأخذ نبعه من جبل عمور من الأماكن المسماة غرفة وشهاوي الكذاب. من ميلاده يأخذ النهر على التوالي الأسماء التالية: واد ويس، واد فكيرين، واد بن حامد، واد تعظميت، واد مرقد، وأخيرا واد حمويضة إلى غاية واد جدي مياها تمتصها الرمال، عند مدخل خانق دمد، أنظر:

Arnaud: " Exploration du djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL: 07, op. cit, p: 53.

³ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 78.

Arnaud: op. cit, p: 43.

⁴ أكاردو: مصدر سابق، ص: 93.

⁵ لتفاصيل أكثر عن هذا الحصن أنظر ص ص: 321 - 323 .

⁶ دوماس: مصدر سابق، ص: 196.

⁷ عبد الله بن محمد العياشي: مصدر سابق، ص: 546.

لك حجة قبل هذه أم هذا شاوك الأول، قلت له نعم هذا شاوي. وبلغنا قرية عند الظهر يقال لها دَمْدَم...»¹.

كما أشار الدرعي في رحلته سنة 1709م إلى قصر دمد باسم "دمت" التي نزل بها مع ركب الحجاج وقضى ليلته هناك، ووصف استقبال أهل دمد للركب بفرح وسرور، وتسوق الركب من أهله فاشتروا منهم المواشي والسمن والشعير، كما أورد أن دمد أصابها الجراد في تلك السنة وجرد أرضها، وأنهم عند مواصلتهم رحلتهم اعترض طرقتهم الوادي هناك²، كما ورد هذا القصر في كتاب الرحلة الناصرية الكبرى للناصرى المغربي وهو عبارة عن رحلة من المغرب إلى الحجاز قام بها المؤلف بين سنتي (1782-1783م) فقال: «ثم منه مررنا بواد الحميضة وماؤها عذب جار، عليه غابة الطرفا وبعض حرث وعليه قرية دمت دويرات بأصل جبل عن يمينك وأنت مشرف، ونخلات وبعض أشجار...»³

كان قصر دمد بمثابة مخزن لحبوب أجزاء من قبائل أولاد نايل⁴، مما عرضه لحملات السلطة العثمانية على غرار ما كانت تتعرض له سائر بلاد أولاد نايل عند تمنعها دفع الضريبة لهم، ومنها حملة الباي "موركي Mourki" وهو أحد بايات وهران⁵.

وصف دوماس سنة 1845م قصر دمد بأنه: «قرية صغيرة مكونة من ثلاثين إلى أربعين منزلا، غير مرتفع البناء وسيئة، محاطة ببساتين مغروسة بأشجار مثمرة والتي تغرس فيها الكثير من الخضر والعنب...»⁶، وأن نساءه: «ينسجن ملابس الصوف»⁷.

1 محمد العياشي بن الحسن اليوسي: رحلة اليوسي (1101-1102 هـ / 1690 - 1691)، تح: أحمد الباهي، ط: 1، سوجيم، تونس، 2008م، ص: 77.

2 أبو العباس أحمد بن محمد ناصر الدرعي: الرحلة الناصرية (1709-1710م)، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط: 1، دار السويد، الامارات العربية المتحدة، 2011، ص: 716.

3 أبي بكر عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري: مصدر سابق، ص: 208.

4 دوماس: مصدر سابق، ص: 196.

5 Arnaud: " Exploration du djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL: 07, op, cit, p: 48.

6 دوماس: مرجع سابق، ص: 196.

7 نفسه.

قصر مسعد: يقع على الضفة على اليمنى لوادي الحمويضة جنوب شرق مدينة الجلفة¹، بمسافة قدرت بـ: 58 كلم²، كان قصر مسعد محطة لمرور للقوافل التي كانت تذهب لمقايضة القمح و الوقيد (روث الإبل)³ بتمور تقرت أو دشور الجنوب⁴، كما مارس سكان قصر مسعد إلى جانب الزراعة صناعة البارود، أما النساء فكن يحيكن البرانيس و الحايك ...⁵

قدر عدد البيوت بها في بداية العهد الاستعماري بـ: مائة وثلاثون تقريبا مرصوفة ببعضها بأسوار ترابية، مشابهة للقصور الأخرى، بشرفات لكن بطابق أرضي فقط، شوارعها ضيقة جد نظيفة، وكانت في الفترة الاستعمارية عاصمة لقصور دمد والحنية و مقر إقامة القايد⁶.

وصف المترجم العسكري أرنو تقنية الري المتقنة التي اعتمدها سكان مسعد لسقى الأراضي المليئة بالبساتين التي تنتج أنواع مختلفة من الخضر والفواكه، فقال عنه: « لبهامة بساتين، أحاطها ملاكها بأسوار من طين، التقت ببساتين دمد، لتشكل متاهة معقدة والتي يتوه فيها المرء بكل سعادة، تسقى بثلاثة قنوات واسعة الواحدة فوق الأخرى تفصل بينها بعض الأمتار، تتغذى من واد حمويضة، عدة أنابيب صغيرة، تخرج من القنوات، وتجتاز البساتين في كل الاتجاهات. أشجار التفاح، السفرجل، التين، المشمش، والخوخ غير المطعمة وذات فاكهة لذيذة، بجذوع مرهقة، بحمل مجموعة من الأغصان العظيمة، بعد أن صنعت سياجا مظلماً من الاخضرار والأزهار البديعة.... في ظلالها ينمو الشمام بقوة، البطيخ الأحمر، اليقطين الضخم، اللفت، الجزر، وبعض البطاطا. بعض نخيل مزاب الشابة تشمخ برؤوسها الخضراء فوق غابة الفواكه الكبيرة هذه، والتي تتزايد باستمرار⁷ ».

¹ Victor Bérard: **op. cit**, p: 307

² أكاردو: مصدر سابق، ص: 161.

³ كان سكان القصور يستعملونه كالحطب، وسماد لبساتين نخيلهم.

⁴ Arnaud: " **Exploration du djebel Boukahil** ", IN: R.A, VOL: 07, **op, cit**, p:53.

⁵ Ibid, p: 51

⁶ Ibid, pp: 51, 53.

⁷ Ibid, p: 54.

قصر مسعد في بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر وقبل زحف قواته على منطقة الجلفة، وتحديدًا سنة 1831م وفد عليه الحاج موسى الدرقاوي فأحسن أهله استقباله، وبُنُو له زاوية¹، واعتبر القصر كذلك من بين القواعد الخلفية التي لجأ إليها الأمير عبد القادر وقدمت له دعم كبير²، كما أدرك المستعمر الفرنسي أهمية السيطرة على القصر فسيقت له العديد من الحملات الفرنسية سيتم تناولها في محلها.

قصر الحنية: قرية صغيرة تسقى من وادي الحوميضة³، وربما هو نفسه حنية أولاد سعد بن سالم اليوم.

• قصور جبل بوكجيل:

قصر عمورة: يقع على بعد 10 فراسخ إلى الجنوب الشرقي من مسعد على المنحدر الجنوبي لجبل بوكجيل⁴، أشار فرانسوا دوفيلاري إلى أن عمورة قد أنشأتها عدة عائلات قادمة من غومرة (قمرة) وتقرت (بني جلاب) ثم سكنها أولاد نايل، ويُرجح أن إنشاء "عمورة" قد يكون في القرن 16م⁵.

ورد قصر عمورة كثيرا في كتب الرحلات الحجازية كمحطة، فقد أشار الحاج الدرعي في كتابه الرحلة الناصرية (1709-1710م) إليه، وأورد أن أهله كانوا يمارسون التجارة مع قوافل الحجاج ببيع الدجاج والفواكه لهم⁶، أما الناصري في كتاب الرحلة الناصرية الكبرى فقد ذكر أنه مر بالقصر عام 1782م ووصفه بأنه قرية عامرة تسوّق ركب الحجاج منها بما يحتاجونه⁷.

¹ لمزيد من التفاصيل أنظر ص: 117

² لتفاصيل أكثر عن الدعم الذي قدمه أبناء قصر مسعد للأمير أنظر ص: 185

³ V. Bérard: **op. cit**, p: 307.

⁴ Ibid, p: 308

⁵ فرانسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 118.

⁶ الدرعي: مصدر سابق، ص: 715.

⁷ الناصري: مصدر سابق، ص: 208.

وفي سنة 1845م أشار دوماس إلى أن قصر عمورة كان مخزنا للبدو الرحل كقبائل الأرباع وأولاد نايل¹.

قصر عين سلطان²: يقع على واد الدويرة المتفرع من وادي جدي و على المنحدر الجنوبي الشرقي من جبل بو كحيل على ارتفاع 1500م من مستوى سطح البحر، يبعد بمسافة 64 كلم جنوب - شرق مدينة الجلفة³، لا توجد معطيات دقيقة عن تاريخ إنشائه غير أن هذا القصر قد يكون بني في نفس فترة بناء قصر المجبارة ربما لصعوبة الحصول على المراعي أو قلة الأمطار أو العامل الأمني وقطاع الطرق ما أدى الى استقرار أفراد وانشغالهم بالفلاحة...⁴، ذكره الناصري الناصري في رحلته⁵.

قصر البرج⁶: يقع جنوب شرق قصر مسعد على المنحدر الجنوبي لجبل بوكحيل، يبعد عن قصر عمورة بمسافة 32 كلم و عن قصر مسعد ب 13 كلم، ويعرف بـ "برج المهاش" نسبة إلى عرش "المهاش" من أولاد الأعور النوايل⁷.

وهذا القصر هو الآخر كان بمثابة مستراح لقوافل الحج القادم من المغرب والحجاز، وهذا ما ثبته الرحالة الدرعي في مؤلفه، أورد أن به بناء على هيئة مسجد⁸، كما وصف الناصري ماء البرج بأنه أحسن مياه المنطقة⁹.

¹ دوماس: مصدر سابق، ص: 200.

² قصر عين السلطان صار اليوم مجرد أطلال لدير لم تبق منها سوى أساسات بالحجارة.

³ أكاردو: مصدر سابق، ص: 23.

⁴ مسعود بن سالم: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر عمورة وقصر عين السلطان"، شوهده بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 01:05 صباحا أنظر موقع:

http://www.djelfa.info/ar/mobile/homme_histoire/10891.html

⁵ الناصري: مصدر سابق، ص: 208.

⁶ القصر حاليا هو فرع بلدي يتبع بلدية سلمانة بدائرة مسعد وهي محسوبة على جنوب ولاية الجلفة.

⁷ بن سالم المسعود، بلال ذيب: " قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر البرج"، شوهده بتاريخ: 28 /05 /2017، على الموقع الإلكتروني التالي:

https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/10869.html

⁸ الدرعي: مصدر سابق، ص: 716.

⁹ الناصري: مصدر سابق، ص: 208.

كما احتضن البرج في وقت من الأوقات زاوية الحاج براج التي تأسست سنة 1830م على يد شيخها الحاج براج المولود عام 1784 والذي عمر طويلا. الزاوية كانت على شكل خيمة متنقلة ما بين "السخفة" و"بريش" و"البرج" وهي كلها مناطق تقع في إقليم دائرة مسعد حاليا¹.

قصر عبد المجيد: يقع هذا القصر في الجنوب الشرقي لمنطقة الجلفة، موقعه استراتيجي لكونه بمفترق للطرق. ورد هذا القصر كثيرا في كتب الرحلات الحجازية باعتباره مركز عبور يتزود الحجاج من ماء واده وادي عبد المجيد.

فأورد الحاج اليوسي أنه مر بوادي عبد المجيد الذي أعجب بمائه العذب وتم ملئ قريهم بحمولة قدرة بيومين²، كما أن الدرعي أشار إليه هو الآخر في مؤلفه وقال أنه صلى العصر بالقرب من وادي عبد المجيد³، ومر الناصري عبر هذا القصر وقضى ليلته به رفقة ركب الحج الحج فوصفه: « ... ماؤه جار لبأس به، وبه قبور الأعراب، وسطها رجل صالح اسمه شارف المجيد يسمى هذا المكان باسمه، فقال الناس: عبد المجيد، وعن يسار القبور مكان منخفض تجتمع فيه سيول الأمطار لا يفارقه ماء المطر غالبا حتى زمن المصيف، وجدناه ذهابا وإيابا ممتلئا...»⁴.

قصر سلمانة: يقع هذا القصر بجنوب منطقة الجلفة ويبعد عن مدينة الجلفة حوالي 126 كلم، ذكره الناصري في رحلته ووصف عينها بأنها باردة وعذبة⁵.

• قصور تعظييت:

قصر النثيلة: يقع هذا القصر بالضفة اليسرى لوادي النثيلة وهو الواد الذي أورده الناصري في رحلته¹، يقال أن أرض هذا القصر لم تكن تعرف من قبل إلا بفجها الضيق الذي كانت

¹ بن سالم المسعود، بلال ذيب: " قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر البرج"، مرجع سابق.

² اليوسي: مصدر سابق، ص: 78.

³ الدرعي: مصدر سابق، ص: 715.

⁴ الناصري: مصدر سابق، ص: 208.

⁵ نفسه.

القبائل مجبرة على المرور به للتوجه للصحراء أو نحو التل، إذ لم يكن للقصر وجود إلا منذ احتلال الفرنسيين للأغواط، ففي سنة 1863م كان عبارة عن قرية تتشكل من عشرات البيوت لفرع أولاد فاطنة من أولاد سعد بن سالم النوايل، لكنه هجر في ما بعد ².

قصر تعظميت: يقع هذا القصر في اتجاه طريق الصحراء غربا على الطريق الوطني رقم واحد الرابط بين الجزائر والأغواط، يبعد بـ: 50 كلم عن قصر عين الإبل و حوالي 65 كلم جنوب مدينة الجلفة، ومحاط بأشجار الصنوبر الحلبي والحلفاء، بهذا القصر أثار الفتوحات الإسلامية الأولى لبلاد المغرب فقد احتفظ القصر بأثار المعركة التي يقال أنها دارت بين جيوش عقبة بن نافع وسكان المنطقة، هذه الآثار معروفة بقبر الصحبي ³.

ونظرا للموقع الاستراتيجي الذي يحتله القصر فقد كانت محل اختيار الفرنسيين من أجل انشاء أول مزرعة نموذجية لتربية المواشي مع نهاية الحرب العالمية الأولى كما سيتم التفصيل فيه في محله.

قصر الهوي: يقع هذا القصر جنوب منطقة غرب الجلفة يبعد عن مدينة الجلفة بمسافة تقدر بحوالي 40 كلم.

¹ الناصري: مصدر سابق، ص: 207.

² Arnaud: " **Exploration du djebel Boukahil** ", IN: R.A, VOL: 07, **op, cit**, pp: 58, 59.

³ لمزيد من التفاصيل أنظر العنصر الموالي.

3 - لمحة تاريخية عن منطقة الجلفة قبل 1830:

لا يمكن ادراك مستوى التحولات التي عرفها المجتمع في منطقة ما في مختلف الميادين الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، بدون العودة إلى السياق التاريخي والسياسي الذي تكون فيهما هذا المجتمع، كما أنه يصعب فهم خصوصيات المجتمع، وتحديد أبنيته الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية بمعزل عن الأحداث والتطورات السياسية التي عرفتها المنطقة خلال المرحلة التاريخية التي سبقت الاحتلال.

3 - 1 منطقة الجلفة في العصور القديمة (الحجرية والرومانية):

وجدت منطقة الجلفة منذ ما قبل التاريخ، وشهد بذلك الآثار التي رصدت بمحيط منطقة الجلفة ك: (النقوش إلى ما قبل التاريخ، إلى قبور فجر ما قبل التاريخ الميقاليتية السلتية، إلى آثار الرومانية). الحجرية التي تعود وهو ما سيتم التفصيل فيه أدناه.

1.1.3 - منطقة الجلفة في العصور الحجرية القديمة:

تعد منطقة الجلفة إحدى المناطق الموعلة في القدم والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، فقد كانت منذ ما قبل التاريخ موطنًا للإنسان بشهادة النقوش الحجرية الكثيرة المنتشرة خاصة بالأجزاء الجنوبية والجنوبية الشرقية من المنطقة على غرار عين الإبل، مسعد، مجبارة، عين الناقة، تعظمت... وغيرها¹، وقد أحصى كل من هوارد وايار (Huard et L. Allard) عام 1976م الكثير من المواقع والنقوش الحجرية بمنطقة الجلفة تعود لتلك الحقبة².

كما أشار ريبو (Reboud) عام 1856م إلى وجود آثار كثيرة من القصور و القرى مبنية من طرف أهالي منطقة الجلفة تعود إلى العصور الحجرية، بالإضافة إلى القبور الميقاليتية التي يرجح أنها تعود إلى حقبة فجر التاريخ رغم أن ريبو تردد في تحديد تاريخها وأصولها³.

¹ لمزيد من التفاصيل حول تاريخ وجود الإنسان بمنطقة الجلفة أنظر العنصر السابق التعمير البشري من هذا الفصل.

² P. Huard et L. Allard: **les figurations rupestres de la région de Djelfa sud algérois** Libyca, T: 24, Alger, 1976, p: 68..

³ Reboud: " **Notes archéologiques ...**", op. cit, p: 26.

وعليه فإن هذه الآثار التي أحصاها هؤلاء تؤكد أن منطقة الجلفة ضاربة في عمق التاريخ.

2.1.3 - منطقة الجلفة في الفترة الرومانية:

وجد بالمنطقة مجال البحث آثار تعود للحقبة الرومانية، ومنها آثار التحصينات العسكرية التي خلفها الرومان بعد الهزائم التي ألحقوها بسكان البلد الأصليين¹، فالمعروف أن الرومان واجهوا أثناء وجودهم ببلاد المغرب العديد من الثورات قام بها سكان المغرب²، مما استوجب تحصينات عسكرية فعالة قامت بها وحدات الجيش على مر القرون لحماية المؤسسات المدنية داخل المقاطعات من انتفاضات سكان الجبال من جهة وتحصين الحدود الجنوبية من هجمات القبائل الرعوية من جهة أخرى، و كان أهم هذه التدابير الخط (أو limes) (النوميدي والموريطني)³، ومنه فإن التواجد الروماني بالمنطقة اقتصر على إقامة بعض التحصينات العسكرية بهدف حماية حدودها التلية الجنوبية من غارات قبائل الجنوب ومن هذه أبرز هذه التحصينات العسكرية بمنطقة الجلفة، المركز المتقدم كاستليوم ديميدي⁴.

من هنا يمكن الاستنتاج أن منطقة الجلفة لم تكن داخل حدود الإمبراطورية الرومانية بل اقتصر وجودها على إقامة مراكز عسكرية متقدمة مهمتها حماية حدودها الجنوبية من غارات سكان الجنوب ضد حدودها التلية.

¹ بعد انتصار الرومان على القرطاجيين في الحرب البونية الثالثة (149 - 146 ق م)، استطاع الرومان الاستحواذ على بلاد المغرب من ما وراء البحر المتوسط إلى غاية تخوم صحراء رغم المقاومة التي أبدتها سكانها، إذ قام الرومان بتقسيم بلاد المغرب، لمزيد من التفاصيل أنظر: محمد البشير شنيقي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146 ق.م - 46م)، ط: 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص: 54 ..

² شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تالوت الثقافية، 2011، ص: 125 - 131.

³ هذه الخطوط الدفاعية تتركب من خط رئيسي مكون من الحصون "كالستلون" متباعدة بحوالي 45 كلم بين الحصن والآخر يربطها طريق لدوريات عسكرية، ثم خط إمداد خلفي يحتوي على مراكز إمداد في نقاط معينة تسهل التدخل في الأماكن المعرضة للخطر، وخط مراكز متقدمة أمام الخط الرئيسي تم إنشاؤها لاحقا لمراقبة المدخل وحماية الخط الرئيسي عند الحاجة، أنظر فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 76.

⁴ أنظر تفاصيل أكثر عن هذا الموضوع والهدف من تركيز على هذه التحصينات من قبل الكتابات الفرنسية في ص: 319-321.

3 - 2 منطقة الجلفة في الوسيط (من بداية الفتوحات الإسلامية إلى وصول القبائل الهلالية والسلمية):

لمعرفة وصول الإسلام لمنطقة ما واعتناق أهله له، لابد من البحث في تفاصيل هذا الفتح، وذلك باستقراء المعلومات التي وردت عن المنطقة المراد البحث في تاريخ وصول الإسلام لها في المصادر التاريخية ومقارنتها وتصنيفتها، الذي قد يقود إلى تحديد تاريخ وصول الإسلام إليها¹.

كما هو معلوم عن انتشار الإسلام بالمغرب العربي ومنه المغرب الأوسط (الجزائر) بما فيه منطقة الجلفة، لم يتحقق إلا بعد أكثر من سبعين سنة، وذلك بعد سلسلة من الحملات وجهت ضده²، إلا أن الذي يعنينا هنا هو إحدى حملات الفتح التي قادها عقبة بن نافع بحكم صلتها بموضوع الدراسة.

فقد ذكرت المصادر العربية أن عقبة ابن نافع وأثناء عملية استكمالها لفتح المغرب وهو في طريقه إلى طنجة (المغرب الأقصى) عبّر المغرب الأوسط من القيروان (جنوب المغرب الأدنى) واتجه إلى الغرب عبر الجنوب «... زحف عقبة غربا متخذا طريق الزاب الصحراوي وحلفائهم من البربر على وادي المسيلة فهزمهم، واتجه بعد ذلك إلى تاهرت وجعلها هدفه الرئيسي»³، وكان ذلك حوالي 62 أو 63هـ/682م⁴.

ويرجح أن جنود عقبة بن نافع في هذه الحملة قد مر عبر منطقة الجلفة عن طريق سهل مسعد وزاغز باعتبارها ممرات طبيعية، خاصة إذا سلك عقبة وجنوده طريق الرابط بين القيروان وبسكرة وتاهرت، وهو ما ذهب إليه فرنسوا دوفيلاري⁵.

¹ عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية، ص: 35.

² حسين مؤنس: مرجع سابق، ص: 64، عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جم وتح: أحمد بن الميلود، محمد إدريس، ط: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص: 29، أحمد عباد المختاري: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د. س ن، ص: 46.

³ عبد العزيز سالم: مرجع سابق، ص: 137.

⁴ فرنسوا دوفيلاري: المرجع السابق، ص: 98.

⁵ نفسه، ص: 98، 100.

وفي هذا الصدد أورد المترجم العسكري أرنو (Arnaud) معلومات عن حملة الفتح التي قام بها عقبة بن نافع بالمنطقة وكان مصدر معلوماته هذه قايد أولاد خناثة¹ عبد الله بن بلقاسم، سنة 1863 م²، الذي أخبره أن جيوش المسلمين التي قدر عددها بـ: 24000 على رأسهم سيدي عقبة، قاد حملة على تعظمت (بزاغز الغربي)، التي كانت تحت قيادة رجل دعي ابن علوان، - ووصفه بأنه فارس لا يشق له غبار، رجلا رهيبا، جنديا من أشجع جنود الجاهلية؛ اصطبلاته كانت مملوءة بأحسن الخيول - وقعت بينها معركة....، ومن شواهد هذه المعركة أنه على بعد ستة كيلومترات شمال شرق مدينة الجلفة، قبر يدعى قبر الصحبي (نسبة لأصحاب الرسول صل الله عليه وسلم) الذي يبلغ طوله من الرأس حتى الرجلين، ثلاثة أمتار ونصف، كان هذا طول الناس بذلك الزمان³، وقد تكون هي نفسها حملة عقبة التي كانت سنة 682م.

وعليه فقد دخل الإسلام للمنطقة مع بداية الفتوحات، إلا أنه انتشر بصفة أكبر مع توالي هجرات العربية الهلالية والسليمية للمغرب واستمرت كذلك إلى القرن الخامس هجري⁴ وما بعده، وبقي الإسلام راسخا إلى اليوم بالجزائر.

3.3 - منطقة الجلفة في الفترة الحديثة العثمانية:

كما هو معروف أن الجزائر أصبحت تابعة رسميا للسلطة العثمانية منذ بداية القرن السادس عشر ميلادي⁵، إلا أن وجودهم في البداية اقتصر على المناطق الشمالية، في حين أن المناطق الداخلية بقيت بعيدة عن سلطتها - بما فيها منطقة دراستنا - إلى غاية سنة 1727م⁶ وهي السنة التي امتدت فيها السلطة العثمانية إلى ما وراء جبال الأغواط⁷.

¹ أولاد خناثة فرع من قبيلة أولاد نايل، لتفاصيل أكثر عنها أنظر الفصل الأول، ص:

² Arnaud: " Exploration du djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL: 07, op, cit, p: 61.

³ Ibid, pp: 61- 65.

قيل أن سبب طول هذا القبر هو راجع أنهم سابقا كانوا يدفنون شخصين في قبر واحد بحث تدفن الجثة الأولى عند رجل الجثة الأولى، وهذا هو سبب طول القبر فهو يحتوي على جثتين.

⁴ ابن خلدون: مصدر سابق، ج: 6، ص: 19، 20، لتفصيل أكثر حول الهجرات العربية لمنطقة الدراسة أنظر عنصر التركيبة البشرية من هذا الفصل
⁵ لمزيد من التفاصيل حول حيثيات انضمام الجزائر للدولة العثمانية، أنظر: عائشة غطاس، وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007، ص: 11- 18، 201... .

⁶ E. Mangin: " Notes sur l'Histoire de Laghouat ", IN: R.A, VOL:37, 1893, p: 383.

⁷ عائشة غطاس وآخرون: مرجع سابق، ص: 177، تقع منطقة الجلفة شمال جبال الأغواط وعلى الطريق الرئيسي الرابط بين الأغواط والجزائر.

والمتتبع لتاريخ منطقة الجلفة وقبائلها أثناء فترة الحكم العثماني، يمكنه أن يميز أنه مر بثلاث مراحل، وذلك حسب طبيعة علاقة السلطة العثمانية مع قبائلها، وفي ما يلي إيجاز لمميزات كل مرحلة:

المرحلة الأولى (1519 – 1727م): تميزت هذه المرحلة أن أراضي منطقة الجلفة ظلت بعيدة عن يد السلطة العثمانية، هذه الأخيرة التي كانت حدودها الجنوبية إلى غاية جنوب المدية- حدود بوغزول-، واقتصرت العلاقة بينها وبين قبائل منطقة الجلفة على دفع ضريبة عند انتقال هذه القبائل للتل مقابل السماح لها بممارسة نشاطهم التجاري بما فيه جلب حاجياتهم من الحبوب والتمون بالسلع والأغراض التي يحتاجونها، فقد كان عليها عند شراء الحبوب من سوق " عين الباردة " دفع ضريبة أو رسم أو الحوصة أو الحصة قدرت بـ: " ريال "، عن كل حمل من مشتريات الحبوب يستخلصها منهم قائد كرغولي ساكن بالمدية مكلف بقوافل أولاد نايل، وذلك أنه عند قدوم قافلة أولاد نايل تأتي إلى بريده يلقاها ويجمع منهم الضريبة¹.

وعليه ما يمكن استنتاجه من علاقة السلطة العثمانية وقبائل منطقة الجلفة في هذه المرحلة، أنها كانت قائمة على الرسوم التي كانت تفرضها السلطة العثمانية على القبائل مقابل السماح لها بممارسة التجارة بالأسواق التي تسيطر عليها.

المرحلة الثانية (1727 – 1775م): تميزت هذه المرحلة بامتداد السلطة العثمانية جنوبا إلى ما وراء جبال الأغواط² والتي تقع منطقة الجلفة في أحواضها، إذ أضحت هذه القبائل تابعة تابعة إداريا لباييك التيطري، تحت ما سُمي بقيادة الجنوب، وكما هو معلوم أن القبائل في العهد العثماني كانت تصنف حسب علاقتها مع السلطة العثمانية، ومنه فقبائل منطقة الجلفة كانت تصنف من القبائل المستقلة³.

¹ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 186.

² عائشة غطاس: مرجع سابق، ص: 177.

³ لمزيد من التفاصيل حول التنظيم الإداري لمنطقة الجلفة أثناء الحكم العثماني أنظر: 140، 141.

كانت علاقة القبائل المستقلة بالسلطة العثمانية قائمة على دفعها ضريبة عينية، لذلك كلف ممثلها بيبايك التيطري شيخ قبيلة أولاد المختار بجمع الضريبة السنوية من قبائل منطقة الجلفة المستقلة، والموزعة كالتالي¹:

النوع	الخيول	الضأن	الجمال مجهزة	السمن
العدد	6 من القعدة	من 5 إلى 600	100	240 كيلة ²

إلا أن قبائل منطقة الجلفة كثيرا ما كانت تتمرد ولا تدفع الضريبة، مما عرضها للعديد من الحملات من طرف فرقة المحلة أو الرازية وهي: فرقة تأديبية، لإجبارها على دفع الرسوم والضرائب المستحقة عليها التي لم تسدها في أجالها، وفي حالة إجبارها بالقوة فإن المبلغ المستحق يكون مضاعفا، كانت الفرقة التأديبية تتكون³:

- في المقدمة: أولاد المختار.
- ثم الباي وحاشيته العسكرية.
- مجموعة الزينطوط.
- ثم فرسان الراية وأحيانا مدفعين أو ثلاثة مدافع محمولة.

من الحملات العثمانية على منطقة الجلفة في هذه المرحلة بسبب تمنع قبائلها عن دفع الضريبة وجدت:

- حملات باي التيطري عثمان (تولى الحكم سنة 1763م) في عهده تم تنظيم عدة حملات إلى أراضي جنوب التيطري، إلى غاية أن قتل في إحدى الخرجات على يد أولاد سي أحمد إحدى فروع أولاد نايل⁴.

¹ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص ص: 186، 187.

² الكيلة تساوي: 6 كلغ.

³ فرونسوا: مرجع سابق، ص ص: 187، 188.

⁴ Aucapitaine et Federmann: " Notes Sur l'Histoire et l'Administration de Beylik Titeri ", in R.A, VOL: 9, 1865, p: 285.

- حملة باي التيطري صوفتا (SOFTA) سنة 1773 م، ضد أولاد نايل و لقي نفس مصير عثمان باي بعد أن سقط في كمين أُعد له من طرف أولاد نايل¹.

- حملة باي قسنطينة صالح الذي سار إلى أولاد نايل وأرغمهم على الطاعة².

ومما سبق يمكن أن نستخلص أهم ما ميزة هذه المرحلة:

- أنه ابتداء من سنة 1727م امتدت سلطة الدولة العثمانية إلى قبائل منطقة الجلفة، وأصبحت إداريا تابعة لممثلها ببايلك التيطري، الذي كلف بدوره شيخ قبائل أولاد المختار بمهمة جمع الضريبة من قبائل منطقة الجلفة.

- تميزت هذه المرحلة بكثرة الحملات العثمانية على المنطقة مجال البحث، بسبب تمنع قبائلها عن دفع الضريبة، وتمكن أولاد نايل من القضاء على اثنين من بايات التيطري، التي ما تزال الذاكرة الشعبية تحتفظ بأشعار وروايات عن الحادثتين.

المرحلة الثالثة (1775- 1830م): ما يميز علاقة السلطة العثمانية وقبائل منطقة الجلفة في هذه المرحلة أنها بدأت في التحسن، خاصة بعد تولي حكم التيطري: الباي مصطفى الوزناجي بن سليمان سنة 1775م، الذي عرف بسياسته اللينة تجاه الرعية عن طريق المزج بين الصرامة واللباقة، هذا الأسلوب مكنه من كسب سمعة محمودة لدى القبائل التي تحت امرته، واستطاع بفضل سمعته كسب ثقة القبائل بما فيها بعض شيوخ عروش قبائل أولاد نايل، حتى أن

وقد ورد في هذا المرجع أنه مازالت الذاكرة الشعبية الى يومنا هذا (أي عصر كتابة النص 1865م) تحتفظ بمصطلح كدية الباي، وهو الاسم الذي تحمله هضبة صغيرة جنوب زاغر تشهد على مقتله، أنظر هامش رقم اثنان من نفس المرجع السابق.

¹ Aucapitaine et Federmann: **op. cit**, p: 285.

خلد هذه الواقعة الشعراء في قصائد طمس الكثير منها بمرور الزمن، وهذه الأبيات كما وثقها المرجع السابق

ياسفطة يا وجه النار

لتورية محفورة

ومجلدة بجلد حمار.

أنظر:

Aucapitaine et Federmann: **op. cit**, p: 286

² مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر (1754- 1830م)، جم وتح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص: 52.

"لكحل بن غريب" زعيم أولاد سي أحمد دان له وأهدى له حصان القعدة، وهذا التصرف تبعه فيه المقري زعيم أولاد عامر، ثم تبعتهما كل عروش أولاد نايل¹، إلا أن الذين خلفوه لم يحسنوا إدارة البايلك، مما جعل القبائل في ثورات شبه دائمة ضدهم، وامتنعوا عن دفع الضريبة، مما عرضهم لعدة حملات منها:

- حملة باي وهران محمد الكبير الذي حل بأراضي أولاد نايل سنة 1785م، سرد ابن هطال التلمساني، تفاصيل هذه الحملة على قصر زنينة².
- قام باي التيطري الباي حسن³ بعدة خرجات ضد أولاد نايل⁴.
- كما قام اسماعيل باي التيطري هو الآخر بحملات عديدة ضد قبائل أولاد نايل إلا أنهم استطاعوا تجنبه بالفرار⁵.
- حملة ابراهيم باي التيطري (1814 - 1816م) على أولاد نايل قرب مجدل لامتناعهم عن دفع الضريبة⁶.
- حملة ابراهيم القسنطيني (1817 - 1819م): تعرض عرش أولاد ضية الذين كانوا تحت قيادة بلقاسم بن الرعاش بزاغز الشرقي، إلى هجمة شرسة فقد فيها العرش الكثير من الرجال⁷.

¹ Aucapitaine et Federmann: " Notes..", IN: R.A, VOL: 9, **op. cit**, p: 287.

² نفسه، ص ص: 50، 51.

³ بدأ الحكم في 5 محرم 1211 هـ / 10 جويلية 1796م، أنظر :

feraud.ch: "Éphémérides d'un secrétaire officiel sous la domination turque a Alger de 1775 à 1805 ", IN: R.A, VOL: 18, 1874, p: 305.

⁴ Aucapitaine et Federmann: **op. cit**, p: 288.

⁵ Ibid, p: 290.

⁶ Ibid, pp: 296, 297.

⁷ Ibid, p: 297.

- حملات باي التيطري مصطفى بومزراق (1819 - 1830م) قام هذا الباي في بداية عهده بحملة ضد أولاد فرج بعين الريش، ثم قام بحملة أخرى سنة 1822 م ضد " أولاد سعد بن سالم " الذين تجنبوه بالرحيل جنوبا تاركين أرزاقهم للجنود العثمانيين وفرسان المخزن¹.

وبقي الحال كذلك إلى أن قام "يحيى آغا الجزائر" (1818 - 1825 م) بجعل أولاد نايل مرتبطين مباشرة بسلطته، وبفضل سياسته الرشيدة استطاع كسب ود بعض شيوخ أولاد نايل أمثال "المقري" من أولاد عامرو " بلقاسم بو عريش" (رعاش) من أولاد ضية و "التلي" من أولاد سي أحمد، وعين حسن قريتلي قائدا لأولاد نايل مكلفا بتقديم الضرائب المفروضة على أولاد نايل مرتين في السنة².

وأهم ما يمكن أن يستخلص من هذه المرحلة هو:

- أن العلاقة بين السلطة العثمانية بالجزائر و قبائل منطقة الجلفة تحكمت فيها طريقة معاملة ممثلي السلطة العثمانية لها.

- أن ممثلي السلطة العثمانية أصبحوا يتعاملون مباشرة مع شيوخ قبائل منطقة الجلفة دون وسائط.

¹ Aucapitaine et Federmann: **op. cit**, p: 297

² Ibid, pp: 298, 299.

و فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 189، عائشة غطاس، وآخرون: مرجع سابق، ص: 195.

الباب الأول

التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة ورد
الفعل الوطني والتنظيمات الفرنسية
بمنطقة الجلفة

الفصل الأول

التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة

الفصل الثاني

رد الفعل الوطني لأبناء منطقة الجلفة تجاه التوسع الفرنسي

الفصل الثالث

التنظيم الإداري والعسكري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال
الفرنسي

الفصل الأول

التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة

- 1 - ظروف احتلال منطقة الجلفة
- 2 - الحملات العسكرية :
 - 2 - 1 المرحلة الأولى (1844 م - 1846 م)
 - 2 - 2 المرحلة الثانية (1847 - 1852 م)
 - 2 - 3 المرحلة الثالثة (بعد 1852 م)

عمليات الزحف التي قامت بها القوات الفرنسية على كل منطقة من مناطق الجزائر، تدخل ضمن إطار تحقيق الهدف الأساسي لوجودها بالجزائر ألا وهو: بسط النفوذ والسيطرة الفرنسية على كامل التراب الجزائري، وبالتالي التتعم بكل خيراته، معتمدة في بداية كل عملية زحف على الآلة العسكرية لإخضاع الشعب الجزائري، ولم تسلم منطقة الجلفة من هذا الزحف فتوجّهت لها العديد من الحملات العسكرية.

1 - ظروف احتلال منطقة الجلفة:

في إطار سياسة الاحتلال الفرنسي الشامل للجزائر التي دشنها المارشال بيجو¹ منذ تقلده منصب حاكم عام للجزائر بداية من عام 1841م²، وتبعه في ذلك خلفاؤه في المنصب ك: المارشال راندون (1852 - 1858م)، الذي تبنى سياسة تقوم على جعل الفرنسيون سادة في كل مكان من الجزائر وإلا لن يكونوا في مأمن في أي مكان في الجزائر³، وبطبيعة الحال نهج المارشال بيليسي⁴ بعد راندون (1858 - 1864) نفس السياسة، وسار على نفس الخطى ماك ماهون في فترة الستينات.

¹ ولد بيجو (Thomas –Robert Bugeaud De la Piconnerie) ب: Limoge (Haute – Vienne) في 15 أكتوبر 1784م، تقلد عدة مناصب فاشتغل: نائبا عن مقاطعة La Dordogne بتاريخ 5 جويلية 1831، وحاكما عاما للجزائر بين 1840م و29 جوان 1847، حصل على لقب مارشال فرنسا (Maréchal de France) في 31 جويلية 1843م، توفي في جوان 1849م، كان من أنصار الاحتلال الشامل للجزائر الذي وقف معه اغلب العسكريين والسياسيين ومنهم الشهير Thiers الذي صرح خلال مناقشته للميزانية المخصصة للجزائر قائلا: اذا احتفظ الفرنسيون بمراكز على السواحل فإن العرب سيأتون لمحاربتهم، وأن الاحتلال محدود الرقعة شيء لا معنى له والافضل لفرنسا في هذه الحالة أن تتخلى عن الاحتلال كلية. أنظر: كمال بن صحرابي: معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال حتى منتصف القرن 19 : شخصيات، أماكن، أحداث، معارك، ط: 1، ألفا للوثائق، قسنطينة، 2020، ص: 62.

² شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 312.

³ Augustin Bernard et N. Lacroix: la pénétration saharienne (1830– 1906), Réimpression de l'éditons d'Alger jacques gandini, algérien, 1906, p: 2.

⁴ بيليسي (Aimable– Jacques Pélissier) هو ابن لفلاح فرنسي ولد سنة 1794م ب: (Seine– Maritime) Marommes وتوفي سنة 1864 بمدينة الجزائر، دخل عام 1814 إلى مدرسة سان سير العسكرية، شارك في الحملة على الجزائر في 1830م وحصل على رتبة في 02 أكتوبر من نفس العام، غادر الجزائر 1831 ليكلف بمهام أخرى، ليعود إليها سنة 1839 مكلفا بإدارة مدينة وهران لمدة 3 سنوات، وخلال هذه الفترة شارك في الحملة على شلف وساهم في تدمير تاقدمت، سنة 1842م تمت ترقيته إلى كولونيل، وفي 1844م شارك في معركة إيسلي بالمغرب، اما في 1845م فكانت مساهمة بيليسي في محارق الظهرة بكل وحشية وقساوة، لذلك تمت ترقيته في 22 أبريل 1846 إلى

إذ كانت الغاية من سياسة الاحتلال الشامل هي تحقيق أهداف استراتيجية وعسكرية واقتصادية واجتماعية لصالح المحتل الفرنسي بالجزائر، ومن هنا فاحتلال منطقة الجلفة لا يخرج عن نطاق دوافع التوسع الفرنسي في دواخل البلد المحتل، أما عن الظروف احتلال منطقة الجلفة نذكر:

1 - الدراسات العلمية الفرنسية المنشورة التي اهتمت باكتشاف الصحراء الجزائرية، ودورها في تشجيع السلطة الاستعمارية للسيطرة وبقوة على التل والممرات الأساسية التي هي أبواب الصحراء التي تقع في نطاقها.

ومن أهم هذه الدراسات دراسة " دوماس " التي حملت عنوان: الصحراء الجزائرية التي نشرها سنة 1845م، بتشجيع من المارشال بيجو، وهي عبارة عن خلاصة لعملية بحث دامت 10 سنوات من طرف المديرية المركزية للشؤون العربية، بالإضافة إلى مجموعة حوارات وشهادات لأكثر من 200 عربي على الأقل، إذ نبه المؤلف إلى أهمية موقع المنطقة وقوة قبائلها البشرية والاقتصادية فقال: « هذه القبيلة الحاذقة الموجودة على خط الوسط بين التل والصحراء...سكانها جعلوا منها قبيلة تجارية...تستطيع أن تجند عدة فرسان، إنها في موضع حسن بالنسبة لهذا النوع من الصناعة [يقصد هنا التجارة مع المناطق المجاورة: بوسعادة بسكرة، ميزاب، تقرت] الذي تستغله ويدر عليها أرباحا جمة من المال، ثروتها:...البقر، الجمال، الكباش، ..ثمن الكبش يتراوح بين 5 إلى 6 فرنك، ثمن الجمل بين: 150 إلى 160 ¹، هذا التقارير كانت محفز ومشجع لقوات الاحتلال لمد الاحتلال منطقة الجلفة.

رتبة ماريشال ليكلف بإدارة العمليات فيلاد القبائل ثم تسيير الجهة الغربية من الجزائر، ابتداء من 10 ماي 1851 أصبح بيليسي حاكما عام للجزائر بالنيابة، وبعد تغيير الحكم في فرنسا ابتداء من 02 ديسمبر 1851م فرض حالة طوارئ، ولما عين راندون حاكما عاما للجزائر قاد بيليسي حملة على بلاد القبائل، كما نال الميدالية العسكرية يوم 15 أوت 1852، ثم تكفل بالحملة على الجنوب، وهو الذي احتل مدينة الأغواط. ونظرا لمشاركة بيليسي في حروب القرم بتاريخ 12 جويلية 1856م لقب دوق مالاكوف Duc Malakoff ومبلغا ماليا قيمته 100000 فرنك، ثم أصبح عضوا في البرلمان فسفيراً بلندن ابتداء من 23 مارس 1858م، ليعود إلى الجزائر حاكما عاما ابتداء 23 نوفمبر 1860 إلى غاية وفاته بتاريخ 22 ماي 1864م. ، أنظر كمال بن الصحرابي: مرجع سابق، ص: 67، 68.

¹ دوماس: مصدر سابق، ص: 213.

2 - التوسع بمنطقة الجلفة يتزامن ويتكامل مع عمليات الاحتلال والتوغل العسكري الفرنسي نحو دواخل الجزائر الشرقية والوسطى والغربية وفق استراتيجية الاحتلال الشامل للجزائر الذي طبقته قوات الاحتلال الفرنسي، ففي الفترة الممتدة ما بين: فيفري وجوان 1844م، قاد دوك أومال (duc d'Aumale) قائد مقاطعة قسنطينة، حملة ووصل إلى بسكرة وأخضع الزيبان و شيخ تقرت بني جلاب¹، وفي نفس السنة قام الجنرال ماري مونج بحملة استكشافية قاداته إلى أولاد نايل - في مقاطعة التيطري - ووصل إلى الأغواط، وكل هذا لضمان أمن فرنسا في المناطق التالية².

3 - استلاء القوات الفرنسية على المراكز الشمالية والشمالية الغربية لمنطقة الجلفة: بوغار؛ ثنية الحد؛ تيارت بعد أن أخلاها الأمير عبد القادر وانسحب منها فكانت عامل مشجع لقوات الاحتلال على استكمال توسعه وزحفه في السهوب الوسطى، باتخاذ المراكز السابقة الذكر قواعد خلفية لإمداد عملياته العسكرية³.

4 - باحتلال منطقة الجلفة ستتمكن قوات الاحتلال من قطع الطريق أمام تحركات الأمير عبد القادر بين الجهة الغربية والمناطق الوسطى الشرقية⁴.

5 - انتهج الجنرال بيجو سياسة الأرض المحروقة، القائمة على ضرب كل ماله علاقة بالأمير عبد القادر، فقد كان لا يهتمه مواجهة الأمير بقدر الاستلاء على مصادر قوته، خاصة وأن الأمير عبد القادر لقي بعد سقوط مراكز الأمامية بما فيها زمالته سنة 1843م وحتى قبل سقوطها⁵، دعم كبير من قبائل منطقة الجلفة¹.

¹ Augustin Bernard et N. Lacroix: **op. cit**, p: 8.

لتفاصيل أكثر عن هذه الحملات، أنظر: تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 263 وما بعدها.

² التفصيل أكثر في هذه النقطة ص: 72-74.

³ CH. Dupin: **notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise de la smala d'Abdelkader, le 16 mai 1843**, Imp: Vinchon des Musées royaux , 1845. p: 4.

بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 291.

⁴ نفسه.

⁵ عن سقوط الزمالة أنظر: تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر وتو: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، ص:

211-217، بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 291 - 298.

6 – سلطات الاحتلال تدعم موقفها أكثر للسيطرة على المنطقة، بعد العرض الذي قدمه أحمد بن سالم لقائد الحملة الاستكشافية الأولى التي قام بها الجنرال ماري مونج في مارس وأفريل 1844م، المتمثل في تنصيبه خليفة على الأغواط وممثلاً لفرنسا في هذه الجهة².

هذه الدوافع وغيرها ساهمت في عملية تشجيع القوات الاحتلال الفرنسية على الزحف إلى منطقة الجلفة وتسيير عدة حملات لإخضاعها.

¹ عن دعم قبائل منطقة الجلفة للأمير عبد القادر أنظر: ص ص: 109-115.

² للتفصيل ص ص: 71، 72

2 – الحملات العسكرية:

تقرر احتلال منطقة الجلفة من طرف الجيش الفرنسي الذي شن أكثر من حملة لإخضاع قبائلها، ومن خلال الأهداف المسطر لكل حملة يمكن أن نميز أنها تمت عبر ثلاث مراحل.

2 – 1 المرحلة الأولى (1844-1847م):

في هذه المرحلة كان هدف الحملات العسكرية الفرنسية على منطقة الجلفة، يدخل في إطار السياسة التي سطرها الجنرال بيجو للقضاء على مصادر دعم مقاومة الأمير عبد القادر أينما حل، خاصة وأن الأمير وجد ملاذه عند قبائل بلاد أولاد نايل (منطقة الجلفة)، بعد سيطرة قوات الاحتلال على كل مراكزه بالشمال والوسط، مما جعلها تشن العديد من الحملات على المنطقة وفرضت على الأمير أن ينسحب من أراضي أولاد نايل (منطقة الجلفة).

2 – 1 – 1 حملتي ماري مونج (مارس وأفريل، وماي جوان) سنة 1844م:

تعتبر حملتي الجنرال ماري مونج أولى الحملات الاستكشافية التي وجهت إلى منطقة الجلفة، وساهمت عدة عوامل في التسريع للقيام بها، إذ استغلت القوات الفرنسية إعلان خضوع بعض قبائل أولاد نايل لهم، لحاجتها إلى أسواق الشمال للتزود بالحبوب التي سيطر عليها المستعمر¹، وكذا سقوط زمالة الأمير سنة 1943م المتاخمة لبلاد أولاد نايل من ناحية الشمال الغربي، لتسيير أولى حملاتها نحو بلاد أولاد نايل (منطقة الجلفة)².

ففي شهر مارس 1844م قاد الجنرال ماري مونج (Marey Monge) قائد شعبة المدينة العسكرية طابور قوي تكون من 1500 جندي إلى منطقة الجلفة عبر جبال السحاري، ووصل قصر زكار دون أن يلقي مقاومة تذكر، اغتتم فرصة وجود الجنرال ماري مونج بقصر زكار شيخ الأغواط أحمد بن سالم، وأرسل له رفقة أخيه حصانين كعربون للطاعة والولاء، طالبا منه الاعتراف به كخليفة لتمثيل السلطة الفرنسية في الأغواط بقصورها الخمس:

¹ فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص ص: 111، 112.

² Arnaud: " Histoire de Oulad Nail – Faisant suite A celle des Sahari ", in R.A, V: 17..., op. cit, pp: 310, 311.

العفاسية، قصر الحيران، الحويطة، تاجموت، عين ماضي بالإضافة إلى الأرباع والحرازية، وبني ميزاب¹، وبرر أحمد بن سالم سبب إقدامه على هذا الفعل فقال: « أن كل السلاطين المسلمين الذين وثقت فيهم خذلوني، لعلني أجد الهدوء والاستقرار في ظل الحكم الفرنسي»²، مما يبين أن أحمد بن سالم كان همه الوحيد هو الزعامة³.

أدرك الجنرال ماري مونج أهمية هذه المسألة فأسرع إلى ابلاغ رؤسائه، بإرسال يحيى بن معمور (أخ يحيى بن سالم) إلى الجزائر العاصمة محملاً بتقرير إلى الحاكم العام للجزائر المارشال بيجو الذي فرح بهذا المقترح⁴، وهذا ما عكسته الرسالة التي كتبها مباشرة إلى المارشال سولت (Soult) وزير الحربية بباريس يخبره بأهمية هذا المقترح، ومما كتبه: « فضلا عما تقدمه لنا من ثروات فإن المناطق الآهلة في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه الأمير عبد القادر... وبسيطرتنا على هذه المناطق تفتح لنا آفاقا واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية، ونعمل على حرمان عبد القادر من المصادر التي يمكن أن يجدها في هذه الأماكن»⁵.

وافق الحاكم العام للجزائر بيجو على طلب أحمد بن سالم، وراسل الجنرال ماري مونج للبدء بتنفيذ هذا المخطط يوم 12 أبريل، وانطلقت الحملة الثانية في 1 ماي 1844م من المدينة، كانت الحملة مشكلة من 2800 رجل و 1700 دابة تحمل مؤنا كافية لمدة 21 يوما فضلا عن مؤونة 6 أيام على الحقائب، 72 ألف خرطوشة فضلا عن 60 خرطوشة بكل سلاح ...، اتجهت الحملة إلى الأغواط ووصلت إلى أقصى حدودها الجنوبية بمسافة 45 كم، ووفقا لماري مونج فقد نجحت هذه الحملة في تخويف كل المناطق الجنوبية ودفعها للخضوع للفرنسيين⁶.

¹ Arnaud: **op. cit**, pp: 310, 311, et Mangin: " **Notes sur l'histoire de Laghouat**", IN: R.A, VOL: 38, 1894, p: 86.

² Ibid.

³ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 328.

⁴ Mangin: **op. cit**, p: 87.

⁵ Ibid, p: 87.

⁶ Marey Monge: " **Algérie les ksour de Sahara** ", IN: **R.O**, T: 6, paris, 1845, pp: 34 -39.

أما عن أراضي منطقة الجلفة فإنه بمجرد دخول جنود الاحتلال الفرنسي قصر زكار سنة 1844م، علم أهل قصر مسعد عن طريق الشوافين بذلك، ففروا إلى الجبال ما عدا العاجزين منهم عن المشي وخربوا وراءهم كل ما لا يمكنهم حمله، إلا أنه عند مغادرة ماري مونج قصر مسعد رجع أهله إليه ودخلوا تحت سلطة أحمد بن سالم¹، وهناك رواية أخرى أنها تروملي Trumelet عند تناوله موضوع قصر الشارف أن الجنرال ماري مونج في حملته الاستكشافية سنة 1844م عند اقترابه من قصر شارف هرب سكانه إلى الجبال الغربية المجاورة، فأمر ذات الجنرال بتهديم القصر لإجبار سكان الشارف على النزول وطلب الأمان فنزلوا وفرض عليهم الجنرال ضريبة "الزمة"² بحضور أحمد بن سالم³.

مكنت حملتي ماري مونج السلطات الفرنسية من معرفة طبيعة المنطقة وسكانها عن قرب أكثر، وبهذا مهدت الطريق للحملات اللاحقة وزودتها بخريطة حول مسالك ومناخ اقليم منطقة الجلفة.

2 — 1 — 2 حملة ماري مونج الثالثة ماي 1845:

وُصف وضع بلاد أولاد نايل بما فيه منطقة الجلفة في بداية 1845م بالغير مستقر والرافض للخضوع للقادة الذين عينتهم عليهم الإدارة الفرنسية⁴، فقد قاد أحد زعماء منطقة الجلفة المدعو التلي بن لكحل⁵ هجوم على قافلة خليفة الأغواط "أحمد بن سالم" التي

¹ Arnaud: "Exploration du djebel boukahil ...", IN: R.A, V: 7, 1863, pp: 50, 51.

² وهي ضريبة تفرض على كل بيت في القصور انظر هامش رقم 1 من مقال:

Trumelet, corneille: " Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger En1864 " IN: R.A, VOL: 21, 1877, p: 184.

³ Trumelet, corneille: l'Algérie légendaire...,op. cit, pp: 67, 68.

⁴ L'Afrique, Journal de colonisation Française et revue general de la presse, Du 16 au 22 février 1845, 2^e Année, No 35, p: 138.

⁵ هو التلي بن لكحل بن قريش " فريدة " ولد حوالي سنة 1790 م، عين والده أثناء الحكم العثماني وبالضبط في فترة حكم باي المدية مصطفى الوزناجي رئيسا على أولاد سي أحمد، و بعد وفاة والده سنة 1829 تولى رئاسة عرش أولاد سي أحمد مكان والده، عايش الأتراك و كانت تربطه بيجي أغا قائد الجيش العثماني بالجزائر علاقة صداقة، مما مكّنه من دخول قصور العثمانيين بالجزائر و الاحتكاك بمجالس السياسة، مما زاد في خبرته و حنكته، إذ كان يشرف على تنظيم الصفوف وتوزيع المهام على الفصائل الدفاعية والهجومية للمجاهدين، ومن بين تنظيماته ما كان يسمى بعقد التلي بن لكحل ، وهذا العقد كان له شهرة ما بين عروش الأرباع وأولاد نايل وكان مضرب الأمثال بين أعراس الجنوب نظرا لتشكلاته البديعة في ذلك الزمان والتي توحى بحسن التنظيم، تمثل هذا العقد في سير ركب الإبل المحملة بالنساء والمؤونة وتبعه قطعان المواشي أما فصائل الفرسان فكانت تحمي المؤخرة

كانت في طريقها إلى المدية ومعها المواشي التي تم تحصيلها من ضريبة " الزكاة "؛ تكبد فيها خليفة الأغواط خسائر كبيرة في المواشي والمتاع والخيم وتفريق شمله إلا أنه استطاع أن يصل إلى المدينة بمساعدة بعض عناصر قافلته¹.

على إثر هذا الوضع قرر الجنرال ماري مونج تسيير حملة للانتقام لهذه الإهانة التي لحقت بأحد حلفاء فرنسا ويرجع مكانته ويؤدب أولاد نايل المنشقين، و في يوم 08 ماي 1945م كان الجنرال مونج في قلب منطقة الجلفة، إذ أجبر سكانها على دفع غرامة ما بين 40 إلى 50 ألف فرنك فرنسي وبعدها قفل عائدا إلى المدية².

2 — 1 — 3 حملة الجنرال ماري مونج الرابعة؛

في 20 ديسمبر 1845م خرج الجنرال ماري مونج من بوغار على رأس قواته في حملة استطلاعية ثانية قاده نوحى الشهبونية، حيث وصلته أخبار مفادها أن أولاد نايل الموالين للأمير قادوا غارة على قبائل رحمان، مما جعل هؤلاء يستجدون بفرسان البواعيش، مستفيدين من تغطية عسكرية وفرها لهم الجنرال ماري مونج، بتحركه نحو المنطقة الجنوبية، هذه الظروف دفعت قبيلة رحمان إلى شن غارة على أولاد نايل، أين دار بينهم قتال

والأجنحة، بينما كان التلي بن لكحل يتقدم الفرسان وحمله الرايات (رايات الجهاد)، بعد سقوط الجزائر سنة 1830 و بداية المقاومة الشعبية، التحق التلي بن لكحل على رأس أولاد سي أحمد بمقاومة الأمير عبد القادر، إذ عين شيخا على رأس عرشه تحت إمرة سي عبد السلام بن قندوز قايد الأمير لدى أولاد نايل، ثم رقي إلى رتبة أغا عقب تولي سي شريف بلحشر منصب خليفة الأمير على أولاد نايل، وبعد التوسع الفرنسي في المنطقة وانتهاء مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة الجلفة، اضطر الشيخ التلي بن لكحل للخضوع الظاهري وعينته السلطات الفرنسية باشاغا، هذا المنصب الذي استغله لإعادة تنظيم نفسه والعدو مجددا للجهاد داخل مسقط رأسه وخارجه - كما سيتم التفصيل في فصل المقاومات الشعبية - إلى أن وافاه الأجل متأثرا بجروحه سنة 1854م، أنظر:

Aucapitaine et Federmann: " **Notes Sur L'histoire et L'administration..**", in R.A, VOL:9, op. cit, p: 287, 298.

خليفة لبوخ: لمحة مختصرة عن حياة البطل المقاوم التلي بن لكحل ومشاركة أولاد نايل في المقاومة، مخطوطة بحوزة الباحثة،

¹ H. d'ideville (de cte): **Le maréchal Bugeaud, d'après sa correspondance intime et des documents inédits 1784- 1849**, T: 03, Librairie de Firmin-Didot Et Cie, Paris, 1882, p: 09.

² L'Espérance, 07^e année, No 43, paris Vendredi 30 Mai 1845, p: 2.

عنيف في منطقة قلعة السطل، فقد على إثرها أولاد نايل 20 رجلا وعددا من الجرحى، بينما قتل 12 رجلا من أولاد رحمان¹.

هذا نموذج مصغر من سياسة فرنسا في تكسير الصفوف بين القبائل، بل حتى داخل القبيلة الواحدة لتحجيم الأهالي وإخضاعهم وصدهم على المقاومة في بعدها الوطني².

2 — 1 — 4 حملة العقيد كامو Camou :

إن الهدف من هذه الحملة حماية القبائل الموالية لفرنسا المجاورة لبوغار من الجهة الجنوبية الشرقية، والحيلولة دون إخضاعها من قبل الأمير عبد القادر، هذا الأخير الذي انتقل إلى جرجرة³، ورافقه خليفة أولاد نايل سي الشريف بلحشر⁴، وانتقال الأمير إلى جرجرة كان يبحث عن المساندة إلا أنه فشل في كسب قبائلها⁵، وكان يسعى أثناء عودته إلى شن غارة على قبائل المويعدات و أولاد شعيب وأولاد مختار والبعض من أولاد نايل جهة زكار⁶، لهذه الأسباب وحتى يحرم الأمير من الضرائب التي من الممكن جمعها من هذه القبائل شكل العقيد كامو طابور، بالإضافة إلى طابور الجنرال يوسف⁷ المتقل،

¹ A.M.G : **Rapport du chef d'État –major de la colonne expéditionnaire de Médéa, Opérant au sud de Boghar, sous les ordres de G. Marey Monge, H212.**

نقلا عن: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 301.

² بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 301.

³ A.M.G : **Journal du chef d'État –major de la colonne du sud-Est, 10Fev– 8 mars 1846, Commandée par le colonel Camou, H 213.**

بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 302.

⁴ عيّن الأمير عبد القادر سنة 1843

⁵ François de Villaret: **Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa (deuxième partie: les oulad Nail)**, éd: centre de documentation saharienne Ghardaïa, Algérie, 1995, p: 113.

⁶ A.M.G : **Journal du chef Etat–major ...**,op. cit, H 213.

بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 302.

⁷ الجنرال يوسف: ولد عام 1808م بجزيرة ألبا التي صارت فرنسية منذ 1802م وقد ادعى أمام الفرنسيين أنه ابن غير شرعي لنابليون بونابرت ، وبينما يوسف متوجه إلى ليفورن وقع بيد البحرية التونسية، وانتهى به المطاف إلى حراسة الباي بعد أن تلقى تكوينا في استخدام السلاح وركوب الخيل، ودراسة القرآن، وحين كبر صار مملوكا ونشأت بينه وبين بنات القصر علاقة قوية، وحين احتلت الجزائر كان موقفه معها، وقد تعرض يوسف لمحاولة اغتيال لولا تحذير الأميرة له ومساعدة القنصل الفرنسي De Lesseps على الهرب نحو الجزائر على متن سفينة فرنسية، حيث وصل إلى سيدي فرج

انتقل العقيد كامو إلى عين وسارة لإجبار قبائل تلك الجهة على تقديم الأمان وإيداع أبنائهم كرهائن، وفي هذا الإطار تحرك الطابور من عين وسارة نحو بن نهار وفي يوم 15 فيفري تنقل إلى المقران الغربي لملاقاة قافلة المؤن المحمية من قبل طابور كاربوسيا - Carbuccia - وفي 17 من نفس الشهر عاد الطابور إلى بن نهار أين تم تجميع رجال القبائل من العبايز أولاد معاريف وسواري، والدواير والتيطري وأولاد سيدي بن يوسف¹.

وصلت أخبار إلى العقيد كامو من الباشاغا بن يحيى تفيد أن قوات الأمير شوهدت غرب بيرين وأنها استولت على قطعان ونساء بعض الدواوير الخاضعة للسلطة الفرنسية، وحسب عيون ابن يحيى فإن طلائع قوات الأمير أخذت وجهة عين وسارة، ويتضح مما سبق، أن قوات الأمير كانت في وضعية جد صعبة باختيارها هذا المسلك والذي هو تحت السيطرة

في 16 جوان 1830، استخدم ديورمون يوسف المملوك في الترجمة، وكان قد استقدم معه من تونس بعض الأحجار الكريمة التي باعها بـ: 30000 فرنك، وهو مبلغ هام استخدمه في تجنيد مجموعة من المرتقة الأهالي غزا بهم الجزائريين، وخلال حملة كلوزيل على المدينة كان يوسف قد أثار انتباه هذا القائد فعينه قبطانا أهليا يوم 2 ديسمبر 1830م. قام بدور كبير في محاولة احتلال قصبة عنابة، وسمى نفسه بايا عليها، وحين عزم كلوزيل على غزو معسكر استخدمه، ثم أعطاه فرصة للظهور حين غزا تلمسان، وكان يوسف قد ظهر حين هاجم معسكر الأمير عبد القادر قريبا من هذه المدينة، وفي جانفي 1836 عينه كلوزيل بايا على قسنطينة فصب غضبه على القبائل العاصية، وساهم في تجنب وقوع هزيمة للجنرال المذكور، وفي فيفري 1838 عين قائدا لفرقة الصبايحية بوهران، وفي 1839 استعادة جنسيته الفرنسية التي كانت له عند مولده لكن الجيش الفرنسي يحمل صفة الأهلية، ونظرا لأن الجنرال بيجو اقتنع بقدرات يوسف اقترح ترقيته إلى رتبة كولونيل في أبريل 1842م وقيادته العامة لصبايحية الجزائر. ساهم يوسف ضمن جيش الدوق دومال في غزو زمالة الأمير عبد القادر يوم 16 ماي 1843م وشارك في معركة ايسلي ضد الجيش المغربي، ثم سلفر على فرنسا وتزوج فرنسية بعد أن تخلى رسميا عن الدين الإسلامي، وفي جويلية 1845م حصل على رتبة مارشال وصارت الصبايحية كلها تحت إمرته. ذاق مرارة الهزيمة أمام الأمير عبد القادر في معركة سيدي براهيم في سبتمبر 1845م، لكنه في ديسمبر الموالي استطاع أن يهزم الأمير في معركة وادي تامدة، كما شهدت سنة 1846 مطاردة كبرى من يوسف للأمير عبد القادر ببلاد اولاد نايل كما أشرنا إليه، وبعد أن انتهت مقاومة الأمير عبد القادر انتقل يوسف إلى فرنسا، ولطالما حاول الحصول على رتبة جنرال فرنسي، لكنه لم ينل هذه المرتبة رغم الدعم الذي لقيه من بيجو. وفي سنة 1851 نشر كتابا عنوانه De la guerre en Afrique، وفي ديسمبر من نفس العام جاءت تسميته جديدة من نابليون الثالث، عاد إلى الجزائر وأصبح قائدا على جهة المدينة منذ 1852، وفي 1854م كان يقود كتيبة البلقان لكنها أصيبت بالكوليرا، فعاد يوسف إلى الجزائر، وفي 1856-1857م ساهم ضمن قوات راندون في القضاء على المقاومة في القبائل، كما ساهم مع الجنرال Matimprey في الهجوم على قبائل بني زناسن المغربية، وفي 1864م كان له دور في اقتحام الصحراء نظرا لمعرفته بها وبقبائلها خصوصا جنوب في وهران وجنوب الجزائر، وفي 1866م مرض الجنرال يوسف فذهب إلى فرنسا حيث مات 16 مارس بنفس السنة. أنظر كمال بن الصحرابي: مرجع سابق، ص: 182-184.

¹ A.M.G : Journal du chef État-major ..., H 213.

نقلا عن: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 302.

التامة للقوات الفرنسية والقوم المواليين لها، فالمراكز الفرنسية الأمامية ممتدة ما بين بوغار ومقرن الشرقي ولبيوض ومقرن الغربي وبنهار وعين وسارة وقلعة السطل، ومن ثمة فان مرور قوات الأمير عبر هذه المناطق يجعلها محل اعتراض ومطاردة، انتهت بوقوع معركة بنهار (بريرك) في 7 مارس 1846م، استولى الفرنسيون على اثرها على 25 ألف رأس غنم و ألف جمل واسترجاع نساء الدواير المواليين لفرنسا، ومقتل 110 من فرسان الأمير من بينهم 4 برتبة آغا وخليفته (عبد الباقي)، بينما في المقابل لم تذكر المصادر الفرنسية سوى مقتل واحد من أعوانها وجرح ثلاثة من الرماة¹.

2- 1- 5 حملة الجنرال يوسف (مارس - جوان 1846) لمطاردة الأمير عبد القادر:

تعد سنة 1846م سنة محورية لكل باحث في تاريخ بطولات قبائل منطقة الجلفة نظرا للضريبة الثقيلة التي دفعتها من دمها ومالها واستقرارها في هذه السنة، فبعد لجوء الأمير عبد القادر إلى منطقة الجلفة، صارت هذه الأخيرة مسرحا لعمليات مطاردة كبرى قادها الجنرال يوسف الذي جاب تقريبا كل ربوع منطقة الجلفة، إذ تدعم الجنرال يوسف عدة مرات من: المدية، بوغار، الجزائر العاصمة، سطيف، قسنطينة، الأغواط، بقيادة كل من: العقيد كامون، العقيد لادميرول²، دوق أمال³، العقيد بلانجيني، بالإضافة إلى أربع حملات لعملاء فرنسا قادها الأغوات بن داود وبن يحيى وبن عودة ومحي الدين¹.

¹ A.M.G : Journal du chef État-major...op. cit, H 213.

نقلا عن: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 303.

² ولد الجنرال لادميرول Louis -Reuë-Paukle ladmurault بفيينا 1808، التحاق بمدرسة سان سير العسكرية وتخرج منها سنة 1829، عمل بالجزائر ما يقارب 20 سنة، إذ التحق بالجيش الفرنسي بالجزائر سنة 1831م، وتقلد مسؤوليات عديدة ورتب عسكرية متتالية بالجزائر طيلة 20 سنة، تفوق في العديد من المهام التي اسندت إليه سواء ان كانت عسكرية أو مدنية، لقهر الشعب الجزائري، اذ عين جنرالا سنة 1848 كقائد لدائرة العسكرية للمدية. شارك في معارك عديدة أهمها: الاستيلاء على قسنطينة أكتوبر 1837، معركة موزاية 1840، مطاردة الأمير عبد القادر في سنوات الاربعينيات من القرن 19، المشاركة في الهجوم على منطقة القبائل سنة 1847، سجله حافل بالأحداث العسكرية، والمدنية، والمهام السياسية، توفي سنة 1898 بفرنسا. أنظر: خميسي سعدي: " حملة الجنرال لادميرول على أولاد نايل ماي 1849- 12 جوان 1849 م (اسبابها ونتائجها)"، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة في الكتابات الفرنسية (1830 - 1954م) المنعقد يومي: 7- 8 ماي 2014 بجامعة الجلفة، نشر الملتقى في مجلة أنسنة للبحوث والدراسات (تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة الجلفة)، ع: 10، ص: 62.

³ ولد دوق أمال Le duc d'Aumale بباريس في 16 جانفي 1822 وتوفي في بزيكو Zucco في صقلية عام 1897م، نال وسام جوقه الشرف في 28 أفريل 1842م، وصار الحاكم العام لإفريقيا من 11 ديسمبر 1847م إلى 25 فيفري 1848م، قدم إلى الجزائر سنة 1840

قبل الغوص في تفاصيل حملة الجنرال يوسف هذه، وجب الإشارة إلى أن هذا اشتهر الجنرال الهمجية حتى وصف بالسفاح والدموي، ولم يحل طابوره بمنطقة أو قصر ما، إلا وارتكب فيها مجازر ضد أهاليها من: تهجير وتغريم، وتدمير وحرق لممتلكاتها، ولم تسلم قصور منطقة الجلفة من هذه المجازر أثناء الحملة التي قادها هذا السفاح التي امتدت من مارس إلى بداية جوان 1846، وفي ما يلي عرض لسير هذه الحملة والمجازر المرتكبة:

2 - 1 - 5 - 1 طابور الجنرال يوسف ضد قصور: زينة، سيدي بوزيد والشارف:

في 20 مارس 1846م اتجه طابور للجنرال يوسف بقيادة العقيد رينو Renault باتجاه زينة وقبل وصوله إلى سيدي بوزيد فر السكان، غير أن قوات العدو لاحقتهم وقتلت منهم عددا كبيرا واستولت على مواشيهم وداوبهم، وقتل قايد أولاد الشريف والشيخ الزيتوني أحد الأعوان السابقين للأمير عبد القادر²، وكان سبب مقتل الشيخ الزيتوني الذي كان يشغل منصب قائد قصر الشارف أنه متهم بمشاركته في عملية أسر أحد جنود الاحتلال الفرنسي

واشغل تحت أوامر الجنرال بيجو لإخضاع الأمير عبد القادر، وفي جويلية 1841 عاد إلى فرنسا مكلفا بمهمة عسكرية، ليلجئ إلى الجزائر مجددا في نهاية 1842م، وتعدى له قيادة قسم من الجيش تحت القيادة العامة لبيجو، ثم عين قائدا على إقليم التيطري متخذاً من المدينة مقراً لإقامته. في ماي 1843 نجح في القضاء على زمالة الأمير عبد القادر بطاقين، وبعد هذا النصر الذي حققه، سافر إلى فرنسا ليعود إلى الجزائر من جديد في نوفمبر 1843 ليشرّف على قيادة قسنطينة، وقد نجح في فيفري 1844 في احتلال بسكرة. صار بعد ذلك يهتم بالضرائب والأسواق التي استطاع من خلالها مراقبة المجتمع، كما صار يهتم بملكية الجزائريين "الأهالي" ليوفر أرضاً خصبة للمعمرين، وهو الذي قسم قسنطينة بموجب أمرية 9 جوان 1844، حيث صار فيها قسم للأوربيين يدخله الجميع إن شاؤوا، وقسم للأهالي لا يدخله غيرهم. وحين اختلف بيجو مع البرلمان حول طريقة توسيع استعمار الجزائر ترك منصبه وغادر إلى فرنسا، وبقي بعده في القيادة لاموريسير الذي يحكم مقاطعة الغرب، وشونقارني في مقاطعة الجزائر ويبدو في قسنطينة، وصار صعبا اختيار خليفة لبيجو من بين هؤلاء، - لذلك ومن باب إرضاء البرلمان والرأي العام - تم اختيار دوق دومال فعين حاكما عاما ابتداء من 11 سبتمبر 1847م، وكان أهم ما تحقق في زمنه هو نهاية مقاومة الأمير عبد القادر في 23 ديسمبر 1847م، وفي 25 فيفري 1848م جاءه القرار بالعزل كنتيجة لثورة هذا العام بفرنسا ليخلفه الجنرال كافينيك، وفي 5 مارس انتقل بأهله إلى جبل طارق، كمال بن الصحرابي: مرجع سابق، ص: 96، 96.

¹ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 215.

² A.M.G: Note sur les opérations de la colonne légère aux ordres du général yusuf dans le Sahara, 15 mars – 25 Avril 1846, H213.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 306.

وهو: الملازم الأول لأكوت La Cotte المكلف بشؤون الأهالي بتيارت وتسليمه إلى الأمير¹ فقتل القائد الزيتوني كعقاب له وجز رأسه و نقل سرا إلى تيارت لعرضه أمام قبائل المقاطعة كدليل على الانتقام لعملية أسر لأكوت La Cotte²، كما التحق بهذا الطابور الخليفة أحمد بن سالم الذي قام بمطاردة الأهالي العزل وقطعانهم مما أدى إلى وقوع اشتباكات انتهت باستلاء الطابور على القطعان ومقتل 80 من السكان، بالمقابل فقد الفرنسيون قتيلا واحدا، وتم نهب مؤونة القصور و حرق البيوت لنشر الرعب والفرع وتفجير الأهالي كخطوة لإخضاعهم³.

كما ساق طابور الجنرال يوسف حملة أخرى على قصر الشارف بسب أنه وجد أحد رجاله المكلفين بالمراسلات، أسيئت معاملته بعد اعتراض سبيله من طرف العبايز الذين اعتبروه خادما للمسيحيين وعدوا لرفقائهم المجاهدين، حيث تم ضربه ضربا مبرحا وتجريده من ملابسه وتقييده إلى شجرة أين تمكن من الفرار والالتحاق بمعسكر الجنرال يوسف⁴، فحل الجنرال يوسف وجنوده أمام قصر شارف ونصب خيمته واستدعى قائد القصر، الذي كان قد استسلم أهله مؤخرا، فسأل الجنرال يوسف شيخ القصر عن رسالة يحملها مبعوثه ... ودار بينهما الحوار الآتي:

« - لقد أرسلت مبعوثا إلى العاصمة و معه رسالة و من المفروض أنه قد مر من هنا.

- حقيقة ... لقد نزل عندي و أكرمته و كان جواده متعبا فمنحته جوادا قويا و لعله في هذه الساعة على مشارف الجزائر العاصمة، فأمر الجنرال يوسف بإخراج الرسالة ورآها

¹ تعتبر قبيلة "بني مدين" التي أسرت حاكم مكتب العرب بتيارت "لاكوت" و مكنت الأمير عبد القادر منه، ويذهب مؤلفي كتاب المقاومة الشعبية أن وجود هذا الأسير بيد الأمير عبد القادر أثناء مطاردته ببلاد أولاد نايل، جعل القوات الفرنسية تعتقد أن القايد زيتوني ربما هو من استلم الأسير من قبيلة بني مدين، أو أنه كان مكلفا بالأسرى و الرهائن الفرنسيين الذين هم في حوزة الأمير عبد القادر. أنظر: لخضر شولي وآخرون: مرجع سابق، ص: 336.

² نفسه، ص: 336.

³ A.M.G: Note sur opérations ..., H213.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 305.

⁴ Trumelet, corneille: **le Général Yusuf**, T: 2, Editeur Paul Ollendorff, paris, 1890, p: 20, et Du Barail, François – charles (Général): **Mes souvenirs (1820–1851)**, T: 1, 12^e Edition , librairie plon, paris, 1897, p: 299.

الجميع ... وعند هذه اللحظة غطى الشيخ جبهته بجزء من برنسه وتمتم قائلا " المكتوب!!" فوجه الجنرال يوسف إلى المجند " الطاهر بن حميدة " ، - كان هذا شاوش ينتمي إلى كتيبة دي باراي القادمة من الحراش (Maison Carée) واعتماد على تنفيذ مهمات مشابهة كقطع الرؤوس والآذان - أمرا بقطع رأس شيخ القصر ¹.

نقل تروملي تفاصيل مشهد الموت عن الجنرال " فور" الذي كان حاضرا وكتب عن ذلك ... « لقد كان مشهدا يرسم الشخصية العربية ويعكس الشجاعة والإصرار الذين يتحلى بهما المسلمون في مواجهة الموت... شيخ القصر بقي صامتا أمام الأمر بإعدامه...السيف لم يكن مشحذا جيدا...واضطر السيف ان يضرب العنق سبع مرات إلى أن أسقط الرأس عن الجسد في المرة السابعة ... وخلال هذه المحاولات الفظيعة لم نر على الشيخ أي علامات تألم أو إشارات تدمر» ².

أما عن تاريخ الحملة فهو بين نهاية أفريل و بداية ماي 1846م، إلا أنه لم يتم معرفة اسم القايد الذي قطع رأسه، بالإضافة إلى قطع آذان بلغ عددها 350 و تم إرسالها إلى مدينة بوردو الفرنسية ³.

2 - 1 - 5 حملة الجنرال يوسف ضد أولاد ساعد بن سالم؛

وفي إطار مواصلة ملاحقة الأمير عبد القادر ومعاقبة القبائل التي ناصرته وقدمت له الدعم، أورد المترجم العسكري أرنو أنه في يوم واحد شنت ثلاث حملات عسكرية ضد أولاد ساعد بن سالم، نفذها الجنرال يوسف خلال ملاحقته للأمير عبد القادر في مسعد، وفرض على سكانها غرامة ثقيلة، وفي البرج وعند سفح جبل بوكحيل، وبعد أن أذاقهم الجنرال يوسف أقسى صور العقاب لإجبارهم على التخلي عن مناصرة الأمير، غادر يوسف الساحة ليظهر مرة أخرى في قصر زكار متوجها نحو "البيضاء" للتمون من "تعظيميت" و"الغرفة" ⁴، وفي

¹ Du Barail, François – charles (Général: op. cit, p: 300.

² Trumelet, corneille: le Général Yusuf..., p: 20.

³ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 338.

⁴ Arnaud: "Histoire de Oulad Nail – faisant suite A celle des Sahari ", IN: R.A, V: 17, 1873, pp: 376, 377.

رسالة كتبها الجنرال يوسف إلى الرائد دوموني يوم 05 أفريل 1846 يعلمه فيها بأنه قد قتل عددا كبيرا من أولاد نايل عند مغادرته قصر زكار، وقد يكون قصد أولاد ساعد بن سالم لأنهم كانوا محل غزوه بعد مغادرته القصر أول مرة¹، وهذا نص الرسالة²:

« إلى السيد "دوموني" قائد الكتيبة قائد معسكر زكار

عزيزي القائد،

وانا [أي الجنرال يوسف] أغادر قصر زكار يوم الخامس، مررت أثناء الليل بعبد القادر الذي عبر مع فرقة من أولاد نايل على بعد 500 إلى 600 متر من جيشي، للأسف لم اره سوى في اليوم الموالي.

وبعد مسير مجهد لمدة أربعة عشر ساعة لحقت بعدد كبير من رحل أولاد نايل وقتلنا منهم عددا كبيرا وحصلنا غنائم وفيرة وقد بثت هذه الضربة الرعب بينهم وستكون لذلك اثر كبير على حملتنا

الجنرال يوسف 05 أفريل 1846 «.

2 - 1 - 5 - 3 حملة الجنرال يوسف على قصر مسعد:

لجأ الأمير عبد القادر إلى قصر مسعد وطلب الدعم من أهله وهم بدورهم لم يخلوه وزودوه بما يحتاج، وبعد سماعهم بخبر مطاردة الجنرال يوسف له ووصوله إليهم، فروا إلى الجبال، وبوصول الجنرال يوسف قصر مسعد وجده مهجورا من سكانه، فأعطى الأوامر بحرقه، إلا أنه عندما بلغ أهل مسعد الفارين ذلك نزلوا من الجبال مستسلمين للجنرال الذي عفى عنهم، كما تم عزل ثلاث قياد واستبدالهم بأخرين وهم: ابراهيم بن سالم والحرش بن باقة ولطرش بوعبد الله، لأنهم استقبلوا الدرويش موسى وبسبب نقص الوفاء في عملهم³.

¹ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 231.

² Trumelet Corneille: **Le Général Yusuf...**, op. cit, p: 06.

³ Arnaud: "**Exploration du djebel Boukahil ...**", IN: R.A, V: 7, op .cit, p: 51

2- 1- 5- 4 حملة الجنرال يوسف على الخرزة¹ موطن أولاد سي أحمد؛

أورد فرونسوا دوفيلاري أن طابور الجنرال يوسف علم بذهاب الأمير عبد القادر إلى الخرزة موطن أولاد سي أحمد بتاريخ 19 أفريل 1946م، فسير حملة تقتفي أثره ووصل الخرزة في 22 أفريل لكن الأمير استطاع الفرار إلى الجنوب²، وقامت قوات الجنرال يوسف بملاحقة قبيلة أولاد سي أحمد طيلة ساعتين، فقد فيها أولاد سي أحمد 20 رجلا من بينهم الكثير من القادة، واستطاع جنود الاحتلال الاستلاء على مواشي ومنازل أولاد سي أحمد³، كما أسر يوسف في زاغز أحد مبعوثي الأمير الذي كانت بحوزته 83 رسالة تتحدث عن مشاريعه المستقبلية حسب ما ذكره قائد المدية الجنرال ماري مونج في إحدى رسائله المؤرخة في 26 أفريل 1846⁴.

وبعد هذه الحملة وبدءا من 26 أفريل بدأت قبائل أولاد نايل في الاستسلام بالتوازي مع تواجد الجنرال يوسف في مركز كيرش، و انظم إليهم أغوات "جديد" (لأولاد شعيب) وبن عودة (لأولاد مختار) طالبين الأمان، بالإضافة إلى " قبيلة الأربع" ⁵، كما تدعمت حملة الجنرال يوسف بمجموعة من الطوابير والتحمت القوات الفرنسية الغازية في مركز الكيرش في صباح أول ماي، حيث شكلت هذه القوات 3 طوابير⁶:

- طابور الجنرال يوسف؛

- طابور الدوق دومال؛

¹ الخرزة هي اسم لكل فرجة في جبل يخرج منها طريق، أنظر: العياشي: مصدر سابق، ج: 2، ص: 545.

² François De Villaret: **op. cit**, p: 115.

³ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 235.

⁴ Trumelet, corneille: **le Général Yusuf**, pp: 6, 7.

⁵ François De Villaret: **op. cit**, p: 115.

لخضر شولي: مرجع سابق، ص: 235.

⁶ A.M.G: **Journal des opérations de la colonne du sud sous les ordre du général Yusuf du 1 er Mai au 2 Juin 1846**, H 213.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 307.

- طابور العقيد كامو؛

وفي إطار ملاحقة الأمير عبد القادر الذي اتجه نحو الغرب، اتجه طابور الجنرال يوسف رفقة الأمير هنري " الدوق دومال " الذي وصله في 7 ماي نحو الجنوب الغربي عبر وادي القديد ومنها جبل عمور للانتقام من قبائل جبل عمور وفرض الغرامات عليهم واجبارهم على الخضوع للخليفة أحمد بن سالم الموالي للفرنسيين، لهذه الأسباب استولت قوات الجنرال يوسف على قصر- آفلو يوم 11 ماي 1846م وفرضت على قبائل المنطقة غرامات ثقيلة تمثلت في 3000 رأس بقر و 7000 رأس غنم، بيعت الأغنام للخليفة أحمد بن سالم بقيمة 28000 فرنك بينما حولت الأبقار إلى البلدية، لضمان خضوع المنطقة تم تعيين آغا جلول على أهالي جبل عمورة، بدلا من الآغا المسعود المتهم بموالة الأمير¹.

لم يكتف طابور الجنرال يوسف بهذا النهب، وإنما واصل غاراته على قصور زينة وجبل السحاري، أين كلف العقيد لادميرول L'Admirault بالسطو على إحدى فروع قبيلة أولاد نايل، مكنته من 40 رجلا² ومصادرة 500 جمل و 300 رأس بقر و 800 رأس غنم، أي ما يعادل 160.000 فرنك، تم مقايضة هذه الحيوانات بالخيول لحاجتها الماسة للخيول في هذه المناطق، وفي نفس الوقت هذه المقايضة هي وسيلة فعالة لتجريد السكان من الخيول حتى لا يوظف هذا الحيوان في القتال ولا يستغل من قبل رجال الأمير عبد القادر، ولأن الأغنام والأبقار ستبقى في متناول القوات الفرنسية وعملائها من قوم خليفة الأغواط أحمد بن سالم والآغا جديد بن يوسف والآغا بن عودة وآغا الأربع، ويمكن إعادة نهبها والاستيلاء عليها متى أرادت ذلك³.

كان الجنرال يوسف قد أقام معسكرا "Biscuit ville" في " قصر البيضاء " شمال الأغواط على أن تأتيه قوافل الإمداد العسكري و المؤونة من بوغار، وهذا من أجل غلق

¹ Ibid.

² ولعل المقصود هنا هو فرع أولاد الغويني، فقد أورد دوفيلاري أن الجنرال يوسف هاجم أولاد الغويني الثائرين عند واد ملاح يوم: 17 ماي 1846 وأسر 40 فردا من هذه القبيلة، ومنهم أقرباء سي الشريف بلحشر الذي حملهم الجنرال يوسف إلى بوغار، أنظر:

De Villaret François: **op. cit**, p: 115.

³ A.M.G : **Journal des opérations, du général Yusuf, op. cit**, H 213.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي في الجزائر 1830-1870، ص: 308.

الطريق أمام الأمير من الجهة الغربية، و ترك معسكرا جنوب بلاد أولاد نايل في قصر زكار بقيادة الرائد " دو موني" و ترك العقيد كامو على الجهة الشرقية بحبل السحاري خصوصا بعد أنهم فاجؤوا الأمير في "قعيق" و سببوا له خسائر فادحة لاسيما و أنه - أي الأمير - كان يعمل على تزويده بمؤونة 800 بغل¹.

وبالتوازي مع هذه الحملة التي كانت كتائب الجنرال يوسف تجوب ربوع بلاد نايل الغرابة - منطقة الجلفة - وتعاقب سكان قصورها وقبائلها الرحل، قاد بلانجيني حملة على الناحية الشمالية للبلاد.

2 - 1 - 6 حملة العقيد بلانجيني في أفريل 1846 م على منطقة الجلفة؛

تزامنا مع الحملات التي كان يقودها الجنرال يوسف، قام العقيد بلانجيني بتنفيذ حملة على جبل سحاري بتاريخ: 19 أفريل 1846م ضد القبائل الموالية للأمير عبد القادر وقتل منهم عددا كبيرا وصادر ممتلكاتهم ومنها 5000 رأس غنم و250 حصان و350 بقرة².

ورغم اعتقاد الفرنسيين أنه بانتهاء مقاومة الأمير عبد القادر، تنتهي مقاومة وقبائل منطقة الجلفة، إلا ما حدث كان العكس فقد دخلت المنطقة مرحلة من عدم الاستقرار معبرة عن موقفها المعادي للاحتلال الفرنسي، فرفضت الخضوع للقيادة والمشايخ الذين عينتهم الإدارة الفرنسية لتولي مهمة جمع الضرائب وانتفضت عدة مرات، ناهيك عن ترحب ودعم أبناء المنطقة رجال المقاومة الوطنية.

وهذا ما أشارت إليه الوثائق الفرنسية التي عبرت عن قلق السلطات الفرنسية من النشاط المعادي لوجودها وانتشار الدعاية حول قوة شيوخ القبائل والمرابطين، وممارسة اتباع موسى الدرقاوي³ مهمة جمع الزكاة وفرض الضرائب على قبائل أولاد نايل وأولاد مختار، بالإضافة الى ضعف سلطة الشيوخ المواليين لفرنسا¹.

¹ شولي بلخضر: مرجع سابق، ص ص: 339، 340.

² Le Moniteur Algérien, No 751, 15^e Année; 30 Avril 1846, p: 2

³ هو موسى بن علي ولد نواحي دمياط في مصر سنة 1796م، توفي والده وهو لا يزال صغيرا، أصابه مرض برأسه فسافر إلى سوريا للعلاج سنة 1822م، وبعد شفائه انتقل إلى القسطنطينية ومن هنا استغل فرصة بعث قوات للجزائر فسافر معها وجند ضمن الفرق العسكرية العثمانية، إلا أنه فر

هذا الوضع الذي ساد منطقة الجلفة حتم وأجبر القوات الفرنسية على تسيير حملات أخرى مهمتها تأديب قبائل المنطقة الثائرة وإعادة إخضاعها، كما قررت انشاء مركز عسكري بضاية الجلفة.

2 - 2 المرحلة الثانية (1847 - 1852م)؛

كان الدافع وراء هذه الحملات أن القبائل التي كانت تدعم الأمير عبد القادر بقيت على موقفها المعادي للاستعمار ودعم رجال المقاومة، كما رفضت الخضوع للقادة والأغوات الذين عينتهم الإدارة الفرنسية عليهم، مما حتم على القوات الفرنسية العودة لتأديب هذه القبائل وشن عدة حملات عليها.

2 - 2 - 1 حملة ماري مونج وهيريون² سنة 1847م؛

كان السبب الأول وراء تحرك هذه الحملة هو مطاردة المقاوم الشريف بومعزة، الذي كان قد أُنْجِدَ من نواحي جبل عمور، فلجأ إلى جهة أولاد نايل أين وجد الاستقبال والدعم من

منها نحو قسنطينة ثم تونس، كان متواجدا بطرابلس الغرب سنة 1826م، إذ التقى بشيخ الطريقة المدنية الدرقاوية- الشاذلية الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني، وبعد تمكنه من تعاليم الطريقة الدرقاوية أرسل في مهمة إلى المغرب حوالي عام 1827م، مكث به حوالي سنتين ثم دخل الجزائر باتجاه مقاطعة وهران واعتقله الأتراك مدة، وبعد اطلاق سراحه توجه إلى الأغواط 1829م، عمل مؤذنا هناك في مسجد الأحلاف، كما أخذ بالوعظ للطريقة الدرقاوية، والكثير من سكان الأغواط تلقوا ذكره، وبنوا له زاوية ومنحوه حديقتين، إلا أن تأثير الطريقة التيجانية كان قويا بالأغواط فاضطر لمغادرتها، وتوجه إلى مسعد، كان له دور في مقاومة الاحتلال الفرنسي سيتم التفصيل فيه في محله، أنظر:

Arnaud: " **Histoire des Oulad Nail ...**", IN: **R A, Vol:17,op .cit**, p p: 302- 304.

أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، 4 أجزاء، ط: 1، دار الغرب الاسلامي، 1998، ج: 1، بيروت، ص ص: 135، 134.

¹ بن يوسف تلمساني: **مرجع سابق**، ص ص: 316، 317.

² ولد **هيربون: Emile Herbillon** سنة 1794 وتوفي سنة 1866 ضابط فرنسي كان قائدا للناحية الشرقية (مقره بقسنطينة)، وهو صاحب المجازر بواحة الزعاطشة، فهو الذي امر بقطع أشجار النخيل، وهو كذلك الذي أمر بقطع رأس الشيخ بوزيان وابنه والشيخ موسى الدرقاوي، لكن فشل أيضا في دخول الواحة رغم ما لديه من قوة وظل ينتظر مزيدا من الدعم حتى بلغت قواته في الزعاطشة 27000 مقاتل. اشتغل هيريون تحت سلطة بيجو ولاموريستير والدوق دومال، وفي 1855م قاد معركة تراكتير Tarktir بشبه جزيرة القرم وانتصر على الروس. وقد ألف هيريون كتابا في موضوع الزعاطشة واعتبر ما حدث في الواحة مجرد تمرد في الجهة الجنوبية من مقاطعة قسنطينة.. كمال بن صحرابي: **مرجع سابق**، ص: 180

لدى بعض من فروع أولاد نايل¹؛ أما السبب الثاني فكان من أجل إجهاض ثورة حُظِرَ لها بقيادة موسى بن الحسن الذي نجى من القبض عليه في مسعد ليلجأ إلى متليلي².

على إثر ذلك قررت السلطة الاستعمارية تشكيل طوابير عسكرية لمطاردة بومعزة أين ما حل، سارع الجنرال بيدو إلى تحريك طابور عسكري من سطيف وآخر من بسكرة، وطلب في نفس الوقت النجدة من الحاكم العام مارشال بيجو، أعطى هذا الأخير الأوامر لقواته بتشكيل طوابير والالتحاق ببوغار 25 جانفي 1847م، أين تشكلت تحت قيادة الجنرال ماري مونج³؛

انطلقت الحملة من بوغار نحو قلعة السطل عبر عين وسارة، بهدف مطاردة الشريف بومعزة والانتقام من فروع أولاد نايل الذين تعاونوا معه، الأمر الذي دفع هذه الفروع إلى الفرار نحو الجنوب بجبل القواسم رغم قساوة الجو، لاسيما وأن هذه الفترة شهدت تساقط الثلوج بكثافة وأثرت كثيرا على خيمهم ومواشيهم، وما زاد الطين بلة هو تعاون الفروع الأخرى من أولاد نايل الخاضعين للسلطة الاستعمارية مع الجنرال ماري مونج وعلى حساب أبناء عمومته⁴، مع العلم أن الشريف بومعزة كان محل مطاردة من قبل طابور بسكرة، فانسحب نحو تقرت عند أولاد ساسي وأولاد حركات، بعد أن تخلى عنه أولاد جلال بإعلانهم الولاء للجنرال هيربيون Herbillon، مما دفع ماري مونج إلى معاقبة أولاد نايل، حيث فرض عليهم غرامة مالية قدرت بـ: 100.000 فرنك، في حين لجأ الشريف بومعزة نحو الجنوب الشرقي لتحريض على المقاومة⁵.

¹ A.M.G: *Journal des opérations de la colonne du sud, Janv- Février- Mars 1847, sous les ordres de Mr le Maréchal de camp Marey- Monge*, H 211.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 308.

² Mangin: *"l'Histoire de Laghouat"*, IN:R. A, VOL: 38, 1894, pp: 97, 98.

³ A.M.G: *Journal du chef Etat-major ...*, op. cit, H 213

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 309.

⁴ A.M.G: *Expédition dirigée contre Oulad Nail*, pendant les mois de Janv- février- 1847, H211.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 310.

⁵ A.M.G: *Journal des opérations de la colonne du sud...*, op. cit, H 211.

ومنه فإن الحملة التي قادها ماري مونج جعلت المناطق الممتدة ما بين الجلفة وبوسعادة تعلن خضوعها ولو ظاهريا بسبب ما تعرضت له من مطاردة ومصادرة، نتيجة قساوة الظروف وانعدام العشب في الجهة الجنوبية، كما اضطر الشيخ التلي بن لكحل قائد فروع أولاد نايل الثائرين إلى طلب الأمان، وفي هذا الوقت بلغ الجنرال عن طريق جواسيسه أن بعض فروع أولاد نايل الثائرين، ظهرُوا في تلك الجهة، فشن الجنرال حملة خاطفة لمطاردتهم، شكلت الحملة من 900 جندي و 3 سرايا من الفرسان، وبينما ترك الباقي تحت قيادة العقيد كربوسيا قائد لواء خط ال 58¹.

كما شنت القوات الفرنسية يوم 13 فيفري 1847 عمليات جديدة جهة الجنوب الشرقي من المدينة، حيث انطلقت حملة عسكرية بقيادة هيريبيون لمطاردة عرش أولاد عيسى، فرع من هذه القبيلة لجأ إلى قلعة سطل على بعد 60 كلم من الجلفة، وفي اليوم الموالي وصل الطابور إلى زاغر بالقرب من الحمام (حاسي بحبح)، بعد أن أفادت معلومات أن أولاد عيسى - تمركزوا جهة الجلفة، فقرر الجنرال هيريبيون الانتقال إليهم².

وصل الطابور يوم 15 فيفري إلى الجلفة، أين دار اشتباك عنيف مع فرسان أولاد عيسى، غير أن القوات الفرنسية تمكنت من الاستلاء على 5000 رأس غنم و 250 بقرو و 50 جملا، وقتل حوالي 50 من رجال القبيلة، وفي المقابل فقد الفرنسيون 3 قتلى و 8 جرحى وعشرات الخيول بين قتلى وجرحى³، وفي يوم 16 فيفري دخلت القوات الفرنسية إلى الجلفة حيث تم تقسيم الغنائم على الآغاوات والقيادة المواليين للإدارة الاستعمارية لتشجيعهم على الوفاء لها⁴.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 308.

¹ A.M.G : Journal du chef Etat, op. cit, H 213.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 311.

² Ibid.

³ Ibid.

⁴ Ibid.

وتجدر الإشارة أن المواشي المصادرة من أولاد عيسى كضريبة حرب قد وصلت إلى المدينة في جوان 1847 بأعداد ضخمة انطلقت من جبال بوكحيل¹.

في 22 فيفري 1847 أعطى الجنرال ماري مونج الأوامر لفروع أولاد نايل بالانتقال إلى شمال جبل المقسم، وهددهم أن من يتأخر تشن عليه غارة، جل فروع أولاد نايل استجابت للأوامر ماعدا فروع قليلة رفضت الخضوع وعدت أنها متعاونة مع الأمير، هذه المعلومات وصلته عن طريق تعيينه مجموعة من الجواسيس الذين كلفهم بجمع معلومات عن القبائل غير الخاضعة، فوصلته معلومات عن تحرك قايد فرقة كرد الواد فرع من عرش أولاد ساعد بن سالم²، على إثر ذلك شكل الجنرال طابورا خفيفا من 900 مشاة و250 خيالة وقطعتي مدفعية و 800 فارس من القوم، لشن غارة على 6 مداشر وصل الطابور إلى رجم الشرقي حيث تم الاستلاء على 100 جمل و 10000 رأس غنم و 100 بقرة من عرش أولاد ساعد بن سالم إثر العملية الأولى. لم تصمد القبائل العزل ولم تستطع الدفاع عن مواشيها وتم قتل عدد من رجال القبيلة. والتحق الشيخ التلي بن لكحل قائد فرع من أولاد نايل بالجنرال في المساء برجم الشرقي، كما تم جمع حوالي 200.000 فرنك كغرامة فرضت على أولاد نايل³.

وفي يوم الثلاثاء 23 فيفري 1847م باغت الجنرال ماري مونج قرية المجبارة الواقعة أسفل جبل بوكحيل واقتحمها بسبب أن "بومعزة" قد نزل بها وأكرمه أهلها وهو في طريقه إلى الزيبان⁴ وأشارت صحيفة "الدستوري" إلى تفاصيل حملتين إحداهما بالقرب من جبل بوكحيل والثانية بتاريخ 23 فيفري بالقرب من قصر المجبارة نفذهما حليف فرنسا خليفة الأغواط "أحمد بن سالم"، قوام الحملتين 200 فارس من الأرباع التي استطاعت أن تغنم من

¹ Le Moniteur Algérien, No 835, 16^e Année; 30Juiun 1847, p: 1.

² A.M.G: Journal des opérations e expéditionnaires dirigées contre Oulad Nail, H 211.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: "التوغل الفرنسي في السهوب الوسطى وتخوم الصحراء - دراسة أرشيفية -"، ورقة بحثية قدمت في فعاليات الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة مسيرة كفاح، المنعقد بتاريخ: 2013 /26/25 بجامعة الجلفة، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص: 37.

³ A.M.G : Journal des opérations ...,op. cit, H211.

نقلا عن تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 37.

⁴ Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, , Imprimerie Charles Zamith et Cie, Alger, 1906, p: LIV.

المنطقة 100 رأس من البقر والبعير وما بين 3000 إلى 4000 رأس غنم¹، هذه الحملة هدمت قصر المجبارة كلياً مما استدعى إعادة بناءه سنة 1854م².

حرص الجنرال على تنصيب قياد وشيوخ موالين له، على أهل المنطقة و وزرع جزءاً من رؤوس الأغنام، بينما وضعت الأبقار تحت تصرف الإدارة، أما الجمال بيعت في المزاد العلني لصالح الإدارة الاستعمارية³.

- تنظيم المنطقة: جمع الجنرال شيوخ أولاد نايل ووزع عليهم المهام التالية:

- تعيين التلي في منصب آغا.
- ميلود نائباً له.
- بوروبة: قائد على أولاد نايل.
- بينما القطاف حافظ على قيادته المستقلة.

ومن نتائج هذه الحملة حسب ما ورد في التقرير الفرنسي⁴:

- خيم الهدوء والخضوع على جهة بسكرة.
- عودة الجنرال هيريون على رأس طابوره إلى بسكرة.
- جمع الضرائب والغرامات من قبل الآغاوات والقياد المعنيين حديثاً.

¹ Le Constitutionnel; Journal du Commerce , politique et littéraire , N 76, Mercredi 17 Mars 1847, p: 01.

² Louis Piesse: *Itinéraire de L'Algérie de Tunis et Tanger*, éd: hachette, 1882, p:115, 116,

³ A.M.G : *Journal des opérations ...*,op. cit, H 211.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 37.

⁴ A.M.G: *Journal des opérations de la colonne ...*,op. cit, H211.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي في الجزائر...، مرجع سابق، ص: 313

2 - 2 - 2 حملة الجنرال ماري مونج سنة 1848،

من أسباب هذه الحملة هي الأوضاع التي كانت تعيشها بلاد أولاد نايل، والتي أثارت رغبة الجنرالات الفرنسية، فقد ورد في رسالة لماري مونج مؤرخة بتاريخ: 30 ديسمبر 1847 موجهة إلى المارشال بيجو، تفاصيل عن الوضع بالجنوب وركزت في الفقرة الأخيرة منها على الوضع ببلاد أولاد نايل فيها هو نص ترجمة هذه الفقرة:

«... ها هي بعض المعلومات حول جنوبنا: كل نواحي الأغواط هادئة. أما عند أولاد نايل، فهناك بعض القادة الذين مازالوا لم يستسلموا إضافة إلى مجموعة صغيرة يتزعمها بن عبد السلام وتضم "20" فارسا وهو عدد ضئيل جدا. وبالنسبة لغير المستسلمين فنجد:

1- مولاي العربي، قائد طائفة الدراووة وهو شخص ذكي وحكيم غادر الونشريس ليستقر عند أولاد نايل كلاجئ أكثر منه كعدو لنا.

2- الحاج موسى وهو الذي غازا المدينة سنة 1834 وهزمه الأمير عبد القادر بين المدينة ومليانة، الذي رجع غربا إلى الأغواط ثم غادرها منذ غزونا لها نحو منطقة القبائل وهناك طارده حملاتنا ليستقر في "دمد" منذ ثلاث "03" أشهر بلا أي خطر علينا¹.

3- سيدي خلادي، والذي قبض عليه الجنرال هيريون بالقرب من سيدي خالد السنة الماضية وهو مرابط متميز وجد مؤثر ولكنه غير خطير حاليا.

هؤلاء العناصر يمكنهم أن يسببوا خطرا علينا في حالة اندلاع انتفاضة ولكنهم يمارسون نفوذهم على قضاياهم، وسوف اسير بحملتي نحو الجنوب في هذا الشتاء من أجل تأديب أولاد نايل بسبب استضافتهم دون موافقتنا لأشخاص نعتبرهم أعداءنا.....»²،

¹ بهذا الخصوص أوردت جريدة المبشر في عددها 28 من أكتوبر 1848م أن الحاج موسى الدراوي أراد أن يستنفر قبائل أولاد نايل ضد القوات الفرنسية إلا أنه تراجع عن ذلك وانسحب منها إلى المتليلي.

² وردت في المجموعة رسائل منشورة في الموقع الإلكتروني:

كما جاء في صحيفة "المبشر" الفرنسية بعددها الصادرة بتاريخ 30 مارس 1848م ما يلي: « بلغنا أن بأولاد نايل كثرة اللصوص وقطاع الطرق... {كلمة غير مفهومة} أمر عجيب فلا يقع مثل هذا إلا بالبلد التي لم تحل بها حكامنا »¹، مما يعني أن السلطة الفرنسية وحلفاؤها قد تضرروا من هذه الأعمال خاصة وأن قبائل بلاد أولاد نايل كانوا يقطعون الطريق على القوافل القادمة من الأغواط، كما تحصن بعض "عصاة" أولاد نايل في تماسين وأظهروا العداء لفرنسا، فذهب لقتالهم شيخ تقرت "بو جلاب"، وقتل العديد من المجاهدين وقطع عشرة آلاف نخلة ببساتين تماسين التي طلب أهلها الأمان فوافقهم عميل فرنسا "بو جلاب" على ذلك شريط دفع 116 ألف فرنك كغرامة إلى السلطة وطرد جميع المتمردين ضد فرنسا كأولاد زيد وغيرهم من فرق أولاد نايل².

هذه الأوضاع حتمت على الجنرال ماري مونج الانتقال من التيطري إلى بلاد أولاد نايل في ماي 1848م فدخل إليه الأغا التلي³ وأولاده بسرعة وكبراء أولاد سي أحمد ففرض عليهم غرامة قدرها 35 ألف بيجو وهذا بنواحي الزعفران⁴.

2 - 2 - 3 حملة الجنرال لادميرول سنة 1849م ضد أولاد نايل؛

تدخل حملة 1849م في إطار سلسلة الحملات العسكرية الفرنسية المتكررة على منطقة أولاد نايل، خاصة وأن السلطات الفرنسية في هذه السنة بدأت تشعر بالخطر يهدد نفوذها في المنطقة، وهذا ما تعكسه سلسلة القرارات التي اتخذت، ففي شهر أفريل 1849م صدر مرسوم بناحية المدية، تم بموجبه تجديد النهي عن بيع البارود والسلاح في أسواق هذه العمالة، فأوردت في الفقرة الخاصة بالمدية أنه: « جدد النهي عن بيع البارود والسلاح في الأسواق هذه العمالة {يقصد عمالة الجزائر} وحفظ ذلك على ذمة قياد الأوطان، ومن المعلوم

¹ المبشر، ع: 14، 30 مارس 1848، مطبعة الدولة الجزائرية، ص: 3.

² نفسه، شولي بلخضر: مرجع سابق، ص: 224.

³ كان هدف التلي بن لكحل من الاستسلام هو: كسب الوقت لإعادة تنظيم صفوفه خاصة بعد استسلام الأمير وسجن خليفته على أولاد نايل سي الشريف بلحشر هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحملات العسكرية الفرنسية المكثفة التي أجهدت أولاد نايل في تلك الفترة، وبمجرد أن تناح الفرصة لتلي بن لكحل للعدو إلى الجهاد سيستجيب كما سيأتي توضيحه في فصل المقاومة.

⁴ المبشر، ع: 18، 30 ماي 1848، مطبعة الدولة، الجزائر، ص: 02.

أن كبراء بيرواات العرب يعطون الاذن في شراء ما ذكر لمن أراد له للصيد أو الوليمة»¹، كما أمر الحاكم العام بمنع بيع ملح البارود والكبريت والبارود والسلاح والرصاص وحجر البنادق والصواعق في جميع العمالات ومن يخالف ذلك فجزاؤه غرامة مالية والسجن من شهر إلى ثلاثة أشهر².

أما عن ظروف تشكل هذه الحملة فقد ورد إلى السلطات لفرنسية:

• الشروع في عملية تحضير لاننتفاضة سرية في جنوب المدية برز فيها الحاج موسى الدرقاوي بدخوله الأغواط واستقباله من طرف الخليفة والسكان بترحاب³ ففي هذا السياق كتب النقيب مارتينو Martenot ضابط سامي في الحملة التي قادها الجنرال لادميرول: «... ظل أتباع سي موسى (الدرقاوي) يفرضون على قبائل أولاد نايل في جبل السحاري وعلى قبائل أولاد مختار دفع الضرائب ورغم ذلك لم يرفض هؤلاء ومجموع القبائل الواقعة في المنطقة الجنوبية الثورة علينا... إنه لمن المؤكد أن الشيوخ والقياد المحتلين لنا في هذه المنطقة أظهروا ضعفهم إزاء احتواء هؤلاء السكان، سيما وأن الخليفة بن سالم لم ينقل إلينا حقيقة الأمور، ربما لأنه كان يخشى إقصاءه من جانبنا، خاصة وأن قوة التجانية قد تجاوزت نفوذه المزعوم على القبائل، مما يبرر ليونته إزاء التجانية على الأقل للحفاظ على الثروات التي جمعها»⁴.

• كما وصل إلى السلطات الفرنسية خبر مفاده دعم قبائل أولاد نايل بالناحية الغربية لأولاد سيدي شيخ، وهذا بناء على ما ورود بنفس التقرير أعلاه: «... إن عددا من قبيلة أولاد سيدي الشيخ تجمعوا في جبل عمور لدى قبيلة أولاد شعيب

¹ المبشر، ع: 40، 30 أبريل 1849، مطبعة الدولة، الجزائر، ص: 3.

² المبشر، ع: 42، 30 ماي 1849، مطبعة الدولة، الجزائر، ص: 2.

³ شولي لخضر: مرجع سابق، ص: 273

⁴ A.M.G: Journal des marches ...,op. cit, H 213

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع...، مرجع سابق، ص ص: 316، 317.

وبطون أولاد نايل ونشروا أفكارهم المعادية لنا يبالغون في وصف قوة شيوخهم وضعف جيوشنا....»¹.

• تمنع قبائل أولاد نايل عن دفع الضريبة وتمردتها²، ومراسلة الآغاوات والقادة والشيوخ الإدارة الفرنسية، بشأن تمنع بعض قبائل أولاد نايل عن دفع الضرائب والغرامات مثل: «... كتب إلينا الآغا قطاف من أولاد نايل أن القبائل التي تدخل في حوزة إدارته أصبحت تساند المتمردين بعدما أعلنت رفضها دفع الزكاة»³، ومن جانب آخر انسحب أولاد سي أحمد وأولاد ماية التابعيين للآغا ابن عودة باتجاه الجنوب، للامتناع عن دفع الضرائب، في حين هاجم أولاد ساعد بن سالم المتموقعين بالقرب من الأغواط قافلة لرحمان ونهبوا أملاكهم حال خروجها من منطقة القصور...وانسحبت غالبية قبيلة حجاجي وهي فرع من الأرباع من منطقة وادي الصغير نحو تماسين حيث الزاوية التجانية»⁴.

والملاحظ كذلك أن انتفاضة قبائل أولاد نايل تزامنت مع بداية تحضير الشيخ بوزيان لثورته بالزعاطشة، من أجل قيادة مقاومة عامة أعطاها بعدا دينيا بتوجيه النداء إلى الزوايا والطرق الدينية، وتخوف فرنسا من الدعم الذي يمكن أن يتلقاه الشيخ بوزيان من قبائل بلاد أولاد نايل⁵.

فمن أجل فرض السلطات الفرنسية سيطرتها على منطقة الجلفة؛ ومساعدة الباشاغات والقياد والقبائل الموالية للإدارة الاستعمارية على جمع الضرائب والغرامات المفروضة على سكانها ومواجهة أتباع الطرق الصوفية لاسيما الطريقة الدرقاوية وحرمان أتباعها من مصادرها الاقتصادية؛ دعت إلى ضرورة التعجيل بترتيب الأمور في المناطق الجنوبية

¹ Ibid.

² المبشر، ع: 42....، مصدر سابق، ص: 2.

³ A.M.G: *Journal des marches ...*, op. cit, H 213

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع...، مرجع سابق، ص: 316.

⁴ A.M.G : *Rapport de l'expédition dirigée par le Général de brigade Ladmiraault dans le sud de Médéa* du 6 mai au 25 juin 1849, H 215.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع...، مرجع سابق، ص: 317.

⁵ لخضر الشولي: مرجع سابق، ص: 273، لمزيد من الاطلاع حول مقاومة الزعاطشة أنظر: ص: 126 وما بعدها.

من غير أي تردد أو تأجيل. فتم إرسال طابور وشن حملة تأديبية للقضاء على ما وصفه بالاضطرابات وإرغام السكان على دفع الضرائب¹.

تشكل طابور عسكري من 3 فيالق مشاة وثلاثة ألوية من سلاح الخيالة وفصيلة من المدفعية، والكتيبة الخفيفة الثامنة المشكلة من فيلقين والفيلق الخفيف الثاني القادم من مليانة ولواء قناصة إفريقية، ولواء قناصة فرنسا قادمًا من بوفاريك والثنية. تجمعت القوات بما مجموعه 2198 ضابط وجندي سفالة الدائرة العسكرية ببوغار يوم 9 ماي 1849م تحت قيادة الجنرال لادميرول والعقيدين دورينجر **Duringer** ودي كامبري **De Cambray**².

انطلقت هذه الحملة نحو الجنوب عبر مراحل ومحطات³؛ قصر الشهبونية؛ إلى جبل بلخيثر من أرض أولاد سيدي عيسى؛ إلى عين خضرة سرغين بأولاد سيدي عيسى سواقي، واصل الطابور سيره حتى طاغين التي بلغها في 17 ماي 1849م، وفي اليوم الموالي اتجه نحو قصر عين الخضرة موطن قبيلة العبايز، أين تم الاستلاء على المحاصيل الزراعية ومدخرات أهل المنطقة، بحجة مولاتهم للنائر موسى الدرقاوي المقاوم للاحتلال الفرنسي، بقي الجيش الفرنسي - في القصر - مدة 10 أيام ينهب ويجمع الضرائب ويفرض الغرامات حيث أرسل سرية الصبايحية بقيادة غابوريو **Gaboriaud** قائد المكتب العربي لقمع إحدى فروع العبايز لامتناعهم عن دفع الضرائب، وعدم خضوعهم للقياد المعنيين من قبل الإدارة الفرنسية. تمكنت هذه السرية من مطاردة فرع العبايز المذكور واستولت منه على 20 ثور و 649 غنم⁴.

انتقلت القوات الفرنسية بعد ذلك إلى أولاد ساعد بن سالم عبر واد بن أحمد والمرقد، ومنه إلى دمد التي وجد فيها الجيش الفرنسي الفرصة لفرض سيطرته على مختلف القبائل

¹ تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 316 – 318.

² A.M.G: **Rapport de l'expédition**, H 215.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع...، مرجع سابق، ص: 318

³ Ibid.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع...، مرجع سابق، ص: 319.

⁴ A.M.G : **Rapport de l'expédition**, H 215.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 320

التي تقصدها للتموين، ففرضت على سكانها المزيد من الضرائب وأصبحت ممتلكاتهم القارة ضمانا في يد الإدارة الاستعمارية ضد أي اضطرابات أو تعاون مع الثائرين¹.

وفي 5 جوان اجتمعت القوات الفرنسية في عين الريش موطن أولاد عيسى - التي تعد قبيلة كبيرة تدخل ضمن نطاق إدارة الآغا بن عودة، الذي يعد - حسب التقرير الفرنسي- أن لا نفوذ له على هذه القبيلة، ويتبين ذلك من خلال عدم تمكنه من جمع الضرائب وفشله في إقناع الأهالي بالتكيف مع الواقع الجديد والتعامل مع الفرنسيين.

بعد أيام قضاها الجنرال لادميرول (LADMIRAULT) بعين الريش حيث استرجع الجيش انفاسه، وترتيب شؤون تلك الناحية، انتقل الجنرال بعدها الى أراضي أولاد فرج، وقد دارت بين قوات الجيش الفرنسي بمساندة عملائه و أولاد فرج معركة عرفت بمعركة أولاد فرج، كان النصر فيها حليف الجيش الفرنسي بقوة السلاح².

دامت هذه الحملة 41 يوما ووُصِفَتْ بالناجحة والايجابية بفعل العمليات التأديبية، بل قل القمعية التي مورست على سكان الجنوب، وتجريدتهم من مصادر العيش بنهب حقولهم، لا سيما وأن هذه الحملة تزامنت وموسم جني المحاصيل الزراعية³.

ومن نتائج الحملة انضمام العديد من الشيوخ للإدارة الفرنسية في محاولة منهم تجنيب عروشهم ويلات القمع والإبادة وأبدوا استعدادهم للتعاون مع الإدارة الفرنسية، فمنهم من أخلص بالفعل لها، ومنهم من تظاهر بذلك وتحين الفرصة لمقاومة العدو كما كان الحال مع المقاوم بن ناصر بن شهر⁴.

¹ Ibid

² A.M.G : Rapport de l'expédition, H 215.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 323.

³ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 322، 323، أنظر قيمة الغرامات المحصلة من حملة لادميرول، في ملحق رقم: 4، ص: 412

⁴ A.M.G: **Journal de marches de la colonne expeditionnaire commandée par le Général Ladmiraault dans le sud de la subdivision de Médéa du 17 fev – au 2 mai 1852,** H 214.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 323.

3 - 3 المرحلة الثالثة بعد 1852م؛

ما يميز بداية هذه المرحلة هو بداية ترسخ الوجود الاستعماري وارساء قواعده بمنطقة الجلفة، خاصة بعد بناء الحصن العسكري بضاية الجلفة بداية من شهر سبتمبر 1852م هذا الحصن سيحمل الإقليم اسمه بدل أولاد نايل الغرابية، وسيكون مقر خليفة أو باشاغا أولاد نايل سي شريف بلحرش.

تعود أسباب بناء هذا الحصن سنة 1852م إلى اشتعال فتيل مقاومة محمد بن عبد شريف¹ وابن ناصر بن شهرة² بالمنطقة، ومناصرة العديد من قبائل منطقة الجلفة لهما، هذه المقاومة أضحت تهدد الوجود الفرنسي في السهوب الوسطى، إذ استطاع رجال المقاومة في 31 جويلية 1852م الاستلاء على قصر الحيران³ والذي كان تحت ممثل الإدارة الفرنسية بالأغواط أحمد بن سالم منذ 1844م، مما أدى بالحاكم العام راندون إلى اتخاذ قرار احتلال الأغواط نهائيا وأمر الجنرال يوسف باتخاذ التدابير اللازمة لذلك، منها بناء الحصن العسكري بضاية الجلفة.

وعليه فالهدف من انشاء الحصن العسكري بضاية الجلفة هو: ترسيخ الفعل الاستعماري والسيطرة على تحركات أهالي المنطقة، وفي نفس الوقت استغلال هذا المركز كقاعدة خلفية لإمداد الطواير العسكرية بالمؤن والذخيرة الحربية وبالجند في عملية احتلال

¹ الشريف محمد بن عبد الله: ينتمي إلى أولاد سيدي أحمد بن يوسف وهي فرقة من قبيلة الغسل التي تبني خيامها شمال تلمسان، عمل كمدرس في زاوية سيدي يعقوب لأولد سيدي الشيخ، في البداية لم يكن معروف على الساحة السياسية الا في سنة 1841م، وعندما رأت فرنسا شهرته تزداد في الغرب عينته خليفة على تلمسان وضواحيها، وقد كانت السلطات لا تثق في صدق نوايا محمد بن عبد الله تجاه خدمتها، فقامت بنفيه بشكل غير رسمي إلى الحجاز و في طريق عودته مر على ليبيا ووصل إلى ورقلة في حدود 1849، ومن هناك انطلقت مقاومته، لتفصيل أكثر أنظر: تروملي: الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية -، تر: محمد معراج، غرناطة، الجزائر، 2013، ص: 69 - 108.

² هو ابن ناصر بن شهرة بن فرحات من مواليد 1804م بإحدى قرى جنوب مدينة الأغواط، ينتمي إلى عائلة اشتهرت بالشجاعة والفروسية والكرم، وهذه الصفات أهلته لرئاسة الأربع، انتمى ابن ناصر بن شهرة إلى الطريقة القادرية، يعتبر من رواد المقاومة الشعبية الذين أنجبتهم الصحراء الجزائرية فقد انضم في وقت مبكر إلى مدرسة الأمير عبد القادر الحربية وتكون فيها، التحق بالشريف محمد بن عبد الله، استولى على قصر الحيران في جويلية 1852، وبعد احتلال الفرنسيين الأغواط سنة 1852 لجأ ابن ناصر بن شهرة إلى نفطة بالجنوب التونسي، عاد إلى الجزائر والتحق بثورة أولاد سيد الشيخ، ثم التحق بثورة المقراني، وبعد القضاء عليها هي الأخرى من طر قوات الاحتلال بقي ابن ناصر بن شهرة مدة ينال قوات العدو من بلاد الجريد، ثم قرر أخيرا الرحيل إلى بيروت وبقي هناك إلى أن وافته المنية سنة 1884م، أنظر: موسوعة أعلام الجزائر 1830 - 1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص: 33-35.

³ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 331.

الأغواط¹، وكذا لتموين العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات الفرنسية بين الفينة والأخرى. ومن هذه الحملات في هذه المرحلة:

3 - 2 - 1 - حملة الجنرال يوسف على عرش أولاد طعبة في 13 أكتوبر 1852،

لقيت مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بالأغواط ترحيب ودعم من أبناء منطقة الجلفة ومنهم: أولاد طعبة فرع من عرش أولاد ساعد بن سالم، رفقة أولاد سي أحمد، وأولاد أم هاني، وأولاد لعور، وأولاد يحيى بن سالم²، وبالتالي شكلت خطرا وتهديدا للقوات الفرنسية بالجنوب الشرقي لمنطقة الجلفة أين يربط عرش أولاد طعبة القريب من الأغواط، لذا ومن أجل القضاء على هذه التحركات المريبة ومنع هذا العرش من اللحاق بالشريف محمد بن عبد الله³، تحرك الجنرال يوسف على رأس طابور من الفرسان فوصل مسعد أين اكتشف مخزنا للمؤونة تابعا للشريف محمد بن عبد الله وقام بحجز مدخراته⁴، ومنها تنقل بتاريخ: 13 أكتوبر 1852 م نحو منطقة جبل كربيط الذي يعد امتداد لجبل الدخان، أين كانت تتوزع خيم عرش أولاد طعبة، دخل فرسانها في مناوشات مع جنود الجنرال، ويبدو أن اصرار أفراد القبيلة على مواصلة المقاومة من جهة وتركيز الجنرال يوسف على معركة الأغواط من جهة أخرى، جعله يتراجع عن الاستمرار في هذه الحملة ويؤجل عقاب أولاد طعبة إلى ما بعد ما ستسفر عنه تطورات الوضع في الأغواط⁵.

3 - 2 - 2 - حملة الضابط ثيودور بان (Théodore Pein):

بعد نجاح القوات الفرنسية في الاستلاء على مدينة الأغواط نهائيا بتاريخ 4 ديسمبر 1852م⁶، قرر الجنرال يوسف الانتقام من عرش أولاد طعبة الذين شاركوا إلى جانب محمد

¹ نفسه، ص: 332.

² François de Villaret: **op. cit**, p: 121.

³ François de Villaret: **op. cit**, p: 122.

⁴ Ibid.

⁵ Ibid.

و سنوسي نايب: مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية (1836 - 1890م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2013/2014، (غير منشورة)، ص: 127.

⁶ لتفاصيل أكثر عن الاستلاء الأغواط أنظر: بن يوسف تلمساني: مرجع، سابق، ص: 330 وما بعدها

بن عبد الله الشريف في مقاومته بالأغواط، ويعد أولاد طعبة أول قبيلة تتعرض للعقاب بعد سقوط الأغواط مباشرة.

أمر الجنرال يوسف الضابط ثيودور بان (Théodore Pein) - الذي كان قد تنقل و جنوده من بوسعادة للمشاركة في احتلال الأغواط - بتسيير حملة ضد عرش أولاد طعبة الكائن مقرها قرب جبل كربيط، والبعيد بمسافة قصيرة جنوب قصري مسعد ودمد، بسبب بقائها على تمرد لها ولا تريد الوصول إلى اتفاق، كما أخبر الجنرال يوسف العقيد ثيودور بان (Théodore Pein) أن وحدته كافة للهجوم عليهم رغم تضاريس الجبل الوعرة¹.

ومن الأمور التي نبه إليها الجنرال يوسف ضابطه هو انعدام الماء في هذه المناطق، وزوده بـ: 400 قربة إضافة إلى ما كان بحوزة طابوره من براميل معدة لهذا الغرض²، إن هذا العدد الكبير من معدات نقل الماء يبين العدد الكبير للجنود المكلفين بهذه المهمة، رغم أن المعلومات المتوفرة تحدد عدد جنود طابور بوسعادة بقيادة بان في سرايا الفيلق الثالث في افريقيا (300 جندي) و الفرسان النظاميون (150 فارس) إضافة إلى قناصة الأهالي من قسنطينة و الذين يقدر عددهم (200 قناص) والمجموع 650 جندي، وهذا العدد لا يبدو منطقيا بالنظر إلى كمية الماء المحمولة مع الطابور من جهة و لقصر المسافة الرابطة بين الأغواط و أقرب أول نقطة ماء (نشيلة ومسعد) من جهة أخرى، وهو ما لا يدع مجالا للشك بأن عدد جنود الطابور الذي هاجم قبيلة أولاد طعبة أكثر من العدد المذكور³.

وحتى يضمن الجنرال يوسف نجاح حملة ضابطه بان، نصحه بأن يهاجم عرش أولاد طعبة من جنوب جبل كربيط لمحاصرتهم حتى لا يفروا نحو صحراء جدي، إلا أن الضابط بان Pein كانت له استراتيجية أخرى قائمة على التمويه، حيث سلك الطابور الطريق نحو الشمال دمد وبوسعادة، لإيهام عرش أولاد طعبة أن الطابور سيواصل الطريق في اتجاه عين الريش، لأنه لو طبق خطة جنراله يوسف بالتوجه جنوبا ستتكشف نواياهم، مما سيجعل

¹ Théodore Pein: **Lettres Familiales sur L'Algérie –Un Petit Royaume Arabe**, Franc ET Algérie: Chez les Principaux Librairies, Paris, 1871. p: 381.

² Ibid.

³ سنوسي نايب: مرجع سابق، ص: 128.

عرش أولاد طعبة يرتمي في أحضان بوكحيل الحصين، وينتشروا عبر الأودية والشعاب، مما سيصعب الأمر عليهم كما قال ¹.

واصل الضابط بان Pein سرده تفاصيل عملية التحضيرات للمعركة ابتداء من 11 ديسمبر 1852م²، وأورد أنه طبق الخطة التي رسمها هو باتباع طريق الشمال، فأرسل المستكشفين لمعاينة محيط جبل كريبيط، وتزويده بتفاصيل عن المقاومين - وصفهم بالمتريدين - .

سارت خطة بان كما رسم فذكر أنه بينما هو وقواته يرتاحون بقصر دمد، وصلته أخبار أن عرش أولاد طعبة مزال لم يغادر جبل كريبيط³، وبالتالي تأكد له نجاح ما خطط له، فأمر قواته مواصلة الخطة والاستدارة إلى خلف جبل كريبيط مستعينا بالمرشدين، وبعد تطويق قواته المكان من الغرب والشمال وجنوب، توجه الفرسان حول الجهة الغربية من الجبل وتمكن النقيب بيليه Pelletier و ديقار Digard وجنودها من القناصة والسبايس من تسلق الجبل رغم صعوبة تضاريسه ووعورة مسالكه، أما العقيد بوتي فكان على رأس المدفعية التي بدأت بقنبلة المنطقة⁴.

كانت الحملة مفاجئة بالنسبة لعرش أولاد طعبة، ورغم المقاومة القوية التي أبدتها مقاتلي القبيلة بإمكانياتهم القليلة والمحدودة، إلا أن القوات الفرنسية الأكثر عدداً وتنظيماً وتسليحاً تمكنت من التغلب عليهم في الأخير، مما أجبر ما تبقى من أفرادها على الفرار جنوباً تاركين وراءهم كل ممتلكاتهم ومواشيهم التي استولت عليها قوات الاحتلال، وقد كانت الغنائم كبيرة.

إلا أنه لم تتمكن قوات الاحتلال بالتمتع بالغنيمة التي حصلوا عليها، إذ هاجم بعض من فرسان أولاد طعبة مخيم بان Pein الذي خيم قرب أحواض الغدير في الجهة الشمالية من

¹ Théodore Pein: **op .cit**, p: 382.

² Ibid, p p: 380, 381.

³ Ibid, p p: 382, 383.

⁴ يقال انه من القصف أصبح الدخان يغطي المنطقة وضواحيها، ومنها أخذ الكاف المجاور لكاف كريبيط بجبل الدخان.

الجبل ودخلوا في اشتباك مع القوات الفرنسية وتمكنوا من استرجاع بعض مواشيهم وتوجهوا بها جنوباً¹.

3 - 2 - 3 - حملة فرنسية على عرش أولاد أم الاخوة في أكتوبر 1854م؛

كانت هذه الحملة نتيجة هجوم نفذه عرش أولاد أم الاخوة جنود القائد بن هشام على القافلة العسكرية الفرنسية بقرية عين الناقة، هذه القافلة كانت متوجهة إلى مسعد بقيادة كولونا دورنانو (Colonna D'Ornano) الذي كان على رأس قافلة تتكون من 400 جندي من القوم و المخزن و الجنود الفرنسيين إضافة إلى 20 من حملة الرشاشات من الأهالي، وضمت القافلة العديد من الضباط منهم المارشال (جيلبار Gilbert) الذي التحق بالقافلة فيما بعد، هذا الأخير الذي تمكن مقاومي أولاد أم لخوة من قتله، بالإضافة إلى عدد من الجنود الفرنسيين بين قتيل وجريح².

بعد هذا الهجوم فر فرسان عرش أولاد أم لخوة إلى جبل بوكحيل، في محاولة منهم للالتحاق بمقاومة شريف بن عبد الله، إلا الفرنسيون تفتنوا لخطة أولاد أم الاخوة، ولقطع الطريق أمام التحاقهم بمقاومة جنوب الصحراء بقيادة محمد بن عبد الله³، تحرك الجنرال دوبراي (DU BARAIL) القائد الأعلى للأغواط رفقة 340 من المشاة، و35 صباحية، و15 راكب من المخازنية، و 100 راكب من الأرباع، وحمل الرجال معهم مؤونة ثمانية أيام من الطعام المتمثل في: البسكويت، الأرز، السكر، والقهوة⁴، وبعث لمعاونه في المنطقة ليتوجهوا نحو منطقة القرارة، كما انطلق القائد الأعلى لبوسعادة ثيودور بان (M. Th)

¹ Théodore Pein: **op. cit**, p: 384.

سنوسي نايب: مرجع سابق، ص: 130.

² Arnaud: " **Exploration du Djebel bou Kahil** ", T: 6, **op. cit**, pp: 260, 261, et Mangin E: " **Histoire de Laghouat** ", VOL: 39, **op. cit**, pp: 25 – 27.

³ Ibid, p: 27.

⁴ DU BARAIL: **Mes souvenirs (1851–1864)**, T: 2, éd: 12, Librairie Plon. Paris, 1898, p: 136.

(PEIN) على رأس فيلق متجه نحو المنطقة¹، التقى القادة في منطقة حاسي زيان يوم 17 أكتوبر 1854².

بقوا يترصدون تحركات أم الاخوة لعدة أيام، ظهر أولاد أم الأخوة مستعدين للمقاومة بمنطقة حاسي لفتح، وتمت مهاجمتهم على 04 جبهات في معركة قصيرة غير متكافئة استعملت فيها المدفعية، واضطرت قبيلة أم الإخوة للانسحاب إلى الجبال، جمع بعدها الفرنسيون ما خلفه عرش أولاد أم الإخوة كغنائم و وجدو ملابس الماريشال جيلبار دو بواي Bois -Guilbert، وقد تكبدت قبيلة أولاد أم الإخوة خسائر كبيرة³، تضاف إلى رصيد فرنسا الإجرامي بالجزائر ليحفظه التاريخ.

وما يكاد دم هذ القبيلة يجف، حتى تشن حملة مسلحة أخرى ضد سكان منطقة الجلفة، والسبب أنه في ربيع 1864م اندلعت ثورة أخرى عرفت بثورة أولاد سيدي الشيخ، إذ كانت مضارب هذه القبيلة متاخمة لناحية الغربية لمنطقة الدراسة، ومع تزايد أتباع هذه الثورة وانتشارها في كل نواحي الغرب الجزائري والوسط، إذ شكل أولاد نايل جزء كبير منهم، فعاشت المنطقة حالة من الفوضى الكبيرة، فأحرقت وخربت الخانات التي شيدتها قوات الاحتلال بهدف احكام السيطرة على المنطقة

لذا ولأجل قطع امتداد ثورة أولاد سيدي الشيخ لمنطقة الجلفة، تم إرسال عدة حملات، كما وجهت حملات أخرى ضد المنطقة بعد انضمام سكنها ثورة القراني بتاريخ 16 مارس 1871م.⁴

يعكس العدد الكبير للحملات العسكرية الموجهة ضد منطقة الجلفة أن أهلها لم يخضعوا ويستكنوا بسهولة لقوات الاحتلال، لأنه بمجرد أن تتاح لها الفرصة للانتفاضة فلا تتأخر، مستعملة في ذلك مختلف الوسائل لمقاومة الاستعمار المسلحة منها والسلمية، وهو ما سيتم تناوله في الفصل الموالي.

¹ Ibid, pp: 135 – 140, et Mangin E: **op. cit**, p: 27.

² Ibid.

³ DU BARAIL: **op. cit**, pp: 136 – 140.

⁴ لتفصيل عن الموضوع أنظر ص: 122 - 123

الفصل الثاني :

رد الفعل الوطني لأبناء منطقة الجلفة تجاه التوسع الفرنسي

- رد الفعل الوطني العسكري
- مساهمتهم في مقاومة الأمير عبد القادر :
- مساهمتهم في مقاومة الحاج موسى الدرقاوي
- مساهمتهم في المقاومات الشعبية الأخرى :
- رد الفعل السياسي .

تمهيد:

عقب التوسع الفرنسي بالأراضي الجزائرية، وما رافقه من سلب ونهب وانتهاك لحريات الشعب الجزائري، أضحى هذا الأخير غريبا في دياره.

إلا أن أبناء الجزائر بما فيهم أبناء منطقة الجلفة لم يعترفهم الاستسلام أو الخضوع، فكانت ردت فعلهم عنيفة كعنف الظلم والجور الذي لقوه من المستدمر، وعبروا عنه بكل الوسائل المتاحة، ففي البداية اعتمدوا الأسلوب الاستراتيجي الوحيد متاح في تلك المرحلة الصعبة للتعبير عن موقفهم الرفض للاحتلال الفرنسي، المتمثل في المقاومات الشعبية التي انتشرت عبر كامل التراب الوطني بعد كل عملية زحف فرنسي طيلة القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين، إلا أن فشل هذا الأسلوب في تحقيق الاستقلال، جعلهم يغيرون أسلوبهم ويعتمدون على الكفاح السياسي لاسترجاعه السيادة الوطنية.

1 - رد الفعل الوطني العسكري:

ساهم أبناء منطقة الجلفة في الدفاع عن وطنهم حتى قبل وصول القوات الفرنسية أراضيها، إذ كانوا إلى جانب زعماء المقاومة: الشيخ موسى الدرقاوي، الأمير عبد القادر، وبقوا على موقفهم الرفض للعدو ومقاومته، رغم الأعمال الوحشية التي مورست ضد أبنائها، التي رافقت كل عملية زحف للقوات الفرنسية على أراضيها، وواصلت دعمها واحتضانها للأمير ومقاومته، وشاركت إلى جانبه في عدة معارك داخل وخارج ترابها.

ورغم نهاية مقاومة الأمير لم تترك قبائل منطقة الجلفة للخضوع والاستسلام، بل كانت تتحين الفرص للتمرد على القوات الفرنسية وممثليها بالمنطقة، كما شاركت: في مقاومة الزعاطشة، ودعمت زعماء المقاومة: بومعزة، محمد بن عبد الله شريف ورقلة، والثائر ابن ناصر بن شهرة، كما كان لهم اسهام في مقاومة أولاد سدي الشيخ، وثورة المقراني، بل أكثر من ذلك فقد أنجبت الجلفة زعماء للمقاومة ك: تلي بن لكحل، ابن هاشم، بوشندوقة، طاهيري سي عبد الرحمان بن الطاهر.

1 - 1 مساهمتهم في مقاومة الأمير عبد القادر:

استطاعت المقاومة الجزائرية في بداية الاحتلال أن تفاجأ قوات العدو الفرنسي، فقد أربهته مقاومة الأمير عبد القادر وانتصاراته التي حققها لدرجة حتمت عليه الخضوع والجلوس معه على طاولة المفاوضات أكثر من مرة لإبرام اتفاقيات، هذه الاتفاقيات استغلها الأمير لتوسيع سلطته على قبائل ببلاده، ومنها قبائل منطقة الجلفة.

1 - 1 - 1 بداية تواصل الأمير عبد القادر مع قبائل منطقة الجلفة:

استطاعت مقاومة الأمير عبد القادر في السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر، أن تغطي تقريبا جل الناحية الغربية، في حين تمكنت مقاومة أحمد باي من الانتشار في الناحية الشرقية، لكن تجدر الإشارة إلى أنه إذا كانت المقاومة بناحيتهما الشرقية حققت المقاومة نجاحات سنة 1836م، فإنه في نفس السنة وبناحيتهما الغربية بقيادة الأمير عبد القادر واجهتها عدة مشاكل ضعفت سلطة الأمير؛ خاصة بعد احتلال مراكزه: معسكر وتلمسان، مما أضر بسمعته العسكرية بين مواطنيه؛ وتضرر تجارته باحتلال الفرنسيين مدينة شقرون؛ يضاف إلى ذلك الخسارة الكبيرة التي مني بها جيش الأمير في معركة الزقاق؛ هذا بالإضافة إلى العوامل البيئية التي ساعدت في إضعاف قوة الأمير كانتشار مرض الكوليرا الذي أصاب عددا كبيرا من جيشه؛ وترحك خصومه الذين أسكتتهم انتصاراته العسكرية والدبلوماسية قبل، فرفعوا رؤوسهم بالعداء له، وأظهروا التعاون مع العدو¹.

هذه العوامل حتمت على الأمير نقل عاصمته إلى مدينة داخلية بعيدة عن السواحل حيث تكمن قوة العدو، ليحمي مقاومته من الخطر ويصعب خطوط مواصلات العدو، لذلك جعل من تاقدامت عاصمة جديدة له²؛

كما جعلته يبحث عن متحالفين معه جدد، فوجه نظره إلى عدة قبائل وكانت من بينها: قبائل منطقة الجلفة لأنه أدرك قيمة الدعم الذي يمكن أن تقدمه له في حالة انضمامها إلى سلطته، فهي معروفة بقوتها الاقتصادية والبشرية، بالإضافة إلى موقع إقامتهم الاستراتيجي الذي كان يمتد من التل (جنوب المدية) إلى تخوم الصحراء بحكم طبيعة

¹ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج:1، مرجع سابق، ص: 179، 180.

² نفسه، ص: 180.

نشاطهم الرعوي، كل هذه الأمور شجعت الأمير عبد القادر إلى المسارعة لمراسلة كبار عروش بلاد أولاد نايل يطلب منهم الانضمام إليه.

ففي سنة 1836م بايع عروش من بلاد أولاد نايل الأمير عبد القادر أول مرة¹، وقد أشارت بعض المعلومات الواردة في تقرير المكتب العربي المؤرخة في سنة 1883م، إلى أن رجلا من أولاد سي امحمد دعي: امحمد بن فضيل كان أول من بايع الأمير عبد القادر من قبائل أولاد نايل، وتبع الرجل الأمير في عدة غزوات، كما عينه الأمير في ما بعد قائدا على أولاد سي أحمد²؛

كما أورد في هذا الشأن القبطان مارغريت - مسؤول المكتب العربي - ، واقعة بن سعيدان، رسول عرش أولاد ساعد بن سالم الذي لقبه الأمير عبد القادر ب: عود روجو لسرعته الفائقة، فقد أرسله ابن البوهالي شيخ القبيلة ليعلن للأمير ولاء قومه ومبايعتهم له، واستعدادهم لاستقباله والقتال إلى جانبه³؛

جددت قبائل بلاد أولاد نايل المبايعة للمرة الثانية للأمير عبد القادر سنة 1837م بمنطقة الكرمونية⁴، وهي السنة التي زار فيها الأمير عبد القادر منطقة الجلفة وتلقى الدعم من أهلها، وذلك عقب عقده مع الجنرال بيجو معاهدة التافنة بتاريخ: 30 ماي 1837م⁵، هذه المعاهدة كانت له بمثابة المخرج الذي كان يبحث عنه خاصة في ظل الظروف التي عاشها سنة 1836م من عزلة ونفور أصحاب الأمس ومن تشتت الجهود، فاستغل هذه الفرصة لجمع الأموال وتنشيط تجارته، أما من جهة المحتل الفرنسي فقد كانوا يبحثون عن هدنة حتى يتفرغوا للحملة الثانية على أحمد باي بقسنطينة⁶.

¹ François de Villaret: **op. cit**, p: 110.

² عمر خضر: "مقاومة أولاد نايل في عهد الأمير عبد القادر"، في: مجلة الحضور، (مجلة دورية صادرة عن جمعية الحضور الثقافي - الجلفة-)، ع: 1، السنة الأولى: 1996، ص: 40، أورد نفس المؤلف أن هذه الشخصية التي يفترض أن يكون لها شأن كبير إلى جانب الأمير، لم ترد في أي مرجع عربي أو فرنسي.

³ نفسه، ص: 41.

⁴ و ما هو متداول في المنطقة حول أصل هذه التسمية أن الأمير أطلقها على أهل منطقة الجلفة الذين يتصفون بالكرم ونية فأصبحت تعرف بالكرمونية.

⁵ سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: آثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص: 54.

⁶ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج: 1، ص: 181، إذا كانت معاهدة التافنة انتصارا في نظر الأمير عبد القادر فإنها من وجهة نظر أحمد باي كانت عملا عدائيا ضده، وذلك لأنها أطلقت يد الجيش العدو في الشرق، لكي يثار لهزمته الأولى، إلا أن الانتصار الذي حققه أحمد باي سنة

مكنت معاهدة التافنة الأمير عبد القادر بعض الوقت لتنظيم أمور دولته، للاستعداد لانطلاقة جديدة ضد العدو، إذ أصبحت دولة الأمير تشمل ثمانية أقاليم على رأس كل إقليم خليفة نائباً عن الأمير¹، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله أن الأمير عبد القادر بين نهاية 1837 وسنة 1838م قام بعملين بارزين في حياة الجزائر السياسية، الأول بسط نفوذه على جزء كبير من الشرق الجزائري، والعمل الثاني بسط نفوذه على الصحراء الجزائرية الغربية².

وفي هذا الصدد ذكر الكولونال أزان **Azan** أن الأمير عبد القادر بعد سقوط قسنطينة توجه لبسط سلطته إلى غاية بوسعادة عام 1838م³، وهذا ما يتمشى مع الروايات التي ذكرت أن الأمير عبد القادر وصل لمنطقة الجلفة، فكانت رحلته إلى الجنوب الوهراني في شهر أوت، و وصل إلى جبل عمور و جبل قورو بأفلو، وهناك التقى به قوم من منطقة الجلفة الذين كانوا تحت قيادة سي شريف بلحرش المبعوث من طرف عمه سي عبد السلام بن القندوز من أجل حراسة وارشاد الأمير ومرافقته إلى الأشخاص المؤثرين في المنطقة، وتوجهوا لقعدة القمامة ثم إلى الغرب من تاجموت في الكاف المدور ثم إلى الحاجب ليلتقوا بمقدم التجانية في جبل ملوك، ثم مرو عبر جبل الدهوان ليصلوا إلى واد ختالة شرق مسعد، أين قابلوا وفود منها، ثم توجهوا إلى جبل بوكحيل والتقوا بالمقدم سي محمد زبدة من أولاد ام الاخوة، ثم اتجهوا إلى كاف الطيور ومكثوا فيه كثيرا من أجل استقبال الشيخ المختار من أولاد جلال وشيخ طولقة، بعدها ذهبوا إلى الخرزة قرب زاغر الغربي أين استقبلوا من طرف الشيخ عبد السلام، ثم رافق القوم الأمير إلى طاقين وعاد الوفد⁴.

1836 م على قوات العدو في رأى أبو القاسم سعد الله كان انتصارا ظاهريا وذلك لأن سلطته على المدينة وعلى الإقليم بدأت تهتز، وأن العدو استولى له على عنابة، بجاية، وقالة، وضيق الخناق على تجارته بتونس ولم يعد له ميناء يتصل به من الخارج، ولم يستطع السلطان العثماني أن يمدّه بالسلاح أو بقطعة من الأسطول كما وعده، وأمام هذا الوضع والوقت الضيق (بين الحملة الأولى والثانية للفرنسيين على قسنطينة) لم يكن ليتمكن أحمد باي ليستعد ويعيد تنظيم أموره لمواجهة العدو. إذ شبه سعد الله حالة أحمد باي سنة 1836م بحالة الأمير عبد القادر من نفس السنة، لكن الميزة الوحيدة التي كان يمتلكها أحمد باي مقارنة مع الأمير عبد القادر هو أن الأول كان محاصرا في مدينة مسورة ومحصنة وعازمة عن الدفاع عن نفسها لآخر رفق، وأرجع سعد الله النصر الذي حققه أحمد باي إلى طبيعة الأرض والسكان والمدينة، انظر: أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج:1، مرجع سابق، ص: 182.

¹ نفسه، ص: 196، 197.

² نفسه، ص: 201.

³ Azan: **I Emir Abdelkader**, Hatchette, 1925, p: 104.

⁴ François de Villaret: **op. cit**, p p: 110, 111.

وفي لقاءاته كلها حث الأمير من قابلهم على استعمال تأثيرهم على القبائل من أجل وقف الصراعات بين القبائل وطلب منهم أن يكونوا مستعدين للاستجابة لأول نداء¹، كما قام الأمير عبد القادر بتطوير سلاح قبائل المنطقة بعد أن كانت أسلحتهم تقليدية².

تمرد محمد بن عودة المختاري شمال منطقة الجلفة واثبات نفي الادعاء القائل بمشاركة أولاد نايل له:

عقب مغادرة الأمير عبد القادر بلاد أولاد نايل، وقعت حادثة تمرد محمد بن عودة المختاري وادعاء أن كل عروش بلاد أولاد نايل شاركوه في هذا التمرد، وتعود تفاصيل هذا الحادث أنه في سنة 1838م، تمكن محمد بن عودة المختاري من تجنيد قبائل منطقة بوغار و ضواحيها التي رفضت دفع الأموال لشيوخ الأمير و نوابه، بمبرر أن الأمير عبد القادر عقد مع الجنرال بيجو معاهدة التافنة، هذه الحادثة أوردتها تشرشل الذي ادعي بأن بن عودة قد مشى معه أولاد نايل أيضا فقال: «...ففي الأجزاء الجنوبية من إقليم التيطري رفض الناس رفضا قاطعا مطالبه الخاصة بالمساعدة المالية المعتادة، و كونوا لذلك جمعية لمقاومة دفع تلك المساعدة يترأسها المسمى ابن المختار، و هو رئيس هام من الصحراء قرب قصر البخاري فبنو مختار، و بنو نائل، و بنو موسى و بنو عبيد و الزناخرة كلهم شكلوا اتحادية كبيرة...»³.

ومعنى ذلك أن أولاد نايل كلهم قد اتبعوا حركة التمرد على الأمير، ففي هذا الصدد رد فرونسوا دوفيلاري على ادعاء تشرشل ضد كل أولاد نايل فقال: « نظن أن عدم دقة أخرى من هذا النوع وقعت أثناء كتابة "أولاد نايل"، كان يجب أن يكتب "بعض أولاد نايل". لأنه من المستحيل أن يكون رجال عبد السلام، قد ثاروا كذلك بعد مدة وجيزة من وضع انفسهم في طاعة الأمير ومرافقتهم له عبر بلادهم، زيادة على أن المعاهدة المشهورة مع الجنرال بيجو، معاهدة التافنة، التي تذرع بها التمرد، كانت سارية المفعول عند مغادرة المقاتلين "القوم" صوب جبل عمور، من الممكن جدا تواجد عناصر غيورة حاسدة لعبد السلام، عند رؤيتها تكريس هذا الأخير نفسه لعبد القادر، قامت بالانضمام لطرف المعادي»⁴.

¹ François de Villaret: **op. cit**, p: 111.

² Arnaud: "Oulad...", IN: R.A, V: 17, **op. cit**, p: 311.

³ هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص: 127.

⁴ François de Villaret: **op. cit**, p: 111

و مهما يكن من أمر فإن الأمير عبد القادر قد تمكن بواسطة قائده محمد بن علال من دحر العصاة و تفريقهم حتى أذعنوا الطاعة، و قد دامت المعركة التي جرت في أراضي الزناخرة ثلاثة أيام كاملة استسلم على إثرها بن عودة و طلب العفو والأمان، فأعطاه الأمير أكثر من ذلك بتعيينه آغا على قبيلته والقبائل الأخرى ممن شاركت في حركة العصيان¹.

1. 1 - 2 مشاركة قبائل منطقة الجلفة إلى جانب الأمير عبد القادر أثناء حصاره لعين ماضي:

شهدت سنة 1838م كذلك حادثة مهمة في تاريخ الأمير عبد القادر هي حادثة حصار عين ماضي بجنوب الأغواط، وقد شارك فيها أولاد نايل إلى جانبه، إذ كان الأمير حريص على إدخال الأغواط تحت نفوذه لكنه وجد معارضة من طرف بعض أعيان الأغواط الغرابية - منهم سي محمد الصغير التيجاني² - الذين رفضوا الخضوع، و امتنعوا على أداء الطاعة و جاهروا بالعصيان، ولم يقدموا المساعدة الشرعية للجهاد المقدس، وذلك نتيجة للدسائس التي غذّاها وحبكها الجاسوس الفرنسي ليون روش³ بين الأمير عبد القادر والتيجاني⁴، فامتنع الشيخ التيجاني عن الخضوع للأمير واغتربقوته و بمدينته الحصينة المتوغلة في الصحراء، فلم يمثل لأوامر الأمير عبد القادر و تحداه⁵.

¹ تشرشل هنري: المرجع السابق، ص: 128.

² محمد الصغير التيجاني الابن الأصغر لأحمد التيجاني ولد عام 1799م، تولى الإشراف على زاوية عين ماضي منذ 1827م بعد وفاة أخيه، كما تولى مقاليد الطريقة التيجانية منذ (1844م-1853م) و هو تاريخ وفاته، أنظر: بن يوسف تلمساني: الطريقة التيجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني- الأمير عبد القادر- الإدارة الاستعمارية) 1782-1900، رسالة ماجستير في التاريخ، تخصص: حديث ومعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997/1998، (غير منشورة)، ص: 162.

³ ولد ليون روش في مدينة غرونوبل (Grenoble) بفرنسا في 27 سبتمبر 1809م، من أبوين فرنسيين وتوفي في نفي المدينة في 26 جوان 1901م، نال شهادة البكالوريا سنة 1828م، درس الحقوق لكنه انقطع عن الدراسة زار العديد من الدول، كان أبوه روش ألفون ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر، استقر في الجزائر وكون مزرعة في سهل متيجة ونظرا لتعدد مهامه، كتب إلى ابنه ليساعده في الفلاحة، وصل إلى ليون روش إلى الجزائر منتصف 1832م، ومنذ ذلك الحين شرع في مهمته الجاسوسية في الجزائر، فاشتغل مترجما بين الفرنسيين والعرب، إلى أن أظهر اسلامه والتحق بالأمير عبد القادر سنة 1837م، ورحب به الأمير اعتقادا منه بصدق نوايا ليون روش ومن هنا تبدأ قصته مع الأمير، لمزيد من التفاصيل أنظر: يوسف منصارية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب (1832-1847م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

⁴ كان ليون روش على رأس الوفد الذي أرسله الأمير عبد القادر إلى التجاني من أجل التفاوض وتجنب الحرب بين المسلمين وتوحيد هدفهم ضد عدوهم المشترك، إلا أن ليون روش عمل عكس ما طلب منه الأمير وراح يحرض التجاني وأن حصانة قصره هي قوة رهيبة في وجه الأمير وستكون له حصن صعب المنال، وفي نفس الوقت خوفه من مواقف الأمير، وأنه سوف يحاصر المراكز ولو لمدة عشر سنوات، في حين لما عاد ليون روش إلى الأمير أخبره أن التجاني متصلب في رأيه وحفز الأمير على أنه يمتلك القوة التي تمكنه من محاصرة التجاني ولو لمدة سنوات، وقد كان ليون أن الأمير سيهزم التجاني لكنه أراد اضعاف قوات الأمير، أنظر: يوسف منصارية: المرجع السابق، ص: 29-31.

⁵ إبراهيم مياشي: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص: 94.

و بعد انقضاء كل أمل في الإقناع، تحرك موكب بتاريخ: 12 جوان 1838م، و توجه إلى عين ماضي على رأس جيش قوامه ستة آلاف من الخيالة و ثلاثة آلاف من المشاة و ثلاثة مدافع ميدان و ستة مدافع هاون¹، و من أبناء منطقة الجلفة الذين شاركوا في هذا الحصار: أولاد سي أحمد بمائة فارس، و أولاد يحيى بن سالم ب خمسة عشرة فارس وأولاد عيسى ب: ثلاثون فارس، وأولاد ساعد بن سالم ب: عشرة فرسان²، وتجدر الإشارة هنا إلى أن سي شريف بلحرش رفض المشاركة إلى جانب الأمير في هذا الحصار قائلاً للأمير عبد القادر وقال: « أنا معك، لكن تربيت في زاوية لا أريد أن أقاتل ضد زاوية »³، فاحترم الأمير موقفه ولم يتخذ منه موقفاً، ودليل ذلك أنه عينه خليفة على أولاد نايل سنة 1843م، كما سيتم التفصيل فيه لاحقاً.

دام حصار الأمير وقواته للقصر عدة أشهر⁴، انتهى بتوقيع معاهدة بين الطرفين تعهد فيها التيجاني بالجلء عن عين ماضي بشروط وكان ذلك بتاريخ 17 نوفمبر 1838⁵، و بعد العديد من المناورات، دخل الأمير قصر عين ماضي 12 جانفي 1839م بعد أن رحل عنه محمد الصغير التيجاني و أتباعه وفق ما ينص الاتفاق المبرم بينهما و لم يبق به إلا المستضعفون⁶، و لما انتهى الأمير من أمر هذه المعركة، قفل راجعاً إلى تاقدامت⁷.

• حجم المساعدات التي قدمتها قبائل منطقة الجلفة للأمير عبد القادر:

ذكرت المراجع الأجنبية أن الأمير عبد القادر تمكن من جمع الضرائب سنة 1841م من أولاد نايل عن طريق الأغا بن يوسف بن جديد على النحو التالي⁸:

1. 1100 رأس غنم.....بما يعادل 44000 بوجو.

¹ تشرشل شارل هنري: مصدر سابق، ص: 130.

² Arnaud: " Siège D'Ain Madi par ELHADJ ABDELKADER Ben Mah ED-din ", IN: R. A, VOL: 8, 1864, p: 368.

³ François de Villaret: **op. cit**, p: 112.

⁴ تشرشل: مصدر سابق، ص: 131.

⁵ مرسيل أميريت: الجزائر في عهد دولة الأمير عبد القادر، تر: عبد الحميد بورايو وحيد بوحبيب، الرائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص: 327.

⁶ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 184.

⁷ مرسيل أميريت: مصدر سابق، ص: 328.

⁸ A.M.G, Observations: **op. cit**, H 229

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي...، مرجع سابق، ص: 282.

2. 286 جملا.....بما يعادل 17000 بوجو.
3. 49 حمل دهان.....ما يعادل 1700 بوجو.
4. 10 خيول.....بما يعادل 3000 بوجو.
5. 27 حمل من الانسجة الصوفية.....بما يعادل 6600 بوجو.
6. 35 بندقية.....بما يعادل 1050 بوجو.
7. 3300 بوجو نقدا.
8. 400 خادمان.....بما يعادل 400 بوجو.
- المجموع: 77270 بوجو.

وفي المرة الثانية دفع أولاد نائل للأمير 500 جمل أي ما يعادل 30000 بوجو.

1. 1 - 3 استمرار مقاومة الأمير عبد القادر بمنطقة الجلفة بعد زحف القوات الفرنسية إليها (1844 - 1846م)

منطقة الجلفة أضحت بداية من ربيع 1844م عرضت للهجمات الاستكشافية الفرنسية، - تمت الإشارة إليها في الفصل الأول - ، مستغلة في ذلك إعلان بعض قبائل أولاد نايل الولاء لها، إذ كانت حاجتها إلى أسواق الشمال للتزود بالحبوب تستدعي ذلك لأن المحتل الفرنسي سيطر عليها¹، وفي هذا الصدد ذكر بيجو أنه استقبل ثلاثين فارسا من أولاد نايل قدموا ليعرضوا عليه استسلامهم مقابل الاستفادة من أسواق الشمال لإعلان خضوع أولاد نايل وطالبين الوصول لأسواق الشمال، إلا أن الفرنسيين لاحظوا عدم وجود شخصية مهمة وسط الوفد².

وفي المقابل كانت مقاومة الأمير في المناطق الشمالية وحتى الداخلية، تتذبذب خاصة بعد الاستلاء على أغلب مراكزه من طرف العدو، بما فيها زمالته سنة 1843م، وبذلك دخلت مقاومته في مرحلة من الترحال المستمر بعد كل عملية اغارة على القوات الفرنسية³، وقد لعبت قبائل بلاد أولاد نايل دور كبير في دعم الأمير في هذه الفترة.

¹ François de Villaret: **op. cit**, p: 112.

² Ibid, p: 112.

³ تشرشل: مصدر سابق، ص: 217.

ففي هذه الفترة كان على جنود الأمير مجابهة الجيش الفرنسي الذي يطارده من جهة، ومن جهة أخرى معاقبة القبائل التي قدمت الولاء للفرنسيين عن طيب خاطر، ومكره في أحيان كثير¹.

إذ شن الأمير غارة على القبائل المجاورة لبوغار منها الزناخرة التي نزحت نحو وادي الحكم للاحتماء بالفرنسيين، لذا كلف الجنرال ماري مونج بتسيير حملة في 24 نوفمبر 1845م لحماية هذه القبائل وتضييق الخناق على القبائل الموالية له لا سيما منها أولاد نايل².

ومن المعارك التي خاضها الأمير في إطار عملية تأديبه للقبائل التي دخلت تحت طاعة الفرنسيين، قام في أواخر 1845م بقيادة حملة على منطقة الهضاب العليا جنوب المدية إذ جمع الأمير قوات قدرت بـ: 150 فارس و400 من المشاة من أولاد نايل تحت قيادة الشريف بلحشر في 28 ديسمبر 1845م حيث حدثت معركة عين مضلة وذلك لتأديب قبائل رحمان، إلا أنها تراجعت بسبب إحدى الفرق العسكرية الفرنسية³. وفي 12 جانفي 1846م، أعاد الأمير عبد القادر جمع قوم أولاد نايل و أولاد المختار وأولاد الشايب لتأديب القبائل التي ارتدت عنه⁴، وفي نهاية هذا الشهر من نفس السنة جدد أولاد نايل شرق جبل السحاري البيعة للأمير على السمع والطاعة⁵.

كما رافق الأمير عبد القادر قوم من قبائل بلاد أولاد نايل بقيادة خليفته عليهم سي الشريف بلحشر نحو بلاد القبائل، حيث خاض معركة ضد القوات الفرنسية عند وادي يسر، وعند فليسة وكان ذلك يومي 5 و7 فيفري، ولم ينجح في كسب الدعم الذي كان يطلبه من قبائل هذه المنطقة وذلك بسبب مطاردة المحتل الفرنسي له بقيادة الجنرال يوسف، تمكن الأمير عبد القادر من الرجوع إلى منطقة الجلفة، وفي 6 مارس استطاع أن يغير على القبائل الموالية لفرنسا بالقرب من البيرين، إلا أن الأخبار وصلت للعقيد كامو بما وقع لهذه

¹ François de Villaret: **op. cit**, p: 114

² لتفاصيل أكثر حول هذه الحملة أنظر: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق ص ص: 298، 299.

³ A.M.G : **Rapport du chef Etat Major de la colonne expéditionnaire de Médéa, Operant au sud de boghar, sous les ordres de G. Marey Monge**, H212.

نقلا عن تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 301، وأنظر كذلك

François de Villaret: **op. cit**, p: 112.

⁴ Ibid: **op. cit** , p: 114

⁵ Arnaud: " **Histoire ...**", IN: R.A, VOL: 17, **op .cit**, p: 374.

القبائل، فتقتفت القوات الفرنسية أثره وفي 7 مارس رصد بالبرين فاشتبك الأمير مع القوات الفرنسية في ببريريك (بن نهار) شمال جبل خيضر¹، كما تم إليه التطرق سابقا.

ومن مارس 1846م يتولى الجنرال يوسف عملية ملاحقة الأمير عبد القادر على أراضي منطقة الجلفة، والتي استمرت إلى غاية خروج الأمير عبد القادر منها، وتوجهه إلى المغرب، بحامية وفرها له قوم من أولاد نايل بقيادة أحد أغواته وهو التلي بن لكحل، وفي ما يلي الإشارة إلى تواريخ وجود الأمير بالمنطقة الدراسة وأماكنها، وذلك استنادا لسجل السير للجنرال يوسف Yussuf، بالإضافة إلى بالتفاصيل المأخوذة من مذكرات دي باراي²:

- 12 مارس، آثار عبد القادر اكتشفت وهي تؤدي إلى واد قويقع وتتعطف باتجاه مجدل.

- 13 مارس، وصلت الفرقة على الساعة الخامسة صباحا لمعسكر عبد القادر بالعين الكحلة. أفلت الأمير وتشتت قواته في كل الاتجاهات.

- في 19 مارس، برجع الفرقة إلى قلعة السطل، علمت بواسطة كشافيتها بأن الأمير يجمع جموعه، وأنه مر بمسعد واتجه نحو زكار.

- في 22 مارس وصلت الفرقة إلى زينة أين استقبلت بطلقات البنادق، هاجم الفرسان داخل القرية، تم جمع 30 قتيلًا لكن عبد القادر كان قد غادر نحو سيدي بوزيد.

- في 23 مارس، وصلت الفرقة العسكرية إلى سيدي بوزيد، القرية كانت خالية، تم افراغ الصوامع وإضرام النيران في المنازل. لكن عبد القادر كان قد رحل إلى قاعدة القمامة.

¹A.M.G : Journal du chef Etat-major ..., op. cit, H 213.

بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 302.

Arnaud: " Histoire ...", IN: R.A, VOL: 17, op .cit, p: 375, et François de Villaret: op. cit, p: 114.

² Ibid.

- 1 أفريل 1846، بلغ إلى علم الجنرال يوسف أن عبد القادر عاد إلى أولاد نايل. اتجهت الفرقة نحو تعظمية أين وجدت آثار عبد القادر مصحوبا بجمع غفير من المهاجرين من البدو الرحل مثلما تظهره كثرة الآثار.
- في 4 أفريل، باقتفاء أثره، اجتزنا احميرة، ثم توجهنا لزكار، التحق بالفرقة 400 فارس من الأرباع، أتت لتقديم يد المساعدة لها. دائما بإتباع الآثار اجتزت القوات الفرنسية خنق الزكار.
- في 6 أفريل، تم اللحاق بالقبائل التي تتبع عبد القادر، هوجمت وتمت الإغارة عليها بواد بوكحيل، اندفع الفرسان لأبعد من ذلك، لكن بلغ القوات الفرنسية أن عبد القادر فر نحو الشمال الشرقي لجبل بوكحيل مع الـ قوم (مقاتلين) التابعين لـ تلي، يوسف لم يتبع الأمير بل ذهب إلى دمد، مسعد، بو زقيمة، مجبارة، عين مسيكة، عين مسعود والشارف، ثم عاد أدراجه إلى عين البيضاء بجبل عمور.
- في حين بقي الأمير بعض الوقت في بوكحيل في حدود الأسبوع بحماية قوم من بلاد أولاد نايل بقيادة التلي بن لكحل، ثم اتجه شمالا فمر بعين الريش¹ لتمويه الفرنسيين، ثم توجه غربا نحو زاغز الغربي و تحديدا إلى الخرزة التي وصلها بتاريخ: 19 أفريل 1846 أين عقد تجمعا كبير مع قبائل أولاد نايل و تدارس مع سي الشريف بلحشر امكانية الإغارة على بعض القبائل المتعاونة مع الفرنسيين، و بمجرد أن علم الفرنسيون بذلك قاموا بتكوين جيش مزود بكل الإمكانيات و الوسائل و شنوا هجوما خاطفا ومفاجئا على منطقة تجمع أولاد نايل في 22 أفريل 1846 فتفرقت القبائل في كل جهة².
- و لما اشتد الأمر على الأمير وضاق عليه الخناق توجه غربا في 29 أفريل 1846م تحت حماية قوم أولاد نايل بقيادة التلي بن لكحل الذين رافقوه حتى سيدي بوزيد ثم عادوا إلى ديارهم، و بعد هذه المهمة طلب التلي بن لكحل الأمان³، والتي لم تدم طويلا إذ سرعان ما يعلن تمرده على السطلة الفرنسية، كما سيتم التفصيل لاحقا.

¹ عين الريش: مدينة صغيرة تقع جنوب عين الملح بحوالي 20 كلم.

² لتفاصيل أكثر حول هذه المعركة، أنظر ص ص: 83، 84.

³ François De Vilaret: *op .cit*, p: 115.

وبذلك يكون الجنرال يوسف قد تمكن من اخراج الأمير عبد القادر من اقليم الجزائر و حصره في إقليم وهران الذي انتقل منه الى المغرب.

مرافقة سي بلحشر بن الشريف الأمير عبد القادر إلى المغرب ثم تسليمه رفقة قبائل أولاد نايل بعد تسليم الأمير عبد القادر الذي كان وفق شروط:

لما اشتد الأمر على الأمير عبد القادر خرج من الجزائر ووصل بتاريخ: 18 جويلية 1846م إلى الحدود المغربية مرفوقا باتباعه الأوفياء¹، ومنهم سي الشرف بلحشر الذي بقي معه في الممتدة بين 18 جويلية 1846 وديسمبر 1847².

ورغم التأييد الكبير الذي لقيه الأمير عبد القادر من الشعب إلا أن السلطان المغربي لم يعجبه هذا اللجوء، بسبب الخوف من بطش وانتقام فرنسا التي هددته بالعقاب، مما حمل هذا الأخير إلى طرد الأمير عبد القادر من المغرب³، ونتيجة لهذا الموقف الذي اتخذه السلطان المغربي ضد الأمير عبد القادر، تيقن الأمير وسط جيشه الصغير والمنهك القوى أن ساعة النهاية قد حلت، فبدأت تتشكل لديه قناعة طلب الأمان واللجوء إلى المشرق العربي مع بعض قومه، فتم تسليم الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي لا مورسيير وفق شروط، ونقل رفقة عائلته وأتباعه إلى فرنسا التي وصلها نهاية شهر ديسمبر 1847م⁴.

بعد أن تسليم الأمير، توافدت القبائل التي كانت تدعمه كقبيلة أولاد نايل والتي وصفتها قوات الاحتلال بالمنافقة نتيجة دعمها للأمير⁵، الممكن أنه سمح لرجاله بطلب الأمان منفردين، ومنهم خليفة أولاد نايل سي الشريف بلحشر الذي قد يكون تم تسليمه في بداية 1848م، واعتقل في بوغار ثم المدية وأخيرا وضع تحت مسؤولية يحي باشا آغا التيطري⁶، وسيعين في ما بعد قائدا أعلى على أولاد نايل، من طرف القوات الفرنسية.

و عن مرافقة قبائل بلاد أولاد نايل للأمير عندما لجأ إليهم أنظر ملحق رقم:5، ص:413

¹ تشرشل: مصدر سابق، ص: 234.

² François de Villaret: op .cit, p: 115

³ تشرشل: مصدر سابق، ص ص: 237-240.

⁴ لمزيد التفاصيل حول حيثيات تواجد الأمير عبد القادر بالمغرب وكذا عن استسلامه، أنظر: تشرشل: مصدر سابق، ص: 242-250.

⁵ المبشر: ع: 8، 30 ديسمبر 1847، أنظر ملحق رقم: 6 ص: 414

⁶ Francois De Villaret: op .cit, p: 116

ذكر غوفيون أن سي شريف استسلم في 1846م، بنصيحة من الأمير، الذي رأى أن الحرب أصبحت دون فائدة، لكن فرونسا ذكر أن هناك خطأ في التاريخ، فلو كان كذلك لما اعتبر الفرنسيون سنة 1847 "تلي بن لكحل" الشخصية الأكثر أهمية في أولاد نايل، كما أورد أن عائلة

وبهذا انتهى فصل من فصول مقاومة عروش بلاد أولاد نايل أو منطقة الجلفة، لكن المقاومة لم تنتهي بانتهاء مقاومة الأمير عبد القادر.

1 - 2 مساهمتهم في مقاومة الحاج موسى الدرقاوي؛

قبل تناول موضوع مقاومة الحاج موسى الدرقاوي لابد من التعريف بهذه الشخصية التي عاشت بمنطقة الدراسة، وحظيت بمكانة مرموقة وسط أبناءها، فهو موسى بن علي ولد نواحي دمياط في مصر سنة 1796م، توفي والده وهو لا يزال صغيرا، أصابه مرض برأسه فسافر إلى سوريا للعلاج سنة 1822م، وبعد شفائه انتقل إلى القسطنطينية ومن هنا استغل فرصة بعث قوات للجزائر فسافر معها، وجند ضمن الفرق العسكرية العثمانية، إلا أنه فر منها نحو قسنطينة ثم تونس، كان متواجدا بطرابلس الغرب سنة 1826م والتقى هناك بشيخ الطريقة المدنية الدرقاوية - الشاذلية الشيخ محمد بن حمزة ظافر المدني، وبعد تمكنه من تعاليم الطريقة الدرقاوية أرسل في مهمة إلى المغرب حوالي سنة 1827م، مكث الحاج موسى الدرقاوي بالمغرب حوالي سنتين ثم دخل الجزائر باتجاه مقاطعة وهران وتم اعتقاله من طرف السلطة العثمانية مدة من الزمن¹.

كانت للحاج موسى الدرقاوي مساهمة في مقاومة العدو الفرنسي بأرض الجزائر بل أكثر من ذلك فقد استشهد على أرضها.

سي شريف بلحشر حديثه عن رسالة من الأمير تخاطب سي شريف للاستسلام رغم أنهم لم يظهروها له، وهناك من قال بمجرد وصول أبناء عن استسلام سي عبد القادر إلى منطقة الجلفة طلب سي عبد السلام طلب من ابن أخيه سي شريف الاستسلام، كي يحرر أسرى أولاد الغويني، وبما أن استسلام الأمير عبد قادر كان في ديسمبر 1847 فليس من المعقول أن يكون الخبر وصل هنا قبل 1848م، من ثم يجب أن يكون تاريخ استسلام سي شريف ابتداء من تلك الفترة، لذا قال فرونسوا أنه من الممكن أن يكون سي شريف قد ترك عبد القادر بين 18 جويلية تاريخ وصوله للمغرب، منتظرا وسط أولاد نايل غير المستسلمين قرار الأمير، لما وصلت الرسالة الحاملة للقرار، وبتشجيع من عبد السلام سلم نفسه في نهاية 1847 أو بداية 1848، أنظر:

Francois De Villaret: op .cit, p: 116, Gouvion: **les Grandes Families Algerians**, Alger, 1921, p: 94.

¹ Arnaud: " **Histoire des Oulad Nail...** ", IN: R A, VOL:17, op .cit, p p: 302- 304.et

Trumelet .C: **L'Algérie Légendaire...**, op. cit, p: 306.

أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية**، ج: 1، ...، مرجع سابق، ص: 134، 135.

1. 2 - 1 حلول الحاج موسى الدرقاوي بمنطقة الجلفة:

بعد اطلاق سراح الحاج موسى الدرقاوي من طرف السلطة العثمانية، اتجه إلى الأغواط سنة 1829م، وعمل مؤذنا هناك في مسجد الأحلاف، كما أخذ بالوعظ للطريقة الدرقاوية وسط سكان الأغواط، و تلقى بعضهم ذكره وبنوا له زاوية ومنحوه حديقتين، لكن بقاءه هناك لم يدم طويلا، خاصة وأن التأثير البالغ للطريقة التيجانية بالأغواط والمضايقات التي كان يتعرض لها جعلته يغادرها ويتوجه إلى مسعد، أين كانت شهرته قد سبقته هناك فوصلها سنة 1831م، ويقال أنه تلقى ترحيبا كبيرا هناك وانضمت إليه أعداد كبيرة من أولاد نايل وتمكن من تأسيس بيت وزاوية بقصر مسعد¹.

وفي سنة 1834م استقر بمنطقة عين الخضراء التي تقع بين قصري الشارف و زينة، واستقبله سكانها بكل حفاوة وتمكن من بناء بيت ومسجد والتفت حوله قبائل العباريز عن بكرة أبيها².

1. 2 - 2 مرافقة موسى الدرقاوي إلى معركة الزعاطشة³ سنة 1849م:

بعد احتلال بسكرة سنة 1844م من طرف الجيش الفرنسي⁴، ورغم الخضوع الظاهري الذي أبداه سكانها إلا أنهم لم يقبلوا الاحتلال وظلوا يتحينون الفرصة للانقضاض على العدو⁵، وتشهد على ذلك تلك الثورة التي قاموا بها بقيادة الشيخ بوزيان بواحة الزعاطشة. شرع الشيخ بوزيان بالتحضير لثورة عرفت بثورة الزعاطشة، وأخذت الفكرة تنتشر بالناحية منذ ربيع 1849م، عن طريق الدعوة للجهاد وجمع السلاح وتوفير المؤونة وحفر

¹ Arnaud: op .cit: p: 305.

² Ibid.

³ الزعاطشة: واحة كبيرة تقع جنوب شرق بسكرة بحوال 35 كلم اشتهرت بمقاومتها لاحتلال. أنظر: شهرزاد شلي: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة باتنة، 2009، ص: 41.

⁴ رضوان شافو: الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري (ورقلة أنموذجا 1844 - 1962)، أطرحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011/2012، (غير منشورة)، ص: 22.

⁵ أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 331.

الخنادق وإقامة التحصينات والبحث عن الحلفاء، ومن بين اللذين راسلهم الشيخ بوزيان - وما يهم دراستنا هنا - الشيخ الحاج موسى الدرقاوي¹.

لاحظت سلطات الاحتلال الفرنسي وقبيل اندلاع ثورة الزعاطشة، بداية تشكل انتفاضة سرية في جنوب المدية، فتخوفت من الدعم الذي يمكن أن يلقاه الشيخ بوزيان خاصة وأنها علمت بتحركاته لطب المساعدة من شيوخ الزوايا والمريدين، لذا سيرت حملة قادها الجنرال لادميرول في ماي 1849 إلى جنوب المدية، ومما أورده بتقرير عن هذه الحملة، أن جنوده قاموا بمعاقة قبيلة العبايز بقصر عين الخضرة وتم الاستلاء على المحاصيل الزراعية ومدخرات أهل المنطقة، بحجة موالاتهم للتأثر موسى الدرقاوي المقاوم للاحتلال فاستولوا على 20 ثور و649 رأس غنم².

كما عسكر الشيخ التلي بن لكحل رفقة قوم من أبناء منطقة الجلفة قرب مسعد سنة 1849م في محاولة منه للحاق بثورة الزعاطشة³.

أما عن سير هذه الثورة أو المقاومة فقد صمدت لعدة شهور واستنفدت من العدو قوات ومعدات ضخمة بدءا من أول عملية لضربها في 16 جويلية إلى غاية القضاء عليها في 28 نوفمبر 1949م، ووصل عدد القوات الفرنسية التي شاركت للقضاء على هذه الثورة 27 ألف جندي وفارس مع معداتها المدفعية، وارتكب المستعمر الفرنسي جرائم و فضائع واعتداء صارخ على القيم باستعمال الحرائق والألغام والحصار الطويل ونسف الديار، وقطع الرؤوس البشرية وتعليقها على البنادق والأبواب، إذ قام الجيش الفرنسي بإبادة وقتل جميع سكان الواحة⁴.

وفقا للإحصائيات التي قدمها سيروكا فإن عدد القتلى يوم اقتحام واحة الزعاطشة وسقوطها كان 476 قتيل، من بينهم العديد من أولاد نايل، والتي تهم الدراسة منهم هو عدد قتلى الكتبية التي رافقت موسى الدرقاوي من مسعد قدرت بـ: 60 قتيل⁵، في حين أورد أن

¹ أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 332، 333.

² لفاصيل أكثر عن هذه الحملة أنظر ص: 92 - 96

³ François De Villaret : **op. cit**, p: 119.

⁴ أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 330، 333، 337.

⁵ SEROKA: " Le Sud Constantinois du 1830 a 1855 ", IN: R.A, VOL: 56, 1912, p: 519.

أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق، ص: 332.

فرونسوا دوفيلاري أن موسى الدرقاوي أخذ معه للزعاطشة 80 رجلا من أولاد عيسى. قتلوا على بكرة أبيهم إلا واحدا¹.

1 - 3 مشاركتهم في المقاومات الشعبية الأخرى:

أبناء منطقة الجلفة رافقوا تقريبا جل زعماء المقاومة طيلة القرن 19 م، وفي ما يلي محاولة للتفصيل فيه الآن.

1 - 3 - 1 في انتفاضة بومعزة:

رغم أن الأمير انسحب من أراضي منطقة الجلفة، إلا قبائل هذه الأخيرة بقيت تتحين الفرص لتعود من جديد للانتفاضة ضد العدو الفرنسي، فبمجرد لجوء الثائر بومعزة لمنطقة الدراسة احتضنه أهلها وأيدوه ودعموه بالمال والرجال، بل ولحقت به بعض القبائل على غرار أولاد عيسى حتى إقليم قسنطينة².

ونتيجة لذلك قررت القوات الفرنسية شن حملة على بلاد أولاد نايل لمعاقبته على مساندتها لبومعزة وتمردها مرة أخرى، لذا كلف بإعادة ترتيب الأمور الجنرال ماري مونج في بداية سنة 1847م فهاجمهم، و فرض عليها غرامات مالية شديدة، وأرسل إلى كل الأهالي والأعيان طلبا منهم القدوم إلى مكان وجوده بقلعة السطل حتى يؤكدوا استسلامهم أولا، ثم يتمركزا غير بعيد عن مراقبته في محاولة منه لتهجير هؤلاء السكان من أراضيهم حتى يسهل عليه معرفة من لم يخضع منهم لسلطته بعد، وهكذا سهّل عليهم معرفة أن فرقة أولاد كرد الواد من أولاد ساعد بن سالم و كذا بعض الفرق من عرش أولاد عيسى لم يلتحقوا بدائرتهم، فأغار عليهم في شهر فيفري في حملة سقط فيها 50 قتيلا من أولاد عيسى³.

1 - 3 - 2 في ثورة أولاد سيدي الشيخ (1864):

اندلعت ثورة أولاد سيدي الشيخ ابتداء من 8 أفريل 1864م في "عوينة بوبكر" بالقرب من البيض؛ بعد اقتناع سي سليمان بن حمزة باشاغا أولاد سيدي الشيخ الشراقة بفكرة

¹ François De Villaret: **op. cit**, p: 119.

² Ibid, p: 116.

³ عمر خضر: مرجع سابق، ص: 49، 48. لمزيد من التفاصيل حول حملة ماري مونج هذه أنظر، ص: 88.

الجهاد التي يبحث عنها عمه " سي العلا "، هذا الأخير كان مؤمن بفكرة أن أخاه " سي حمزة " وابن أخيه " بوبكر " قد تم قتلها بالسم من قبل الفرنسيين.

تواصلت ثورة أولاد سيدي الشيخ و ازداد عدد أتباعها لتعم كل نواحي الغرب الجزائري والوسط، حيث سارت الكثير من القبائل والعشائر معهم، وكان ممن سار معهم جزء كبير من القبائل ومنها قبائل منطقة الجلفة، إذ دخلت المنطقة في فوضى كبيرة¹، ومن مظاهر هذا التمرد كما عبر عنه الفرنسي، إحراق العديد من المواقع التي أنشأها العدو لإحكام السيطرة على المنطقة كمراتع للقوافل في عين وسارة وقلعة السطل وسيدي مخلوف، وقطع خطوط التلغراف².

هذا الوضع والذي وصف من طرف الكتابات الفرنسية بالمتري، جعل الحاكم العام الفرنسي للجزائر والجنرال يوسف يستدعون فيالق إضافية، لتشديد الخناق على قبائل بلاد أولاد نايل لعزل ثورة أولاد سيدي الشيخ من أي دعم، ومن الاشتباكات التي دارت بين قوات الاحتلال وقبائل منطقة الجلفة والمتزامنة مع ثورة أولاد سيدي الشيخ، تلك التي وقعت بين فرقة العقيد أرشينارد وقبائل منطقة الجلفة، في منطقة الزعفران بتاريخ 9 سبتمبر 1864م، هذا الاشتباك فصل فيه تروملي فأورد³: أنه حوالي الساعة الخامسة من التاريخ المذكور أعلاه العقيد أرشينارد أثناء تواجده بمنطقة الزعفران، سمع دوي طلقات البنادق في مقدمة الجانب الأول من المعسكر، الكتبان الرملية التي تحيط بالمعسكر لم تمنح فرصة معرفة عدد المهاجمين، فأمر العقيد أرشينارد الملازم ميسايلي، قائد الفوج الأول للقناصة الجزائريين، بأن يلحق في الحال المتمردين - كما سماهم تروملي -، هذه المجموعة الاستطلاعية استقبلت بوابل غزير من الطلقات الأمر الذي كشف العدد الكبير للأعداء (المجاهدين)، وعلم الملازم ميسايلي، قائد الفرقة، بأن غالبية جيش المتمردين (على حد تعبير تروملي) مختفي وراء الكتبان، ومن المحتمل أن يكون عددهم معتبرا، فأعطى العقيد أمرا للفرسان النظاميين تحت إمرة المقدم كولوت الفوج الثالث للفرسان، بأن يفكوا الضغط ويساندوا المقاتلين

¹ شولي بلخضر: مرجع سابق، ص: 349.

² Trumelet (C): " Notes pour servir Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 ", IN: R. A, VOL: 23, Alger, 1879, p: 339.

Trumelet (C): " Notes pour servir Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 ", IN: R. A, VOL: 24, Alger, 1880, p:19.

³ Ibid, pp: 15, 16.

المشتبكين مع المقاومين، ونبه هذا الضابط السامي؛ أنه مع أي طارئ فإن نصف كتبتين من المشاة تتبعه عن قرب...، واصل تروملي وصف هذه المعركة فأورد: أنه في لمح البصر الصباحية والفرسان كانوا على صهوة الجياد، ورغم الإرهاق بعد يوم طويل مضني، كانوا يدورون بهرولة كبيرة وبكثير من الحماسة. دفع المقدم كولوت بفيلق الصباحية لمساندة المخازنية، ليحمل عليه العلف، أو ليدعم بهم الخط المشكل من قبل المقاتلين (القوم). الذين كان عددهم قليلا جدا، لكن لما أحسوا أنفسهم مسنودين، وقفوا بصلاية، بعد عزلتهم دون أي عقدة خوف، الصباحية، الذين كانوا يحملون في قلوبهم إهانة طاغين، هجموا على المتمردين. بعد ذلك صار القتال شنيعا، نصف الكتيبة 36 للمشاة والأولى للقناصة الجزائريين، الذين شكلوا قوة الإسناد والانسحاب، عادو للمعسكر ليلا دون إطلاق رصاصة واحدة.

خسر الفرنسيون في قتال الفرسان قتيلا وستة جرحى، من بينهم الملازم ويندهام، من الكتيبة الأولى للصباحية، رقيبين من الأهالي، صباحي فرنسي وصباحيين من الأهالي. الرقبين و الصباحي الفرنسي لفظوا أنفاسهم مع المساء، أما الملازم ويندهام، فمات متأثرا بجراحه في 13 سبتمبر، في حين لم يعطي تروملي عدد القتلى المجاهدين واكتفى بقول: أن خسائر العدو من المفترض أنها كانت أكثر ارتفاعا، لكن نزول الليل لم يسمح بإحصائها، ولو بالتقريب. بعض الخيول الميتة أو المجروحة بقيت في الميدان، وأخرى تبعت فرسانها من مقاتلي العدو تدل على أهمية خسائر المتمردين (المجاهدين).

كما أنه حوالي منتصف شهر أكتوبر 1864، وأثناء غياب الجنرال يوسف عن الحصن العسكري بالجلفة، هاجم رجال المقاومة من أولاد نايل الحصن، ووقع اشتباك بينهم وبين القوات الفرنسية¹، أخذ سي شريف بلحشر قومهم (مقاتليه) للهجوم المعاكس. قتل مع القايد قدور². غير أن تقرير نهاية سنة 1864 يروي فقط أن سي شريف قتل أثناء هذا الهجوم المعاكس.

أما عن قبائل المنطقة التي التحقت بمقاومة أولاد سيدي شيخ هي: أولاد سيدي يونس، أولاد سي أحمد، أولاد أم هاني، أولاد ساعد بن سالم، أولاد يحيى بن سالم، وربما العبايزر،

¹ Trumelet (C): **op. cit**, p: 257- 259.

² Ibid.

بالإضافة إلى أولاد عمران (أولاد الغويني)، أولاد شيبوط (أولاد عبد القادر)، وبعض خيم أولاد بو عبد الله، أولاد لعور وأولاد لخضر الذين ابتعدوا إلى الجنوب في شبه تمرد¹.

ومما سبق فإن جل قبائل منطقة الجلفة شاركت في ثورة أولاد سيدي الشيخ، مما جعل القوات الفرنسية تسير لها العديد من الطواوير العسكرية لردعها طيلة حوالي سنة، فلم تترك لها وقتا للراحة ولا الهدنة، ومنعت عنها الأعلاف والمياه، مما جعلها تعيش حالة بؤس مزرية، جعلها تطلب الأمان وتتشفع للعودة لأراضيها، وتتوسل لمنحها منفذا للتل، الذي يعتبر ضروريا لها.²

1 - 3 - 3 في ثورة المقراني و الشيخ الحداد (1871):

اندلعت ثورة المقراني بتاريخ 16 مارس 1871م والتحق به الشيخ الحداد بتاريخ 8 أبريل 1871م، انطلقت الثورة من مجانة؛ وامتدت لتشمل نصف بلاد الجزائر تقريبا؛ من الجزائر العاصمة غربا إلى القل شرقا، ومن البحر شمالا إلى عين الطيبة في أعماق الصحراء، اشتعل لهيب هذه الثورة وأقلق العدو، لذا قامت السلطات الفرنسية بتكليف الجنرال سوسي للقضاء عليها منذ بدايتها انطلاقا من مجانة، وقد حدث خلال هذه الثورة ثلاثمائة وأربعين معركة كبيرة زيادة على المعارك الصغيرة، وارتفع عدد الثوار الجزائريين إلى مائتي ألف محارب، في حين بلغ مجموع أفراد القوات الفرنسية التي اشتركت في قمع الثورة ثمانمائة ألف رجل الذي تكون من؛ الجيش الافريقي والبحرية، والميليشيات من المستوطنين المهاجرين، والعملاء³.

والذي يهم الدراسة هنا هو مشاركة قبائل منطقة الجلفة فيها، فقد كلف قائد الثورة محمد المقراني صهره السعيد بن داوود بمهمة قيادة الثورة في منطقة الحضنة وبوسعادة والجلفة، إذ نجح هذا الأخير في اقناع قبائل منطقة الدراسة في الانضمام إليه، خاصة وأننا نعلم أن الناحية الجنوبية الشرقية لمنطقة الجلفة كانت تحت سلطة الباشا محمد المقراني⁴.

¹ François De Villaret: op. cit, p: 127.

² Trumelet: " notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger de 1864 à 1869 ", IN: R.A, VOL: 25, 1881, p: 38.

³ بسام العسلي: محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، ط:3، دار النفائس، بيروت، 1990، ص ص: 11، 135.

⁴ نفسه، ص: 123، 136،

كان السعيد بن بوداود حريصا على تكثيف المقاومة، فانتقل شخصيا إلى أولاد نايل في 17 جويلية 1871، وكان لهم دور كبير في كل الحملات التي قادها السعيد بن بوداود على العليق الواقع على 20 كم من جنوب بوسعادة، إلا أنه لم يتمكن من السيطرة عليه، وفي 8 أكتوبر 1871 لحق الجنرال سوسي SAUSSIER بـ السعيد بن بوداود وبومزراق المقراني في جبال المعاضد وكبدهم خسائر مروعة، كما تم الاستيلاء على كل زمالة أولاد المقراني الذين لاذوا بالفرار، وكادوا أن يهلكوا عن آخرهم غير أن حوالي 200 شخص منهم اتجهوا نحو سد الجير بالحضنة بين بوسعادة وسيدي عيسى، فجمعوا قطعانهم والوسائل الضرورية للفرار باتجاه الجنوب، ومن هناك إلى عقلة البيضاء عند أولاد نايل الذي بقوا أوفياء لهم إلى آخر لحظة وبعد أن تباينت أرائهم استقر موقف معظمهم على الهجرة نحو تونس عبر الطريق الجنوبية¹.

استطاعت قوات العدو رصد أثرهم بعقلة البيضاء، فقام القائد الأعلى ببوسعادة وبالجلفة بتعقب أثرهم، غير أن معرفة سعيد بوداود المتينة بأولاد نايل جعلته ينال مساعدتهم ودعمهم له، وكانوا الدليل الذي أرشده إلى طريق، وبذلك نجح أولاد نايل والقبائل المجاورة لهم في إفشال كل محاولات البحث والتجري التي قام بها الفرنسيون، وتمكن الفارون من الوصول إلى مجدل وعين مقران وواد جدي، وهنا يوضع حد للانتفاضة في منطقة الحضنة وبلاد أولاد نايل، إذ لم يعد المقاومين قادرين على الاستمرار في المقاومة نظرا لتباين موازين القوى².

1 - 3 - 4 في مقاومة الأغواط ومع الشريف بن عبد الله³:

في ظل توسع المقاومة التي قادها محمد بن عبد الله، وبعدما انضم إليه يحيى بن معمر شقيق الخليفة المخلوع أحمد بن سالم، والتمكن من بسط السيطرة على قصر الحيران في 31 جويلية 1852م⁴، جعل القوات الفرنسية تطارد محمد بن عبد الله، إلا أنه استطاع التحصن

¹ A.N.O.M. G. G. A 10H/88,

نقلا عن حسان مغدوري: "لمحات عن مقاومة أولاد نايل للاحتلال الفرنسي في الجزائر خلال القرن التاسع عشر من خلال وثيقة أرشيفية بأرشيف ما وراء البحار باكس - ان بروفانس"، مقال منشور في كتاب الحلقة مسيرة كفاح 1830-1962، فعاليات الملتقى الوطني الأول 25-26 جوان 2013م، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص: 195، 196.

² نفسه، ص: 196.

³ للتعرف على هذه الشخصية أكثر أنظر ص: 101 هامش 1 من الأطروحة

⁴ تروملي: مرجع سابق، ص: 99، وبن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 331.

في قصر الأغواط، دعمت قبائل منطقة الجلفة مقاومة محمد عبد الله شريف، فقد بلغ عدد جنود محمد بن عبد الله في شهر سبتمبر حوالي 1200 إلى 1500 فارس من الأرباع وأولاد نايل¹، ومن هذه الأخيرة: أولاد سي أحمد، أولاد أم هاني، أولاد لعور وأولاد يحيى بن سالم بقيادة تلي بن لكحل².

وتجدر الإشارة أنه أثناء مطاردة الجنرال يوسف لمحمد بن عبد الله في شهر أكتوبر لاحظ أن بوادر التمرّد قد بدأت تظهر لدى بعض القبائل المقيمة بضواحي وادي جدي (أولاد ساعد بن سالم أولاد طعبة) وهي تستعد للالتحاق بالشريف بن عبد الله³، فقام الجنرال يوسف على رأس طابور عسكري بالتحرك نحو المنطقة، وفي طريق عودته مر بمسعد أين وجد مستودعا للمؤونة (الحبوب) تابعا للشريف بن عبد الله فحجز ما به من مدخرات، ثم اتجه نحو الشمال الغربي أين دخل في اشتباك مع أولاد طعبة في 13 أكتوبر 1852 بجبل كربيط، ثم عدل عن ذلك لاشتغاله بأمر معركة الأغواط، إلا أن أول قبيلة تتعرض للمعاقبة مباشرة بعد سقوط الأغواط على يد الضابط بان، هي قبيلة أولاد طعبة عقابا لها لمساندتها مقاومة محمد بن عبد الله .

بعد سقوط الأغواط في 4 ديسمبر 1852م التي ارتكب فيها العدو مجزرة رهيبة راح ضحيتها 2500 من المواطنين العزل⁴، من بين القتلى مجموعة من قادة أولاد نايل الذين تبعوا محمد بن عبد الله⁵، كما تمكن محمد بن عبد الله الفرار من قوات العدو⁶ ومعه التلي بن لكحل هذا الأخير وصل تماسين عبر ورقلة ليشارك هناك بمقاومة.

1 - 4 - المقاومة المحلية:

لم يكتفي أبناء منطقة الجلفة بوقوفهم إلى جانب زعماء المقاومة الوطنية فقط، بل المنطقة أنجبت هي الأخرى زعماء محليين أمثال: التلي بن لكحل، بوشندوقة، وعبد الرحمان طهيري، هؤلاء أيقضوا مضاجع العدو كلما سمحت لهم الفرصة بذلك، بل أكثر من ذلك فقد

¹ تروملي: مرجع سابق، ص: 100.

² François de Villaret: **op. cit**, pp: 121, 122.

³ Ibid., p: 123.

⁴ تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 334.

⁵ François de Villaret: **op. cit**, p: 123.

⁶ تروملي: مرجع سابق، ص: 103.

جندت عرش بأكمله، حاربت العدو واضطرتته في كثير من الأحيان أن يشن عليها أكثر من هجوم، ومن هذه العروش: أولاد سي أحمد وأولاد أم هاني وأولاد ساعد بن سالم (أولاد طعبة)، أولاد أم الاخوة، أولاد لعور.

1.4.1 مقاومة التلي بن لكحل:

التلي بن لكحل هو أحد القادة الذين كانوا ضمن الجهاز الإداري الذي وضعه الأمير عبد القادر لبلاد أولاد نايل، فقد شغل منصب شيخ أولاد سي أحمد ثم عين أغا عليهم عندما أعاد الأمير تنظيم إدارة المنطقة¹.

سبب الشيخ التلي بن لكحل الكثير من المتاعب للقوات الفرنسية وممثليها بالمنطقة، ومنها: الهجوم الذي قاده ضد قافلة خليفة الأغواط "أحمد بن سالم" التي كانت في طريقها إلى المدية ومعها المواشي التي تم تحصيلها من ضرائب "الزكاة"، تكبد فيها خليفة الأغواط خسائر في المواشي والمتاع والخيم وتفريق شمله، كما تمت الإشارة إليه في فصل التوسع.

كان تلي بن لكحل ومعه سي الشريف بلعرش إلى جانب الأمير عبد القادر أثناء معاركه، خاصة في الفترة التي كان فيها الأمير عبد القادر يتردد على منطقة الجلفة وحتى خارجها، وكان يوفر الحماية والدعم لجيش الأمير في حله وترحاله، و بقي معه حتى غادر المنطقة حيث افترقا في سيدي بوزيد يوم 29 أبريل 1846م².

وفي نهاية سنة 1846م عندما لجأ بومعزة إلى منطقة الجلفة ودعمته قبائلها، قد يكون التلي بن لكحل دعمه، هذا الدعم عرض المنطقة لحملة فرنسية جديدة كعادتها لعزل الشعب عن زعمائه وقتل روح الجهاد فيهم، بعد هذه الحملة يبدو أن التلي بن لكحل رأى من الضروري في هذه الفترة طلب الأمان، خاصة وأن قواه بدأت تنفذ وإحكام قبضة السلطة الفرنسية على المنطقة وإرهاق أهلها بقوة السلاح، ولم يتردد الفرنسيون في الموافقة على طلب التلي بن لكحل بعد أن بدا لهم أنه شخصية مهمة، بل و عينوه أغا على أولاد نايل في ربيع 1847م³.

¹ لتفاصيل أكثر أنظر: ص: 143

² لتفاصيل أكثر أنظر ص: 114

³ أنظر تفصيل هذه الحملة، ص: 90 .

كان استسلام شيخ التلي بن لكحل مناورة منه فقط، لكسب بعض الوقت ليتمكن من إعادة ترتيب شؤونه استعدادا لإعادة بعث مقاومته للاستعمار، مستغلا في ذلك منصبه، بدأ في التحضير لمقاومة جديدة ضمت قبائل: أولاد سي أحمد، أولاد ساعد بن سالم، أولاد أم هاني تحت قيادته في أكتوبر 1849م - تزامنا مع ثورة الزعاطشة بالزيبان- فهاجمتهم القوات الفرنسية في الزعفران¹، غير أنها لم تقتل منهم حيث كانوا قد غادروا المنطقة والتحقوا بالجبال القريبة من مسعد²، وفي سبتمبر 1852 التحق التلي بن لكحل ومن تبعه من عروش أولاد نايل بمحمد بن عبد الله في ورقلة³.

بعد سقوط الأغواط استطاع قادة المقاومة: يحيى بن عمر، التلي بن لكحل، الشريف محمد بن عبد الله و ابن ناصر بن شهرة، ومن بقي على قيد الحياة من المقاومين الفرار من قوات العدو جنوبا، وواصل المجاهد التلي و من معه من مجاهدي أولاد نايل المقاومة في الجنوب إلى جانب: محمد بن عبد الله؛ بن ناصر بن شهرة؛ أحمد بن سالم بن دهقان، حيث شارك في معظم المعارك التي خاضتها المقاومة ضد الاحتلال في الجنوب، إلى أن شارك في معركة قرب تماسين بضواحي تقرت في حدود 15 جانفي 1854م أين تعرض لإصابات بليغة في كامل أنحاء جسمه وحمل كالميت، بعد شفائه حكم عليه بالنفي لكن عفي عنه بسبب كبر سنه⁴.

وهكذا فقد أفنى الشيخ التلي بن لكحل حياته في المقاومة حتى آخر أيام عمره، بدءا برفقته للأمير، وأبطال الأرباع بقيادة ناصر بن شهرة محمد بن عبد الشريف، ومعركة "أحمد بن سالم بن دهقان" قرب تقرت.

¹ Arnaud: "Histoire de Oulad Nail...", IN: R.A,V: 17, 1873, op .cit, p: 378.

² François De Villaret : op. cit, p: 119.

³ أنظر مقاومة الشريف محمد بن عبد الله، ص ص: 123، 124.

⁴ SEROKA: " le Sud constantinois ..", IN: R.A, V: 56, op .cit, pp: 549, 550, et François De Villaret: op. cit, p: 124.

1. 4. 2 مقاومة أولاد ساعد بن سالم و فرعها أولاد طعبة:

1. 4. 2. 1 مقاومة أولاد ساعد بن سالم:

يتوزع عرش أولاد سعد بن سالم بالمناطق الممتدة من قصري الشارف و زينة شمالا إلى سيدي مخلوف غربا، شرقا إلى ما وراء قصر المجبارة، و جنوبا إلى ما وراء وادي جدي، وفي قصر مسعد تتلاقى حدود أولاد ساعد بن سالم (فرقة أولاد طعبة) بحدود أولاد عيسى الغرابة¹.

فأثناء مطاردة الأمير عبد القادر بمنطقة الجلفة، قام الجنرال يوسف بغزو قصر زكار أين تربض فرقة أولاد ساعد بن سالم في 5 أفريل 1846م وهدم منازلها، واضطهد سكانها وعاقبهم بشدة وفرض عليهم ضرائب كبيرة عقابا لهم على استقبالهم الأمير عبد القادر ومساندتهم، ولم يكتفي الجنرال يوسف بذلك بل قام بغزوهم في مضاربهم في يوم واحد ثلاث مرات لأنهم استقبلوا الأمير وساندوه، ووقفوا إلى جانبه وأمدوه بالسلاح والمال والرجال، كما فرض عليهم ضرائب وعقوبات قاسية و صارمة جدا وصادر مواشيهم وممتلكاتهم بهدف افقارهم، فهذه القبائل حسب التقارير الفرنسية كانت تتمرد كلما توفر لديها فائض من الحبوب كما تم الإشارة إليه أثناء الحملات الفرنسية على منطقة الجلفة².

كل هذه العقوبات التي تعرضت لها فرقة أولاد ساعد بن سالم، لم تمنعهم من الالتحاق بتمرد التلي بن لكحل في شهر أكتوبر 1849 إلى جانب كل من أولاد سي أحمد وأولاد أم هاني والذي كان متزامنا مع ثورة الشيخ بوزيان بالزعاطشة، لذلك قام الملازم أول قريقوار (le lieutenant Gruard) والملازم كاريو (sous-lieutenant carrus) بحملة على الزعفران بزاغز الغربي، بغزو مضارب القبائل السابقة و من بينها أولاد ساعد بن سالم، فقدت هذه القبائل في هذه الحملة الكثير من أبنائها و تمت مصادرة كل ما وقع من مواشيها تحت أيدي قوات الاحتلال³.

¹ نائي سنوسي: مرجع سابق، ص: 123.

² كما تم التفصيل فيه في الفصل الأول.

³ Arnaud: " Histoire de Oulad Nail...", IN: R. A, VOL: 17, op .cit, p: 378.

واصلت قبيلة أولاد ساعد بن سالم ممثلة في فرعها أولاد طبعة، مقاومتها للاحتلال الفرنسي، ولأن هذا الفرع كانت له مشاركة بارزة في مقاومة المحتل الفرنسي، سيتم إفراد له عنصر خاص.

1. 4. 2 - مقاومة أولاد طبعة:

عقب الشروع في احتلال الأغواط بشكل مباشر، انتفضت القبائل المحيطة بها، وعلى رأسها فرقة أولاد طبعة التي لم تدخر جهدا للدفاع عن إخوانهم بالأغواط، وهذا ما تشهد به الحملة التي شنّها الجنيرال يوسف وهو في طريقه إلى الأغواط كما تم الإشارة إليه، إلا أنه عدل عن ذلك بسبب انشغاله باحتلال الأغواط، ليقوم مباشرة بعد احتلال الأغواط، بإعطاء أمر للضابط بان في أكتوبر 1852م بشن حلم ضد هذه القبيلة، لتأديبها على موقفها المعادي لحملة الفرنسية على الأغواط وتقديم الدعم لها¹.

ولم تكد تنتهي مقاومة أولاد ساعد بن سالم ممثلة في فرعها أولاد طبعة، حتى اندلعت مقاومة أولاد أم الاخوة.

1. 4. 3 - مقاومة أولاد أم الاخوة (أكتوبر 1854) بقيادة ابن هاشم:

على الرغم من نجاح القوات الفرنسية في تثبيت الاحتلال في الجهات الوسطى و مشارف الصحراء حيث تمكنت من احتلال بسكرة، بوسعادة و الأغواط، إلا أن المقاومة كانت لا تزال مستمرة في منطقة الجلفة، ففي سنة 1854م كان الوضع في جهتها الجنوبية مضطربا فانفضاضة قبيلة أولاد طبعة كانت لاتزال قائمة، و كان جواسيس المكتب العربي بالجلفة يرصدون قبائل هذه المنطقة و يعلمون بالدور الفعال الذي يقوم به رسل الشريف بن عبد الله السريون الذين كانوا يجوبون هذه القبائل دون توقف لحثهم على المشاركة في الجهاد².

و كانت عيون كولونا ضابط المكتب العربي بالجلفة ترصد هذه التحركات و تركّز على أولاد أم الاخوة الذين ألقى القبض على 50 رجل منهم، فعملت سلطات الاحتلال على تطبيق استراتيجية تهدف إلى تثبيت هذه القبائل وتركيزها في مناطق معينة للحد من تنقلها، وبالتالي تسهيل مراقبتها والتحكم فيها، والحد من خطورتها في حال التمرد أو

¹ لتفاصيل أكثر عن هذه الحملة، أنظر ص: 98 - 110.

² Arnaud: " Exploration du Djebel Bou Kahil... ",IN: R A, VOL: 6, op. cit, p: 260.

الثورة، و في إطار هذه الاستراتيجية " سمح القائد العسكري بالأغواط دوباراي لقبائل أولاد نايل بالتنقل بخيمها إلى مناطق المراعي الخصبة شمال وادي جدي و حتى حدود مسعد لتثبيتها، حتى تسهل مراقبتها وخاصة أولاد عيسى وأولاد أم الاخوة الذين يبقى " ولاءهم لفرنسا مشكوك فيه دائما "، و لفرض الرقابة المستمرة على هذه القبائل طلب دوباراي من ضابط بيرو غرب بالجلفة كولونا دورنانو (Colona de Rnano) التوجه جنوبا إلى مسعد على رأس قافلة تتكون من 400 جندي من القوم و المخزن و الجنود الفرنسيين إضافة إلى 20 من حملة الرشاشات من الأهالي¹.

غادرت تلك القافلة الجلفة بتاريخ 10 أكتوبر 1854م؛ خيموا في اليوم الأول بالمجبرة ثم واصلوا طريقهم إلى عين الناقة التي وصلوها في اليوم الموالي ووضعت الحراسة في كل جهة، كما كانت هناك نقاط متقدمة للمراقبة على المرتفعات، وكان الهدف من كل ذلك تدريب (العرب) والفرنسيون على اتخاذ الحيطة والحذر².

انتهى مخيم عين الناقة يوم: 12 أكتوبر 1854 وشرعت القافلة في السير متوجهة نحو مسعد، في تلك الأثناء وصل المارشال جيلبار دو بواي (Gilbert de Boye) الملقب بالمارشال دي لوجي (De Logie) لتحذير الضابط كولونا (Colona) بأنهم رصدوا مجموعة من الفرسان العرب مسلحة تتجه نحو فرقة من القافلة الفرنسية تخلفت عن السير مع المجموعة، و أن أولئك الفرسان هم جنود (بن هاشم) قائد أولاد أم الاخوة الذي بدؤوا يطلقون النار على القافلة الفرنسية، رصاصاتهم أصابت رجل حصان دي لوجي (De Logie) فأرد أن يترجل، لكن طلقا ناريا آخر أصابه في كليته فأرداه قتيلا على الرمل³.

طلب قائد الفرسان الملازم قولران (Golran)، من جنوده الانتقام لما حصل وانطلق (المخازنية) والجنود الفرنسيين على إثر أولاد أم الاخوة في ناحية المنبع المائي (عند قرية عين الناقة اليوم) أثناء إطلاق النار من الطرفين حدثت فوضى في القافلة العسكرية الفرنسية، يصفها المترجم الفرنسي أرنو Arnaud - الذي كان مرفقا لتلك القافلة - فأورد: تشتت القافلة، الجمال خائفة تجري في كل اتجاه بعدما تخلصت بصعوبة من حملتها، القرب في جهة، أكياس الشعير في جهة أخرى مبعثرة، صناديق البسكويت فتحت عند سقوطها، وعلى

¹ Mangin E: " Note Histoire de Laghouat ", IN: R A, VOL: 39, 1895, pp: 25, 26.

² Arnaud: op. cit, p: 260.

³ Ibid, pp: 260, 261

بعد 40 خطوة توجد جثة جيلبار دو بواي منزوعة الملابس ومذبوحة والجراح تغطي صدره ووجهه، ومن جرح كبير في بطنه يخرج جزء كبير من الأمعاء¹.

بعد الهجوم المفاجئ الأول تجمع أولاد أم الإخوة مرة أخرى بقيادة (ابن هاشم)، وأعادوا الهجوم على القافلة العسكرية الفرنسية، وكان هدفهم هذه المرة قائد القافلة (كولونا لكن وجود أسلحة رشاشة لدى الفرنسيين واستعدادهم للهجوم في هذه المرة، وعدم تمكنهم من قتل قائد القافلة الفرنسية، جعل أولاد أم الإخوة ينقسمون إلى مجموعتين وينسحبون معتمدين على تضاريس المنطقة، بعدما خلفوا 13 قتيلا، وفي المقابل فقد الفرنسيون 04 جنود إلى جانب المارشال (جيلبار Gilbert) و09 جرحا².

من عين الناقة توجهت فرقة أم الإخوة نحو جبل بوكحيل، وخشي الفرنسيون أن يلتحق أولاد أم الإخوة بمقاومة محمد بن عبد الله شريف ورقلة، ولكن كولونا أدرك بسرعة أن مطاردتهم في جبل بوكحيل مضيعة للوقت، فأمر القافلة بالتوجه نحو مسعد، هناك دفن جيلبار بواي في مقبرة العرب، ثم انتقلت إلى واد جدي أين كانت ستمر حتما قبيلة أولاد أم الإخوة، والتي عملت بهذا التحرك الفرنسي فاستعملت أسلوب المناورة مع الفرنسيين، بأن أرسلت رسائل إلى الضابط كولونا تطلب منه العفو والأمان، لتسلك طريق آخر داخل جبل بوكحيل.

تفطن الفرنسيون لخطة أولاد أم الإخوة، ولقطع الطريق أمام التحاقهم بمقاومة جنوب الصحراء بقيادة محمد بن عبد الله، تحرك الجنرال دوبراي القائد الأعلى للأغواط يقود كتائب من الأغواط وقوم من الأرباع وبعث لمعاونته في المنطقة ليتوجهوا نحو منطقة القرارة، كما انطلق القائد الأعلى لبوسعادة ثيودور بان على رأس فيلق متجه نحو المنطقة، وتمت مهاجمتهم من القوات الفرنسية وحدثت معركة قصيرة غير متكافئة استعملت فيها المدفعية، واضطرت قبيلة أم الإخوة للانسحاب إلى الجبال³.

¹ Arnaud: **op. cit**, p: 261.

² Ibid, p: 262.

³ Ibid, p: 262, 263, et Mangin: **op. cit**, p: 26–28.

4.1 - 4 مقاومة بوشندوقة¹ :

في 12 أبريل من سنة 1861م تألف في الكرموسة تجمع تحت قيادة المقدم سيدي الصادق بن السيفر، والطيب بوشندوقة وهما من أولاد سي أحمد، بغرض القيام بزيارة إلى قبر الشيخ عبد الرحمان بن سالم جدهم، ومن دفن معه من الأجداد الصالحين بعين الريش، والانتقال من هناك إلى أولاد جلال لزيارة الزاوية والترحم على روح الشيخ المختار.

وعند وصولهم إلى المويلح، انقسموا إلى فريقين حيث واصل سيدي الصادق طريقه شرقا نحو الزاوية صحبة النساء والأولاد، بينما اتجه بوشندوقة بالرجال غربا نحو الجلفة ووصل على الساعة الحادية عشر ليلا بتاريخ 14 أبريل، فأقدم هو وجماعته على اقتحام التجمع العمراني الفرنسي ومهاجمة من به وحصاره، إلا أنه تمكن أحدهم من الفرار وبلغ القوات الفرنسية المتمركزة بالبرج، خرجت دورية مطلقة النيران تفرق المهاجمون، تبعهم بعض الفرسان وأحضروا ثمانية رجال من رجال بوشندوقة، حسب الكتابات الفرنسية الرسمية، أما حسب تداول عند السكان المحليين أن المعتقلين هم مدنيين لا علاقة لهم بالحادث.

وعند طلوع الشمس تم احصاء ثلاثة شهداء وأربعة جرحى من المقاتلين المهاجمين، وثلاثة قتلى وثمانية جرحى من الفرنسيين، وقد قام الفرنسيون بحبس المدنيين المعتقلين الذين اعتبروا أسرى في مطمورة تحت الأرض، وعقد القائد العسكري الفرنسي دوسوني الذي قدم من الأغواط في اليوم الموالي مجلسا حريبا بالجلفة.

و حكم المجلس الحربي بالإعدام على المتهمين الذين اتهموا بأنهم كانوا من بين منفذي الهجوم الذين بدوا مقتنعين بالجهاد، ونفذ فيهم الحكم حسبما تُقر به المصادر الفرنسية، لكن الذاكرة الشعبية الجزائرية بقيت محتفظة بذكرى 16 شهيدا، نفدت فيهم القوات الفرنسية حكم الإعدام بدفنهم أحياء في مطمورة التي اختلف في تحديد موقعها بوسط المدينة، والراجع أن يكون في الموضع الذي أقيم فيه النصب التذكاري المخلد لذاكرهم، وقد تسربت أخبار الجريمة المرتكبة في حق الضحايا، حيث أثارت القضية في

¹ لتفاصيل أكثر أنظر:

Arnaud: "Histoire de Oulad Nail", IN: R.A, VOL: 17, 1873, pp: 384 ...

François de Villaret: op. cit, p: 124, 125.

محمد الطيب قويدي : "مقاومة سكان منطقة مرتفعات أولاد نايل الشعبية للاحتلال الفرنسي"، مداخلة قدمت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة مسيرة كفاح، المنعقد يومي: 26/25 جوان 2013 بجامعة الجلفة، دار النعمان، 2015، ص ص: 53 - 55.

ذلك الحين جدلا واسعا في الأوساط الصحفية والبرلمانية الفرنسية باعتبارها فضيحة مخلة بالشرف العسكري، لكن هؤلاء أي العسكريين لم يعترفوا سوى بإدانتهم سبعة من المعتقلين الثمانية عشر وإعدامهم رميا بالرصاص أمام السكان تحت سور المدينة يوم 19 أفريل . والسبعة الذين تحدثت عنهم المصادر العسكرية الفرنسية هم:

بن عمر بن سعد، بلقاسم بن الصديق، يحيى بن الطيب علي بن المختار، المبارك بن عبد المالك، بوبكر بن علي، دراقة بن يطلو، و حسب المصادر الفرنسية فإن أربعة من هؤلاء ينتمون إلى أولاد سي أحمد، و ثلاثة ينتمون إلى السحاري خبيزات، و تذهب بعض الكتابات إلى أن سي الشريف بلحرش متهم بهذا العمل ولكن لنقص الأدلة التي تدينه اكتفت فرنسا بمراقبته.

و بسبب هذه الحادثة بُني السور الذي ظل يحيط المدينة حتى وقت متأخر، ويجدر التنويه أن القوات الفرنسية لم تستطع العثور على بوشندوقة وبقية مرافقيه والمتداول في المنطقة أن هذا الأخير انتقل إلى بلاد تونس حيث بقي هناك حتى آخر حياته .

1. 4 - 5 مقاومة عرش أولاد لعور:

عند تناولنا موضوع مشاركة أولاد نايل إلى جانب الحاج موسى الدرقاوي تمت الإشارة إلى أن هذا الأخير وفد على مدينة مسعد وهي مقر إقامة جل عرش أولاد لعور، ومن أن أهلها استقبلوه ورحبوا به، بل أكثر من ذلك بنو له منزل.

تعرض مقر إقامة أولاد لعور قصر مسعد إلى العديد من حملات على يد الجنرال يوسف كما أشرنا إليه سابقا لتأديبها لأنها احتضنت ودعمت الأمير¹.

في مطلع القرن العشرين وتحديدًا مع بداية الحرب العالمية الأولى ظهرت شخصية عبد الرحمان طاهري الأعوري² (نسبة لعرش أولاد لعور)، هذه الشخصية القوية دعت العروش

¹ أنظر أعلاه.

² هو المجاهد عبد الرحمان بن الطاهر (طاهيري) من عرش أولاد الأعور النابلي، ولد حوالي 1874 م ضواحي مسعد، تعلم القرآن الكريم على أيدي مشايخ زاوية سيدي الطاهر بن محمد بالقاهرة بمسعد، واصل دراسته بزاوية سيدي بن عزوز البرجي قرب طولقة، وتلمذ على يد شيخ أبي قاسم الهاملي، أخذ الطريقة الرحمانية على يد الشيخ سي عبد الرحمان النعاس بن سليمان، بعد عدة جولات بين معالم الإشعاع العلمي و الروحي استقر به المقام مدة بـ: (للكمين) قرب قصر مسعد أين أسس زاويته فقصده مشايخ زمانه خصوصا منهم شيوخ منطقة خط الجريد، من بينهم: سي أحمد بن عظامو، و الشيخ الطاهر العبيدي من تفرت، والشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي، والشيخ بيوض، والشيخ محمد الطفيش، والشيخ محمد الصغير، و الشيخ

لتكوين جيش ثوري ضد الاحتلال بل أنه دعا إلى عصيان مدني عام ضد المحتل بعد صدور قانون التجنيد الإجباري سنة 1912، ونظرا لمكانته الكبيرة بين عروش المنطقة استجابت عروش المنطقة لدعوته فألقي عليه القبض¹.

بعد الإفراج عنه أقام لقاء علمي ضم كبار المنطقة ومثقفوها منهم: الشيخ طفيش، وذلك بمنطقة بريش بمسعد تحت عنوان ثلاث ليال في الصحراء، وقد حث هذا اللقاء إلى توحيد صفوف الجزائريين ودعا لانتفاضة مغربية ضد العدو الفرنسي والإيطاليين، ويقال أنه راسل الشيخين السنوسي وعمر المختار في ليبيا وبعث إليهما الشيخ المبروك بن هبال الأخضري لتنظيم المقاومة².

و في 1915 م وقعت بينه وبين الاستعمار مشادات، جرح على إثرها تلميذه ابراهيم بن خلف الله، ثم القي عليه القبض زج به في السجن لمدة أربعة أشهر بالجلفة ثم نفي عامين إلى وجدة بالمغرب، و خلال هذه الفترة القي القبض على اثني عشر رجلا من اتباعه منهم ولده عمر.

ومن المنفى كان يحث أتباعه على مواصلة الجهاد حتى عاد إلى وطنه، ليسجن مرة أخرى بالأغواط ثم يطلق سراحه و يبقى تحت الإقامة الجبرية إلى غاية سجنه في سجن بركاجي ببربوس بالجزائر، أين شكلت له محاكمة صورية و حكم عليه بالإعدام في 14 جويلية 1931³.

الأزهاري بن المبروك... وغيرهم من مشايخ الطرق الصوفية والعلم، كما تخرج من زاويته فقهاء ذوو كفاءة في الفقه واللغة العربية منهم: الإمام محمد بن ربيع في 1938 والشيخان أبو القاسم وأبو الخير وولده الشيخ عمر طاهيري. أنظر: محفوظي عامر: مرجع سابق، ص. 35، 45، نايب سنوسي: مرجع سابق، ص: 145، 146.

¹ نايب سنوسي: مرجع سابق، ص: 146.

² مريم سعود: "أئمة و شعراء من الجلفة" ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة تاريخ و مآثر، المنعقد بالمركز الثقافي الإسلامي الجلفة، 2007، ص: 144.

³ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 25.

2 - رد الفعل السياسي لأبناء منطقة الجلفة:

أهالي منطقة الجلفة لم يكونوا بعيدين عن الاهتمام بالسياسة الدولية، وهذا ما انعكس على قصائدهم، ومراسلاتهم التي كانت متبادلة مع أعلام وحكام وأعيان العصر في ذلك الوقت، فيجد الباحث نصوصها متضمنة العديد من الأحداث الدولية التي شهدتها العالم خاصة مطلع القرن العشرين، فعلى سبيل المثال: التشطير الذي قام به علم من أعلام منطقة الجلفة الشيخ عبد القادر المسعدي¹ على القصيدة التي ألفها الشيخ عبد الرحمان الديسي والتي كانت بعنوان: "الحميدية" نسبة إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وموضوعها كان يتكلم على قضية خلع هذا السلطان سنة 1327م الموافق لـ: 1909م²، ويبرز موقف وتأثر المؤلف و المشطر بهذه القضية³، ومنها أيضا المراسلة التي كان الشيخ عبد القادر المسعدي أحد أطرافها تضمنت هذه المراسلة الانقلاب الذي قام به كمال أتاتورك ضد الخلافة العثمانية سنة 1922 - 1923م⁴.

كما أن أهالي منطقة الجلفة كانوا على دراية بالأوضاع السياسية السائدة في فرنسا وتمييز تياراتها وأحزابها، ففي رسالة موجهة من سكان الجلفة المسلمين والأوربيين، ضمت أسماء مقدماتي الزوايا وقدماء محاربي وأعيان وممثلي أعراس ومستشارا بلديا، إلى وزير الدولة موريس فيوليت، تقدموا فيها بشكر الوزير ودعمه في مشروعه الإصلاحية الخاص بالجنوب وتعديل نظامه الانتخابي، وسعيه المخلص لتقريب وجهات النظر بين المجموعتين الإسلامية والأوربية، فعبّرت الرسالة عن اهتمام أهلي بالسياسة الفرنسية واحتكاكه بالجالية الأوربية، ذات الميول الاشتراكية الواضحة المسالمة إلى حد ما، بدليل وقوفها مع موريس فيوليت في مشروعه وتوقيعها هذه الرسالة لدعمه⁵.

كما أن منطقة الجلفة لم تكن بمعزل عن الأحداث التي عرفتها الجزائر ومنها مظاهرات 8 مظاهرات 1945م التي شهدتها مناطق كثيرة من الجزائر منها: قالمة، سطيف،

¹ لتعرف على هذه الشخصية أنظر: ص: 362-373

² لمزيد من التفاصيل حول السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أنظر كتاب: أنور الجندي: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط: 1، دار ابن زيدون، بيروت، د. س. ن، ص: 96-114.

³ أنظر نص القصيدة في ملحق رقم: 7، ص: 415.

⁴ الحفناوي بن عامر غول: "عبد القادر بن ابراهيم المسعدي الجلفاوي بين تشاؤم ابن حيان وتفاؤل القصاص العبيدية"، جريدة المحور.

⁵ عبد القادر قوبع: "المؤثرات الفكرية والثقافية والسياسية في منطقة الجلفة 1900-1954م"، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة مسيرة كفاح المنعقد بتاريخ 26/25 جوان 2013، بجامعة الجلفة، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص: 162.

خراطة وغيرها، فقد قام مجموعة من أبناء المنطقة للتحضير من أجل الخروج في مظاهرات سلمية، التي خطط لها كل من: محاد بالحاج، والسعيد وشكالي الطيب، تفتنت السلطات الفرنسية لهذه التحضيرات، وهذا ما انعكسه الإجراءات الأمنية الفورية التي قامت بها في نفس اليوم بالمنطقة، إذ اعتقلت عدد من المناضلين بالمنطقة مثل: الحاج قويدر، خليل يونس، بلهادي بن محاد بن علي، المصطفى بن لطرش، سالت الميلود، عمار النعاس، قرش موسى ونفت عدد منهم¹، - هذا النفي لم يمنعهم من القيام بدور إيجابي في المناطق التي نفوا إليها، فقد قام محمد بن علي بن بلهادي بتنشيط خلايا حركة انتصار الحريات الديمقراطية بالمنطقة، كما تمكن من تأسيس فرع للمنظمة الخاصة²، كما قامت السلطات الفرنسية بوضع حراس على أبواب مدينة الجلفة: باب الشارف؛ باب بوسعادة، كما أعطت الأوامر بغلق أبواب المدينة بالليل³.

كما حظيت المنطقة بزيارة زعماء الحركة الوطنية الجزائرية في تلك الفترة منهم: قادة التيار الاستقلالي مثل: مصالي لحاج رفقة بوقدوم المسعود نائب بالبرلمان بتاريخ أفريل 1948م⁴، يوسف بن خدة قبيل الثورة، والسادة محمد الدخلي وأحمد بودة، ودماغ العتروس، والأمين بلهادي، وخليفة بن عمار، ومرباح مولاي،... وغيرهم؛ أما عن زعماء التيار الاندماج، فقد ذكر أن فرحات عباس زار المنطقة وذلك سنة 1947م⁵.

كان لتيارات الأحزاب السياسية الجزائرية باختلاف مشاربها، مناصرين في المنطقة، إلا أنه لم تجد الباحثة في المراجع سواء منها المكتوبة أو الشفوية التي تكلمت عن الأحزاب الوطنية بمنطقة جلفة ذكرا أسماء هؤلاء الأنصار قبل مظاهرات 8 ماي 1945م، فكل المراجع التي تحصلت عليها الباحثة، أوردت وجود أنصار للتيارات الوطنية بمختلف مشاربها بعد هذا التاريخ.

¹ شهادة شكالي طيب، ملحق متحف المجاهد بالجلفة، تم الاستماع بتاريخ: 2018/01/29 على الساعة: 10:15 صباحا، بمقر ملحقة المتحف بمدينة الجلفة.

² السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية الجلفة (1954-1962م)، ط: 1، 2014، ص: 22.

³ شهادة شكالي طيب، مرجع سابق.

⁴ السجل الذهبي لشهداء الثورة التحريرية لولاية الجلفة...، مرجع سابق، ص: 22، ذكر لي الشيخ بوخلخال في لقاء جمعي به بمقر سكانه بمدينة الجلفة، بتاريخ: 14 أكتوبر 2018 على الساعة 42 : 14 مساء، أن تاريخ قدوم مصالي لحاج إلى الجلفة كان بتاريخ 1949م.

⁵ السجل الذهبي...، مرجع سابق، ص: 22.

2 - 1 - نشاط حزب الشعب ومناصريه في منطقة الجلفة:

برز نشاط حزب الشعب في منطقة الجلفة عقب مجازر 8 ماي 1945م، إذ قام قادة الحزب بالدعوة للاستعداد للثورة، بجمع السلاح وتوزيع المهام¹، فأتي السيد بن مهل محمد من البرواقية مسؤول النظام العسكري السري جنوب المدية إلى الجلفة، واتصل بالسيد بـسيكة العمري مسؤول النظام العسكري بمدينة الجلفة، كما اتصلوا بجماعة من مسعد من أجل المساندة، واتصلوا بأعضاء التنظيم بالمنطقة وخاصة مومن محمد الصغير وكل ذلك تم ما بين 10 أو 12 و 13 ماي 1945م، وبعد اقتناء السلاح تم إدخاله لمدينة الجلفة بواسطة محمد بن علي، وبمساعدة موسى بن العقون على الساعة الرابعة، وقام محمد بن علي بإخفاء السلاح عند " الحبيب بن الصحراوي"² - و بقي السلاح مخبأً عنده إلى غاية 1956م- (أي بعد التحاقه بالثورة)، وهذا بعدما كان منتظر تفجير الثورة في 23 ماي 1945م لكن العملية تأجلت بمكالمة هاتفية تلقاها السيد الكشاف زناتي بتاريخ 18 ماي 1945م وكانت كلمة السـرهي " الغنم ذيك ما تبـيعهاش"، فابـلـغ السيد بـسيكة العمري³.

بعد تأسيس حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية سنة 1946م، تواصل النضال السياسي بالمنطقة ومن الأعضاء الذين مثلوا هذا الاتجاه: بلحـرش زين العـابدين، بن جدو محمد بن عبد الرحمان، طـيـباوي عصمان، برجـي علي، عيسى لقـايد، مختار القرية، أحمد بن قويدر، لقهيـري عامر، خالـدي أحمد... إلخ.

كان النشاط السياسي متواصلا بين قادة الحزب والمنطقة بواسطة التقارير للمداخل والمناشير المتبادلة وكانت هذه التقارير تحتوي على (وصف لحالة البلاد، المداخل، الاعتقالات، الاشتراكات المالية للمناضلين...)، وكان نشاط الحزب سياسي وعسكري، مثل الجناح السياسي: الشيخ شكالي أحمد نفوذه كان ممتد من قصر البخاري حتى الأغواط، أما الجانب العسكري فقد مثله في الجلفة بـسيكة العمري، وفي النواحي كان المسؤول عنها بلحـرش الزين، وقد امتد التنظيم العسكري السري إلى المنـيعة، وكل شهر كان يأتي مبعوث لأخذ التقارير الخاصة بالمنطقة، ومن بين الذين كانوا يقومون بهذا العمل:

¹ كلف أحمد شكالي بقطع أسلاك الهاتف التي في طريق بوسعادة.

² هذا الشخص في الظاهر اعتبر قوميا لكن في الحقيقة كان ثوريا.

³ شهادة شكالي الطيب...، مرجع سابق، السجل الذهبي...، مرجع سابق، ص: 22.

الدخلي محمد، أحمد كزواي، قدور بوضاية، إبراهيم... إلخ، فدورهم ربط الاتصالات بين المناطق وغالبا ما يتخفون بأسماء أخرى (مزيفة) واستمرت هذه العملية إلى غاية 1953م.

كانت الاجتماعات التي عقدها أعضاء حركة انتصار الحريات الديمقراطية في المنطقة تتم بشكل سري في عدة محلات بمراكز متعددة، ومنها محل كان أمام فندق سن اللبأ.

وأثناء الانتخابات التي نظمت في 1951م التي سيرها في المنطقة مولاي مرياح وفاز فيها البشير بلحشر، إلا أن السلطات الفرنسية زورت النتائج لصالح شخص آخر يحمل هو الآخر نفس اللقب، لكن مولاي مرياح ذهب إلى الحاكم العام ليحتج على تزوير الانتخابات فردّ الحاكم العام: "إذا أردت فساخرجك"، فرد عليه مولاي مرياح "أنتم الأجانب الذين ستخرجون".

وأثناء وقوع أزمة حركة انتصار الحريات الديمقراطية في 1953م وانقسم أعضائها إلى مصاليين ومركزيين، ناصر أعضاء الحركة بالمنطقة الاتجاه المصالي وذهب الشيخ شكالي أحمد إلى بلجيكا لحضور مؤتمر "هورنو" في جوان 1954م، وكان مطلبهم الاستقلال التام وبقي الشيخ لمدة أربعة أيام.

ومن أبناء المنطقة الذين كانوا ينتمون إلى حزب الشعب، محمد الرايس الذي تمذهب بمذهب حزب الشعب، واعتقه إيمانا منه بأن الاستقلال لا ينال بالتمني والانتخابات ولكن بالعمل الثوري المنظم رغم أنه كان عاملا في صفوف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفي نظره أن هناك فرقا كبيرا بين التمذهب السياسي والعمل المدرسي، وقد ظهر نشاطه السياسي في أعماله وفي شعره فلم يتمالك نفسه عندما انتصر "حزب الشعب الجزائري" في انتخابات 1948م بالمجلس الوطني أن يعلن فرحته بهذه الأبيات:

أدر كأسها صرفا فنصري تحققا ونجم "انتصار الحريات" تألقا

وقل إنّ حزب الشعب أصبح سيّدا ولا تخش لوما من حسود تمشدا

فقد غمرت أصدائه القطر كله وعمته في ذا اليوم غربا ومشرقا¹

¹ سالم علوي: مجلة لمحات ناصعة، ع: 16، ديوان المطبوعات الجامعية، ص: 35-39.

لا غرو فالإخلاص رائد حزبنا و مصلحة الشعب الذي قد تمزقا

2 - 2 - حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

كان يمثله في المنطقة العديد من الأعضاء منهم: عمران النعاس، دروازي الحاج بن فايت، الحنتيت أحمد، القاضي النعاس، عبد القادر بلقرن... ومحمد شونان، هذا الأخير تعرض للسجن عدة مرات بسبب مواقفه السياسية، فقد كان أول من قام بمظاهرة بالجلفة لمساندة مظاهرات 08 ماي 1945م¹.

2 - 3 - الحزب الشيوعي²:

لم تكن له قاعدة في المنطقة، وقد مثله عبد الله براهيم.

مما سبق نستنتج أن أبناء منطقة الجلفة وجربوا مختلف أساليب الكفاح، بداية من المقاومات الشعبية إذ وقفوا في وجه المستعمر طيلة القرن 19 م وشاركوا في معظم المقاومات الشعبية عبر أغلب مناطق الوطن، واحتضنوا ودعموا زعماء المقاومة، بل أكثر من ذلك فإنهم لم ينتظروا زحف قوات العدو إليهم، بل هم زحف إليها في السنوات الأولى من وجوده بالجزائر، وبفشل المقاومات الشعبية تبنا الكفاح السياسي، وأصبح لمنطقة الجلفة ممثلين لها في مختلف تيارات الحركة الوطنية التي ظهرت بالجزائر، وعبروا من خلالها عن مطالبهم.

¹ بن جدو أحمد: "محمد شونان ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين"، في: جريدة الخبر، ع: 7047، السنة الثالثة والعشرين، بتاريخ:

17 أبريل 2013م.

² السجل الذهبي...، مرجع سابق، ص: 23.

الفصل الثالث

التنظيم الإداري والعسكري لمنطقة

الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي

1 - نظام الحكم والتنظيم الإداري للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي.

2 - التنظيم الإداري للمنطقة أثناء الاحتلال الفرنسي إلى غاية سنة

1954.

3 - التنظيم العسكري للمنطقة أثناء الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1954

تمهيد:

بعد نجاح قوات الاحتلال الفرنسي في تحقيق هدفها العسكري بالجزائر، وجدت نفسها أمام تحدي جديد تمثل في كيفية إدارة شؤون أهالي الجزائر، خاصة في ظل الخطر الذي كان يهددها بسبب رفض قبائل الجزائر الخضوع لهم، فأدركت أن احتلال الجزائر لن يتم ولن ينجح بالاعتماد على الآلة الحربية وجهودها العسكرية، مادام رغبة القبائل وقدرتها قائمة على تجديد قوتها ودحر العدو كل مرة، بدليل أن هناك العديد من المناطق المحيطة بالجزائر والمدن الساحلية استوجبت أكثر من حملة، فراحت تبحث عن وسائل تساعد على احكام قبضتها على الجزائر، فوجدت من بين الوسائل المساعدة إعطاء طابع شرعي لفكرة الاحتلال والسيطرة الشاملة للجزائر، فاعتبرت أن الجزائر قطعة فرنسية وامتداد لها ١٩٩ و ذلك بموجب مرسوم صادر في 22 جويلية 1834م.

ثم راحت تبحث عن خطط وسبل تسهل عليها عملية تحقق هدفها، فقامت باستحداث مجموعة من السياسات التي مست كل الجوانب بما فيها الجانب الإداري والسياسي والعسكري، وسندتها بمراسيم وقوانين مجعفة، تهدف إلى سلخ واجتثاث الشعب الجزائري من أصوله العربية والاسلامية، واعتمدت في رسم وتسطير هذه السياسات على معرفة تركيبة هذا الشعب الجزائري، عاداته، تقاليده، وحتى ذهنيته.

ولم تسلم منطقة الجلفة كباقي مناطق الجزائر من تطبيق هذه الاستراتيجية، فبعد اخضاع المنطقة بقوة السلاح، جاء دور اخضاعها اداريا.

1 - نظام الحكم والتنظيم الإداري للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي:

قبيل الغوص في موضوع التنظيم الإداري والسياسي والعسكري الذي أحدثه الاستعمار الفرنسي بمنطقة الجلفة، لابد من التعرّيج على تنظيم المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي.

1 - 1 نظام الحكم والتنظيم الإداري أثناء الوجود العثماني:

أشارت جل المصادر التي تعرضت لتاريخ منطقة الجلفة إلى أن سلطة الدولة العثمانية لم تمتد لها إلا في حالة جمع الضرائب، ومن أن الطابع العام الذي ميز نظام الحكم عند قبائل منطقة الجلفة كان كونفدراليا طيلة فترة الحكم العثماني إلى غاية امتداد سلطة الأمير عبد

القادر لها سنة 1836م¹، فلم يكن لقبائل أولاد نايل الشراقة والغرابية قائد موحد، فكل واحدة منها كانت تعيش مستقلة عن جارتها، وكل قبيلة كانت تعين شيخ من كبارها من أنبل أفراد القبيلة وأغناهم².

فرغم امتداد السلطة العثمانية إلى ما وراء جبال الأغواط سنة 1727م، - وهو المجال الذي تقع ضمنه منطقة الجلفة -، إلا أن السلطة العثمانية لم تخصصها بتنظيم إداري محدد، الأمر الذي جعل المنطقة امتداد مفتوح لبلايك التيطري³ وملزمة بدفع الضرائب، كلف بجمعها شيخ من قبيلة أولاد المختار، إلا أنه كثيرا ما تمتعت هذه العروش من دفع الضرائب مما جعلها عرضة للمحلة، التي كثيرا ما انتهت بمصرع الباي على يد فرسان بلاد أولاد نايل، كما تم توضيحه في الفصل التمهيدي.

¹ De Sanvitale: **op. cit**, p: 205.

² ذكر دوماس من هذه العائلات بالنسبة لأولاد نايل الغرابية التي نعي بها (منطقة الجلفة):

- التومي بن التومي لأولاد نواح.
- محمد بن شتوح لأولاد سعد بن سالم.
- محمد بن فضيل لأولاد سي أحمد، أنظر دوماس: **مصدر سابق**، ص: 211.

³ كما هو معلوم أن الجزائر أثناء الفترة العثمانية قسمت إلى ثلاث مقاطعات كل مقاطعة تحمل اسم بايلك: وهي: بايلك الغرب، بايلك الشرق، بايلك التيطري، زيادة عن دار السلطان وهي مقر الحاكم، وقد رعى في هذا التقسيم معطيات سياسية واجتماعية وجغرافية، ومنطقة الدراسة كانت تتبع اداريا بايلك التيطري وعاصمته المدية، حُدِّث من الشمال الجزائر ومن الشرق الزاب، ومن الغرب معسكر، وما يمكن ملاحظته حول هذا البايك هو عدم وضوح حدوده الجنوبية، توجد به من الشمال إلى الجنوب سلسلة من الجبال تحمل اسم: زكار، سحاري، زافر، تجتمع في شمال الأطلس التلي، وفي الجنوب جبال الأغواط، هذه الأخيرة التي وصلت حدوده إليها سنة 1727م، وعليه تكون بلاد أولاد نايل في هذه الفترة قد دخلت ضمن حدود بايلك التيطري، أما عن التنظيم الإداري لبلايك التيطري فقد كان ينقسم إلى أربعة قيادات أو أقسام وهي: قيادة التل الظهراوية و قيادة التل القبلية، قيادة الديرة، وقيادة الجنوب، ولكل قيادة مجموعة من القبائل التي تتبعها، لمزيد من التفاصيل أنظر: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1754-1830م)**، جم وتح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص: 49، وعائشة غطاس: **مرجع سابق**، ص: 177-178،

ناصر الدين السعيدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، ط:2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص: 224.

E. Mangin: " **Notes Sur L'Histoire de Laghouat** ", IN: R.A, VOL: 38, **op .cit**, p: 383,
Aucapitaine et Fidermann: " **Notes sur l'histoire et l'administration de Beylik Titeri** ", in R.A, VOL:11, 1867, pp: 113, 114,
Rin. L: " **le Royaume d'Alger sous le dernier dey** ", IN: R.A, VOL: 41, 1897, pp: 346, 347.

ورغم أن العلاقة عرفت نوعاً من الاستقرار بين السلطة العثمانية وشيوخ عروش منطقة إلا أنها حافظت على نفس النظام الذي كان سائراً بالمنطقة قبل، وظلت تربطها علاقات مع شيوخ قبائل المنطقة كل على حدى.

بقى الأمر على ما هو عليه رغم وضع قبائل المنطقة تحت إمرة الآغا يحيى (1818 - 1825) وأصبحت بذلك منطقة الجلفة مرتبطة إدارياً بدار السلطان¹.

ورغم هذه التغيرات الإدارية إلا أن العلاقة بين أهل المنطقة والسلطة العثمانية تتحكم فيها بالأساس جباية الضرائب.

عقب سقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين سنة 1830م سادت المنطقة حالة من الفوضى والاستقرار، إلا أنه سرعان ما تداركت هذه القبائل الأمر وعينت كعاداتها زعماء لها، لتعود إلى ممارسة حياتها التي اعتادت عليها²، وظلت هذه القبائل كذلك إلى غاية انضمامها تحت راية دولة الأمير عبد القادر بداية من سنة 1836م.

1 . 2 نظام الحكم أثناء حكم الأمير عبد القادر لها³:

سبق الإشارة إلى ظروف انضواء قبائل أولاد نايل تحت راية دولة الأمير عبد القادر سنة 1836م ومبايعتهم له، وتجسد ذلك لاسيما بعد توقيع معاهدة التافنة في: 30 / 05 / 1837م، التي استغلها الأمير لإعادة تنظيم دولته استعداداً لانطلاقه جديدة ضد العدو⁴، فقد ذكر أبو القاسم سعد الله: أن الأمير بين نهاية 1837 و سنة 1838م قام بعملين بارزين في حياة الجزائر

¹ أنظر الفصل التمهيدي.

² Arnaud: " Histoire de Oulad Nail ..", in: R.A, Vol: 17, op .cit, pp: 300, 301.

³ اتخذ النظام الإداري للأمير عبد القادر شكلاً هرمياً فعلى قمته الأمير يأتي بعده مباشرة على مستوى المقاطعات التي بلغ عددها سنة 1938 ثمانية مقاطعات (معسكر، تلمسان، مليانة، مديّة، برج حمزة، مجانة، الصحراء الشرقية، أو الزيبان، الصحراء الغربية) الخلفاء، وكل مقاطعة مقسمة إلى أغاليك أو دوائر بقيادة آغا، وكل دائرة مقسمة إلى قيادات تحت إمرة قائد وهذه الأخيرة تنقسم إلى عشائر يقودها شيخ، وكانت عملية تعيين الخليفة لفترة غير محددة أما الآغا فكانت مدة حكمه سنتين، أما القياد فكان لمدة عشرة أشهر أو سنة واحدة يتقاضون الرواتب ويخضعون للدولة ويوظفون على الخصوص من الأطارات الدينية ومن الأفضل أن يكونوا من الأجداد، كما كان في الأغاليك موظف تابع للأمير يراقب القرارات التي تتخذها الأغا، أنظر: شارل روبر أجرون: مرجع سابق، ص: 321 ، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائر (1844-1871)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2013/ 2014، (غير منشورة)، ص: 59

⁴ لتفصيل أكثر أنظر: الفصل الثاني، ص: 106 - 108.

السياسية، الأول هو بسط نفوذه على جزء كبير من الشرق الجزائري، والعمل الثاني بسط نفوذه على الصحراء الجزائرية الغربية، فأصبحت بذلك دولة الأمير تشمل ثمانية أقاليم على رأس كل اقليم خليفة نائباً عن الأمير¹.

وقد كانت منطقة الجلفة جزء من هذه الأقاليم، إذ استطاع الأمير عبد القادر توحيد قبائل منطقة الجلفة تحت راية واحدة لأول مرة في تاريخها ولو لفترة قصيرة كما أشارت إلى ذلك الكتابات الفرنسية التي أرخت للمنطقة²، فعين خلفاء له ببلاد أولاد نايل - بما فيها منطقة الجلفة - ليسهرروا على تنفيذ أوامره وتمثيله هناك.

ففي الفترة الممتدة من 1837 إلى 1841م اعتمد التقسيم التالي:

- تثبيت سلطة الشيخ الجديد أغا أولاد شعيب بوضع كل قبائل المنطقة تحت حكمه بما فيها قبائل أولاد نايل³.
- تعيين الشيخ عبد السلام بن القندوز من أولاد الغويني قائداً على كل أولاد نايل، وفي 1838م تم استبداله بابن شقيقه، سي الشريف بن الأحرش⁴.
- قام الأمير عبد القادر سنة 1841م بتقسيم أولاد نايل إلى ست فرق وعلى رأس كل واحدة منها شيخ تحت إمرة القائد "سي عبد السلام بن القندوز" من أولاد الغويني، ومن بعده سي الشريف بلحرش، ورفعهم كلهم إلى قيادة الأغا ومن الشيوخ نذكر⁵:
- الشيخ التلي بن لكحل على رأس أولاد سي أحمد.

¹ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج: 1،، مرجع سابق، ص: 196، 197، 201.

² De Sanvitale: **op. cit**, p: 205.

³ نفسه، انظر أيضاً:

A.MG: **Observations sur les Oulad Nail, par le général. Marey Monge**, H 229.

نقلا عن: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 278.

⁴ Arnaud: **op. cit**, p: 311.

⁵ A.MG: **Observations sur les ...**, **op. cit**, H 229.

نقلا عن: بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 278.

انظر أيضاً:

François de Villaret: **op. cit**, p: 112.

- الشيخ محمد بن الزيدة على رأس أولاد عيسى.

- الشيخ محمد بن عطية من أولاد ضياء.

- الشيخ حران من أولاد أم هاني.

وهؤلاء مسؤولون أمام خليفة الأمير بالأغواط آنذاك سي الحاج عيسى ثم عبد الباقي، وبعد أن فقد الأمير مقاطعة الأغواط عين خليفة له على أولاد نايل وهو شريف بلحشر من أولاد غويني سنة 1843¹ بعد وفاة الحاج العربي خليفته في الجنوب²، على أولاد نايل³ وأتاب سي شريف عنه ثلاث آغوات لتبليغ أوامره للقياد الستة⁴، وهم: تلي بن لكحل، محمد بن عطية وعبد السلام⁵.

ظلت المنطقة تحت راية الأمير عبد القادر وظل الخليفة سي شريف بلحشر ممثلا له بالمنطقة إلى غاية استسلامه هو وقبائل المنطقة ما بين نهاية 1847 م وبداية 1848 م، وهذا تزامنا مع استسلام الأمير عبد القادر⁶.

وتجدر الإشارة إلى أنه عقب وصول الحملات العسكرية الأولى إلى المنطقة بعد 1844 م وبالرغم من استمرار حكم الأمير عبد القادر بالمنطقة، إلا أنها عملت على تعيين الشيخ أحمد بن سالم ممثلا لها بالجنوب، وأصبح بذلك الجزء الجنوبي الغربي من منطقة الجلفة تابع لها، معتمدة في ذلك نفس النظام الذي أحدثه الأمير عبد القادر لتسيير أمور دولته، مع الأخذ بعين الاعتبار أنهم أخذوا تقنيات نظام الأمير دون الأخذ بالمقاييس في اختيار الموظفين⁷.

¹ De Sanvitale: **op. cit**, p: 205.

² عينه الأمير عبد القادر بعد بسط سلطته على الأغواط وكان ذلك سنة 1838 م، لكن قتله أحمد بن سالم

³ François de Villaret: **op. cit**, p: 113.

⁴ Arnaud: **op. cit**, p: 311.

⁵ François de Villare: **op. cit**, p: 113.

⁶ أنظر ص ص: 115.

⁷ فاطمة حباش: مرجع سابق، ص: 59.

2 - التنظيم الإداري للمنطقة أثناء الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1954م:

رغم المحاولات الأولى للحكام العامين في ظل الحكم العسكري بغية ايجاد ادارة أهلية تكون أداة تحكم بواسطتها سلطة المحتل منطقة أولاد نايل¹، إلا أنها لم تجد نفعا بسبب كونها غير ثابتة، مبعثرة ومتغيرة في تسميتها ومبادئها التأسيسية وذلك لارتباطها بتغير القائد العسكري في الجزائر²، وبسبب اشتداد المقاومة (مقاومتي الأمير عبد القادر وأحمد باي)، وإعطائهم أولوية القضاء عليها بقوة السلاح، دون الاهتمام في كفية تسيير شؤون الأهالي بعد الحملات³.

لكن عند اعتلاء الجنرال بيجو Bugeaud منصب الحاكم العام بالجزائر بتاريخ: 22 فيفري 1841م، جاء وهو مقتنع أن فكرة الاحتلال الشامل لن تتحقق إلا بواسطة الاخضاع التام للعرب والاستيطان العسكري، ولتحقيق ذلك اتبع أساليب ووسائل مختلفة عسكرية وسياسية، وتبنى نظام إداري يتمشى والتنشئة العربية يسمح بمراقبة الأهالي ووضعهم تحت المجهر⁴ عن طريق جمع معلومات كافية حول الأهالي: عاداتهم وتقاليدهم لغتهم،...⁵، هذه المعلومات التي كانت نتيجة دراسات معمقة عن المجتمع الجزائري أكدت أن النظام الأنجع لحكم الأهالي هو ذلك الذي كان متبعاً من طرف الأمير عبد القادر.

هذا التنظيم لم يبق كما هو بل خضع لعدة تغيرات، تحكمت فيه ظروف داخلية وخارجية لاسيما منها الظروف التي عاشتها فرنسا بسبب التغير في الحكومات والذي أثر بدوره على نوعية المستوطنين بالجزائر، فبعد أن كانوا مجرد بطلين متشردين ومنحرفين، تغيرت نوعية المستوطنين إلى لاجئين سياسيين عقب الانقلابات التي عرفتها فرنسا، وبالتالي

¹ شارل روبر أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص: 37.

² نفسه، ص: 58.

³ نفسه، ص: 388.

⁴ أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية، ج: 1، مرجع سابق، ص: 21.

⁵ قام الجنرال من أجل تحقيق هذه الخطة التي رسمها على وضع تشريح ودراسات معمقة قام بها أوجين دوماس، أثبتت له عدم جدوى تبني المركزية في الأمور التي تتعلق بالجزائريين، خاصة بعدما بدأ الضعف يدب في مقاومة الأمير عبد القادر، وفي المقابل بدأت دائرة الاستعمار تتسع جغرافياً لتشمل قبائل خاضعة أعلنت استسلامها، وبدأت تحتاج إلى نظام للتهدة يضمن خضوعها الدائم، لذا لم يكن أمامه إلا الاستعانة بقيادات وزعامات محلية التي تسمح بمراقبة الوضع العام في البلاد، وجمع المعلومات حول طبائعهم وعن تحركات المجموعات النائرة ومصادر تموينها، ومراقبة كذلك الأفراد وجماعات المتعاونة مع المقاومة الشعبية، أنظر:

أثرت هذه النوعية على نظام الحكم بالجزائر ابتداء من سنة 1871م، حيث أقر فيها الحكم المدني في القسم الشمالي لتركز العمرين به، بينما خضع القسم الجنوبي (حيث يقع مجال البحث) للحكم العسكري وما يرتبط به من اضطهاد و انعدام لأبسط الحريات وهو النظام الذي دام إلى الاستقلال، ولكن تحت نظام مركزي موحد من الشمال إلى الجنوب.

وقد مر تنظيم أقاليم الجنوب بعدة تغيرات ولعل أهمها: انشاء مناطق أقاليم الجنوب بموجب قانون 24 ديسمبر 1902م على مساحة تفوق 2 مليون كلم²، وقد خصصت لها ميزانية خاصة مستمدة من الموارد المحلية تصرف على النفقات المدنية، بينما تبقى تكاليف الاحتلال العسكري تتحملها الحكومة الفرنسية، ومنح للحاكم العام صلاحيات جد واسعة والمسؤولية الكاملة التي تخص الإدارة والدفاع عن تلك المناطق.

شملت هذه الأقاليم مناطق غنية نسبيا وآهلة بالسكان هي: تقرت، الجلفة، عين الصفراء، مشرية؛ إذ تشكل مجموعات متجانسة من متطلبات حياتها، وضمان نفقاتها المدنية، ومباشرة أشغالها الكبرى وتتمتع هذه الأقاليم بقانونها الأساسي الذي يمنحها صفة الشخصية المدنية، وفي 30 ديسمبر 1903 صدر مرسوم التنظيم المالي الذي يحدد القواعد المتعلقة بالتحضير وعمل الميزانية المدنية والذي يقع اعدادها على عاتق الحاكم العام ويتم اقرارها تبعا لمرسوم بعد موافقة مجلس الحكومة.

تنقسم أقاليم الجنوب إلى أربع دوائر كبرى يتولى الاشراف على رأس كل واحدة منها ضابط سامي بصفة الحاكم العسكري لأقاليم الجنوب، وينقسم بدوره كل إقليم دائرة إلى نوعين من البلديات منها: البلديات المختلطة والبلديات الأهلية، يخضع حكم وإدارة أقاليم الجنوب إلى مراقبة الحاكم العسكري وهو يتمتع بمهام شبيهة بمهام نائب الوالي¹.

¹ Lehuraux: " Le statut territorial des territoires du sud de l'Algérie", IN: R.A, VOL: 81, 1937, pp: 171, 172, 178.

و في ما يلي سستتم محاولة تتبع مراحل التنظيم السياسي والإداري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي لها:

2 - 1. التنظيم السياسي والإداري لمنطقة الجلفة (1844 - 1852م):

تزامن التوسع الاستعماري في منطقة الجلفة، مع محاولة لإحداث تنظيم عسكري وسياسي يخدم مصالحها معتمدة في ذلك على المعلومات التي جمعها عسكريوها وأعوانها حول قبائل المنطقة، وأكدت هذه التقارير على القوة الاقتصادية والبشرية الهائلة التي تتمتع بها قبائل منطقة الجلفة، وأعربت عن مدى قوتها في حالة لو اتحدت.

إذ ركزت الكتابات الفرنسية على هذا التشتت في الحكم وعلى قضية الصراع بين قبائل بلاد أولاد نايل والقبائل المحيطة بها، ونبهت إلى خطورة الاتحاد بينها، وما ينتج عنه من آثار تتمثل أساسا في السيطرة على الإقليم الأوسط ككل، وبالتالي لا يمكن لأي قوة إخضاعهم¹.

وكمثال عن الصراع الذي أعطته هذه الكتابات، هو الصراع الذي أورده المترجم العسكري أرنو بين قبائل منطقة الجلفة والقبائل المحيطة بها، عقب انتشار خبر سقوط مدينة الجزائر سنة 1830م، فذكر:

قامت قبائل منطقة الجلفة بالزحف نحو قبائل التل الغنية، للاستلاء على أراضيهم²؛

كما شنت قبائل منطقة الجلفة سنة 1832م الهجوم على حامية تركية بالمسيلة، وذبح جنودها بلغ عددهم 30 جندي تركي ومواليهم العرب؛ كما اغتصمت في نفس الوقت قبائل جبل عمور من البواعيش، أولاد خليف، وأولاد شعيب، فرصة غياب أولاد نايل ونهبوا صومعتهم، إلا أن أولاد نايل بعد عودتهم قاموا باقتناص كل واحدة من تلك القبائل على حدة رادين لهم كل الشر الذي ألحقوه بهم³؛

¹ De Sanvitale: op. cit, p: 205, Arnaud " Histoire de Oulad Nail ", IN: R.A, VOL: 16, op. cit, p: 335.

² Arnaud: " Histoire de Oulad Nail..", IN: R.A, Vol: 17, op .cit, pp: 300, 301.

³ Ibid.

وفي سنة 1834م حاول أولاد سي محمد الإغارة من جديد على التل، إلا أن هذه الإغارة لم تحصل بسبب انتشار مرض الكوليرا، محدثة مجزرة رهيبة في صفوفهم، انتهز قبيلة الأرباع الفرصة التي منحها إياهم هذا الوباء، لينقضوا على أملاكهم¹.

بل أكثر من ذلك فقد ركزت هذه الكتابات على الصراع الداخلي بين فروع العرش الواحد مثل عرش أولاد سي أحمد والصراع بين فرعيها: أولاد شليحة وأولاد ضية، وكذا بين أولاد عيسى الشراقة والغرابية، رغم أنها أكدت اتحاد هذه القبائل مع بعضها في حالة الخطر الخارجي².

هذه المعلومات استغلتها السلطات الفرنسية أثناء عملية تسيير المنطقة ورسم حدودها، وذلك لخلق نوع من توازن القوى بين القبائل المتصارعة في المنطقة باستخدام أبنائها، وبالتالي تجنب نفسها التدخل كل مرة لردع هذه القبائل الثائرة، وهذه استراتيجية فرنسا المعروفة بها في الجزائر.

وقد سيرت منطقة الجلفة عند دخول الاستعمار الفرنسي لها بنفس التنظيم السياسي الذي كان قائما تقريبا ابان حكم الأمير للمنطقة: الخليفة، أغوات، قياد، شيوخ ...، بالإضافة إلى منصب جديد: الباشاغا على رأس القيادات واسعة خاضعة إما لقيادة القسم، أو القسم الفرعي والآغوات، والقياد في درجة أدنى، ثم الشيوخ ورؤساء الدواير للإشراف على الخيام، بل أكثر من ذلك فقد اعتمدت على نفس الأسماء تقريبا التي كان قد عينها الأمير عبد القادر لتسيير شؤون منطقة الجلفة، كما عملت على انشاء العديد من المراكز أو دعم تلك التي كانت موجودة قبل لتكون بمثابة نقاط تموين لها في حملتها، وكذا لتكون مقر لإقامة لموظفيها، كما قامت بإنشاء العاصمة الإدارية لإقليم مدينة الجلفة والتي حمل الإقليم اسمها والمرافق التي تحتاجهما لتسيير الإقليم.

فبعد الحملات الأولى على منطقة الجلفة ومحاولة السلطة الفرنسية احكام قبضتها عليها قامت السلطات الفرنسية بالمحافظة على التقسيم الإداري الذي كان سائدا أثناء فترة الحكم العثماني، إذ كانت بلاد أولاد نايل مقسمة بين بايلك التيطري وبايلك الشرق، فالموقع

¹ Arnaud: " Histoire de Oulad Nail..", IN: R.A, Vol: 17, op .cit, pp: 300, 301

² Arnaud " Histoire de Oulad Nail ", IN: R.A, VOL: 16, 1872, pp: 337, 338.

الاستراتيجي والاقتصادي والتعداد البشري لأولاد نايل جعل السلطات الفرنسية تنتهج سياسة إدارية تقوم على مبدأ تكسير صفوف أولاد نايل وتوظيف قوتهم الاقتصادية البشرية بما يخدم مصالحها، ومن أهم ما قامت به في هذا المجال¹:

- 1- تقسيم القبائل وإخضاعهم بتعيين شيوخ ترتبط مصالحهم بالإدارة الاستعمارية.
 - 2- تقسيمهم إلى فروع وتوزيعهم بين قادة أجناب عليهم.
 - 3- توظيف الانقسام وتكريسه من قبل الإدارة الاستعمارية.
 - 4- فرض غرامات ثقيلة كلما ثاروا على الإدارة الفرنسية.
 - 5- فرض ضرائب كبيرة على أولاد نايل.
 - 6- إعادة تنظيمهم وتعيين عليهم قادة بالكيفية التي تكون فيها السيطرة الفرنسية في مصلحة هؤلاء القادة، وفي هذا الشأن اقترح ماري مونج:
- 1- إبقاء أحفاد زكري تابعين إلى بايليك الشرق.
 - 2- المنحدرون من ملك يتبعون بايليك الوسط، كما كان الحال إبان الحكم العثماني والأمير عبد القادر، وفي منتصف الأربعينيات من القرن التاسع عشر أصبح أولاد عامر وأولاد فرج أولاد عيسى الشراقة تابعين للخليفة المقراني، بينما المجموعة الواقعة غرب المجموعة السابقة تتبع إداريا وعسكريا القيادة الإدارية والعسكرية في المدينة (يقصد منطقة الجلفة)
 - 3- أولاد سعد بن سالم وأولاد يحيى بن سالم والعبازيز والشارف إبقائهم تحت سلطة خليفة الأغواط أحمد بن سالم الذي استطاع التحكم فيهم إلى حد كبير في ذلك الوقت (الناحية الغربية لمنطقة الجلفة).

¹ A.M.G: **Observations...**, H 229. op. cit,

نقلا عن تلمساني بن يوسف: التوغل الفرنسي...، مرجع سابق، ص: 33

4- الشيخ التلي بإمكانه أن يكون آغا أولاد شليحة بما فيهم أولاد الغويني وأولاد سي أحمد بالإضافة إلى أولاد عيسى الشراقة والغرابية الذي يفوق تعدادهم 6000 خيمة¹، وهو ما تم فعلا فقد عين آغا أولاد نايل مع بداية سنة 1848م²، إلا أنه لن يبقى وفيما للخدمة الفرنسيين، فتم تعيين سي شريف بلحشر مكانه بعد اطلاق سراحه في ربيع 1850م وعين آغا على: أولاد سي أحمد، أولاد الغويني، أولاد أم هاني، العبايز، أولاد سيدي عيسى الأحذب (الأحداب) وأولاد سيدي يونس، في حين احتفظ خليفة الأغواط " أحمد بن سالم " بأولاد سعد بن سالم، أولاد يحي بن سالم والقصور، وتجدر الإشارة إلى أنه تم تشييد دار للقيادة في المكان المسمى الحمام في سفح جبل زمزاش سنة 1851م للأغا سي شريف بلحشر من قبل فرقة عسكرية فرنسية بأمر من الجنرال لادميرول خصص هذا البرج لمراقبة أولاد نايل بزاغز الشرقي³، ونظرا لعدة اعتبارات تحول مقر القيادة إلى ضاية الجلفة القيادة في سبتمبر 1852م، وسيبقى كذلك إلى أن يتم تعيينه باشاغا على بلاد أولاد نايل بعد عزل الخليفة أحمد بن سالم، وسيوضح لاحقا.

5- محمد بن عطية من أولاد ضية يمكن أن يكون آغا على أولاد ضية أولاد فراج أولاد عامر بمجموع 3400 خيمة، إبقاء الشيخ قطاف قايد القياد أولاد ضية وأولاد عماني.

6- ابن عودة يتولى الجهة الغربية وتشمل أغاليك أولاد مختار الغرابية وأغاليك بوعيش وأولاد شعيب، والتلي يرقى إلى رتبة باشاغا الصحراء الغربية، ضرورة إبقاء ابن عودة - صاحب وزن في وسط أولاد نايل ورجل حرب - تحت المراقبة، فهو في نظر ماري مونج لا يصلح للإدارة والتنظيم وبإمكانه تكسير الصفوف كلما كان النظام معاكس لمصالحه، وعليه يمكن توظيف هذه الشخصية لأهمتها.

¹ A.M.G: District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي...، مرجع سابق، ص: 284.

² François de Villaret: **op. cit**, p: 119.

³ Arnaud: " **Histoire de Oulad Nail**", IN: R.A, Vol: 17, 1873, p: 382.

7- آغا أولاد ضية يمكن وضعه تحت سلطة قائد من التيطري وبالذات بن يحيى الأعرج الذي ينتمي لقبيلة صغيرة تابعة تنحدر من قبلية التيطري التي ينسب إليها الجبل والمنطقة، هزمت قديما من قبل قبيلة أولاد مختار¹، أما ابن يحيى الذي هو متعود على خدمة فرنسا يعد الرجل الملائم لمنصب باشاغا الجهة الشرقية والشمالية من أولاد نايل، ويرى فيه الفرنسيون الشخصية الموازية لابن عودة.

8- يعتقد الجنرال ماري مونج أن الحرب والسلام تتحكم فيهما أوضاع الصحراء، ينبغي أن يتبع الباشاغا بن يحيى و الباشاغا بن عودة وخليفة الأغواط أحمد بن سالم قيادة المدية، مثل الخليفة محي الدين الذي يتبع العاصمة عوضا دلس أو سور الغزلان أو البليدة².

9- ومن أجل السير الحسن ولضمان خدمة المصالح الفرنسية في بلاد الأولاد نايل فإن الإدارة الفرنسية عملت على تخصيص رواتب لموظفيها من الأهالي: شيوخ و أغاوات أولاد نايل، بشرط أن لا تخصص لهم رواتب، بل إعطائهم نصيب من الضرائب التي يجمعونها، وكان التقسيم كالتالي:

الباشاغا.....1/10 ونائبه.....1/20.

الآغا.....1/10 - نائبه.....1/20.

قائد القياد.....1/10 - نائبه.....1/20.

القائد.....1/10 - نائبه.....1/20.

الشيخ.....1/10 - نائبه.....1/20.

ولا يمكن منحهم اقتطاعات من الغرامات حتى لا يشجعون في نظر - ماري مونج- على خلق الاضطرابات في المنطقة، بغية الاستفادة منها ماليا.

¹ A.M.G: Observations..., op. cit. 229.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 284.

² A.M.G: District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع السابق، ص: 21.

- أما عن الضرائب: حددت بشكل منتظم وهي:

❖ الزكاة في الربيع.

❖ العشور على الحبوب في الصيف.

❖ العونة بالنسبة للرحل الذين ينزحون إلى التل، بهذه الكيفية سيهتم القادة المعنيين بجمع الضرائب للحصول على اقتطاعاتهم.

ورغم أن هذه الكيفية تؤدي إلى تقلص مداخيل الإدارة الاستعمارية إلا أنها ستجنب في الذات الوقت أعباء شحن الحملات والغارات وما تكلفه من أموال وخسائر بشرية، يحرص الفرنسيون على جمع كمية كبيرة من المحاصيل عنوة من أولاد نايل، لأن هؤلاء في نظرهم، كلما كان لديهم فائضا من الحبوب يثورون على السلطة، ومن ثم ينبغي تجريدهم باستمرار من كل فائض بإجبارهم على دفع الـ 1/5، ومن هذه النسبة يستفيد القادة.¹

أما من الجهة الجنوبية من منطقة أولاد نايل فقد حرصت الإدارة الاستعمارية خلال فترة 1844-1851م على تشجيع الخليفة أحمد بن سالم الموالي لها لإحكام قبضتها على قبائل أولاد نايل والأرباع من الجهة الجنوبية، لأنه يعد الوحيد الذي وقف إلى جانب فرنسا في بداية توغلها نحو الصحراء، انطلاقا من الأغواط وقصورها. وقد استغلته الإدارة الفرنسية لتمرير مشاريعها وتضييق الخناق على الأمير عبد القادر باعتباره العدو اللدود له، إن تقوية قيادة خليفة الأغواط ليس فقط لمكافأته على تقاينه في كبح المقاومة، بل لأنه الوحيد الذي مصالحه تتماشى ومصالح فرنسا ويقدم ضمانات قائمة، وتعتمد عليه فرنسا كلما وقعت اضطرابات.²

ورأى الفرنسيون في هذا الشأن أن التهدة تجد دعائمها لدى السكان المستقرين الذي يمارسون النشاط التجاري، عكس ما هو عليه حال الرحل الذين يفقدون أهميتهم كلما ساد الهدوء وينتفشون كلما سادت الاضطرابات لممارسة النهب بالمفهوم الاستعماري، ولأن القبائل

¹ A.M.G : District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي، مرجع سابق، ص: 386.

² A.M.G: Observations..., op. cit. H 229.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي، مرجع سابق، ص: 386.

الرجل تفر دائماً من قبضة الفرنسيين، فإنه على العكس من ذلك يمكن التحكم في سكان القصور كلما اقتضت الضرورة لفرض التهدة لما يضعه هؤلاء من ضمانات حيث ممتلكاتهم وهي على النحو التالي:¹

- الأغواط - 600 منزل - 600 إلى 1000 بستان - بقيمة ما يعادل 600.000 بوجو.
- تاجموت - 150 منزلا - 150 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل 45000 بوجو.
- عين ماضي - 70 منزلا - 70 إلى 400 بستان - بقيمة ما يعادل 28000 بوجو.
- حويطة - 30 منزلا - 30 إلى 100 بستان - بقيمة ما يعادل 3000 بوجو.
- قصر الحيران - 60 منزلا - 60 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل 18000 بوجو.
- العسافية - 30 منزلا - 30 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل بوجو 2000 بوجو.
- تاجرونة - 60 منزلا - 60 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل 18000 بوجو.
- دمد - 14 منزل - 14 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل 4200 بوجو.
- مسعد - 40 منزل - 40 إلى 200 بستان - بقيمة ما يعادل 8000 بوجو.
- المجموع: 877.200 بوجو.²

بمعنى أن هذه القصور تضع بين أيدي الفرنسيين ضمان 1.600.000 فرنك قيمة ممتلكاتهم تصدر في حال اتخاذهم موقفا معاديا للاحتلال.

وعليه فإن تقسيم إدارة قبائل أولاد نايل كان بين: مقاطعة الجزائر ومقاطعة قسنطينة فالجزء الشرقي من أولاد نايل منهم يُضم إلى مقاطعة قسنطينة تحت إمرة الخليفة المقراني، وهم أحفاد زكري (اصبحوا في ما بعد تابعين لدائر بسكرة)، أما المنحدرون من ملك

¹ A.M.G: District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي، مرجع سابق، ص: 387.

² A.M.G : Observations..., op. cit, H 229

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 287.

(شكلوا في ما بعد دائرتي بوسعادة والجلفة) يتبعون إداريا وعسكريا القيادة الإدارية والعسكرية في المدينة مقاطعة الجزائر، أما الجزء الجنوبي والغربي من منطقة الجلفة والمتمثل في عرشي أولاد ساعد بن سالم وأولاد يحيى بن سالم و قبيلة العبايز والشارف إبقائهم تحت سلطة خليفة الأغواط أحمد بن سالم الذي استطاع التحكم فيهم إلى حد ذلك الوقت.

ومنه فإن الجزء الغربي - وهو الذي يعنينا - من أولاد نايل يلحق بمقاطعة الجزائر، ويقسم إلى شطرين: الجزء القريب من الأغواط يوضع تحت سلطة أحمد بن سالم خليفة الأغواط، مع المحافظة على الفصل الموجود بين أولاد ضية و أولاد شليحة تحت قيادة أولاد مختار الغرابة أولاد ضية مع أتباعهم تحت قيادة قايد لجواد التيطري¹.

- إبقاء الباشاغا أولاد نايل الشرق و باشاغا أولاد نايل الغرب تابعين للمدية.

- فرض ضرائب ثقيلة على أولاد نايل للحد من قوتهم الاقتصادية.

- جعل مصالح قادتهم مرتبطة بالإدارة الاستعمارية.

- الاستلاء على محاصيلهم عن طريق فرض ضريبة العشور.

إلا أن ترتيب الأمور لم يبق على حاله سنة 1852م، و عملت الإدارة الفرنسية على إعادة ترتيب الإدارة المحلية بعزل أحمد بن سالم خليفة الأغواط وقصورها وقبائل وقصور جنوب وجنوب غرب منطقة الجلفة، وتعيين الشريف بلحشر بتاريخ 9 أفريل 1852م رسميا باشاغا أولاد نايل بمقاطعة الجزائر(منطقة الجلفة)² في حين عين ابن الخليفة المعزول ناصر بن سالم أغا على الأغواط وقصورها³.

¹ A.M.G : District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 288.

² فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 121.

³ تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 331.

2 - 2 التنظيم السياسي والإداري (1852 - 1954):

ابتداء من تاريخ انشاء الحصن العسكري بضاية الجلفة سنة 1852م عرفت المنطقة ثلاث مراحل أساسية تفصل بينها محطات تاريخية بارزة (فاصلة)، وهي كالتالي¹:

المرحلة الأولى: منطقة الجلفة ملحقة عسكرية تابعة لدائرة الأغواط ناحية المدية مقاطعة الجزائر 1853 - 1874:

مهدت فرنسا لتأسيس ملحقة الجلفة بإنشاء الحصن العسكري بضاية الجلفة وهي بصدد القضاء على مقاومة شريف ورقلة محمد بن عبد الله التي امتد إلى الأغواط²، هذه المقاومة التي لقيت دعم كبير من قبل قبائل منطقة الجلفة لاسيما الجنوبية منها وأخص بالذكر عرش أولاد طعبة³، وعليه فبهذه التنظيم وترسيخ الفعل الاستعماري والسيطرة على تحركات أهالي منطقة الجلفة، وكذا من أجل امداد الطوابير العسكرية بالمؤن والذخيرة الحربية وبالجند أثناء عملية احتلال الأغواط⁴.

أنشئ الحصن العسكري بالمكان المعروف بالجلفة ذات الموقع الاستراتيجي - أطلق اسمها في ما بعد على كامل الإقليم - ليكون قاعدة خلفية لتحقيق هذه الأهداف، وهذا بأمر من الحاكم العام راندون للجنرال يوسف⁵.

قام الجنرال يوسف بإنشاء حصن عسكري أو البرج - يعرف ببرج الجنوب عند المخرج الجنوبي لمجرى الواد المالح وسط بلاد أولاد نايل، بالمكان المسمى ضاية الجلفة، ليكون بمثابة مقر لقيادة للخليفة سي شريف بلحش⁶، وقد شرع في بنائه بتاريخ 24 سبتمبر إلى غاية 17 نوفمبر 1852م حيث تمت الأشغال الكبرى للحصن¹.

¹ التقسيم الزمني للمراحل من إعداد الباحثة.

² Léon Galibert: **l'Algérie ancienne et moderne**, Furne éditeurs, Paris, 1861, pp: 611, 612.

³ هذا الدعم عرضهم لحملة شرسة من قبل قوات العدو بقيادة بان عقب سقوط الأغواط مباشرة لتفاصيل أكثر عن هذه الحملة أنظر الفصل، ص ص: 98 - 102.

⁴ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 332.

⁵ نفسه.

⁶ Arnaud: " **Histoire de Oulad Nail**", IN: R.A, V: 17, op. cit, pp: 382, 383

انشأ هذا الحصن ليقوم بعدة وظائف على حد تعبير فرومنتان الذي زار الجلفة بعد عام من انشاء الحصن أي 1853م فقال عنه: « بيت سي الشريف، الممنوح كقلعة لخليفتنا، والذي انتهت الأشغال به فقط في نوفمبر الماضي كتابة، منحوتة على الحجر، فوق باب المدخل، تشير أنها بنيت في خمسين يوما، تحت حكم الجنرال راندون **Randon**، من طرف فصيلة الاستكشاف للجنرال يوسف **Yusuf**، ...، هذا السكن، مرتب بطريقة ليكون، في الوقت ذاته، إقامة للخليفة، وخانا للقوافل، وحصنا.....»²، وقد وصف فرومنتان البرج بأنه بناء كبيرا تحيط به أسوار منخفضة ويضم بالداخل فناءا فسيحا به صقان من إسطبلات الخيول يتسع كل منها لحوالي 100 حصان وغرفا كثيرة تتوزع على طابقين، كما ذكر أن هناك مدرسة أسسها سي الشريف، يديرها طالب، كمعلم محلي، يدفع له سي الشريف من ماله الخاص³.

أصبحت منطقة الجلفة ملحقة تابعة لدائرة الأغواط هذه الأخيرة التي صنف كدائرة بعد استكمال احتلالها ووضع على رأس إدارتها دوبراي، استنادا للمرسوم الذي أصدره الجنرال راندون بتاريخ 22 جويلية 1853م، إذ ضمت دائرة الأغواط⁴:

- الأغواط، عين ماضي، تاجموت، الحويطة، العفاسية، المخاليف، قصر الحيران.

- آغاوية الأرباع، الحرازلية، معامرة، الحجاج، أولاد صالح.

- ملحقة الجلفة تضم:

أورد فرومنتان الذي زار منزل سي شريف بلحشر بعد عام من انجازه، أن المنزل لم يكن يرق للسي شريف بلحشر، وكان يعتبره ضرورة سياسية، لا يقدم إليه إلا المهمة أو حينما يكون مضطرا لاستقبال ضيوف. فهو يمتلك إضافة على هذا البيت الرسمي، بيتا حقيقيا في المراعي المجاورة لصخرة الملح " زمالته"، مع قطعان عظيمة من الأغنام، وحوالي 6000 من الإبل، انظر:

E. Fromentin: **op. cit**, pp: 80, 81.

¹ François de Villaret: **op. cit**, pp: 121, 123.

² E. Fromentin: **op.cit**, p: 79.

³ Ibid, pp: 79– 82.

⁴ Arnaud: **op. cit**, p: 382 , E. Mangin: " **Histoire De Laghouat** ", IN: **R.A**, V: 39...,**op.cit**, pp: 16, 17.

- باشاغية أولاد نايل التي تضم: أولاد سي أحمد، أولاد الغويني، أولاد أم هاني، عبايز شارف، أولاد ضية، أولاد لعور (أولاد عيسى)، أولاد سيدي يونس- قصور: زينة، دمد، مسعد، زكار، حمرة- مجبارة.
- قايدية أولاد سعد بن سالم التي تضم: أولاد خناثة- أولاد رقاد- أولاد يحي بن سالم.

• كنفدرالية أولاد بني ميزاب.

بعد صدور هذا المرسوم تغير مخطط قرية الجلفة وبنيت لباشاغا أولاد نايل سي شريف بلحشر دار أخرى بمدخل المدينة¹ بعين شنوف سنة 1853م، انتهت الأشغال به سنة 1855م².

التأسيس الرسمي لمدينة الجلفة كعاصمة للإقليم: يعتبر تاريخ 20 فيفري 1861م هو التاريخ الفعلي لتأسيس مدينة الجلفة بموجب قرار صادق عليه الإمبراطور الفرنسي " نابليون الثالث " بعد اقتراح ودراسة للمكان ومميزاته الطبيعية والاستراتيجية من طرف الحاكم العام "راندون"، وهذا نص القرار:

« بتقرير من كاتب الدولة مختص بأعمال الحرب وحسب اقتراحات الحاكم العام للجزائر راندون، قررنا انشاء في طريق المدية الأغواط على بعد 240 كلم جنوب المدية مكان يسمى الجلفة، مركز سكاني 55 سكن، مع الابقاء على الاسم الذي كانت تحمله، ثم حوله مساحة فلاحية بها 1775 قطار، 42 آر و 62 سنتار.

خصص المارشال راندون 1775 هكتار تتوزع على 46 قطعة وإعانة مالية قدرت ب: مائة وتسعة ألف فرنك فرنسي لبناء كنيسة، ومسكن، ومدرسة، وبلدية، ومركز درك، برج (سد ماء) في واد مخلخ (واد الملح)، وشبكة الماء³.

أورد الكاتب فيكتور بيرار (Victor Bérard) الذي زار المنطقة في منتصف الستينات من القرن 19م؛ أن منطقة الجلفة ملحقة من قسمة المدية مقاطعة الجزائر، و القسمات تدار

¹ Florian pharaon: " D 'Alger à Lar 'ouat", R.O, T: 01, 1855, pp: 302-308

² François De Villaret: op .cit, p: 124.

³ أنظر نص مرسوم انشاء مدينة الجلفة في الملحق رقم: 8، ص: 416.

من طرف المكتب الرئيسي لمدير الشؤون العربية¹، ضمت ملحقة الجلفة: باش آغا أولاد نايل، آغا أولاد سعد بن سالم و22 قايد²، هذه الملحقة تبعتها ثمانية مراكز يعيش بها مجتمعه حوالي 15 أوربي وجاء ذكرها على النحو التالي³:

قصر الشارف: يقع على بعد حوالي 60 كلم شمال - غرب الجلفة ويشرف على زاقز، به 15 منزلا، 60 ساكن، به عين ماء عذب وعين ساخنة إلى الشرق درجة حرارتها 33⁰.

عامرة: تقع جنوب - غرب الجلفة ما بين عين الابل و تعظمت بها 60 منزلا بنيت حديثا تضم 200 ساكن.

زكار: تقع على بعد حوالي 24 كلم جنوب الجلفة، بها 40 منزل و50 ساكن، نساؤها مشهورات بالجمال وبأنهن ماهرات في صنع الحبال.

مجبارة: تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الجلفة على طريق مسعد والجلفة، وتبعد عن هذه الأخيرة بحوالي 24 كلم، بها 48 منزل أعيد بناؤها حديثا تضم 340 ساكن، وبها عين ماء عذب.

مسعد: تقع بالجنوب الشرقي من مدينة الجلفة على الضفة اليمنى لوادي الحمويضة، الأجل والأكثر رفاهة بين هذه المراكز، وهي واحدة بها الكثير من الحدائق وأشجار النخيل، 90 منزل يقطنها 700 ساكن، مسجد جميل بني من طرف مصالح الهندسة العسكرية الفرنسية، ومدرسة مبنية بالطوب، وعلى بعد 1 كلم على الضفة اليسرى يوجد قصر - البارود، وهو آخر نقطة توسع للرومان في الجنوب.

دمد: قليلا إلى الشرق من مسعد، واحة بها 50 نخلة.

¹ Victor Bérard: **op. cit.** pp: 278, 288,

² Ibid, pp: 307, 308.

عندما أورد فيكتور بيرار الخانات التي تتبع دائرة بوغار الإقليم العسكري قسمة المدينة مقاطعة الجزائر، خان عين وسارة و خان قلعة السطل، رغم أنه ذكر أن هذه الأخيرة تابعة لدائرة الأغواط لكن يبدو أنه خطأ مطبعي بدليل ذكرها في عنصر المناطق التابعة لدائرة بوغار، أنظر:

V. Bérard **op. cit.**, p: 292.

³ Ibid, pp: 307, 308.

الحنية: تجمع سكاني صغير يقطعه وادي الحمويضة - وربما يقصد بها حنية أولاد سالم -

عمورة: تقع بالجنوب الشرقي من مسعد على المنحدر الجنوبي لجبل بوكحيل.

ونظرا لزيادة عدد المستوطنين بعاصمة الإقليم مدينة الجلفة، كان التقسيم والتنظيم البلدي المعتمد بعد زيادة عدد المستوطنين على الشكل التالي¹:

1/ بلدية الأهالي²: وقد كانت تقاد من طرف القائد العام بمساعدة لجنة بلدية مكونة من : مسؤول المكتب العربي، قاضي السلم، القياد العشرون لقبائل المنطقة وفي كل قبيلة هناك جماعة تعمل وفق القرارات الحكوميين الصادرين في 9/11/1895 و 1896/8/25، في سنة 1911 كان سكانها ينقسمون بين: 59 فرنسين أصليين، المجنسون 28، اليهود 7، الاسبان 6، الايطاليين 4، و 1 غيرهم، أهالي رعايا فرنسيين 72958، مغاربة 5، 2 تونسيين، 38 غيرهم.

2/ بلدية مختلطة³: التي نشأت بمرسوم حكومي من الحاكم العام بتاريخ 1868/11/6 على مساحة 1720 هكتار، في سنة 1911 كان سكانها ينقسمون بين: 310 فرنسي و 67 أوروبي مجنس، 91 يهودي مجنس و 42 أوروبي و 2022 أهالي.

و القيادة العليا في البلدية لرئيس البلدية و اللجنة البلدية تتكون من منتخبين فرنسيين و 6+1 معينين (مسؤول أهلي و أعضاء اهليين) لها طاقم اداري: كاتب البلدية، محافظ شرطة من الدرجة الخامسة، عضوين اهليين، حرس بلدي.

¹ A.N.O.M. OA 83.

² Ibid.

³ Ibid.

المرحلة الثانية: منطقة الجلفة دائرة عسكرية تابعة لقسمه المدية مقاطعة الجزائر) 1874 - 1920م):

أصبحت منطقة الجلفة دائرة تابعة لقسمه المدية خاضعة للحكم العسكري وفقا للقرار الحكومي الصادر في 13 ديسمبر 1874م كانت الجلفة جزء من الجنوب بموجب قانون 24 ديسمبر 1902، المكونة من عشرين قبيلة¹.

وقد ورد في كتاب معجم قبائل ودواوير الجزائر، أن منطقة الجلفة كانت تتكون من البلدية المختلطة واقلية البلدية العربية، المقاطعة القضائية دائرة الجلفة، قسمه المدية².

كان اقليم البلدية العربية التابع للمقاطعة القضائية دائرة الجلفة قسمه المدية يضم أغاليك أولاد نايل هذه الأخيرة غير خاضعة للمرسوم التشريعي (senatus consulte) المؤرخ في 22 أبريل 1863م سنة 1876م³، تكون أغاليك أولاد نايل من:

زينة، سحاري العطايا، أولاد طعبة، أولاد أم الإخوة، أولاد سيدي يونس، عبايز، أولاد عيفة، سحاري خييزات، أولاد سي أحمد، قصور أولاد نايل، أولاد عبد القادر، أولاد بو عبد الله، أولاد رقاد الغرابية، أولاد رقاد الشراقة، أولاد بن علي، أولاد لعور و المهاش، أولاد الغويني، أولاد الخناثة، أولاد أم هاني و أولاد يحي بن سالم، وتبعاً لإحصاء 1876م بلغ عدد أهالي الأغاليك: 44342 نسمة، بدون إحصاء للبلدية المختلطة الجلفة، البلدية العربية، المقاطعة القضائية و دائرة الجلفة، قسمه المدية⁴.

المرحلة الثالثة: منطقة الجلفة ملحقة تابعة للإقليم العسكري غرداية أقاليم الجنوب) 1920 - 1954م):

بعد صدور مرسوم 24 ديسمبر 1902م ومرسوم 14 أوت 1905: تم تقسيم الجنوب لأربعة أقاليم كبرى على رأس كل منها ضابط سام يحمل لقب القائد العسكري. بدوره كل

¹ A.N.O.M. OA 83.

² كاردو: مصدر سابق، ص: 228.

³ نفسه، ص: 7، 8.

⁴ نفسه، ص: 228.

إقليم كان مجزأ لعدد من: الدوائر، ملحقات أو لمراكز تحت قيادة ضباط¹، والاقليم الذي يعنينا هنا هو قطاع غرداية المكون من: ملحقة ورقلة، ملحقة الجلفة، ودائرة الأغواط، ودائرة غرداية التي يتبعها مركز المنيع، و جعلت الجلفة مؤقتا هي مقر القيادة لكل قطاع غرداية، وطبقا لمراسيم 5 أوت 1921 و 23 ماي 1927 و 11 جانفي 1929م، بقيت الجلفة ملحقة و تم تحويل مقر القيادة إلى الأغواط².

وفي ما يلي نموذج عن التحويلات التي مست بعض القادة بالمنطقة وكذا التشريفات المقدمة لهم، و العقوبات المسلطة عليهم:

تحويلات قادة الاهالي:

اعتمادا على قرار الحاكم العام تم اصدار الأحكام التالية³:

تاريخ صدور القرار	اسم المعين الجديد	الرتبة	القبيلة المسؤول عنها	المعوض	سبب التحويل
5 افريل 1910	علي بن لحول	شيخ	اولاد احمد فرع اولاد شريف	شريف	اقالة
5 افريل 1910	أحمد بن قشوش	شيخ	اولاد أحمد فرع مرازيق	/	وضيفة جديدة
5 افريل 1910	رايح بن طاهر	شيخ	اولاد الفويني فرع عبدالرحمان بلعارية	طاهر بن بلقاسم	وفاة
5 افريل 1910	عبد الرحمان بن محمد	شيخ	اولاد خفاعة فرع اولادغويني بن سالم	علي بن ميلود	استقالة
5 افريل 1910	بن ساعد أحمد	شيخ	اولاد سيدي يونس وزينة اولاد سي أحمد بن محمد ومحمد بن يونس	رحمون بن الحد	استقالة
10 جوان 1910	قويدر بن الحاج محمد	شيخ	اولاد بن يعقوب	الحاج محمد بن صغير	وفاة
20 جوان 1910	علي بن سي هاني بن براهيم	شيخ	قبائل القصور: قصر عامرة	بلخير بن محمد	إقالة

¹Lehuraux: **op. cit**, p: 171.

² G.G.A T.S 2 partie, pp.38.39

نقلا عن عبد القادر قوبع: "أوضاع منطقة الجلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين"، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة تاريخ ومآثر، المنعقد بالمركز الثقافي الإسلامي الجلفة، 2007، ص: 78.

³ A.N.O.M. OA 83.

التنظيم القضائي¹:

بالموازاة مع التنظيم الإداري الذي اعتمدته السلطات الاستعمارية، قامت بإنشاء تنظيم قضائي للمنطقة على غرار باقي مناطق الوطن، وهو ما سيتم توضيحه في ما يلي:

محكمة الجلفة: انشئت محكمة الجلفة في 15/09/1870 تتكون من قاضي، باش عدل، عدل و دائرة اختصاصها: مدينة الجلفة، قبائل أولاد لغويني، أولاد سي محمد، أولاد أم هاني، أولاد العيفة، سحاري خبيزات.

محكمة زينة: انشئت في 15/09/1870 تتكون من: قاضي، باش عدل، عدل و مجال اختصاصها قبائل: أولاد سيدي يونس، أولاد زينة، العباريز، أولاد رقاد الغرابية و الشراقة، أولاد خناثة.

محكمة مسعد: انشئت في 15/09/1870 منذ قاض باش عدل و مجال اختصاصها قبائل القصور، أولاد طعبة، أولاد يحي بن سالم، أولاد أم الأخوة، أولاد أولاد الأعور و أولاد زيد.

محكمة زاغز: انشئت في 15/09/1870 تتكون من: قاضي، باش عدل، عدل و مجال اختصاصها قبائل أولاد عبد القادر، أولاد بوعبد الله، أولاد بن علي، السحاري (الخبيزات).

تم انشاء مجلس الجلفة بموجب مرسوم 23 سبتمبر 1905 ويشمل دائرة اختصاص المقاطعة القضائية: الجلفة، زينة، مسعد، زهاريز (Zaharés).

وبالرغم من وجود هذا التنظيم إلا أن سكان المنطقة كانوا يعتمدون على أنفسهم في حل نزاعاتهم باعتماد بعض الآليات العرفية، وبقوا متمسكين بالنظام المعتمد من قبيلهم رافضين بذلك الخضوع للاستعمار بجميع أشكاله بما فيه القضاء خاصة الأحكام التي يمكن أن تخالف الشريعة الإسلامية، ومن الشخصيات التي عرفت في مجال القضاء من أبناء المنطقة الشيخ عبد القادر المسعدي² الذي اشتهر في مجال الفتوى سواء لأبناء المنطقة وغيرهم

¹ A.N.O.M. OA 83.

² للتعرف على هذه الشخصية أكثر، أنظر: ص ص: 362-372

كعلماء ميزاب مثلاً عندما استفتوه بمسألة من مسائل الميراث، ويقال أنه أجابهم جواب شافٍ وكافٍ تعجبوا منه، وأنه من علمه الغزير كان جوابه كتبه في السوق الشعبي بدون الاعتماد على المصادر والمراجع¹، وقد أقلق لجوء الناس لاستفتائه في أمور دينهم ودنياهم، وعزوفهم عن الذهاب إلى القاضي الذي عينته السلطات الفرنسية في خصوصاتهم، ممثلي القضاء الفرنسي بالمنطقة، ففي رسالة بعث بها قاضي حاكم دائرة الجلفة يشتكي فيها من عدم لجوء الناس له لحل قضاياهم².

¹ حفناوي بن عامر غول: "الإمام عبد القادر المسعدي مرجع في العقيدة وقاموس في الأدب"، مجلة صوت السهوب، 1995.

² أنظر نص الرسالة في الملحق رقم: 9، ص: 417.

3 - التنظيم العسكري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي:

قامت السلطات الفرنسية بعد وصول قواتها إلى أراضي منطقة الجلفة باتخاذ مجموعة من الإجراءات العسكرية، تهدف إلى تثبيت أركانها في المنطقة، والقضاء على أي تمرد قد يقع فيها، معتمدة في ذلك على العديد من الفيالق والمجموعات العسكرية، منها ¹:

الصبايحية من الأهالي: بلغ عددهم 2 شخص سنة 1911م

المخزن: الذين بلغ عددهم بـ 28 شخص من نفس السنة.

الخيالة: الذين بلغ عددهم 28 منهم 6 مهاري

القوم : كان عددهم 50 خيالة إلا أنه تم إلغاء وظيفتهم بقرار حكومي في:

1903/5/8

وقد بلغ عتاد هذا الجيش من الأسلحة والذخيرة: 90 بندقية صغيرة نوع 1874 و 90 سيف نوع 1827 و 9000 خرطوشة بمعيار 1.879 - 1889 لتسليح الخيالة و فرسان القوم. سنة 1911م.

كما أن القوات الفرنسية كانت تقوم بتجنيد أبناء المنطقة في حروبها الخارجية منها:

مشاركتهم في عمليات عسكرية مع الفرنسيين بالمغرب ففي:

- سنة 1908 تم ارسال مجموعة من القوم على رأسهم ملازم و 4 قياد و 100 خيال و

108 حصان إلى الدار البيضاء، عادت المجموعة الأولى من القوم من الأرباع يوم 28

مارس، والدفعة الثانية في 23 أكتوبر إلى الجلفة رفقة الفوج الثاني من الأرباع ².

- في بداية سنة 1914 تم تجنيد 150 خيالة من القوم أرسلوا إلى تازة، شاركوا في

عمليات عسكرية بتازة، ومن بين 150 خيالة الذين أرسلوا في شهر فيفري قتلوا منهم

¹ A. N.O. M AO83

² Ibid.

6، و16 أصيبوا بجراح، وعاد منهم 20 شخص، أما البقية لأقحموا في قوات الصبايحية الجزائرية¹.

ويمكن إيجاز الاجراءات العسكرية المتخذة من قبل السلطات الفرنسية بالمنطقة والتي كانت تهدف الى اخضاع الاهالي والسيطرة على المنطقة في ما يلي:

3 - 1 حصار وتطويق المنطقة:

بعد أن أدركت قوات الاحتلال الفرنسي أن عدد قبائل بلاد أولاد نايل كبير ومناطقهم معظمها جبلية صعبة ولا يمكن إخضاعهم ومعاقتهم إلا عن طريق الخطوات التالية²:

- 1- إقامة مركزا عسكريا بقلعة السطل باعتبارها نقطة استراتيجية جغرافيا وعسكريا.
- 2- تهيئة منطقة سرقين لتخيم الطوابير العسكرية كلما دعت الضرورة.
- 3- السيطرة على حوض زكار الغني بالمراعي والبساتين والحقول.
- 4- تحويل طابور للتخيم في خنق المالح يمكن التأثير على كل القبائل حتى قصر دمد، و يكفي في هاتين الحالتين توفر 1000 جندي و 200 فارس و 300 إلى 400 من القوم.
- 5- أما إذا كانت الغارة تستهدف المناطق الوعرة ينبغي تجهيز 1500 مشاة، 300 فارس نظامي، 700 إلى 800 من القوم. فتسهل الحركة بسرعة نحو الجلفة.
- 6- يمكن تطويق أولاد نايل بطوابير عسكرية من الشمال ومن الجنوب الشرقي باستقدام قوات من بسكرة وأخرى من المدية تنطلق في نفس اليوم حتى تكون الغارة ذات نتائج، لاسيما إذا انحصرت وجهتيهما بين عين الريش والجلفة مما يدفع لا محالة بقبائل أولاد نايل إلى النزوح نحو وادي جدي، حيث المناطق الجرداء

¹ A. N.O. M . G. G.A Boit 932/93 Rapport 1914.

² A.M.G: Observations, op. cit, H 229

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 288.

المنعدمة المياه، ومن ثم لا يمكنهم الصمود أكثر من 15 يوما في تلك المناطق لخلوها من المراعي والماء، الأمر الذي يضطرهم إلى الاستسلام حفاظا على مواشيهم من الانقراض.

وهناك إمكانية أخرى تضمن السيطرة على أولاد نايل بتحريك طابورين عسكريين من دمد وعين الريش، ومحاصرتهم بقوات أحمد المقراني من الشرق وأتباع الباشاغا بن يحيى من الشمال والأرباع بقيادة أحمد بن سالم من الجنوب الغربي، مما يسهل الاستلاء على مواردهم الحيوانية¹.

3 - 2 إقامة الأبراج العسكرية والخانات: أنشأت فرنسا العديد من الأبراج العسكرية والخانات لتحقيق أهدافها في المنطقة واستغلالها في العديد من المهام العسكرية كالمراقبة والتجميع ومراكز للتموين ومحطات لقوافل ومن هذه الأبراج والخانات:

برج الحمام: تم تشييد دار للقيادة في المكان المسمى الحمام في سفح جبل زمراش في السنوات الأولى للاحتلال وبالضبط في جوان 1851م للأغا سي شريف بلحشر من قبل فرقة عسكرية فرنسية بأمر من الجنرال لادميرول خصص هذا البرج لمراقبة أولاد نايل بزاغر الشرقي².

خان حجر الملح: يقع على بعد 47 كلم من قلعة اسطل وعند مدخل الوادي المؤدي للجلفة وسمى كذلك نسبة لصخرة الملح الكبيرة الموجودة بسلسلة جبل السحاري فكل المياه لها ذوق مالح، كان هذا الخان بمثابة محطة للقوافل³.

برج الجلفة: أنشئ الحصن العسكري أو برج بالمكان المسمى ضاية الجلفة - والذي حملت المنطقة اسمه - عند المخرج الجنوبي لمجرى الواد المالح وسط بلاد أولاد نايل من طرف الجنرال يوسف بأمر من الحاكم العام راندون للجنرال يوسف ليكون بمثابة دار لقيادة

¹ A.M.G: **District des Oulad Nail**, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي...، مرجع سابق، ص: 289.

² Arnaud: " **Histoire de Oulad Nail**", IN: R.A, VOL: 17, op. cit, p: 382.

³ Victor Berard: op. cit, p: 292.

للخليفة سي شريف بلحرش¹، وقد شرع في بناءه بتاريخ 24 سبتمبر إلى غاية 17 نوفمبر 1852م حيث تمت الأشغال الكبرى للحصن². في البداية كان الهدف من انشائه تنظيم وترسيخ الفعل الاستعماري والسيطرة على تحركات أهالي منطقة الجلفة، وكذا من أجل امداد الطواير العسكرية بالمؤن والذخيرة الحربية وبالجند أثناء عملية احتلال الأغواط³، إذ اعتبر برج الجلفة كنقطة تزود بناء على التعليمات الأولى التي تلقاها القائد السامي النقيب دي باراي للجلفة والأغواط بتاريخ 1 جانفي 1853م من طرف القائد الأعلى لمقاطعة الجزائر الجنرال كامو بشأن ترتيبات بالجلفة⁴.

خان عين الابل: بالقرب من الخان قرية للأهالي، كما غرس بها السيد لونغ 16000 كرمة. على ارتفاع 1025 متر⁵.

هذا بالإضافة إلى خان: المجبارة، برج الشارف، برج مسعد.

3 - انشاء مركز للشرطة: أسست السلطات الفرنسية مراكز للشرطة منها بناء مركز للشرطة 1951م⁶ الذي كلف بمهمة مراقبة الأهالي.....

ومن بين فرق الشرطة التي عملت بالمنطقة هناك: الشرطة القضائية وتمثلت مهمتها في الاستخبارات الأمنية مهمتها ترصد حركة القبائل و مراقبة أفعالها عن كذب حتى تتمكن من إحباط كل محاولة تخل بالنظام، وتتماشى حسب عدد السكان⁷، وفي ما يلي عرض نموذج من مهام الشرطة القضائية:

¹ Arnaud: **op. cit**, pp: 382, 383

و بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 332.

² François de Villaret: **op. cit**, pp: 121, 123.

³ بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 332.

⁴ E. Mangin: " **Histoire de Laghouat** ", IN: R.A, V: 39, 1895, p: 13.

لتفاصيل أكثر عن هذا البرج أنظر ص ص: 248-245.

⁵ Victor Berard: **op. cit**, p: 293.

⁶ Francois De Villaret: **op. cit**, p: 128,

⁷ A.N.O.M. OA 83

حدث سنة 1908 جناية تمثلت في مقتل أحد الأوروبيين كان يشتغل تاجر يدعى Rivet قتل رفقة أحد مصاحبيه في المكان المسمى فج الكاف باز ما بين بن يعقوب وزنينة، وتم القبض على الجاني من طرف الضابط المكلف بالتحقيق بمساعدة القائد سعيد بن عبد السلام قايد أولاد خناثة¹

هذه صورة عن التنظيمات التي أحدثتها السلطات الفرنسية عقب احتلالها للمنطقة من أجل احكام قبضتها على المنطقة، وتسهيل عملية تسييرها والاستفادة أكبر قدر ممكن من خيراتها.

¹ A.N.O.M./ OA 83.

الباب الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة
الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية لمنطقة الجلفة

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي

الفصل الأول

الحياة الاقتصادية لمنطقة الجلفة

- 1 - الوضع الاقتصادي لمنطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي
- 2 - السياسة الاقتصادية الفرنسية بمنطقة الجلفة
- 3 - نتائج السياسة الاقتصادية الفرنسية

تمهيد:

في هذا الفصل سستتم محاولة عرض الوضع الاقتصادي في منطقة الجلفة، و عرض
للاجراءات المتبعة من طرف السلطات الفرنسية من أجل استغلال التام لثروات البلاد، وفي
الأخير عرض لنتائج هذه الإجراءات ج هذه السياسة.

1 — الوضع الاقتصادي لمنطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي:**1 - 1 الزراعة وتربية المواشي:**

الموقع الجغرافي لمنطقة الجلفة السهبي الممتد بين التل والصحراء جعل مناخ المنطقة
شبه جاف، هذه البيئة الصعبة حتمت على ساكني المنطقة امتهان مهنة تساعد على
التكيف مع هذه البيئة، فاتخذوا من تربية الماشية خاصة الأغنام مهنة لهم، وهو ما سينعكس
على مسألة الحل والترحال، التي عُرفوا بها للحصول على الكلاً مما سينجر عنه واقعا
اقتصاديا، واجتماعيا شاملا.

فكانت أغلب قبائل منطقة الجلفة ينتقلون مع قطعانهم بحثا عن مصادر الماء
والأعشاب، فتجدهم صيفا ينتقلون صوب المناطق الشمالية (التل) ذات الحرارة المعتدلة
والوفيرة الحصاد لرعي مواشيهم، أما في شتاء فإنهم كانوا يتجهون إلى الجنوب (الصحراء)
حيث الجو الدافئ والكلاً، هذه الحياة التي عاشها أهل المنطقة جعلت أحدهم يصفهم بأنهم:
«... متفانون في تربية الإبل، والغنم، وهي المصدر الوحيد لثروتهم»¹.

إلا أن نشاطهم هذا لم يمنعهم من ممارسة الزراعة، لاسيما منهم المقيمين بالقصور،
إذ كانوا يزرعون الحبوب التي يجلبها لهم الرحل من الشمال²، فيحرثون الأرض بمحاريث
تجرها الثيران، وينتظرون هطول الأمطار وغزارتها هي مؤشر على أن الحصاد وفير، وما إن
يحل هذا الموعد يكون أفراد هذه القبيلة مجتمعون جميعا في ذلك اليوم، ويحصدون بالمنجل
قطعة الأرض (العزلة) التابعة لأحدهم؛ وهذا العمل التطوعي الجماعي يسمى التوزيع.

¹ محمد بن العابد الجلاي: "وقفة بالجلفة"، في المنتقد (جريدة كانت تصدر عن نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة كل خميس)، ع: 16، 1925، دار
الهدى، عين مليلة، 2012، ص: 295.

² Eugène Fromentin: **op. cit**, p: 41, De Sanvitale: **op. cit**, pp: 203,204.

كما اعتمدت قبائل منطقة الجلفة تقنية تخزين المحاصيل الزراعية بالقصور في مطامير¹، وشمل هذا التخزين محاصيل أراضيها من الحبوب في المواسم الممطرة، أو الحبوب التي كانوا يشتروها في موسم الحصاد من التل، ومن هذه المطامير تلك الموجودة في قصور: مسعد؛ دمد؛ زكار؛ المجبارة؛ عامرة؛ زينة وغيرها².

كما اعتمد سكان منطقة الجلفة نظام جد دقيق ومنظم لري الأراضي، خاصة تلك التي تقع على ضفاف الوديان والمليئة بالبساتين وتنتج أنواع مختلفة من الخضر والفواكه، كأراضي قصري: دمد، ومسعد فهذا الأخير به: « عدة بساتين، أحاطها ملاكها بأسوار من طين، التقت ببساتين دمد، لتشكل متاهة معقدة والتي يتوه فيها المرء بكل سعادة، تسقى بثلاثة قنوات واسعة الواحدة فوق الأخرى تفصل بينها بعض الأمتار، تتغذى من واد حمويضة، عدة أنابيب صغيرة، تخرج من القنوات، وتجتاز البساتين في كل الاتجاهات: أشجار التفاح؛ السفرجل؛ التين؛ المشمش؛ والخوخ غير المطعمة وذات فاكهة لذيذة، بجذوع مرهقة، بحمل مجموعة من الأغصان العظيمة، بعد أن صنعت سياجا مظلما من الاخضرار والأزهار البديعة.... في ظلالها ينمو الشامام بقوة، البطيخ الأحمر، اليقطين الضخم، اللفت، الجزر، وبعض البطاطا. بعض نخيل مزاب الشابة تشمخ برؤوسها الخضراء فوق غابة الفواكه الكبيرة هذه، والتي تتزايد باستمرار»³.

ومنه فإنه يمكن وصف ساكني منطقة الجلفة بأنهم كانوا يعيشون على تربية المواشي والزراعة، أي أن حياتهم زراعية رعوية.

1 - 2 الصناعة والحرف اليدوية في منطقة الجلفة:

تمكن سكان بلاد أولاد نايل الغرابة أو سكان منطقة الجلفة من تحقيق اكتفائهم الذاتي في كل مجالات الحياة باستخدام الوسائل المتاحة عندهم، فمن الحلفاء - النبتة النافعة

¹ هي جمع مطمورة وتعني المكان الذي تخزن فيه الحبوب، تكون على شكل حفرة عريضة في التراب قطرها وعمقها حوالي ثلاث أذرع، تفرش في قعرها طبقة من التبن بعناية اجتنابا للرطوبة، ثم تملأ بالحبوب وتغطي أيضا بالتبن ثم تردم لتصبح مخزونا سرى وافيا، وهناك العديد منها بمنطقة الجلفة التي كان يتخذها قبائلها لتخزين منتوجهم.

² دوماس: مصدر سابق، ص ص: 211، 212.

³ Arnaud: " Exploration du Djebel Boukahil ", In R.A, VL: 07, op. cit., p: 54.

كما وصفها فرومنتان - صنعوا: « الحصائر والقبعات والأوعية والقدور التي تحوي الحليب والماء والصحون الواسعة لتقديم الفاكهة، ... »¹، كما استخدموا صوف ووبر وشعر مواشيهم لصنع لباسهم وأغطيتهم وأفرشتهم، ومن جلودها وسائل لحفظ أكلهم وشربهم، كما اشتهرت المنطقة بصناعة البارود².

وعليه فقد مثلت الصناعات التقليدية إحدى أهم مصادر الدخل والمعيشة لساكلي بلاد أولاد نايل، فالمرأة كانت إلى جانب الرجل لإنتاج ما يحتاجونه من: المأكول والملبس والسكن والعلاج...، ومن الصناعات التقليدية التي عرفتها بلاد أولاد نايل الغرابة أو منطقة الجلفة:

1- **الصناعات النسيجية:** يمكن تقسيم الصناعات النسيجية بمنطقة الجلفة إلى ثلاث أصناف³:

❖ **عتاد الخيمة المنسوجة:** تعتبر "الخيمة" و "الغرارة" و "الحمل" أهم ما تصنعه المرأة بمنطقة الجلفة، فالخيمة معروفة باسم "البيت" بينما "الغرارة" هي بمثابة "خزانة العرب"، و يتم صناعتهما عن طريق منسج يسمى "الفليج"، فبعد عملية زج صوف الأغنام وقص شعر الماعز و غسل الصوف و غزله و خلطه بالشعر ليزداد متانة ينسج، كما تنسج أيضا بعض القطع الخاصة بتجهيز الخيمة و هي: الطرية؛ الشابحة؛ الحمل (الحيال)؛ "التليس" و هو خُرج كبير يوضع على جانبي الجمل لحمل المقتنيات.

❖ **الألبسة المنسوجة:** و على رأسها البرنوس المصنوع من وبر المخلول (صغير الجمل) و هو بمثابة زينة الرجل، و هو أغلى لباس إلى اليوم حسب درجة اتقان النسج و خفة وزنه، إلى جانب القشايية، أما بالنسبة للباس المرأة فهي تنسج لنفسها "الخمري" الذي يكون متقنا و خفيف الوزن و يتم نسجه من الصوف و يكون لونه أسودا مع خطين باللون الأحمر.

¹ Eugène Fromentin: **op. cit**, p p: 54, 55.

² دو ماس: **مصدر سابق**، ص: 197.

³ شولي بلخضر: **مرجع سابق**، ص ص: 53 - 54.

❖ **الأغطية المنسوجة:** وهي الأفرشة و الأغطية المختلفة حسب الوزن و الأبعاد ، و منها : الزربية؛ الوسائد؛ الحولي؛ الحنبل؛ الكسا؛ و القطيفة، و تتميز بعض المنسوجات بكثافة خملها أي خيوطها الصوفية المنسوجة.

2- الصناعات الجلدية: وهي أيضا نوعان ¹:

❖ **الألبسة الجلدية:** و تتمثل في الأحذية بأنواعها و المعروفة بالمنطقة باسم "الصباط الطعبي" و هو علامة مسجلة الى اليوم، كما يصنع من الجلود أيضا أنواع من المحافظ مختلفة الأحجام و الخف أو "البست" و هو خف مطرز.

❖ **العتاد الجلدي:** وهو مخصص لحفظ الأطعمة الجافة و السائلة و الدسمة منها و تصنع كلها من جلد الماعز و الأغنام، و منها الشكوة (لحفظ اللبن)، العكة (لحفظ الرّب أي السمن مع التمر)، القرية (لحفظ الماء)، السليخ (لحفظ الدهن)، المزود: (لحفظ الأغذية الجافة) كما استعمل كوسادة فاخرة بعد تليينه بطرق خاصة، الشنة وهي قرية متوسطة و "الشبيوطة" التي هي أصغر منهما حجما و ذات استعمال فردي، الطلية و هي مزود صغير، و يضاف الى ذلك صناعة البندير كآلة موسيقية.

كل هذه الأدوات الجلدية يتم دباغتها نباتيا بلحاء الصنوبر والعرجار و الملح مع اضافة القطران إليها؛ والذي يعتبر استخراجة صناعة بحد ذاتها رفقة الفحم، يمهر و يختص فيها حرفيون من عروش السحاري.

3 - **السلالة ²:** كل أهل منطقة الجلفة معروفون بهذه الصناعة، لأن سهوب بلاد أولاد نايل معروفة بانتشار نباتات الحلفاء و الدوم، فالحلفاء كانت تستخدم في صناعات تقليدية مختلفة لإنتاج الحصائر و السجادات و الحبال، السلّات، الأطباق، القفف، الأقداح، القنونة (قدح كبير)، المكانس "تسمى المصلحة"، المراوح، القعّاد (كالغريال من أجل فصل الدقيق عن بعضه)، المحقن لتصفية اللبن و الحليب في الشكوة، الزقرور الذي توضع فيه الأواني و هو يشبه المهراس في الشكل، الكسكاس، بردعة الدواب. اضافة الى "الرونية" و هي أكبر

¹ شولي بلخضر: مرجع سابق، ص ص: 54، 55.

² نفسه، ص ص: 56، 57.

تصنع من الحلفاء للتخزين و شكلها أسطوانى بقطر يصل مترين و ارتفاع حوالى 01.5م. و تتسج من الحلفاء أداة تسمى " اللفص " من أجل حفظ الجبن لمدة يسيرة لا تفوق يومين. كما كانت الحلفاء تستخدم أيضا لإيقاد النار و كذلك لتصفية ملح البارود ، أما الدوم فكان يصنع منه المظل و الخرج الذي يوضع فوق الدابة (و يسمى أيضا الشواري لأنه توضع فيها المشتريات).

4- التلوين والصبغة والدباغة¹: فنون الصباغة والدباغة معروفة بهذه البلاد لا سيما وأنها كانت مما تنتجه الطبيعة ، فشكلت تراثا وعلامة مميزة من الناحية الفنية مثلما هو الشأن مع الحمرة الخاصة بلون الخيمة، فصناعة الأواني كان يلجأ فيها الى المصادر المعدنية كالحجارة المؤكسدة من الجبال مثل الزجاج والمقرة، مثلما يلجأ فيها أيضا إلى النباتات المختلفة ك: قشور الرمان؛ لحاء الصنوبر؛ النيلة؛ الطرثوث؛ الزعفران؛ والعفص ...، وألوان حبر الكتابة أيضا كانت لها طرق صناعتها، فكان يصنع بحرق الصوف ومن المصادر نباتية مختلفة الألوان مثل "صمغ الأشجار".

ويمثل الصوف بلونه الأسود أو البني قيمة عالية فتلجأ إليه النساء لصناعات نسيجية مختلفة حيث كان يسمى لون هذا الصوف بـ الأدرع، أما دباغة الجلود فكانت تتم نباتيا بواسطة لحاء أشجار الصنوبر.

5- الملاسة²: أو صناعة الفخار وفيها يتم جلب الطين من محافرة القرية، ويصنع منها أواني طينية مثل: الطواجين ومفردها طاجين لطهي الخبز؛ الحلاب لحفظ اللبن والحليب؛ القدور ومفردها قدرة؛ الجرات (لحفظ الماء أو السمن)، النافخ أو المجرم الذي يوضع فوقه الجمر للشواء.

6- صناعة البارود: كان عرب الجنوب ومنهم سكان بلاد أولاد نايل يصنعون ملح البارود بترشيح التراب، الذي يتم جمعه من أطلال القصور القديمة أو من المغارات الطبيعية - التي

¹ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 58.

² نفسه، ص: 59.

يحفرونها بغرض جعلها كمأوى للمواشي- ، فالمادة العضوية الموجودة في تلك الأتربة تعتبر علامة على وجود الأملاح بالتراب.

ومن المناطق التي كان يستخرج ملح البارود جبل الرصاص شرق بلاد أولاد نايل¹ وكان يوجد أيضا مقلع على حافة وادي الجرف أحد فروع وادي جدي، أين توجد كميات كبيرة من ملح البارود تقوم باستخراجه قبيلة أولا نايل ونظرا لأهمية هذا البارود وشهرته لدى القبائل فقد كان يعرف بالبارود الجريفي² ويضاف الى ذلك المقالع المعروفة لدى سكان المنطقة مثلما هو الأمر مع جبال "تفارة" بين قصري: زكار، و المجبارة.

أما عن عملية صنع البارود، فقد كانت تتم عن طريق تحضير ملح البارود والفحم والكبريت وتفتيتها من الشوائب يتم مزجها بمقادير معروفة، وتوضع في المهراس للدرس، ومن المستحب أن يكون المهراس من: الحجر، أو الرخام، أو الخشب، وتدق كل هذه العناصر مع بعضها دقا جيدا. و ينبغي أن تكون يد المهراس من الخشب البلوط أو العود الشوك أو النشم أو من الدردار الخالية من أي مسمار تجنباً لاشتعال النار³.

كانت تجارة البارود مربحة وتمرسها كل قرى الجنوب بلا استثناء⁴، وقد أورد الجنرال "دوماس"، الذي كان مديرا مركزيا لشؤون العرب في كتابه الصحراء الجزائرية الصادر سنة 1845، بأن بارود دمد كان يباع في قراطيس من القصب الجاف ويعتبر من أجود أنواع البارود وأشهرها في الصحراء⁵، ونظرا لتخوف السلطات الفرنسية من هذا النشاط الذي تمارسه قبيلة أولاد نايل وكانت متأكدة انها ستستخدمه ضدها، قامت بمنع انتاجه أكثر من مرة، فقد أوردت جريدة المبشر في عددها 19 ما يلي: « نبه سعادة الجنيرال حاكم العملات الجزائرية عن بيع ملح البارود والكبريت وشرائهما، ومهما وجد عند أحد

¹ رحلة ابن الدين الأغواطي: مصدر سابق، ص: 91

² لخضر درياس: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني. أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، (غير منشورة)، ص: 27.

³ نفسه، ص: 39.

⁴ نفسه، ص: 30.

⁵ دوماس: مصدر سابق، ص: 197.

يأخذه له البايك غصبا مع عقوبة السجن إلا من طلب الاذن من متول الأمور العرب وبين له حاجته...¹

7- الحداة²: ويصنع فيها الحرفي أو ما يعرف بالمعلم، المحارث والمناجل والأمواس والسلاح من بنادق، و مسدسات، والرمانه والخنجر والسيف وحذوة الحصان وغيرها.

8- صناعة الحلي³: لقد برع وأبدع حرفيو المنطقة في صناعة الحلي مستفيدين من نمط عيشهم وبيئتهم، مسخرين مواردها لصالحهم، كما أن تراث صناعة الحلي النائلية قد تم تصديره إلى عدة مناطق من الجزائر، بفضل تنقلات الحرفيين المعروفين بمعاليم.

تميزت صناعة الحلي بالمنطقة ببساطة أدوات الصنع، فكانوا يرتحلون مع النجوع حاملين معهم عتادهم وأدواتهم التي تتمثل غالبا في: الزبرة؛ والرابوز (للمقيم)، أو المزواد (للمرتحل)؛ و "الفحم"؛ و"رقعة الترزق"؛ و الكلايب؛ وقوالب مواثيل لنماذج الحلي؛ ومناقيش؛ ومطارق؛ والدابد (الفرجار)؛ والميلق؛ والمجرات وغيرها.

فكانت قبائل أولاد نايل يصنعون: (الخلاخيل الذواذي وبطن اللفة والمبروم والمظفور ورأس الحنش، والمكحلة والأساور، والدح والمشبوك، والحدايد والمسيبغات، والعصابات؛ " الناصية و التعصيبة والناصية أم صفين"، والقلايدات؛ " قلادة والخناق و الطلق والشتوف والدركات"، والأبازيم؛ " لمدور والخلالة والدرقة"، والأحزمة؛ " مختلفة النقوش ولأحجام"... وغيرها)⁴.

1 - 3 الأسواق والمبادلات التجارية:

معروف عن سكان منطقة الجلفة أن نشاطهم الأساسي هو: الرعي الذي كان يفرض عليهم التنقل شمالا؛ وجنوبا، غربا؛ وشرقا بحثا عن الكلاء لمواشهم، لذا فقد رافق هذا النشاط نشاط آخر وهو ممارسة التجارة ومبادلة السلع، إذ كانوا يقومون بعرض سلعهم التي

¹ المبشر: ع: 19، 15 جوان 1848.

² بلخضر شولي وآخرون: مرجع سابق، ص: 61.

³ نفسه.

⁴ نفسه.

تنتجها أراضهم، أو تلك التي يجلونها مع في أسفارهم من جهات الوطن الأربعة، فكانوا يصدرون السلع المجلوبة من الشمال والفائضة عن حاجتهم خاصة الحبوب إلى الجنوب، و سلع هذه الأخيرة خاصة التمور إلى الشمال، وبالتالي فهم يعتبرون مساهم بارز وفعال في تنشيط الحركة التجارية بمنطقة الوسط التي يحتلونها، وهذا ما أكدته تقرير المكتب العربي بالمدينة سنة 1846م، إذ جاء فيه أن قبيلة أولاد ساعد بن سالم النيلية، كانت تجوب كل الأسواق الكبرى بالصحراء وتمارس المقايضة مع أهل تقرت وبني مزاب والأغواط وتقوم بشراء كميات كبيرة من التمور وتبادلها بالقمح، و اعتبروا الوسطاء بين أولاد نايل والجنوب في التجارة¹.

أما عن أهم الأسواق التي ارتادتها قبائل بلاد أولاد نايل الغرابة (منطقة الجلفة) هي:

• أسواق المدينة شمالا:

ارتاد سكان منطقة الجلفة سوق المدينة، هذا السوق الذي أعطته السلطة العثمانية الطابع الرسمي خلال الفترة (1775 - 1795)، - وهي الفترة التي عُين فيها "مصطفى الوزناجي" بايا على التيطري-، إذ تم تخصيص سوق لقوافل أولاد نايل بمنطقة "عين الباردة" بأرض قبيلة "أولاد علان" بالمدينة، للتزود بالقمح والشعير وبالأسعار التي حددها الباي، هذا السوق كان تحت سلطة شيخ قبيلة "أولاد المختار"، الذي كلفته السلطة العثمانية بجمع مختلف الضرائب مثل: الحصة والغرامة من القبائل الوافدة بما فيها قبائل أولاد نايل، وحسب تقديرات الإدارة الفرنسية، فإن سوق التل التي يفد عليها أولاد نايل يمكنها أن تفيد في تحصيل 200 ألف فرنك فرنسي سنويا كضرائب مختلفة (عشور، زكاة، حصة) على شراء الحبوب².

¹ بلخضر شولي وآخرون: مرجع سابق، ص ص: 63، 64.

² فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص ص: 185، 186، بلخضر شولي وآخرون: مرجع سابق، ص: 62.

• أسواق الجنوب:

- أسواق بني ميزاب:

ارتادت قبائل أولاد نايل بما فيها قبائل منطقة الجلفة على أسواق بني ميزاب، لتزودوها بالحبوب التي كانوا يأتون بها من التل¹، بل إن في غرداية كان بها باب أو مدخل يحمل اسم باب أولاد نايل².

- أسواق تقرت:

كما ارتادت قبائل بلاد أولاد نايل بما فيهم قبائل منطقة الجلفة سوق تقرت بالجنوب، الذي تعرض به سلع من الجزائر وخارجها، فكانت قبائل منطقة الجلفة يقومون ببيع أو مبادلة منتوجاتهم المحلية أو تلك المجلوبة من الشمال ك: الحبوب؛ الصوف؛ الكباش؛ وبعض الجمال، ويتزودون بالسلع التي كانت تعرض بتقرت ومنها تلك المجلوبة من تونس³.

- أسواق متليلي:

رعى شعابنة متليلي الجنوب السوق الذي كان يقام هناك، فكانوا يستقبلون السلع التي يأتي بها أولاد نايل و القوافل الأخرى القادمة من الشمال، فيحتفظون بما يحتاجونه ويقومون بتسويق الباقي إلى الجنوب خاصة بالسوق الرئيسي في "توات"، وبدورها هذه السلع تصل إفريقيا جنوب الصحراء التي كان يتولى مهمة نقلها التوارق لتصل إلى تنبكتو⁴، ومن السلع التي كانت تصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء الملح الذي كان يقايس بالذهب⁵، فليس بعيدا أن يكون ملح زاغز منطقة الجلفة وصل إلى هذه المناطق.

¹ دوماس: مصدر سابق، ص: 84، 91.

² نفسه، ص: 81.

³ نفسه، ص: 177، 178.

⁴ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 63.

⁵ لمزيد من التفاصيل حول العلاقات بين ضفتي الصحراء الإفريقية الكبرى، أنظر مثلا:

بوليم دنيس: الحضارات الإفريقية، تر: على شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974 م، ص: 34، 35، دونالد ويدنز: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر: راشد البدرابي، دار الجبل للطباعة، ص: 37، بازل دافدن: إفريقيا تحت أضواء جديدة، تر: جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لبنان، د. ت. ن، ص: 120.

J. Fage: **A History of Africa**, first published, Hutchinson, and com, London, 1978, p: 47

• أسواق الشرق:

- أسواق بوسعادة¹:

كانت قبائل منطقة الجلفة يرتادون رحبة الناظر ببوسعادة، المشهور بنشاط الحركة التجارية به والذي يعقد يوميا، إذ كان يرتاده ليس أقل من 500 إلى 600 جمل في اليوم، وقد أشاد دوماس بأهمية هذا السوق، نظرا لموقع المدينة الاستراتيجي، فالسيطرة عليها تكون بمثابة السيطرة على المناطق المجاورة شمالا وجنوبا غربا وشرقا، فهي موجودة على حافة التل والصحراء ومفتوح للقبائل نحو الجنوب، ومجاورة لأولاد نايل بالجنوب والشرق، يجوبها في كل حين سكان قرى الزبان، الذين لهم علاقات مع المدينة، قسنطينة، بسكرة، تقرت، العريوات، وبني ميزاب.

فالقبائل القادمة من التل كانت تعرض: القمح الشعير، الزيت، البرانس، القماش، بطريات البنادق، ويحملون معهم: بعض الأبقار؛ الكثير من الجمال؛ أحصنة؛ بغال؛ أحمر، أما الذين كانوا يأتون من الصحراء فكانوا يحملون معهم: الصوف الكثير؛ الكباش؛ ريش النعام؛ الحائك؛ التمور؛ زبدة الماعز؛ الجبن؛ حقائب لحمل الأعباء؛ خيم من وبر الجمال؛ الكثير من الملح من عين الملح بالشرق وجبل الزاغز بالغرب(شمال منطقة الجلفة)، والعبيد السود.

أما السلع المعروضة من أهل بوسعادة والتي أغلبها مجلوبة من الجزائر العاصمة أو من قسنطينة، فهي: الطرابيش؛ مناديل هندية؛ النسيج القطني؛ الحرير؛ الأبراز؛ الأصباغ؛ الأحذية؛ الزيوت؛ الإبر؛ الدبابيس؛ الأحزمة النسائية والرجالية؛ الحديد والفولاذ؛ الأدوات المصنوعة من النحاس(المعاول، والمجارف، سكك المحراث، الأقفال، السكاكين)؛ القطع الزجاجية التي تصنع منها حلي النساء؛ المرجان؛ الآساور من القرن الذهبي ومن الأينوس؛ حلي النساء من الذهب والفضة؛ السكر؛ القهوة؛ شمع العسل؛ الأزرق البروس؛ الشب الذي كان يستعمل في الطب العربي.

Davidson: **les Africains Avant les blancs**, traduit par: Pierre vivaud, Paris, 1962, p:30

¹ دوماس: مرجع سابق، ص ص: 127 - 131.

- أسواق المسيلة:

هذا السوق ظل مغلقا من طرف السلطات الفرنسية بعد احتلال قسنطينة سنة 1837م إلى غاية عودة النشاط إليه من 26 أوت 1843 إلى 11 سبتمبر من نفس السنة تحت رقابة المقراني خليفة فرنسا على الشرق، وهذا السوق يضم حوالي 4000 خيمة لقبائل أولاد نايل (نصفهم أولاد عامر) وأولاد ماضي والسوامع وهاشم، ويشكل أولاد نايل أغلب الحاضرين في هذه السوق التي تباع فيها كميات كبيرة من: القمح؛ والخيم؛ والحايك؛ والبرنس؛ الزرابي والخيل؛ والجمال، وفي سنة 1843م حاول المقراني خليفة فرنسا أن يفرض غرامة 20 فرنك على كل خيمة، ولكنه فشل في ذلك عدا على عدد ضعيف من الخيم، وقد نقلت مجلة مونيتور أن هذه السوق ستشكل فرصة سانحة لفرض سلطة المقراني على قبائل الصحراء، بالنظر إلى أن حاجتهم إلى الجنوب ستؤدي إلى استسلامهم¹.

• أسواق الغرب:

- أسواق العريوات:

كان يعقد سوقان بمدينة العريوات وهما: سوق القاو، وسوق الخير، ارتادتهما قبائل بلاد أولاد نايل الرحل وقبائل منطقة الجلفة جزء منهم، فكانوا يبيعون أو يستبدلون الحبوب التي جلبوها من التل والتمور المجلوبة من الجنوب، بالإضافة إلى الزبدة، والصوف والكباش².

ومما سبق يمكن استنتاج أن الحياة الاقتصادية بمنطقة الجلفة كانت منتعشة، ومن أن الإنسان الجلفاوي حاول التكيف مع البيئة الصعبة التي كان يعيش فيها فوفر احتياجاته الخاصة وحقق اكتفاءه الذاتي منتفعا بما تجود به أرضه، وكان مساهم بارز وفعال في عملية تنشيط الحركة الاقتصادية بإقليمه.

¹ Le moniteur Algérien, (journal Officiel de la Colonie), No: 567, 12 Année; 30 septembre. 1843, p: 4.

² دumas: مصدر سابق، ص ص: 40، 41.

2 – السياسة الاقتصادية الفرنسية بمنطقة الجلفة؛

عكست الرسالة التي كتبها الجنرال بيجو إلى الماريشال سولت (Soult) وزير الحرية بباريس أهمية السيطرة على الإقليم - الذي تحتل مركزه منطقة الجلفة - ، في خدمة المصالح الاقتصادية الفرنسية فكتب: « فضلا عما تقدمه لنا من ثروات فإن المناطق الأهلة في الصحراء هي ضرورية لسياستنا وتجارتنا، ... وبسيطرتنا على هذه المناطق تفتح لنا آفاقا واسعة لازدهار تجارتنا وربطها بإفريقيا الداخلية، ... »¹.

لذا عملت السلطات الفرنسية على رسم سياسة اقتصادية تخدم مصالحها وتزيد من دخلها، فعملت على البحث عن مصادر هذا الدخل فوجدت في اتباع نظام الغرامات والضرائب مصدر مهم لخزينتها وخدمة أهدافها، كما عملت على تطوير وتحسين الاقتصاد بالجزائر بما فيه المنطقة مجال البحث بهدف خدمة مصالحها، واتبعت جملة من الإجراءات لتتمكن من الاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية، فتسببت بذلك في عملية استنزاف منظم لثروات البلاد وأدت في الكثير من الأحيان منها إلى اندثار بعضها.

ويمكن حصر أهم مظاهر هذه السياسة الاقتصادية الفرنسية بمنطقة الجلفة في ما

يلي:

2 - 1 فرض الغرامات والضرائب:

لم تسلم منطقة الجلفة وأبنائها من الإجراءات القمعية والزجرية التي مارسها المستعمر في إطار السياسة العامة التي انتهجها لا سيما منها الاقتصادية عبر مختلف مناطق الوطن لتحقيق هدفه المنشود لبسط سيطرته على البلاد وتحقيق مآربه؛ ليسهل عليهم عملية اخضاع البلاد والعباد وتعبئة خزينته وتموين وتمويل حملاته؛...، هذه السياسة أرهقت كاهل السكان الجزائريين وجردتهم من مصادر دخلهم وجوعتهم، ومن هذه الإجراءات القمعية التي استهدفت الشعب الجزائري واقتصاده؛ نظام الغرامات ونظام الضرائب.

¹ Mangin: " Notes sur l'histoire de Laghouat ", IN: R.A, VOL: 38..., op .cit, p: 87.

2 - 1 - 1 نظام الغرامات: وهو النظام الذي أحدثه الجنرال بيجو واصدار قراره بتاريخ جانفي 1844م للحد من المقاومات الشعبية، وقد كان لهذا النظام آثار مدمرة على من تقع عليه العقوبة قبائل وأعراش¹، ومنطقة الجلفة كغيرها من مناطق الوطن لم تسلم من هذا النظام بداية من السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي لها، ففي هذا الاطار قامت القوات الفرنسية بعملية احصاء لممتلكات القبائل المستقرين في القصور الجنوبية الغربية لمنطقة الجلفة والتي كانت في هذه الفترة تحت حكم الخليفة أحمد بن سالم²، وما يمكن أن تغتتمه في حالة تمرد أهلها عليها:³

- دمد - 14 منزل - 14 إلى 300 بستان - بقيمة ما يعادل 4200 بوجو.

- مسعد - 40 منزل - 40 إلى 200 بستان - بقيمة ما يعادل 8000 بوجو.

أي أنه يمكن فرض غرامة بقيمة 12200 بوجو.

كما دفعت قبائل منطقة الجلفة سنة 1847م غرامات ثقيلة أرهقت كاهلهم، وضربت اقتصادهم وبالتالي أثرت على معيشتهم، فالجنرال ماري مونج فرض في هذه السنة نتيجة دعم بعض فروع من أولاد نايل لبومعزة غرامة قدرت بـ: 100.000 فرنك، كما تم جمع من أولاد نايل في نفس السنة غرامة قيمتها حوالي: 200.000 فرنك، ودفع أولاد كرد الواد فرع من عرش أولاد ساعد بن سالم نتيجة رفضهم الخضوع لأوامر الجنرال ماري مونج وعدت متعاونة مع الأمير عبد القادر غرامة قدرت بـ: 100 جمل و 10000 رأس غنم و 100 بقر، في حين قدرت الغرامات المصادرة من قبائل أولاد عيسى على يد الجنرال هيريون بعد حملته عليهم يوم 15 فيفري 1847م، بـ: 5000 رأس غنم و 250 بقر و 50 جملا⁴.

¹ المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م: تاريخ الجزائر من 1830 - 1962، سنة: 2002.

² لتفصيل أكثر حول الموضوع، أنظر فصل التنظيم الساسي والإداري والعسكري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال.

³ A.M.G: District des Oulad Nail, H 227.

⁴ A.M.G : Journal des opérations ...marey monge, op. cit, H 211.

نقلا عن تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص: 308، 311، 312.

أما سنة 1848م هي الأخرى لم يكن الفرنسيون فيها بأقل رحمة عن السنة التي سبقتها، ففي شهر ماي تم فرض على أولاد سي أحمد وشيخها التلي بن بلكحل وكبراء العرش الذين اضطروا للاستسلام لقوات العدو غرامة قدرها 35 ألف بيجو وهذا بنواحي الزعفران¹.

وفي سنة 1849م تم فرض غرامة على قبائل العبايز من طرف قوات الجنرال لادميرول بسبب تمنعهم عن دفع الضرائب وعدم خضوعهم للقياد وكذا لمساندتهم لرجال المقاومة، وقد قدرت هذه الغرامات بـ: 20 ثور و 649 غنم²، كما تم في نفس السنة جمع تسعين ألف فرنك من قبائل المنطقة من طرف ممثل السلطة الفرنسية بن يحي باشاغا³.

2 - 1 - نظام الضرائب:

من الاجراءات والقوانين القمعية التي طبقتها السلطات الفرنسية على أهالي الجزائر، نجد نظام الضرائب الذي برز منذ الاحتلال و قتن بالمرسوم الصادر بتاريخ: 17 جانفي 1845م الذي حدد مجموعة الضرائب في الجزائر⁴، وكلف بجمع هذه الضرائب رؤساء الأهالي وقادتهم الذين عينتهم الإدارة الفرنسية كممثلين عنها وسط الأهالي، ففي السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي كان الموظفين من أهالي الجزائر ولا يختلف موظفي منطقة الجلفة عنهم، يحصلون على رواتبهم عن طريق تخصيص نصيب لهم من الضرائب التي يجبونها، فكان التقسيم كالتالي:

الباشاغا.....1/10 ونائبه.....1/20.

الآغا.....1/10 - نائبه.....1/20.

¹ الميشر، ع: 18,30 ماي 1848، مطبعة الدولة، الجزائر، ص: 02.

² A.M.G : **Rapport de l'expédition**, H 215.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 320

³ الميشر: ع: 46، 30 جويلية 1849.

⁴ أمحمد عميراي وآخرون: آثار السياسة الاستيطانية في المجتمع الجزائري (1830-1954م)، سلسلة المشاريع الوطنية، م، م و، د، ب، ج، ث، الجزائر، 2007، ص: 56.

قائد القياد....1/10 - نائبه....1/20.

القائد.....1/10 - نائبه...1/20.

الشيخ.....1/10 - نائبه1/20.

ورغم أن هذه الكيفية تؤدي إلى تقلص مداخيل الإدارة الاستعمارية إلا أنها ستتجنبها في ذات الوقت أعباء شحن الحملات والغارات وما تكلفه من أموال وخسائر بشرية، كما أنها تضمن السير الحسن في المنطقة دون أن تخصيص رواتب لموظفيها من الأهالي: شيوخ و أغاوات أولاد نايل¹، ومن جهة تكون بمثابة تحفيز لهؤلاء الموظفين لإتقان عملهم لضمان رواتبهم.

كانت الضرائب المفروضة على الأهالي في الفترة الاستعمارية مقسمة إلى قسمين:

أ/ الضرائب العربية: لقد حافظت السلطات الفرنسية تقريبا على النظام الضريبي الذي كان سائدا أثناء العهد العثماني لأنه بطبيعة الحال يخدم مصالحها رغم كونه ذا طابع ديني إسلامي، فالضرائب التي كانت على أبناء منطقة الجلفة دفعها مقسمة إلى:

الزكاة: وهي ضريبة تفرض على الأنعام (الجمال، البقر، الغنم)²، تقطع على النحو التالي: شاة عن خمسة جمال، وبقرة واحدة عن ثلاثين بقرة، وبالنسبة للأغنام والماعز فواحدة عن أربعين، واحتفظت بشكلها العيني إلى غاية سنة 1863م، لتصبح تدفع نقدا حيث تم ضبطها بتحديد زكاة الجمال ب: 4 فرنكات لكل رأس، و3 فرنكات لكل رأس بقرة، و0.05 فرنك لكل رأس غنم و0.02 فرنك لكل رأس ماعز³؛

العشور: وكانت ضريبة تفرض على الأراضي الزراعية، وتحدد قيمتها اعتمادا على نوعية الأرض وكمية المحصول، وقد كان يحرص الفرنسيون على جمع كمية كبيرة من

¹ تلمساني بن يوسف: مرجع سابق، ص ص: 285، 286.

² شارل رويير أجيرون: الجزائريون المسلمون وفرنسا، تر: م. حاج مسعود، أ. بكلي، ج: 1، دار الرئد للكتاب، الجزائر، 2007، ص: 466.

³ توفيق دحماني: الضرائب في الجزائر (1206 = 1282 / 1792 = 1865م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007/2008، ص: 353.

المحاصيل عنوة من أولاد نايل، لأن هؤلاء في نظرهم، كلما كان لديهم فائضا من الحبوب يثورون على السلطة، ومن ثم ينبغي تجريدهم باستمرار من كل فائض بإجبارهم على دفع الـ 1/5، ومن هذه النسبة يستفيد القادة.¹

اللزمة: كانت تظهر في شكل ضريبة ثابتة وشاملة، وهي بمثابة حق ولاء للقبائل البعيد، أو في شكل ضريبة فردية منها ضريبة الدم أو ضريبة الرأس أو الجزية²، وجدت أربع أصناف للزمة، لزمة القبائل الكبرى وهي عبارة عن ضريبة الرأس يؤديها كل البالغين بحسب ثروته (من 5 فرنكات إلى 100 فرنك)³، أما لزمة المنازل فكانت تقريبا تؤدي بشكل جماعي على منازل القرية أو القصر⁴، ولزمة النخيل التي كانت تضرب على الأشجار المثمرة⁵، وفي هذا الإطار فرض الجنرال ماري مونج على سكان قصر الشارف سنة 1844م ضريبة اللزمة⁶.

العونة: بالنسبة للرحل الذين ينزحون إلى التل، خاصة ونحن نعلم أن أغلب سكان المنطقة هم من البدو الرحل الذي تطلبه نشاطهم الاقتصادي.

ب/ الضرائب الفرنسية: تمثلت هذه الضرائب في ضرائب المهن (**patente**) التي طبقت في الجزائر منذ بداية الاحتلال في شهر ديسمبر 1830م، ثم تم ضبط شكلها النهائي عن طريق مرسوم 31 جانفي 1847م على كل شخص قاطن في مدن الجزائر وبلدياتها، وعلى كل الذين يمارسون التجارة والصناعة أو أية مهنة أخرى، وكانت طريقة تقييد هذه

¹ A.M.G : District des Oulad Nail, H 227.

نقلا عن بن يوسف تلمساني: مرجع سابق، ص: 386.

² توفيق دحماني: مرجع سابق، ص: 355.

³ نفسه، ص: 356.

⁴ أنظر هامش رقم 1 من مقال:

Trumelet, corneille: " **Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger En1864** " In R.A, AN: 21, 1877, p: 184.

⁵ توفيق دحماني: مرجع سابق، ص: 355.

⁶ Trumelet, corneille: **l'Algérie ...op. cit**, pp: 67, 68.

الضريبة واستخلاصها هي نفسها السلوكية في ضريبة العقارات، وكان يراعى في ذلك عدد سكان البلدة التي يقوم فيها الحرفي بعمله وإلى ثمن كراء المحل.¹

هذا النظام أثقل كاهل السكان وأفقرهم، وكان بمثابة أحد مصادر شكوى الجزائريين لأن الضريبة على ما فيها من اجحاف وتعسف لم يستفيد منها، بل كانت تستعمل في مشاريع يستفيد منها المعمرين والادارة الفرنسية فقط، إذ كان الفرد الجزائري مجبرا على دفع الضرائب التي يدفعها المستوطنون بالإضافة إلى أخرى وصل معدل ما يدفعه الفرد الجزائري يصل إلى 75 فرنك فرنسي، وتضاف إلى ذلك الجباية التي تصل إلى حد نزع أسقف المنازل واحتجاز العائلات حتى يتم تسديدها.²

بعد أن ضمنت السلطات الفرنسية مصدر دخل مهم لخزينتها، راحت تعبد الطرق من أجل الاستفادة بأكبر قدر ممكن من خيارات منطقة الجلفة، فقامت بـ:

2 - 2 صيانة و تشييد طرق المواصلات:

قامت قوات الاحتلال الفرنسي بجملة من الإجراءات من أجل: تسهيل عملية تنقلها داخل الأراضي الجزائرية؛ تموين المراكز العسكرية التي أقاموها؛ استنزاف ثروات الجزائر لانعاش اقتصادهم وتنشيط تجارتهم عن طريق الولوج إلى الأسواق الإفريقية، وهذا ما عكسته الرسالة المذكورة أعلاه، ومن هذه الاجراءات انجاز وتعبيد الطرق والمسالك وكذا انشاء خطوط السكة الحديدية عبر مختلف مناطق الجزائر بما فيها منطقة الجلفة.

2 - 2 - 1 الطرق والمسالك:

لتحقيق الأهداف السابقة الذكر تم انشاء شبكة من الطرق والمسالك لربط المناطق الشمالية بالجنوبية، وقد ضمت هذه الشبكة ثلاثة أنواع من طرق المواصلات البرية:

¹ توفيق دحماني: مرجع سابق، ص: 368.

² جمال قنان: التوسع الاستعماري ظاهرة تسلطية عدوانية واستغلالية، ورقة بحثية قدمت للملتقى الدولي: حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص: 64.

النوع الأول: طرق مدرجة ضمن شبكة الطرق الوطنية التي كانت أعباؤها تقع على عاتق ميزانية المستعمرة، بلغ طولها **828 كلم**، ومن بينها: فرع الطريق الوطني رقم واحد الرابط بين قلعة السطل والأغواط، ويمتد بطول **175م كلم**، والمار عبر منطقة الجلفة.

النوع الثاني: شبكة من الطرق البرية الثانوية غير المعبدة، تقع على عاتق الجماعات المحلية، بلغ طولها **13.346 كلم**، أما النوع الثالث فيتعلق بالمسالك¹.

كان قسم المسالك المدرج ضمن شبكة الطرق الوطنية، والذي يمتد إلى أقاليم الجنوب يمثل مجرد امتداد طولي مصغر لشبكة الطرق في شمال البلاد بإجمالي طول **12.450 كلم**، ويتصل بمحاور الطرق البرية الممتدة إلى المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية².

ونجد بالنسبة لأهم المسالك البرية في منطقة الجلفة الطريق العرضي الرابط بين الجلفة والبيض عبر آفلو، والطريق الرابط بين الجلفة وبوسعادة، وكانت الأهمية الاقتصادية لهذه الطرق تكمن في المساعدة على الوصول إلى حقول النفط والمناجم المنتشرة في الجنوب، والتي كان استغلالها، كما رأى الحاكم العام (روجي جونا) سيبرر لحكومة باريس الزيادة في حجم الدعم المخصص للمستعمرة سنويا³.

وبفضل الثروة البترولية الواعدة التي اكتشفت في الجنوب الجزائري، اهتمت السلطات الإدارية الاستعمارية، بإنجاز شبكة من المسالك البرية في الأقاليم العسكرية الأربعة الكبرى، لتسهيل الاتصال ونقل المعدات واليد العاملة إليها، ففي ملحقة الجلفة تم إنشاء **800 كلم** من المسالك الجديدة، وخلال **1951م**، وضع برنامج لإنجاز **16 مسلكا** في

¹ رضا حوحو: شبكة الطرقات الفرنسية في الجزائر القرن التاسع عشر ظاهرة حضارية أم أداة عسكرية (1830-1990م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2018/2017م، (غير منشورة)، ص: 220.

² ضيف الله شالي: دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر - الجلفة أنموذجا - ما بين 1857-1962م، رسالة ماجستير في التاريخ، تخصص: مقاومة الثورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012/2011، (غير منشورة)، ص: 33.

³ نفسه، ص: 32، 33.

إقليم الجلفة، ووزعت أعباؤها المالية على كل من المساهمة البلدية، ودعم حكومة الجزائر العامة، أما في سنة 1952 فوضع برنامج لإنجاز 5 مسالك¹.

2 - 2 - 2 خط السكة الحديدية:

أدرك قادة الاحتلال الفرنسي مبكرا أن تطوير النقل ووسائله، يشكل عاملا أساسيا وحاسما في تطور المنظومة الاقتصادية الاستعمارية ككل، خاصة مع زيادة الطلب على المواد الأولية نتيجة الثورة الصناعية التي شهدتها فرنسا في ذلك الوقت، مما أثر على السياسة والصناعيين ورجال أعمال بضرورة انشاء سكة حديدية في المستعمر الجديدة(الجزائر)، وهذا الاهتمام تزايد مع اكتشاف الثروة الهائلة والمتنوعة من جهة²، ومن جهة أخرى لإدخال بضائع وبيع المصانع والشركات الاستهلاكية الانتاجية الفرنسية إلى الجزائر وتوزيعها على كامل مناطقها

لهذا قدمت عدة مشاريع حول مد شبكة خطوط سكة الحديد عبر مختلف مناطق التل الجزائري، وتعتبر سنة 1844م بداية الفكرة لإنشائها في الجزائر القائمة على استغلال خيارات الجزائر³، وتجسدت من خلال عدة برامج تشريعية ومالية لتحقيق الفكرة، بدءا بالأمر الامبراطوري سنة 1857م، وبرنامج 1879م، ثم برنامج 1907م، لتليها برامج لاحقة.

وما يعيننا من هذه البرامج هي البرامج المتعلقة بخط سكة الحديد الذي يقع ضمنه حيز بحثنا (خط البليدة - الجلفة)، بداية برنامج 1879م الذي يعتبر البرنامج الأول الذي جسد الشطر الأول من هذا الخط الذي ربط بين البليدة - البرواقية، و تكفلت مؤسسة الغرب الجزائري بإنجازه⁴، وبرنامج 1907م الذي جسد الشطر الثاني البرواقية - الجلفة.¹

¹ نفسه، ص: 33.

² Benaissa cherif noureddine: **les grandes gares de la compagnie PML en Algérie coloniale (1857 - 1939), Etude architecturale et urbanistique**, Projet de these pour une première inscription inscription a l'école doctoral de Géographie, paris, 2012, p: 4.

³ ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 130

⁴ Tomas Faugeras: **Réseau ferroviaire Algérien et Ambitions coloniales 1844 a 1962**, Mémoire de DEA, Université de Provence, Année 1991- 1992, (non publier), Iremam, p: 43.

كان الهدف من انجاز هذا الخط هو عملية ضمان حركة النقل بين التل وميزاب، فكانت تنقل من الشمال إلى الجنوب: المحاصيل والغلات؛ والمواد المختلفة، أما من الجنوب إلى الشمال فكانت تنقل: الحلفاء، والخشب، والمواشي، والصوف واللحوم، والألياف النباتية، والملح².

بلغ طول خط السكة البليدة - الجلفة **279 كلم**، وكان مساره واحد وعرض سكته **1.055م** وضيق، شعاعه متعرج، الانحدار والصعود **25 م**، اتجه هذا الخط من البليدة نحو الجنوب، نزولا عبر واد شفة، عبر كل من: سيدي المداني، موزاية، ليصعد إلى غاية ذراع السمار، والمدية الواقعة عند ارتفاع **926م**، ثم الداميات، ثم بعد ذلك ينزل الخط قليلا نحو وزرة، ليعاود الصعود باتجاه مرتفعات بن شكاو الواقعة على ارتفاع **1129م**، ويعود إلى النزول باتجاه البرواقية - التي تعد مركزا زراعيًا - ، ويقطع واد الحكم (سغوان) ليصل إلى مجبر، ويمر بقصر البخاري - التي تعد مركزا تجاريا هاما في تلك الجهة - ، وبعد ذلك يتوغل هذا الخط الحديدي في الجنوب قاطعا جبل سن اللبا وجبال أولاد نايل ليصل في نهاية مساره إلى مدينة الجلفة الواقعة عند ارتفاع **1133م**³.

تم إنجاز هذا الخط على مراحل هي:

المرحلة الأولى:

الخط الرابط بين البليدة - البرواقية: ظهر الخط في إطار تجسيد برنامج **1879م** للإنشاءات الخاصة بسكة الحديدية، تكفلت مؤسسة الغرب الجزائري بمهمة انجازه بمبلغ **25 مليون فرنك** بتقدير جزائي، دخل حيز الخدمة سنة **1892م**⁴.

¹ DEMONTES J: « Les voies de communications de l' Algérie et leur développement ultérieur », IN: L'Algérie, La vie technique, industrielle, agricole et coloniale, numéro spécial hors série, septembre 1922, p: 43.

² ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 99

³ نفسه، ص: 99

⁴ Maurice Antoine Bernard: Les Chemins De Fer Algériens, Adolphe Jourdan Editeur, Alger 1913, p: 49.

المرحلة الثانية:

الشق الثاني من خط البليدة - الجلفة والرابط بين البرواقية - الجلفة: ظهر الخط في إطار تجسيد برنامج 1907م، والخاصة بتطوير شبكة السكك الحديدية، إذ رصد لهذا الشق مبلغ 72.5 مليون فرنك، لكن التقديرات تزايدت إلى 122 مليون فرنك سنة 1912م، ثم 144 مليون فرنك سنة 1913م، بسبب تداعيات الحرب العالمية الأولى، حيث توقفت الأعمال وارتفعت أسعار المواد الأولية واليد العاملة بسببها، وسلم الخط بعد انجازه للاستغلال على مراحل إلى غاية أفريل 1921م، واستغل بصفة المنفعة العامة¹.

مر هذا انجازه على أقسام:

أ- قسم البرواقية - قصر البخاري: بدأت الأشغال به ضمن برنامج 1907م، يمر الخط عبر الزبيرية، ثم مجبر، ثم قصر البخاري بطول 45 كلم، ودخل حقل الاستغلال منذ 10 أوت 1912م، خلال سنة 1929م توقع المجلس الأعلى لسكك الحديدية، أن تتفق مؤسسة الغرب الجزائري على معدات ما قيمته 74 مليون فرنك².

قدرت نفقات مؤسسة الغرب الجزائري على الانشاءات الأولية التي أنجزتها على هذا الخط إلى غاية 31 ديسمبر 1918م بأكثر من 8.2 مليون فرنك، أما النفقات التكميلية فقد قدرت بـ: 2 مليون فرنك³

ب - قسم قصر البخاري - عين وسارة: أنجز في ظل الاستقلال المالي للجزائر، ينطلق من قصر البخاري ليصل إلى عين وسارة مروراً بيوغزول، بدأت الأشغال سنة 1912م، وأنهيت سنة 1916م، وتم صرف مبلغ يفوق 3.5 مليون فرنك، وقد اسندت إلى مؤسسة الغرب

¹ DEMONTES J: **op. cit.**, p: 88

² Ibid: **op. cit.**, p. 89.

³ Maurice Antoine: **op. cit.**, pp: 49-51.

الجزائري مهمة استغلاله لصالح السلطة الاستعمارية في الجزائر، مقابل حصولها على ثلث الأرباح، ونص قانون 26 فيفري 1910م على صفة المنفعة العامة له¹

ج - قسم عين وسارة - حاسي بحبح: يبلغ طول الخط 47 كلم، ينطلق من عين وسارة صوب حاسي بحبح صوب قلعة السطل، بدأت الأشغال به سنة 1916م وأنهيت سنة 1918م، توجد محطته في النقطة الكيلو مترية (226 + 800) وضم إلى شبكة المصلحة العامة حتى تستفيد الإدارة الاستعمارية من مداخل كامل الخط الأساسي: البلدية - الجلفة²، كانت حركة النقل في بداية الأمر مرة في الأسبوع بين مدينتي قصر البخاري وحاسي بحبح ثم أصبح بشكل يومي³.

قسم حاسي بحبح - الجلفة:

ينطلق من حاسي بحبح مرورا بمحطات هامة، منها محطة زميلة ومحطة صخر الملح (مقلع الملح الطبيعي، يعبر جبال سن ليا وجبال أولاد نايل ليصل إلى الجلفة عند النقطة الكيلو مترية (278 + 400)، فتح هذا الخط البالغ طوله 51 كلم، أمام الاستغلال ابتداء من 1 أفريل 1921م⁴.

2 - 3 الخدمات البريدية والاتصالية: البريد والتلغراف⁵

قامت السلطات الفرنسية بتنشيط الاستعلامات لتسهيل عملية مراقبة الأهالي بتزويد المنطقة بخطوط تلغراف، ومنها مصلحة البريد والتلغراف سنة 1908 على مستوى:

- الجلفة يشتغل به مراقبان للخطوط التلغرافية؛

- مسعد: يشتغل به موزع قابض؛

¹ DEMONTES J: **op .cit**, pp: 131, 132.

² JONNART: Exposé de la situation général de l' Algérie en 1918, imp Administrative Victor Heintz, Alger 1919, p. 261.

³ Ibid, p: 276, 277.

⁴ ضيف الله شلالي: مرجع سابق، ص: 89

⁵ A.N.O.M. G. G. A. Boite 932/93.

- عين الابل مسيرة مكلفة بالمكتب التلغرافي، وموزع البريد؛

- المصران: مسير مكلف بالمكتب التلغراف وتوزيع البريد.

- قصر الشارف هو الآخر به مكتب التلغراف.

2 - إقامة الأسواق وتنظيمها:

قامت السلطات الفرنسية بمراقبة الأسواق، ومن هذه الأسواق نذكر¹:

- سوق الجلفة الذي تم اعتماده بتاريخ 1856م، وكان يعقد يومي: الاثنين والثلاثاء.

- سوق مسعد تم اعتماده سنة 1906م يعقد يوم الأربعاء

- سوق زنيعة تم اعتماده سنة 1882 وكان يعقد يوم: الأربعاء

وفي ما يلي عرض للسلع التي كانت تعرض بهذه الأسواق وكميتها وذلك سنة 1909²:

	الجمال	الخيول	البغال	الحمير	الأبقر	الفنم	الماعز	التمور	الدهون	القمح	الشعير	الصوف	الملح
الجلفة	180	35	100	440	2900	77900	800	1800	/	1200	3800	15800	420
مسعد	240	7	72	107	40	40000	6500	3600	38	3800	3000	2500	230
زنيعة	440	20	15	330	740	32500	3670	900	/	1500	1300	1600	270
المجموع	860	62	187	877	3680	150400	10970	6300	138	2500	7500	19900	920

¹ A.O. N. M AOA 83.

² Ibid.

جدول يعرض: نوعية السلع؛ كميتها؛ قيمتها المصدر من منطقة الجلفة 1911¹:

السلع الطبيعية	الكمية	القيمة
الخيول	100	30.000
البغال	100	35.000
الحمير	720	18.000
الجمال	60	5.400
البقر	1.300	103.000
الغنم	75.000	1.400.000
جلود المواشي	5.000	5.000
الصوف	12.500	1.000.000
الحلفاء		3.300

2 - 5 بناء السدود وشبكات الماء الصالح للشرب والري (الفلاحي والرعوي):

• بناء السدود وشبكات الماء الصالح للشرب:

من المشاريع التي أنجزتها الإدارة الفرنسية بالمنطقة والتي تخدم مصالحها، بناء السدود ومنها:

السد الذي بني بالقرب من خان حجر الملح عند واد ملة قوميفني، وكان هذا السد يضم ري 1.800 هكتار¹،

¹ A.O. N. M /AOA 83.

سد التوازي بوادي حجية الذي تعرض لسيول في 3 و4 أكتوبر 1903².

كما تم انجاز ثلاث شبكات للماء الصالح للشرب بمدينة الجلفة والتي كانت تواريخ انجازها على التوالي: 1854م، 1889م، 1908م³.

• الري الفلاحي والرعي⁴:

بعد فشل كل التجارب الزراعية التي قامت بها السلطات الفرنسية بمنطقة الجلفة نتيجة للظروف المناخية الغير مناسبة، عملت السلطات الفرنسية على انجاز مشاريع لتكيف مع النشاط الاقتصادي الأساسي لقبائل منطقة الجلفة المتمثل في: الرعي، إذ رأت أن النشاط تربية الماشية هي المصدر الطبيعي والتقليدي للمنطقة، فماشية سكان المنطقة تعرضت لظروف قاسية خلال سنوات تميزت بدرجة جفاف قاسية كما كانت عليه سنة 1945 التي أدت إلى خسارة 80% من الماشية.

ونتيجة لذلك فإن القوى الحية لهذه الوحدة الإدارية (أي ملحقة الجلفة) تكمن أساسا في نشاط رعي البدو الرحل.

وتبين أن تحسين ظروف تربية الأغنام (مكافحة العطش، الجوع، التقلبات الجوية، المرض) تشكل العامل الأساسي لرفع مستوى البدو الرحل.

لذلك ظهر للسلطات الفرنسية وضع على رأس المشاريع الواجب انجازها في مختلف الميادين تلك المتعلقة النشاط بالرعي، فقامت بـ:

¹ Victor Bérard: **op. cit**, p: 292.

² A. N. O. M. OA83

³ François De Villaret: **op. cit**, p: 128,

⁴ G. G.A. T. S ANNEXE DE DJELFA (PLAN D' EQUIPEMENT DE LA COMMUNE MIXTE DEDJELFA), 13 AVRIL 1955.

1- في مجال الري الرعوي¹:

أ- تخزين وتهئية عشرين منبع ماء مع بناء أحواض وتركيب نظام استغلال الآبار (20.000.000)

ب- بناء 11 سد صغير على وادي جدي لحجر المياه الجارية، واستخراج مياه الفيضانات على مساحه واسعه من ترسبات الخصبة لاستغلالها في زراعه الأعلاف والزراعة المعيشية (هذه الانجازات كانت لفائدة أربع قبائل الجنوب التي تمثل ثلث سكان ملحقة الجلفة) وقدرت التكلفة التقريبية بـ: 15.000.000 ف. ق، بما في ذلك فتح مسلك يصل هذه الأشغال الصغيرة فيما بينها.

ت- بناء خمسين مأوى للأغنام بمساحة 15 م x 15 م، مصنعة من قبل، يتم توزيعها على كامل المنحدر الجنوبي لجبال أولاد نايل وخاصة في منطقة جبل جلال وهي عبارة عن منطقة رعي خالية من أي مأوى طبيعي في كثير من الأحيان في الشتاء. (سعر الجزء من المأوى المصنع من قبل بطول 1.5م يساوي 2000، فخمسين مأوى بسعر 200.00 يساوي 10.000.000)

2- الري الفلاحي²: ومما قامت به في هذا المجال:

- تحسين إمداد المياه المنخفضة للسقي في وسط مسعد(الحنية، توازي، قصر لحمر) ومما قامت به في مسعد: تمويل للدفعة لأولى لأشغال بناء قناة خرسانية لخدمة الواحة....13.000.000.

2 - 6 الإجراءات الفرنسية للاستحواذ على أغنام المنطقة ومشتقاتها:

معروف أن منطقة الجلفة تمتلك ثروة حيوانية كبيرة لاسيما منها الأغنام فهي تعرف ببلد أغنام، ولأجل الاستحواذ على هذه الثروة والاستفادة منها بأكبر قدر ممكن عمدت

¹ G. G.A. T. S ANNEXE DE DJELFA, op, cit.

² Ibid.

الإدارة الاستعمارية إلى اتخاذ جملة من الإجراءات لوضع يدها على هذه الثروة التي كان يمتلكها المربون، منها:

وضعت لجنة خاصة لتزويد فرنسا بلحوم الأغنام عن طريق التصدير سواء كانت الأغنام حية أو مصروعة ومجمدة، وهي "لجنة التموين العام الجزائرية" وأعطت لها الحكومة العامة كل الصلاحيات لتموين فرنسا باللحوم عن طريق شرائها حية في شكل هياكل، عملية الشراء هذه كانت تتم من طرف لجنة مشكلة من: أخصائيين ممثلة عن لجنة التموين، التي كانت تكلف وسيطا لاقتناء المواشي من المربين الجزائريين، كما أنها من كان مهامها تحديد سعر الكيلو غرام من اللحم¹.

وعلى هذا الأساس تم في 2 أفريل 1942 شراء حوالي 5700 رأس من منطقة الجلفة وملحقاتها².

ومن أجل محاصرة المربين الجزائريين، قامت السلطات الفرنسية بجملة من الممنوعات تمثلت في³:

- منع خروج الأغنام من مناطق الجنوب ذات الحكم العسكري، إلا بإذن ورخصة يمنحها القائد العسكري، وكان يشترط في طلب الرخصة أن يرسل إلى القائد العسكري عن طريق وسيط رؤساء الملحقات المهتمة، ويجب تحديد اسم المرسل وعدد رؤوس الأغنام، وكذا طبيعة الاستعمالات (للذبح أو للرعي)، واسم المرسل إليه، وكان التصريح يطلب أيضا من مصالح الأمن وأعوان مصالح سكك الحديد قبل النقل.

- إصدار قرارات سحب من مربّي الأغنام الحق في التسويق، وسخرتها في إطار التموين العام الداخلي والعسكري، لتموين فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية، مما عرض القطاع الجزائري في المناطق الجنوبية إلى استنزاف منظم، فعلى سبيل المثال أخذ من مناطق الجلفة في ظرف ستة أيام (من 26 إلى 31 أوت 1944م) نحو 44.000 رأس من الأغنام.

¹ ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 150

² نفسه، ص: 151

³ نفسه، ص: 164.

- إنشاء فرع شراء تابع مباشرة لمصالح الديوان الجزائري للحوم، - كانت فروعها متواجدة في مدينة الجزائر بالنسبة للمنطقة محل الدراسة - ، وله جميع الصلاحيات للحصول على الماشية لتوفير المؤونة، وانحصرت مهامه الأساسية في:

- مراقبة وحصر احتياجات مناطق نشاطه؛

- الحصول على الكمية باتفاق إما عن طريق حصة الضرائب أو الفحص.

وكانت أكثر التعليمات إجحافا في حق مربّي الماشية في المنطقة، تلك المتعلقة بتنفيذ التعليمات السرية الخاصة¹ بـ:

- مراقبة أسواق الماشية، ورفع التقارير عنها؛

- أولوية التموين للجيش، ووضع الديوان الوطني للحوم تحت تصرف جيش الاحتلال.

لم تكتفي السلطات الفرنسية باستغلال أغنام التي يمتلكها الجزائريين فقط، بل أنشأت محطات لتربية الأغنام، بهدف توفير احتياجاتها الداخلية خاصة العسكرية منها وكذا لتموين فرنسا، فقامت بـ:

إنشاء محطة تعظيم:

بهدف توفير الاحتياجات الداخلية لسوق المستعمر وتموين السوق الفرنسية، قامت السلطات الفرنسية بإنشاء العديد من المحطات لتربية الأغنام بمناطق مختلف عبر الجزائر، ومنها محطة منطقة الجلفة، التي سميت بـ: "محطة تعظيم" وذلك من أجل إنتاج سلالة جديدة تأخذ من السلالات المحلية خصائصها وتتفرد بالتنوع الجيدة في اللحم والصوف وتعرف هذه السلالة باسم المحطة "سلالة تعظيم".

تأسست هذه المحطة سنة 1918م، في مبنى المؤسسة العقابية السابقة بـ: تعظيم، الواقعة على بعد 70 كلم جنوب غرب مدينة الجلفة، وعلى ارتفاع 1030م، اختير هذا

¹ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص: 165.

المكان لأنه مكان لإقامة القبائل الرعوية التي تعيش على تربية المواشي وتحيا حياة الانتجاع¹.

أديرت المحطة من طرف مهندس المصالح الفلاحية يساعده مسؤول الرعي، مكلف بمتابعة القطعان في تنقلاتها، ومسؤول زراعي، بإشراف مفتش مصلحة التربية الحيوانية للجزائر، وكان برنامج المحطة قائمة على²:

- انشاء أكبر عدد ممكن من مواشي اختيرت من أحسن أنواع المنطقة والمحافظة عليها؛

- تحسينها عن طريق انتقاء السلالات؛

- توفير فحول جيدة لمربي الماشية؛

- نشر طرق التحسين المتوافقة مع الشروط الرعوية للجنوب.

تشكل القطيع في تجربته الأولى من 250 رأس، ثم ارتفع العدد بعد عمليات الشراء المتتالية والانتاج إلى 2200 رأس في سنة 1922م، ثم أكثر من 4 آلاف رأس في سنة 1928م، تكون القطيع من ثلاثة أنواع من المواشي: نوعية تعظمية التي شكلت القطيع البدائي وتتميز بصوفها الناعم؛ نوعية أولاد عيسى المعروفة باسم " الرمبي " وتتميز بلون رأسها الأصهب الفاتح؛ والنوعية المسماة زهرز، التي تمثل أفضل أنواع أولاد نايل، وامتد نطاقها الجغرافي من أولاد جلال إلى منطقة قصر الشلالة³.

¹ S.a, « **Station expérimentale d'élevage ovin de Tadmit** », Documents Algériens, Synthèse de l'Activité Algérienne, N° 48, Série 1948, rubrique, : ELEVAGE, pp. 131- 136, A .N

ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 117.

² Louai BENSEIGHIR: **Impact de la sécheresse et de l'anthropisme sur la biodiversité et le sol dans la station de Tadmit**, Magister en sciences Biologiques, U. S. T. H. B, Alger 15 mai 2008, p: 2.

³ ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 119.

استغلال انتاج الصوف بالجلفة:

عمدت الإدارة الاستعمارية في الجزائر إلى وضع يدها على انتاج الأصواف لدى مربى الأغنام الجزائريين من خلال وضع جملة من الآليات المؤسسية للحصول على هذه المادة الخام، حيث كانت تستغل ما نسبته 90% منها في الصناعة النسيجية الفرنسية، ولم يترك لصاحبها الجزائري سوى 10%، وقيد هذا الاجراء عمليا من خلال انشاء مناصب جامع الصوف ومساعدته، ثم وضع تعاونيات الصوف تحت إطار الأهلية للاحتياط بدافع من اتحاد مربى الماشية واللجنة الجزائرية للتجارة وصناعة الصوف، كان الهدف من الإجراءات الإدارية هذه التي اعتمدها الحكومة العامة هو: التحكم المؤسسي في إنتاج الصوف الذي كان ينتجه الجزائريون واستغلاله ونقله إلى الشمال عبر سكة الحديد من الجلفة إلى البليدة ثم إلى ميناء الجزائر لتصديره نحو فرنسا.¹

وكانت الأصواف التي كانت تصدر تباع في سوق الجلفة من طرف لجنة البلدية، ومداخلها كانت تساهم في ميزانية البلدية بما قيمته: 1859.37 ف ف ق وذلك بتاريخ 14 فيفري 1901م².

2 _ 7 الاجراءات الفرنسية لاستغلال الحلفاء والألياف النباتية والغابات:

أرادت السلطات الفرنسية أن تستغل كل خيرات البلاد الماشية منها والتي تنتجها الأرض، فبحكم تواجد منطقة الدراسة بقلب المنطقة السهبية الممتدة جنوب سلسلة الأطلس التلي إلى غاية جنوب الأطلس الصحراوي، فهي عبارة عن أرض فسيحة واسعة تتميز بمناخ جاف عموما، قليل الرطوبة، وبكميات تساقط الأمطار قليلة لا تزيد عن 400 ملم؛ فالمناخ يعتبر من العناصر الأساسية التي تتحكم في الغطاء النباتي للمنطقة المتمثل أساسا في: الحلفاء، والألياف النباتية، وكذلك الغابات، لاسيما منها أشجار الصنوبر الحلبي كما أشرنا إلى ذلك في الفصل التمهيدي.

¹ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص ص: 154، 166.

² A.N.O.M A O83

ومن أجل الاستغلال الأمثل لهذا الغطاء النباتي الذي تتمتع به منطقة الجلفة من طرف سلطات الاحتلال، قامت بجملة من الإجراءات لتمكينها من ذلك تمثلت أساسا في:

• إجراءات استغلال الحلفاء والألياف النباتية:

- الحلفاء:

قامت السلطات الفرنسية بعملية مسح لأراضي منطقة الجلفة التي يمكن لهم استغلال غطاءها، فقدرتها سنة 1909 بـ: 390.000 هكتار، وكانت هناك ثلاث ورشات تقوم باستغلال الحلفاء واقعة في حاسي بحبح أنتجت بنفس السنة حوالي 3 آلاف قنطار من الحلفاء¹، وفي وقت من الأوقات اعتبرت المنطقة الرابعة من حيث استغلال الحلفاء في الجزائر²، واعتبرت الإدارة الاستعمارية الأراضي المغطاة بالحلفاء الواقعة في الهضاب العليا من الناحية الإدارية؛ أراضي إما مملوكة للدولة، أو تابعة لمصالح الغابات، وقد اسند تسييرها للبلديات المعنية، وخول قانون 21 فيفري 1903م، الحاكم العام تنظيم استغلال الحلفاء وبيعا داخل المستعمرة وتصديرها³.

سعت الحكومة العامة للجزائر إلى إعطاء الأولوية لاستغلال مادة الحلفاء في الصناعة المحلية للشركات الفرنسية كونها مادة أولية بامتياز لعجينة الورق التي تدخل في صناعته بنسبة تتراوح بين 28 - 52%⁴، إذ حصلت شركة الحلفاء - كان مقر تجميعها للحلفاء يتواجد داخل محطة قطار الجلفة بينما كان المقر الاجتماعي للشركة الأم موجودة ببارس- على امتياز استغلال الحلفاء بذات المنطقة لمدة 18 سنة، وقدر إجمالي المساحة الغابية المستغلة من طرف الشركة يقدر بـ: 28.000 هكتار، و لمصانعها قدرة على استغلال حوالي: 30.000

¹ A.N.O.M A O83.

² ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص ص: 110، 111.

³ نفسه، ص: 111

⁴ نفسه، ص: 144.

طن سنويا من الحلفاء، كما كانت تستغل مناطق أخرى في الجزائر، وتعد هذه الشركة من أكبر الشركات المستغلة للحلفاء والألياف النباتية في منطقة الجلفة¹.

كانت الحلفاء تشتري من القاطنين الجزائريين العاملين في قطف الحلفاء، وبلغ سعر القنطار الواحد من مكانه بـ: 1.5 فرنك وتكلفت نقل القنطار الواحد من حاسي بحبح إلى العاصمة يكلف بـ: 4 فرنك، وعليه فالقنطار الواحد كان يكلف الشركة من مكان شرائه إلى نقطة وصوله للعاصمة يكلف 5.5 فرنك، ويبيع في العاصمة ما بين 7 إلى 8 فرنك².

إلا أنه في بداية فترة الحرب العالمية كانت سعر الشراء يعوض بتوفير بعض المواد الغذائية الضرورية كالسكر والبن وتوزيعها على مسؤولي حقول الاستغلال كي يجلبوا بها اليد العاملة الجزائرية التي كانت تعاني من ندرة المواد الغذائية في الأسواق، فيوزعونها عليهم مقابل بطاقة تموين، وطلبت اللجنة من إدارة أقاليم الجنوب السماح لعمال الحلفاء الجزائريين بالحصول على بطاقتهم في حقول الحلفاء³.

الألياف النباتية:

إن مناطق تواجد الألياف النباتية هي نفس مناطق تواجد نبتة الحلفاء، وهي الأخرى كالحلفاء لم تسلم من عملية السطو التي مارستها السياسة الاقتصادية الاستعمارية، واستغلتها كمادة من المواد الأولية العازلة التي تستخدم في أجهزة التدفئة وأجهزة التبريد بالإضافة إلى استخدامها في الأفرشة، ويتم جنيها على طول السنة⁴.

¹ نفسه، ص: 136، 137.

² A.N.O.M AO83

أنظر حزم الحلفاء المجهزة للنقل من المنطقة الجلفة في الملحق رقم: 11، ص: 419

³ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص: 115.

⁴ نفسه.

كما استعملت كمادة ملونة تستعمل في الدباغة، بالإضافة إلى الاستخدامات التقليدية التي تجري على مادة الحلفاء منها صنع السلال، الحصير، الأحذية وكذا الحبال، وقد اهتم الفرنسيون بالجانب الصناعي للنبته¹.

ولم تفتكي السلطات الفرنسية باستعمالها لهم فقط، بل صدرتها خارج فرنسا التي فوصلت الألياف النباتية الجزائرية إلى كل من: إيطاليا، ألمانيا، الولايات المتحدة الأمريكية، بريطانيا، هولندا، اليونان، تونس، بولونيا، الدانمارك، مصر، فقد صدر منها سنة 1862م ما مكياله 14815 قنطار².

كان هذا النوع من النبات بحسب تقارير مؤسسات الامتياز التي تستغله، يتناقص سنويا بسبب استصلاح المعمارين للأراضي، مما هدد باندثارها من الغطاء النباتي الجزائري، وأمام تناقص هذه المادة نص نفس القرار على أن تدمج مادة الألياف النباتية مع الحلفاء لتسمى ألياف الحلفاء³.

الغابات:

استحدثت السلطات الفرنسية مصلحة الغابات التي كلفت بحماية أشجار الغابات، ومن المهام المنوطة بها؛ تحديد المساحة الغابية بمنطقة ما؛ تقدير المساحة الممكن استغلالها والمساحة المتروكة للجاهزية؛ الإشراف على حماية الغابات من الأهالي (أصحابها بالأصل)، فقد جاء في تقرير مفتش الماء والغابات المكلف بالمراقبة بمنطقة الجلفة أن المساحة الغابية والتي كانت أساسا تشمل أشجار الصنوبر الحلبي تقدر بـ: 107250 هكتار، بمساحة استغلال تقدر بنحو 33.600 هكتار، مقابل ترك حوالي 73.750 هكتار للجاهزية، وهي موزعة على مناطق منها: غابات سن لبا الشرقي، سن لبا الغربي، والسحاري القبلي⁴.

¹ H.Jourdon, « Le Crin végétal », in L'IVRE D'OR du department d' Alger , édité sous le patronage et avec la collaboration de M.Durox, et M.firoi, édition de l'Afrique du Nord illustrée, sans date, A.N..

²Ibid.

³ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص: 146، 147.

⁴ نفسه، ص: 116

بعد تقطع وتهيئة هذه الأشجار وتوضيبها للنقل تحمل إلى محطات السكة الحديدية، ومن المحطات الرئيسة التي كانت تجمع بها أشجار الصنوبر الحلبي وخشب البناء الذي كان يرسل إلى الشمال بمنطقة الجلفة، محطة الزميلة وكذا محطة الجلفة¹.

¹ ضيف الله شلالي: مرجع سابق ، ص: 120

3 – نتائج السياسة الاقتصادية الفرنسية بالمنطقة :

بعد تطوير شبكة الطرق بالمنطقة والاستحواذ على الثروات، - وبالتالي القضاء تقريبا على كل نشاط لقبائل المنطقة خاصة منها التجارية والتي كانت تلعب فيه الدور الرئيسي بالإقليم المحيط بها- ، وحل محل الجمل القطار هذا الأخير أصبح يقوم بنقل منتجات المنطقة و استنزاف ثرواتها النباتية والغابية والحيوانية، فأصبحت كل ما تجود به أرض منطقة الجلفة موجه للسوق الأوروبية كمواد أولية لثورتها الصناعية، وهذا ما انعكسه الإحصاءات الكبير للخيرات المنقولة من المنطقة والتي تكفلت السكة الحديدية بنقلها، لدرجة أن بعض المنتجات استهلكت كلها كالألياف النباتية، وفي ما يلي عرض نماذج من احصاءات التي تمثل استنزاف لثروات المنطقة وضرب لاقتصادها الذي انعكس سلبا على كل مناحي الحياة لسكاني المنطقة.

3 – 1 دور سكة الحديد في استنزاف ثروات المنطقة :

ساهمت السكة الحديدية بشكل كبير ولعبت الدور الرئيس في استنزاف ثروات منطقة الجلفة المتنوعة: المنتجات الزراعية؛ والحيوانية والثروات الغابية، فمنطقتها السهبية (عين وسارة بحبح) كانت تتوفر على مساحات من نبات الحلفاء مما كان يوفر حمولة هامة لشركة الامتياز المستغلة لهذا الخط الحديدي؛ ومنطقة الزميلة التي تتوفر على ثروة غابية هامة، والتي توفر أخشاب التدفئة التي كانت تتقل بكميات كبيرة.¹، هذا بالإضافة إلى الثروة الحيوانية الكبيرة.

هذا الاستنزاف انعكسه الاحصاءات والأرقام الكبيرة للمواد المنقولة من محطات نقل القطار بمنطقة الجلفة نحو شمال ليتم تصديرها إلى الخارج - سواء باتجاه فرنسا أو الدول الأخرى - ، وفي ما يلي أمثلة عن أرقام كمية الثروات المستنزفة:

¹ ضيف الله شلالي: مرجع سابق، ص: 142

جدول رقم 1: يمثل حجم ما تم نقله من محطة حاسي بحبح نحو البلدية بين عامي 1919 - 1920م¹:

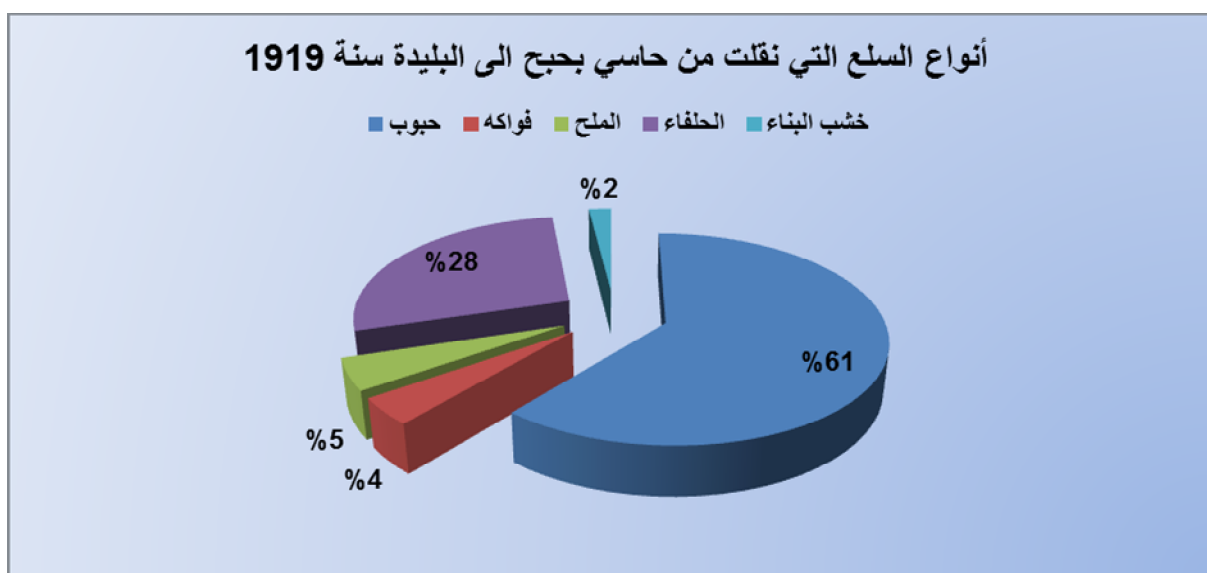
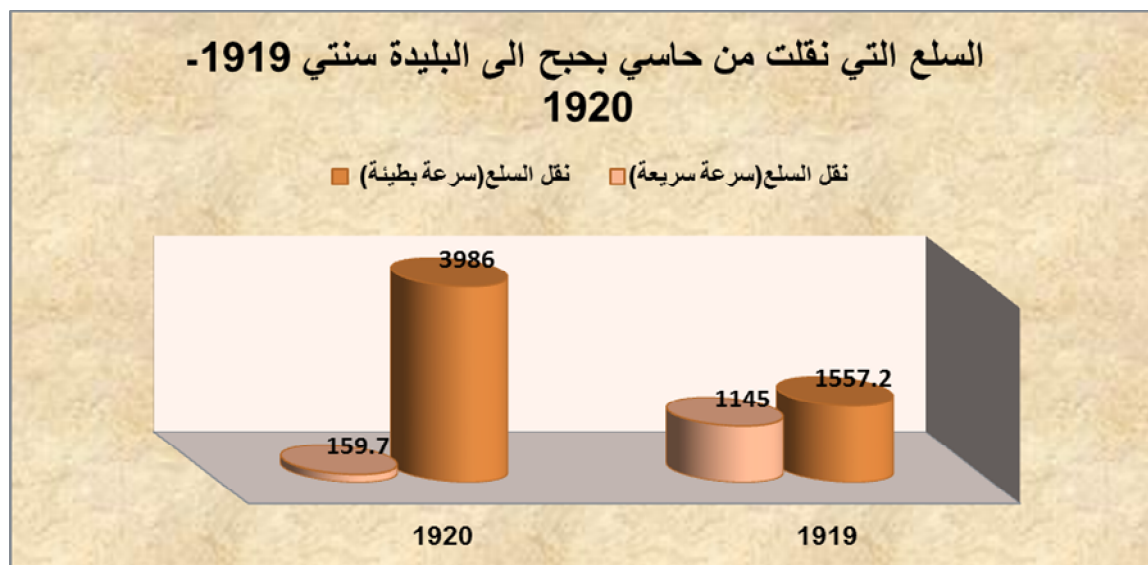
1920		1919		
السعر بالفرنك	الكمية بالطن	السعر بالفرنك	الكمية بالطن	
10253.50	3986	1118.95	1557.2	نقل السلع (سرعة بطيئة)
18632.50	159.7	8186.30	1145	نقل السلع (سرعة سريعة)
-	-	-	1557.9	حبوب
-	-	-	105.2	فواكه
-	-	-	124.7	الملح
-	-	-	708.4	الحلفاء
-	-	-	50.1	خشب البناء

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه أنه في سنة 1919م، كانت كمية السلع المنقولة بـ (سرعة سريعة) كانت: **1145 طن**، بقيمة **8186.30 فرنك فرنسي**، وقدرت كمية: الحبوب بـ: **1557.9 طن**، و الفواكه بـ: **105.2 طن**، و الملح بـ: **124.7 طن**، الحلفاء بـ: **708.4 طن**، خشب البناء بـ: **50.1 طن**

أما عام 1920 قدرت كمية السلع المنقولة (بالسرعة البطيئة) بـ: **3986 طن** بقيمة **10253.50 فرنك فرنسي** بفارق قيمته **9134.15 فرنك فرنسي** مقارنة بسنة 1919م، وكمية السلع المنقولة بالسرعة السريعة قدرت بـ: **18632.50 فرنك فرنسي** بفارق قدر بـ: **10446.2 فرنك فرنسي** مقارنة بسنة 1919م، هذه الزيادة تعكس التكاليف على استنزاف الثروة.

¹ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص: 133.

وفي الأخير تجسيد بيانات الجدول أعلاه في الأشكال البيانية أدناه:



وبعد انشاء محطة الجلفة التي بدأ الاستغلال بها في فاتح أفريل 1921م مبينة كان حجم الاستنزاف كما هو مبين في الجدول التالي:

3 – 2 استنزاف الثروة الحيوانية (الماشية):

تعكس الأرقام الكبيرة لعدد المواشي التي تم أخذها من الجزائر حجم الاستنزاف لشروات البلاد، ففي سنة 1893م قدر عدد الأغنام بالجزائر بحوالي: 10 ملايين رأس تم صدر

منها نحو مرسيليا 1.592.609 رأس سنة 1903، وفي سنة 1908 وصل إلى 1.335.760 رأس غنم، ثم في سنة 1910م وصل إلى 1.256.908 أس غنم، فقد كانت مستعمر الجزائر توفر لفرنسا ربع التي ما تستهلكه سنويا¹.

فقد ذكرت بعض التقارير السرية الصادرة عن السلطة العسكرية فيما كان يعرف بالأقاليم الجنوبية والتي وجهت خلال سنة 1942م إلى الحكومة العامة بخصوص شراء الأغنام في مقاطعة الجنوب بالجلفة والأغواط نوعية اللحوم وعدد رؤوس الماشية التي تم تقديمها أمام لجنة التموين في كل من الجلفة والأغواط: فمنطقة الأولى قدمت للجنة 12700 رأس ماشية أخذت منها سوى 7500 رأس، في حين قدمت الثانية: 10214 رأس أخذت منها فقط 7222 رأس، أي أنها أخذت في يوم واحد في المجموع 14722 رأس ماشية².

كما يبرز الجدول (رقم: 2) أدناه عدد رؤوس المواشي المستزرعة من منطقة حاسي بحبح بين 1947 - 1952م³:

السنوات	1947	1948	1949	1950	1951	1952
عدد رؤوس الماشية	2005	653	512	1799	2461	5973

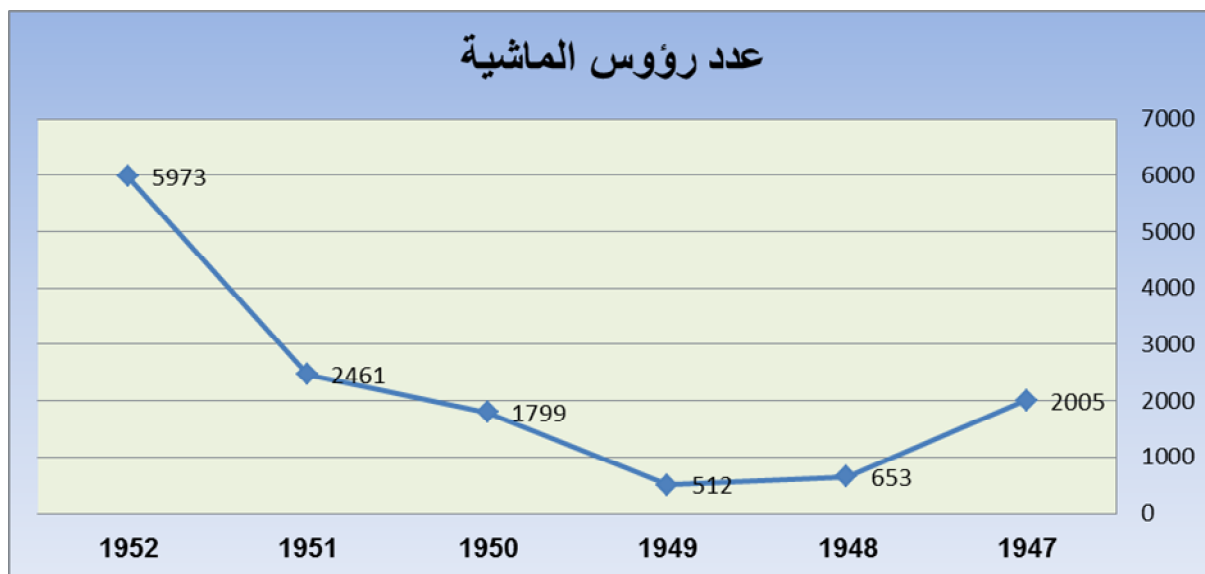
نلاحظ من الجدول أعلاه تطور استتزاز الماشية بمنطقة حاسي بحبح ففي سنة: 1947م بلغ عدد رؤوس الماشية 2005 رأس، لينخفض سنة 1948م إلى 653 رأس، ليستمر في النقصان ويصل 512 رأس سنة 1949م، ليعود إلى زيادة سنة 1799 رأس، ليستمر في الزيادة ويصل 2461 رأس، وعملية الزيادة متواصلة ففي سنة 1952م وصل عدد رؤوس الماشية 5973 رأس.

¹ ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 117

² نفسه، ص: 151.

³ نفسه، ص: 152.

وتم تجسيد بيانات الجدول في المنحنى البياني التالي:



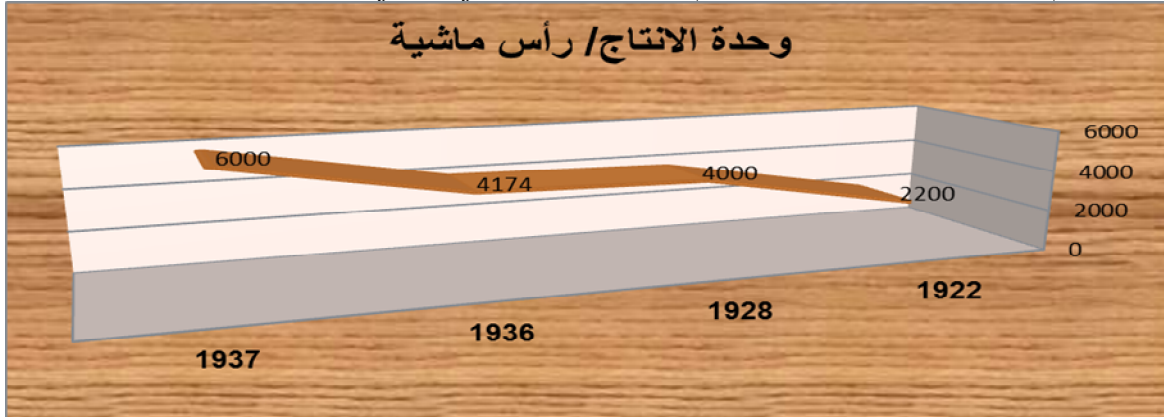
كما أن محطة تعظيـمـت لتربية الأغنام التي أنشأتها المستعمر الفرنسي بالمنطقة والتي كان الهدف منها تحسين سلالة المواشي وزيادة عددها بهدف استنزافها وتوجيهها لاستهلاكه وتصدير الباقي، فالجدول (رقم 3) التالي يوضح تزايد عدد رؤوس المواشي المنتجة من طرف هذه المحطة بين سنتي (1922 - 1937م)¹:

سنة الانتاج	وحدة الانتاج/ رأس ماشية
1922	2200
1928	4000
1936	4174
1937	6000

¹ ضيف الله شلاي: مرجع سابق، ص: 153.

نلاحظ من خلال جدول أعلاه الذي يمثل تطور استغلال ماشية تعظييت ففي سنة: 1922م كان انتاج الماشية 2200 رأس، و 1928 م كان 4000 رأس، وفي 1936 م كان 4174 رأس، وفي 1937م كان 6000 رأس، ومنه فإن عملية انتاج ماشية محطة تعظييت كانت في تزايد مستمر وبالتالي عملية الاستنزاف مستمرة لمواشي المنطقة.

وقد تم تجسيد بيانات الجدول رقم في المنحنى البياني التالي:



ومما سبق يتضح أن ماشية المنطقة تعرضت لعملية استنزاف منظمة.

3 – 3 استنزاف الثروة النباتية (الحلفاء والألياف النباتية):

الثروة النباتية هي الأخرى تعرضت من طرف المستعمر لعملية نهب واختلاس دون مراعاة لا لحقوق أصحابها الحقيقيين، ولا لأهمية هذه النباتات في الحفاظ على البيئة من التصحر والجرف، فكان همها الوحيد هو تسيير اقتصادها وتعبئة خزائنها ونهب أكبر قدر ممكن، فقد زاد استنزاف الحلفاء خاصة بعد استعمالها كوقود للمحركات الصناعية، كما أن الاستغلال المكثف للألياف النباتية خاصة وأنه لا يمكن إعادة زراعتها، اضطر بعض مؤسسات التحويل إلى غلق مكبر لمصانع في محطتي قطار الجلفة وقصر البخاري¹، هذا النهب عكسته الأرقام الكبيرة لكمية الحلفاء والألياف النباتية وحتى حطب الغابات التي تعكس حجم الاستنزاف لهذه الثروة في الجداول التالية:

¹ ضيف الله شلالي: مرجع سابق، ص: 161.

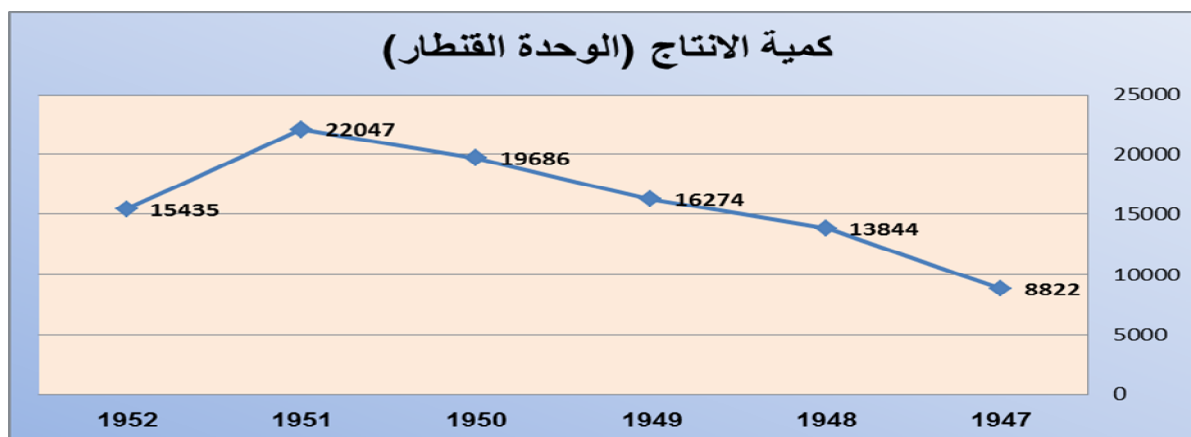
• استنزاف الحلفاء:

جدول رقم (4) : تطور انتاج الحلفاء في منطقة حاسي بحبح خلال الفترة بين 1947 - 1952م¹:

السنوات	1947	1948	1949	1950	1951	1952
كمية الانتاج (الوحدة القنطار)	8822	13844	16274	19686	22047	15435

نلاحظ في الجدول رقم: 7 أعلاه كمية انتاج الحلفاء في منطقة حاسي بحبح خلال سنة: 1947م قدرت بـ: 8822 طن، و 1948م بـ: 13844 طن، و 1949م بـ: 16274 طن، و 1950م بـ: 19686 طن، و 1951م بـ: 22047 طن، و 1952م بـ: 15435 طن.

وتم تجسيد هذه البيانات في المنحنى البياني التالي:



¹ ضيف الله شلالي: مرجع سابق، ص: 144.

استنزاف الألياف النباتية:

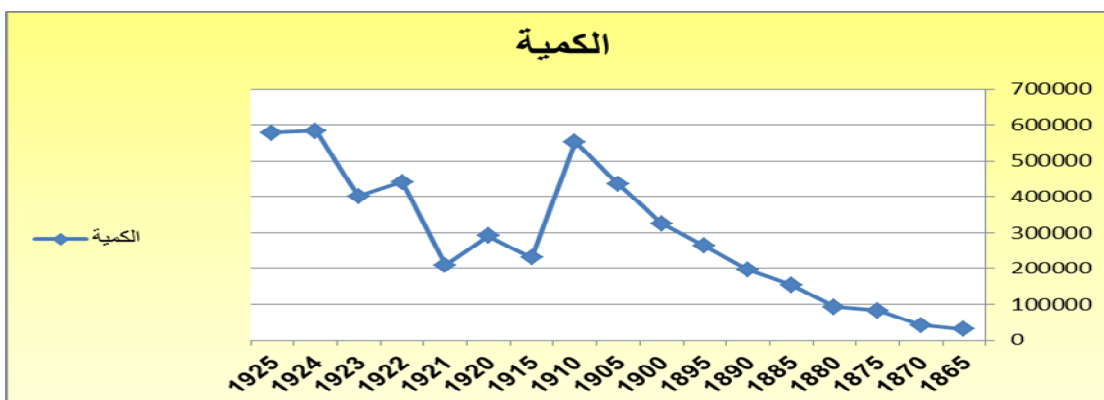
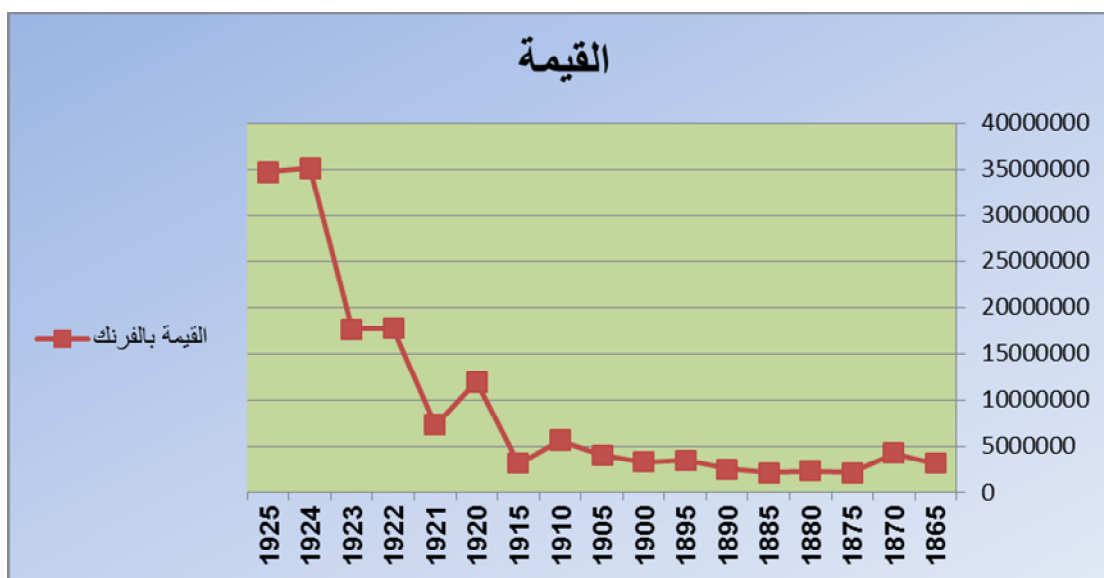
ساهم في عملية اندثار هذه النبتة بالإضافة إلى الاسهاب في عملية استخدامها: كمواد أولية في الصناعة أو تصديرها إلى خارج فرنسا... استصلاح المعمرين للأراضي، مما هدد باندثار الألياف النباتية من الغطاء النباتي الجزائري، وأمام هذا النقص الفادح في هذه المادة نقص قرار الصادر في 3 أكتوبر 1941م على ادماج مادة الألياف النباتية مع الحلفاء لتسمى ألياف الحلفاء، ومن بين الشركات التي كانت تنتج ألياف الحلفاء بالمنطقة محل الدراسة، شركة "مرسيل ليلو"¹، والجدول التالي يوضح الكمية الكبيرة التي كانت تحول من الجزائر إلى فرنسا وخارجها وعكس درجة الاستنزاف، وكذا القيمة المالية العائدة للخزينة الفرنسية من استغلال هذا النوع من النباتات:

جدول (رقم 5): كمية الألياف النباتية المصدرة إلى فرنسا والخارج وقيمتها المالية:²

السنة	الكمية	القيمة بالفرنك
1865	31427	3142717
1870	42528	4252789
1875	82964	2074093
1880	93182	2329540
1885	153623	2104355
1890	195720	2544358
1895	263112	3490539
1900	325394	3244992
1905	437163	4004000
1910	553476	5618000

¹ شلالى ضيف: مرجع سابق، ص: 146، 147.² نفسه، ص: 147

3110000	230338	1915
11938000	291167	1920
7315800	208972	1921
17687000	442190	1922
17624000	400875	1923
35080000	583630	1924
34702000	578375	1925



3 _ 4 استنزاف الثروة الغابية:

لم تسلم كذلك الثروة الغبية لمنطقة الجلفة هي الأخرى من عملية السلب والنهب التي مارستها السياسة الفرنسية تجاهها، وهو ما تعكسه الأرقام التالية:

تم استغلال 10.000 م³ من أشجار الصنوبر الحلبي بمنطقة الجلفة بسعر 250.000 فرنك؛ وكانت هذه الكميات توجه نحو مدينة الجزائر إلى معامل الصناديق، ومن خلال متابعة الاستغلال تم الوقوف على عائدات لا تقل عن 1.500.000 فرنك من استغلال الصنوبر الحلبي، طلب من مصالح الغابات للجلفة توفير 40.000 عمود شجرة لتستخدما مصالح البريد والتلغراف والهاتف كأعمدة للهواتف الذي تم توفيره من غابة جبل السحاري القبلي (الجلفة)، إذ بلغ سعر الخشب بين 3 و 6 فرنك¹.

كما يعكس الجدول أدناه تطور عملية استنزاف خشب ونقله عبر السكة الحديدية من منطقة حاسي بحبح إلى محطة الجلفة بين سنوات 1947 - 1952 م واستغلالها لصالح الإدارة الفرنسية²:

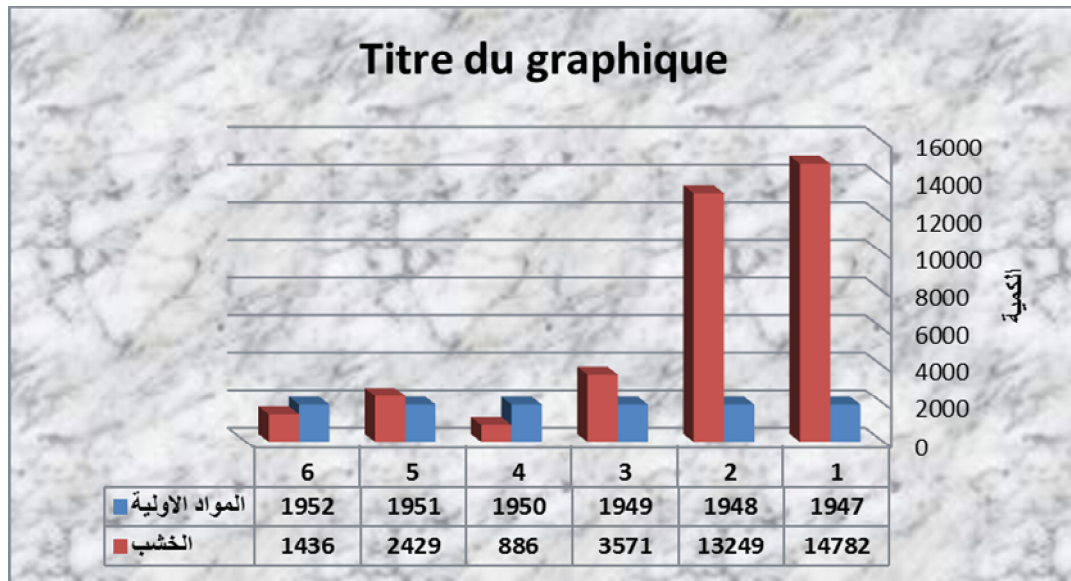
الخط	المواد الأولية	1947	1948	1949	1950	1951	1952
حاسي بحبح - الجلفة	الخشب	14782	13249	3571	886	2429	1436

نلاحظ في الجدول أعلاه تطور عملية نقل الخشب بسكة الحديد من منطقة حاسي بحبح إلى محطة الجلفة ففي سنة: 1947 م بلغت كمية النقل 14782 طن، و 1948 م بلغت 13249 طن، و 1949 م بلغت 3571 طن، وفي سنة 1950 م انخفضت لتصل 886 طن تعود للارتفاع وتصل إلى 2429 طن سنة 1951 م لتراجع مرة أخرى الكمية وتصل إلى 1436 طن.

¹ ضيف الله شالي: مرجع سابق، ص: 148، 149

² نفسه، ص: 150

والمنحنى البياني التالي يجسد بيانات الجدول:



مما سبق يمكن لنا أن ندرك حجم الاستنزاف الكبير الذي تعرضت له المنطقة من طرف الاحتلال الفرنسي.

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي

- 1 - مظاهر من الحياة الاجتماعية لسكان منطقة الجلفة.
- 2 - السياسة الاستعمارية الاجتماعية بمنطقة الجلفة.
- 3 - التحولات الاجتماعية بمنطقة الجلفة

تمهيد

نحاول في هذا الفصل التطرق إلى مظاهر من الحياة الاجتماعية للمجتمع الجزائري بمنطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي، لنعرج بعدها إلى دراسة السياسة الاجتماعية الفرنسية لهذا المجتمع والتي كان الهدف من ورائها سلخه من ماضيه ودمجه ضمن المجتمع الفرنسي، لنعرض في الأخير التحولات الاجتماعية لهذا المجتمع.

1 - مظاهر من الحياة الاجتماعية لقبائل منطقة الجلفة.

على غرار كل مناطق الوطن تتميز منطقة الجلفة ببعض المظاهر الاجتماعية التي يشتهر بها سكانها، والتي يمكن حصرها فيما يلي:

1 - 1 حياة الرعي والترحال: المجتمع النائي لا يختلف في جوهره عن عامة المجتمع الجزائري لاسيما البدوي منه، حيث ورث سكان منطقة الجلفة نفس الأعراف والتقاليد البدوية للحياة الجماعية؛ كالعرش (يعني مجموعة متكونة من العديد من الفرق) والفرقة والسماط (مجموعة من الخيم لنفس الفرقة) والنزلة؛ وورثوا أيضا حياة العائلة والبيت، ومن مميزات قبائل المنطقة الجلفة هو التكيف الجيد مع الطبيعة، إذ باستطاعتهم المشي والجري حفاة إن حملتهم الضرورة على ذلك فهم ملعون بالطبيعة والهواء الطلق، والخيول والحيوانات أصحابهم وعلة وجودهم؛ وماشييتهم جزء من ذاتهم.

إذ فرضت عليهم البيئة التي يعيشون وسطها ومناخها القاسي؛ النشاط الرعوي وتقل أغلبهم مع قطعانهم بحثا عن مصادر الماء والكأ، فعند حلول فصل الصيف تبدأ الرحلة؛ فتجد الموالين ينتقلون صوب المناطق التلية الباردة، وشتاء نحو الجنوب الشرقي الدافئ لهم ولي مواشيهم.

ورغم أن أغلب قبائل منطقة الجلفة رُحُل، إلا أنه وجدت بعض القبائل تعيش حياة الاستقرار في القصور، فنشأت بين سكان القصور والمتقلين (البدو الرُّحل) ما يمكن الاصطلاح عليه بعقد شراكة، إذ كان الرُّحل في إطار ممارستهم لنشاطهم الرعوي يتوجهون

للتل ويجلبون منه معهم الحبوب التي يعمل المقيمون بالقصور على زراعة بعضها¹، و الاحتفاظ بالباقي في مطامير بالقصور التي كانت بمثابة مخازن لقبائل بلاد أولاد نايل².

كانت القصور تنشأ بالقرب من مصادر الماء الضروري لحياة سكانه: سواء آبار تقليدية أو عيون، للسماح لهم بالسقي والفلاحة، فهذا الاستقرار سمح لسكانه بممارسة حياتهم بشكل طبيعي...³.

1. 2. الخيمة أو البيت:

وصف أحد أبناء منطقة الجلفة الخيمة أو البيت بأنها هي المسكن والمنزل هي روح الجماعة وقلب العائلة البدوية نعيش ونكبر ونموت فيها، هي كالقلب النابض لمملكة النحل، كل الحياة تسري في أرجائها⁴، في حين نعتها الرحالة الفرنسي فرومنتان بالبيت المتقل الذي يتكيف وطبيعة نشاط أهل المنطقة، أين يقضي البدوي نصف حياته، فقال عن الخيمة النيلية بأنها: « خيم حمراء، بخطوط سوداء، تسندها بروعة مجموعة من العصي، مشدودة إلى الأرض بنسيج من المراسي والأوتاد، داخلها مكتظ بأواني المطبخ، وأثاث تدبير الشؤون، ومعدات الحرب الخاصة بسيد الخيمة... »⁵.

أُخذت الخيمة الحمراء رمزا لـ (قبائل أولاد نايل) و من هذا حذوهم من سائر فروعهم وجيرانهم الأشراف من عبايز ومخاليف، وقد جاء اختيار اللون الأحمر بناء على توصية لسيدي نايل من طرف شيخه أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، وذلك بهدف تمييزه عن غيره من السكان، بحكم أن سيدي نايل كان ذا رأي وحكمة ويقصده العديد من الناس للفتوى والمشورة، وتسهيلا لهم لمعرفة والذهاب إليه مباشرة دون اختلاط الأمر عليهم مع السكان الآخرين، فكان هذا الاقتراح وهو بناء خيمة سوداء مخططة باللون الأحمر⁶.

¹ Eugène Fromentin: **op. cit**, p p: 40, 41.

² دوماس: مرجع سابق، ص ص: 200، 206.

³ لتفصيل أكثر عن هذه القصور أنظر: ص ص: 45-56.

⁴ عبد القادر خالدي: حياة البدو الرحل - قصة عائلة نيلية-، تر: صالح بخوش، دار الهدى، الجزائر، 2015، ص: 10.

⁵ Eugène Fromentin: **op. cit**, p p: 58, 59.

⁶ الميلود قويسم: ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: "الجلفة تاريخ و مآثر"، المنعقد يومي: 17-18 أبريل 2007 بالمركز الثقافي الإسلامي، ص: 21.

أما عن شكلها ومكوناتها¹: فهي من الأمام شبيهة بقمة جبل منحدر من كل جانب راسمة قوس دائرة متجهها صوب السماء؛ في الوسط والأسفل، مستندة إلى دعامة مركزية ضخمة، تتمثل في عمود خشبي يعرف بالركيزة، كما توجد إلى جانب الركيزة دعامتان ثانويتان البيبان تشدان الركيزة؛ وكل جانب أو الجوانب الأخرى ترفعه ثلاث أو أربع دعائم خشبية (أعمدة) أصغر حجما، تتألف الخيمة من قسمين مختلفين بينهما ستار (حيال) يفصل الرجال عن النساء؛ وهناك خارج الخيمة تنصب أوتاد تشد الخيمة تمنع الرياح الهوجاء من اقتلاعها، بجانب الستار من جهة النساء توضع أكياس من نبات الحلفاء متراففة وسط البيت تحفظ فيها المواد الغذائية، تضم الخيمة مواضع أمامية وأخرى خلفية (ستار وملاك) يمكن رفعها أو اسدالها كلما اقتضت الحاجة سترا للخيمة أو تهويتها، أما عند جهة النسوة أو الخالفة، فنجد أمام الخيمة حجابا صغيرا موصولا بها، شكله نصف دائري مصنوع من فروع الأغصان أو من مواد أخرى متاحة ويستخدم لحمايتها من الرياح أو لستر النساء من الفضوليين، كل ذلك يصنع ما يشبه مطبخا مفتوحا من الأعلى لتمكين الدخان من الخروج وفقا لنظام الحماية المعروف بـ (الرواق).²

يعتبر الفليج جزءا من قماش الخمية؛ وهو شريط عرضه حوالي ذراعين وطوله يختلف باختلاف أهمية المسكن، لكنه في حدود الثلاثين ذراعا بالنسبة للخيمة المتوسطة، تتألف الخيمة من العديد من الفلاّج المهيطة مجتمعة في اتجاه طولي، وثمانى فلاّج في اتجاه عرضي للخيمة، هذه الخيمة تسع حوالي خمسة عشر فردا، أما إذا حضر أقارب العائلة، فليس ذلك بمشكل أبدا، إذ سرعان ما ينصب لهم مخيم عن طريق توصيل فلاّج الخيمة ببعضها بواسطة خيط غليظ وباستعمال مخطط (إشفة)، على عكس البرنوس الذي تخطيطه النساء بشكل عمودي، تتم خياطة الفليج على الأرض بشكل أفقي بمزيج من وبر العنز وصوف الخروف، يكون الفليج مانعا لتسرب المياه وعازلا جيدا للحرارة والبرد، أما عن اتجاه الخيمة فيكون بحسب اتجاه الرياح، وعموما توجه الجهة الأمامية نحو المشرق (اتجاه القبلة)

¹ أنظر الملحق رقم: 12، ص: 420

² عبد القادر خالدي: مرجع سابق، ص: 11، 12، 30.

للاستفادة من أشعة الشمس، وتوجد تحت الخيمة المظلة؛ قرية من جلد الماعز تحتوي ماء منعشا يعلق معها إناء من الحلفاء يسمى القنونة¹.

تخفض الخيمة علوها في فصل الشتاء تجنباً لهبوب الرياح ولسعات البرد، مغمورة بأعمدة الدخان الأسود؛ ترفع قواعدها وتعلو في فصل الربيع لتبدي لونها الأسود المخطط بالأحمر.

قبالة مدخل الخيمة هناك موضع يطلق عليه (المراح)، وهو مكان يستطيع فيه الرجال والنساء ممارسة جميع أنواع الأنشطة؛ فتجلب النعاج أو الأبقار لتجلب، وفيه أيضا يقطع الخشب المستعمل للتدفئة؛ كما أن الأطفال يجعلون منه أثاء النهار فضاء للعب، وعندما يحل المساء يربط (يعقل) أهل الخيمة الجياد في أقرب نقطة من الخيمة لتسهيل عليهم حراستها وحمايتها من السرقة، ثم تليها الأبقار، ليأتي بعدها دور الغنم المجموعة داخل السياج أو (الزربية) التي بها منفذ واحد يستعمل لإخراج أو ادخال الغنم، تصنع الزربية من أغصان الشجر ومن شجيرات شائكة الأغصان، ومن شجرة (السدر)، أما باقي الحيوانات فتجمع وتربط على مقربة من السياج فالجمال ينام على بطنه مطوي القوائم ويوضع له حاجز يمنعه من الوقوف، والحصان تربط قائمته الأماميتان تمام بمحاذات هذه الملكية مجموعة كلاب المفترسة التي ترصد أصوات الغرباء على بعد مئات الأمتار، تفضل النساء تربية الديك (الفروج)، علما بأن هذا الطير مع القنفذ من ألد أعداء لشعابين، وأمام الخيمة وفي جهة النساء يخزن الخشب المستعمل للتدفئة.

ليس بعيد عن خيمة الشيخ أو مؤل البيت؛ توجد خيمة صغيرة تخصص للبكر من الذكور الذي يمكنه الانزواء فيها رفقة زوجته وولده الرضيع عندما يخيم الظلام، وبعيدا عن ذلك يوجد مخيم أو اثنان من القماش أو أكواخ بحسب حجم القطعان، هذه المأوي الصغيرة مخصصة للرعاة الذين يعيشون فيها كل واحد مع أهله، ليقوموا بمهمة حراسة الماشية الغالية، فالراعي يحتسي القهوة ويحاور رعيته بتحفظ لكي يدفع النوم عن عينيه؛ أما أصحاب الأملاك، فيتكلمون بصوت مجهور ويسمعون بعضهم من خيمة إلى أخرى درءاً لأي

¹ عبد القادر خالدي: مرجع سابق، ص: 12، 13، 28.

محاولات قد يقدم عليها اللصوص، إن أهل تلك الخيمة حاضرون على مدار الليل، فهم يتحلون دائماً باليقظة، ولا يركنون للراحة إلا في النهار.¹

كما أنه في المناسبات الاحتفالية، كانت تنصب خيمة عملاقة شبيهة بخيمة السرك تستطيع استقبال المئات من المدعوين، تسمى أعلى نقطة فيها من باب الافتخار (القنطاص)، أي القمة.²

- لوازم المطبخ داخل الخيمة³: في ما يلي عرض لأهم اللوازم التي لا يكاد تخلو منها أي خيمة ناييلية:

المطحنة: وهي من لوازم المطبخ الضرورية، فهي التي تحول حبات القمح أو الشعير إلى سميد، تتكون المطحنة من حجرين صلبين دائريي الشكل قطر كل واحدة منهما ذراع؛ أما الحجر السفلي فيوضع مباشرة على سطح الأرض، وأما الحجر العلوي فمتحرك ويدور حول محور ركزي بفضل مقبض خشبي مثبت عند طرف دائرته الخارجية، يتم إدخال الحبوب في حجر العلوي عن طريق فتحة محفورة في مركزه، تجلس المرأة مربعة رجليها وتضع المطحنة بين ركبتيها ثم تقوم بتدوير الحجر العلوي فتسحق الحبات وتخرج من بين الحجرين لتسقط على الأرض؛ وقد تتكرر هذه العملية على السميد مرات عديدة حتى تصبح أرق وأدق، ويأتي الغريال ليكمل المهمة ويعين المرأة على الحصول على سميد الخبز أو سميد الكسكس.

الشكوة: تستعمل لاستخلاص الزبدة أو اللبن من حليب النعجة أو البقرة أو المعزة؛ وهي عبارة عن جلد خروف مفرغ تماما مما يحوي ومعالج بطريقة خاصة، تغلق الفجوات المترتبة على نزع الأطراف وتبقى فجوة الرقبة التي تستعمل لتمرير الحليب والملح وقليل من الماء، ثم تعلق الشكوة في مثلث مصنوع من ثلاث أوتاد مثبتة في الأرض يطلق عليه اسم " الحمارة "، تجلس المرأة تحت الحمارة وتأخذ في مخض الشكوة مخضا شديدا، ذهابا وإيابا، إلى أن يدور الحليب؛ فتصعد الزبدة إلى الفتحة العلوية ليتم استخلاصها، أما اللبن فيشرب أو يعطى للغير.

¹ عبد القادر خالدي: مرجع سابق، ص: 13، 14.

² ما تزال هذه اللوازم إلى اليوم.

³ نفسه، ص: 31-33.

الموقد(الكانون): يتكون الكانون من ثلاثة أحجار (لماصب) تهيأ على شكل مثلث وتوقد تحتها نار الحطب، وبالتالي فهو بمثابة الفرن اليوم الذي يطهى فوقه المأكولات؛ فتطهى فوقه المرأة الناييلية سميد القمح (الخبز المطلوع) أو خبز الشعير (الرغدة)، وعن طريقة تحضيره فإن المرأة تقوم بوضع في قصعة خشبية السميد والماء والملح والخميرة وتخلطه حتى يصبح عجينة؛ أما الطهي فيكون على صفيحة من الفخار (الطاجين) دائرية الشكل حوافها مرتفعة بعض الشيء، يوضع (الطاجين) فوق الكانون.

المهراس: وهو مخروطي الشكل، فارغ من الداخل، مصنوعا من الخشب الصلب يستعمل لسحق وطحن حبيبات الفلفل الأسود أو البن أو السكر أو الملح، إذ توضع تلك الحبيبات داخل المهراس ثم تسحق بضرب خفيفة بأداة دائرية تعمل كالمطرقة الصغيرة (الرزامة) طرفها العلوي على شكل كروي.

1. 3 المكانة الاجتماعية للجد أو شيخ القبيلة¹: هو ركن وركيزة العائلة والقبيلة والجماعة؛ فهو أب الجميع وسيد الخيمة والعائلة بلا منازع (رب البيت)، يعيش الجد والابن والأحفاد جميعا في خيمة واحدة وعلى مقربة منهم تعيش الماشية ورعاتها، بالقرب من الخيمة تنصب خيام أخرى، قد تكون سماطا أو نزلة أو قبيلة بحسب عدد الخيم، يملك الشيخ السلطة المطلقة ويحظى باحترام الجميع؛ فالجميع يخشونه ويولونه طاعة عمياء، ولا مجال أبدا لمناقشة قراراته، فمن يرد عليه أو يجابهه يعتبر عاصيا قليل الاحترام، فالناس تخشى اللعنة التي تحل على المرء جراء دعوات الشر، ودعاء الأب والأم أمر منشود، وعقوق الوالدين إثم يغلق أبواب الجنة في وجه فاعله.

وللجد كامل السلطة في تزويج أبنائه وبناته، ويستشير في ذلك سرا مقربيه وزوجته المحببة، يتميز الجد بالصوت الحاد العالي مثير للخوف، يعطي أوامر صارمة، وإن لم تنفذ التعليمات على الفور سرعان ما ترفع العصا أو البندقية، ويعتب الشيخ موحد صف العائلة، وفي غيابه تنتقل قيادة العائلة إلى أكبر الأولاد سنا أو أكثرهم حنكة، أما عند وفاته يعين إخوته وأعمامه رب عائلة جديد، وقد كان يساعد الشيخ مجموعة من المعينين الذي ينجزون العديد من الأشغال كتسويق قطعان الماشية، واحضار المواد النادرة مهما تكلف الأمر.

¹ عبد القادر خالدي: مرجع سابق، ص 55، 56.

1 - 4 الحياة اليومية للفرد ببلاد أولاد نايل:

كان رجال ونساء منطقة الجلفة يقضون تقريبا طيلة نهارهم في نشاط وحركية، لتوفير حاجياتهم اليومية، وهي الصورة التي نقلها لنا المترجم العسكري أرنو في منتصف القرن التاسع عشر فأورد: « يشغل الرجال طوال يومهم بالزراعة والنساء تحيك البرانيس و الحايك أو الحوالة »¹.

إذ كان رجال قصور المنطقة محل الدراسة يقومون بحرث الأرض وزراعة الحبوب - التي جلبها البدو الرحل - في فصل الشتاء، وذلك باستخدام السكة المجروزة بالفرس أو البغل أو البعير، وبمرور فترة من الزمن على الحرث وقبل أن تيبس سنابل القمح والشعير تحصد، فتصنع المرأة من سنابل القمح كمية من الفريك، عن طريق حرق سنابل القمح الطازجة وتجفيفها بأشعة الشمس، وتقوم بضربها بعصى حتى تفك حبات الفريك من السنبل وتصفيتها بتعريضها للرياح لتبقى حبات الفريك اليابسة صافية، وأخيرا تطحنها وتغربلها مستخرجة منها تشيشة فريك وهو الجزء الخشن، الذي يستخدم في إعداد الشربة².

أما سنابل الشعير فتصنع منه المرأة الجلفاوية المرمز، وذلك بعد أن تقوم بتجفيف سنابل الشعير حتى ييبس، لتدقه بطريقة تفصل فيها حبات الشعير عن السنبل، ثم تقوم بـ"تْقْوِير" حبيبات الشعير وتجففها مرة أخرى لتطحن وتغربل ليصبح جزها الخشن مرمز، وله عدة طرق للطهي.

أما الباقي الزرع المحروث من القمح والشعير، فيترك حتى يجف ثم يقوم الرجال بحصده ويصفى ثم يوضع في مطامير للتخزين، وتترك الكَرْفَه (أي ما لا فائدة منه) للطيور، ثم بعد هذا تقام المأدبة تسمى معروف ويكون عبارة عن طعام دسم تعده النساء.

كما تصنع المرأة من القمح اليابس الروينة: وهي قمح يحمص فوق النار، ثم يطحن بالمطحنة الحجرية ليصبح سميدا ثم يغربل، هذا السميد يدعى الروينة التي يتم تحضيرها بإضافة الماء الفاتر والتمر والسمن، وهو غذاء جد صحي.

¹ Arnaud: " Exploration du djebel Boukahil ", IN, R.A, VOL: 07..., op. cit, p: 53.

² ما تزال هذه الطريقة معمول بها إلى اليوم لدى المرأة النابلية.

كما تقوم بطحن القمح اليابس بعد تصفيته لتصنع منه: الدقيق للخبز بعد طحنه، أو الكسكس بأنواعه و البركوكش (المردود)، كما تصنع من الشعير بعد طحنه الدقيق فتصنع منه: الخبز (الرَّقْدَة)¹ ، وكسكس الشعير.

ومن المهام التي تقوم بها المرأة حلب المواشي (أغنام، ماعز، بقر، النوق)، فيشرب الحليب طازج، أو تقوم بضخه (ما عاد حليب النوق) لتستخرج منه الزبدة التي تحولها في ما بعد إلى دهان، كما كان الرجال يقومون بجز المواشي الإبل والماعز والغنم، لتقوم المرأة بغسل وتنظيف وبر الإبل وصوف الغنم وشعر الماعز، وتحويله إلى خيوط بعد غزلها، وصباغتها لاستخدامها في حياكة البرانس والقشائية للرجال²، ونسج الأفرشة من زرابي وأغطية (حنابل)، وكذا نسج خيمة سكنهم، أما عن الوسائل التي كانت تستخدمها لتحويل هذا الصوف أو الوبر أو شعر الماعز فهي: العضاضة والخلالة و المرباح والسسمال و المغزل والمنطوة و الجبادات والاشفة و الابرة والمسلة والمنقاش و الزبرة و الكماشة و الزيار³.

ومنه فإن المرأة الجلفاوية كانت تصنع أغلب الوسائل التي تحتاجها بيديها، وهذا ما لاحظته فرومنتان عند زيارته لمنطقة الجلفة منتصف القرن التاسع عشر، فقال: « الحلفاء نبتة نافعة... في الصحراء تصنع بها الحصائر والقبعات والأوعية والقدر التي تحوي الحليب والماء والصحون الواسعة لتقديم الفاكهة، وهلم جرا... »⁴، وواصل وصفه للوسائل التي يعتمد عليها سكان منطقة أولاد نايل عند وصفه للخيمة الناييلية فأورد: « داخلها مكتظ بأواني المطبخ، وأثاث تدبير الشؤون، ومعدات الحرب الخاصة بسيد الخيمة، وطواحين الحبوب الحجرية، والمهاريس الثقيلة لرحي الفلفل، والصحائف الخشبية لعجن الكسكس، والكسكاس حيث يطبخ، بالإضافة إلى أوعية من الحلفاء المظفورة، وجراب السفر أو التاليس، وسروج الإبل والجري، وحصائر الخيمة، والمنسج، ومعدات إصلاح صوف الإبل الخام، الخ، ... الأفران محفورة في الأرض ومتكونة من ثلاثة أحجار مشكلة موقد نار. كما نلاحظ أكوام أجمة جافة، وقرب ماء سوداء بشعر طويل معلقة بثلاثة أعواد على شكل حزم. حول كل هذا، السهل الفسيح حيث تتفرق الجمال بلا حارس نهارا، لتجتمع مساء على صوت البوق

1 وهي صحية لأصحاب الرجيم ومن عنده أمراض في جهازه الهضمي.

2 دوماس: مصدر سابق، ص: 196.

3 لقاءات متكررة للباحثة مع نساء كبار في سن من المنطقة امتهن هذه الحرفة.

⁴ Eugène Fromentin: **op. cit**, pp: 54, 55.

لتنام في الدوار»¹ كما كانت تستغل جلود المواشي والحيوانات لحفظ الدقيق، والكسكس والدهان، والرب، والماء... إلخ.

1 - 5 / التكافل والتراحم بين سكان منطقة الجلفة²: كان التعاون سمة من سمات قبائل المنطقة فيما بينهم في أحلك الظروف (كالوفاة) ويشتركون أيضا في لحظات الفرح (الزيارة أو الحفلة)، وهم لا يردون الفقراء، والمكروبين، والمسنين أو المرضى، جميعهم يجدون تحت الخيمة ركنا يأكلون فيه ويؤوون إليه، كما تجدهم يوقرون الشيوخ المسنين ويجلونهم، ومن المحال أن يفرضوا فيهم، أما إعانة المعوزين عندهم فسهلا متعددة، ولعل أبسطها بذل الصدقة؛ وإعطاء زكاة من باب التطوع وبصفة يومية، حيث يعطى المحتاجون قدر الاستطاعة من رغيف الخبز والملابس الحاضرة أو المال، أما الصدقة المسماة الفطرة، وشعيرة الزكاة التي ينالها الفقراء من ميسوري الحال الذين بلغوا نصابا معيناً من المال حال عليه حول كامل، وكل من الفطرة والزكاة هي هبات تتظمها الشعائر الدينية.

كما كانت هناك خصلة نبيلة تتحلى بها النساء، وهي أن تعطي المرأة حليبها للمولود الجديد إن كانت أمه غير مرضعة أو خشية أن ينفطم الرضيع مبكرا، لذلك كانت كل النساء المرضعات يتطوعن لنجدة الأطفال الصغار، ورغم أن الدين يوصي بدفع مقابل عن التطوع للإرضاع، إلا أن الأم الجلفاوية تأبى أخذ أي مكافئة.

1 - 6 / الزواج³:

الزواج قبل كل شيء حاجة طبيعية متبادلة بين الرجل والمرأة، وهو أمر مستحب وسنة من سنن الإسلام، فهذه العلاقة هي التي يتأسس عليها البيت والعائلة والسماط (مجموعة من الخيم) والقبيلة والقوم، فقد كان رب العائلة أو الشيخ يزوج أبنائه في سن جد مبكرة ليمنعهم من مغادرة أرض أجدادهم، فهو يحتاج رجالا يحمون الأرض ويخدمونها، وعندما يكون مالكا لماشية كثيرة العدد، ينبغي أن يكون بين يديه أيدي عاملة كثيرة والعديد من

¹Ibid, pp: 59.

² عبد القادر خالدي: مرجع سابق، ص ص: 42، 43.

³ نفسه، ص ص: 50 - 54.

النساء للقيام بالأشغال اليومية للمزرعة: حلب الأبقار، وإعداد الخبز ونسج الخيام والبرانيس؛ وعند اقتضاء الحاجة، يستعين بهن في أداء أعمال الحقل أو جمع الحطب.

هذا النوع من زواج المصلحة يدفع الأولياء إلى تزويج بناتهم في سن جد مبكرة (في الرابعة عشر أو الثانية عشر)، فالشيخ يقبل بتزويج بناته بسهولة ويستثقل تربيتهم معتقدا أن إبقائهم في البيت مشقة كبيرة، لذلك فهو لا يتردد في تزويجهم في سن مبكرة.

من العرف الشائع أن ينعقد القران بين أبناء السماط الواحد أو القبيلة الواحدة، لكن أحيانا يمكن تزويج البنات لقبائل من منطقة أخرى، إن كانت وراء ذلك دوافع أو مصلحة أو نسب معروف.

ما إن يعزم الوالدان على تزويج الابن، حتى تبدأ رحلتهم في البحث عن المرأة التي تناسبه، ومن الأفضل أن تكون من معارفهما، وبمجرد أن يقع اختيارهما على الخطيبة المنتظرة يتصلون بوالديها لتحديد الزيارة الأولى الخاصة بالخطوبة؛ وفي أغلب الحالات لا يرفض الأولياء من يطلب يد ابنتهم، عندئذ تحمل قريبات الخاطب قفة مليئة بالخيرات وتهديها للنسيب المستقبلي، ويتعرفون عليهم ويستمتعون بالحديث مع الزوجة المستقبلية، بعد تبادل الابتسامات وأمنيات الترحاب، تشرع النسوة في الأمور الجادة ويعلن كل طرف عن شروطه، وبعد الانتهاء من المهمة، يغادر الضيوف بعد أن يقع التشاور بين النسوة، ثم يذهب الرجال للتفاوض في الأمور التي تخص الجانب المالي.

بما أن أمر الزواج مهم للغاية، فإن الاتفاق سرعان ما يقع بين العائلتين فيضبط موعد الخطوبة التي تمثل طلبا رسميا للزواج.

وجرت العادة أن يقام حفل الزواج أو قراءة الفاتحة عند أهل الفتاة، إذ يرسل الخاطب خروفا للمناسبة ويرسل جميع مستلزمات إعداد وليمة العرس ومعها مهر العروس؛ الحلي(الخاتم والقلادة)، ملابس الخطوبة أو مبلغ مالي يكافئ مجموع ذلك بحسب ما انعقد عليه الاتفاق.

يوم قراءة الفاتحة، وبعد إقامة وليمة العرس يذكر الطالب رجل الدين بأركان الزواج الاسلامي وهي: أن يحضر شاهدان ويطلب الخاطب يد الفتاة من والدها (أو من وليها

الشرعي)، فيوافقه على ذلك، إذ يذكر الطالب اسم الشاب والشابة التي يجب أن ترضى بالخاطب وأن يذكر في الجماعة أنها عذراء، يعلن الطالب عن المهر المتفق عليه حليا أو نقدا، ثم يقرأ سورة الفاتحة ويعقد القران؛ وابتداء من هذه اللحظة يصبح الزواج حلالا، تتعالى الزغاريد في جهة النساء ويسرب العريس الجديد إليهن ورقة نقدية مباركة لهذا الزواج (الباروك أو الزغردة)، يتم تحديد يوم الزفاف (الدخول)، ويكون ذلك اليوم مناسبة سعيدة مميزة، وتتحول خيمة العريس إلى مهرجان.

سرعان ما يكون موكب الزفاف جاهزا، فيزين الجمل المختار لنقل لعروسة ويوضع عليه (الباصور) التقليدي، وهو أريكة زفاف ذات شكل نصف دائري مكشوفة توضع على ظهر البعير الذي يقوده أحد أقارب الزوج.

يكون الجد (الشيخ)، فخورا حاملا بندقيته ممتطيا ظهر حصانه المسرج بالفضة كما في الفانتازيا، فيفيض حماسة و نشاطا، ثم يعبئ بندقيته ويقود الموكب الذي يضم بعض الأهل بما فيهم النساء.

يتربأ أهل العروسة وصول الموكب، يخرج الأب ابنته المغطاة ببئرنوس أبيض ثم يساعدها على ركوب الباصور رفقة أقرب صديقة لها، في تلك اللحظة التاريخية يطلق أهل العريس طلقات بالبندقية، ليعم غبار البارود المكان وتختلط زغاريد النساء في غمرة ذلك الحشد العجيب، يكون موكب العودة متسما بالطابع الرسمي، ويكون حفل الاستقبال عند أهل العريس الجديد مبهرا وتكون العروس مبهجة، الجميع يحتفلون، كل شخص يبدي ما في نفسه من سعادة، حتى الأطفال الصغار يحاولون أخذ نصيبهم من العرس، في السهرة يذبح الشيخ خروفين أو أكثر إكراما للوافدة الجديدة لكي تباشر حياتها على أفضل حال وإمتاعا لعائلته وللجيران المدعويين.

1 - 7 / الطب التقليدي:

اعتمد سكان منطقة الجلفة في التطبيب على الأعشاب التي تنمو بأرضها، وما تستخلصه منها، لاستعمالها كأدوية لعلاج بعض الأمراض أو كمرهم للدغات الحشرات، كالعلاج

بالقطران الذي اختصت بصناعته قبيلة سحاري بلاد أولاد نايل¹، وقد أعطى المترجم العسكري أرنو أمثلة عن كثيرة عن طريقة علاج سكان منطقة أولاد نايل للدغات بعض الحشرات والزواحف باستخدام القطران ومنها؛

لعلاج لدغة الأفعى قال: « لكي تشفى من عضه الأفعى، يستعمل العرب القطران كمقيئ، ثم يدخلون الجزء المريض في جلد لا زال ساخنا لمعزة، خروف، كلب، أو أي حيوان يذبحونه، ثم يقومون لمدة عدة أيام بحمية حساء مصنوع من التمر، الزبدة، سمك و لحم الوران² ».

ولعلاج لدغة العنكبوت (بولكاز)، ذكر أنه عندما يلدغ العنكبوت شخص ما، تنفمس عصى خشبية محاطة من الأعلى بقطعة صوفية في خليط من: القطران، الزبدة الزفت³، ويضرب بها بهدوء الجزء المريض، كما أعطى وصفة أخرى لعلاج للدغة العنكبوت وهي أنه عندما يحس المددوغ ب: « بحكة ملتبهة، يجب فوراً، شرب القطران، لأنه في الغد سيلتهب الجرح ولا يصبح من المؤكد الشفاء»⁴.

أما عن الدواء الأكثر استعمالاً من قبائل منطقة الجلفة لعلاج لدغة العنكبوت القاتلة هي: « أن نقوم عادة بوضع النار على العضو المريض، وتغطية الجرح ببراز إنساني، نقدم للمريض كمية كبيرة ليشربها من حساء لحم ملئ بالدهان، حيث يدخل فيها الفلفل الأحمر، الفلفل الأسود، الثوم والبصل، تمر، وهرماس (مشمش مجفف بالشمس)، ثم نغلفه بجميع الملابس التي يمكننا إيجادها: نلفه في زرابي، ونضعه في حفرة معدة مسبقاً، نغطيه بعد ذلك بطبقة سميكة من التراب، التي نشعل عليها نارا كبيرة. الذي لا يريد أن يستعمل هذه الطريقة يبقى لمدة عشر سنوات كأن نارا داخل جسده...رعشات مصحوبة بحرارة جد مرتفعة»⁵.

¹ Arnaud: "Notice sur les Sahari, ...", IN: R.A, VOL: 10, op. cit, p: 26.

² Arnaud: " Exploration du Djebel Boukahil ", IN: R.A, VOL:07, op .cit ...,p p: 60, 61.

³ تدعى هذه العصى المغموسة بهذا الخليط بلكاز ومن جاء اسم بولكاز أنظر:

Arnaud :,op .cit, p: 60

⁴ Ibid.

⁵ Ibid.

كما استعمل أبناء منطقة الجلفة ثمار شجرة العرعار التي تحتوي على الكثير من البروتينات والفيتامينات مثل الفيتامين: A.B، لعلاج السعال الديكي المزمّن والروماتيزم، كما استعملوا أوراق شجرة الصنوبر الإبرية الدائمة الخضرة، التي تحتوي على الكثير من الفيتامينات مثل الفيتامين: A، B لعلاج القروح و الحروق، ووجع الكبد ونافع للقيح ونزيف الدم والسعال...الخ،

كما استخدموا ثمار شجرة البطم الحمضية قليلا، والمنعشة للأكل، كبديل مفضل لإطفاء العطش¹، هذا بالإضافة إلى نبات الزعتر المشهور برائحته المميزة والقوية، طعمه حار ينمو في أغلب مناطق الجلفة التي استخدمها سكانها كمضاد للجراثيم و لتنشيط الجسم وضد السعال كما استعملوه لعلاج الروماتيزم وأمراض أخرى ... الخ .

نبات آخر له فائدة كبيرة وينمو في أغلب تراب منطقة الجلفة جذوره شديدة التفرع سيقانه متعددة أزهاره صفراوية، ثماره كروية الشكل، المعروف عند أهل المنطقة بالحرمل واستعملوه في حالات التهاب الحلق والحنجرة والشلل وأمراض عديدة ... الخ .

هذا بالإضافة إلى عدة أنواع من التطبيب التقليدي الذي كان يتقنه أبناء المنطقة.

ومما سبق يمكن القول أن المجتمع النابلي كان متجمعا قائما بذاته عنده نمط يسير عليه ولا يختلف كثيرا عن عامة المجتمع الجزائري، وكل المحاولات الفرنسية الرامية إلى تغيير ملامح المجتمع النابلي العربي الإسلامي باءت بالفشل.

¹ Eugène Fromentin: **op. cit**, pp: 52-65.

2 - السياسة الاستعمارية الاجتماعية بمنطقة الجلفة:

عملت السلطات الفرنسية على انتهاج عدة سياسات ومنها ما يخص الجانب الاجتماعي من أجل القضاء الكيان الجزائري وكل ما يربطه بماضيه وتاريخه، وبالتالي جعل الجزائر فرنسية أرضا وشعبا، فقامت بما يلي:

2 - 1 تشجيع الهجرة الاستطانية:

عملت سلطات الاحتلال الفرنسي على جلب عناصر اثنية مختلفة، وذلك في إطار سياستها الرامية لخلق مجتمع يوازي المجتمع الجزائري أو يُزاحمه على أرضهم، ومنحت لهم كافة التسهيلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية من أجل ذلك، إذ كان هذا التوافد مرافقا للجيش الفرنسي بعد كل عملية توسع في منطقة من مناطق الجزائر، فجلب المحتل جالية أجنبية: فرنسيين وأوربيين منذ السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للمنطقة وبداية من تأسيس البرج العسكري الجنوبي بضاية الجلفة، وبقي هذا التوافد في تزايد مستمر¹.

وفرت السلطات الفرنسية لهذه الجالية كل وسائل الراحة من أجل تحفيزهم على البقاء فبنت لهم المرافق: فبنت الكنيسة لممارسة شعائرتهم الدينية، ومركز البريد، والفنادق والمؤسسات الصحية، ومدت خط سكة الحديد لتسهيل عملية التنقل والعمل، ومنحت لهم قروض من أجل التشجيع على الاستثمار وتوفير مناصب عمل، رغم أن هذا الاستثمار لم يكن لصالح أبناء المنطقة بل من أجل نهب خيرات البلاد نحو فرنسا والدول الأوروبية، هذه المرافق سيتم التفصيل فيها عبر صفحات هذه الأطروحة.

2 - 2 سياسة الدمج الاجتماعي:

2 - 2 - 1 الصحة العمومية:

بعد عمليات تشجيع هجرة الأوربيين من مختلف الجنسيات إلى الجزائر، عملت الحكومة الفرنسية على توفير سبل الحياة لهم، لتحفيزهم على الاستقرار بهذه المناطق، فشرعت في بناء وتشبيت مختلف الهياكل المساعدة على ذلك، ومنها الهياكل الصحية:

¹ لمزيد عن هذا التوافد أنظر ص ص: 243، 243.

• إنشاء المركز الطبي بمدينة الجلفة عاصمة الإقليم سنة 1904م، ورمم في 1928م،

وهو حسب التصنيف الصحي الفرنسي المعتمد آنذاك يقع في تصنيف الدرجة الأولى

حيث يتوفر على وسائل طبية مقبولة و طبيب مداوم به طبيب مداوم، و وسائل

مقبولة¹

ففي تقرير 1908م الذي عرض الأوضاع الصحية للمنطقة والخدمات المقدمة في هذا

المجال أورد أن العيادة التي بدأت في العمل منذ نشأتها سنة 1904م إلى غاية 1908 كان عدد المرضى الذين استقبلتهم والتي كان الأهالي يتعاملون معها بتحفظ كما يلي²:

- 1904 استقبلت 106.

- 1905 استقبلت 230

- 1906 استقبلت 214

- 1907 استقبلت 254

- 1908 استقبلت 183

كما أنشأت مراكز ثانوية في حاسي بحبح، وعين ومعيد، عين الإبل، و الشارف و مسعد، وزينية، وتعظميت.³

ومن الأمراض التي انتشرت بالمنطقة التفوיד، وانتشر هذا المرض في مسعد، وباء التيفوس 12 حالة تم علاجها، بوحمرور في مسعد 27 حالة منها 2 حالة توفيت في المدرسة، كانت تتم عملية العلاج عن طريق عزل المصابين وأخذ التدابير الوقائية لتجنب العدوة، كما

¹ .G.G.A, T: 2, pp:150, 151.

نقلا عن عبد القادر قوبع: ملامح منطقة الجلفة ...، مرجع سابق، ص: 42.

² A.N.O.M OA83.

³ G.G.A, T: 2, pp:150, 151.

عبد القادر قوبع: مرجع سابق، ص: 42.

تم تلقيح حوالي 3800 شخص في الجلفة ووسط قبائل البدو ، كما شمل هذا التلقيح المدارس واستمر هذا الأمر إلى غاية 1909م¹.

¹ A.N.O.M OA83.

3 - التحولات الاجتماعية بمنطقة الجلفة:

3 - 1 الخريطة الديموغرافية لسكان منطقة الجلفة خلال الاحتلال:

لم يبق المجتمع النابلي مجتمعا جزائريا صافيا أثناء الاحتلال الفرنسي، فقد تحول إلى مجتمع يتكون من خليط من الأجناس: جزائرية، فرنسية، أوروبية، يهودية، وبالتالي تغيرت الخريطة الديموغرافية لمجتمع منطقة الجلفة.

3 - 1 - 1 الخريطة الديموغرافية للجزائريين:

يمكن تقديم الخريطة الديموغرافية للسكان الجزائريين لمنطقة الجلفة حسب للإحصائيات التي توفرت للباحثة وهي للسنوات التالية: 1876، 1906، 1911، 1921، لكن تجدر الإشارة إلى أن إحصاء سنوات (1876، 1911) ورد بها تفصيل عن عدد المسلمين وكل قبيلة بتفصيلاتها (العرش، الفرقة، البطن، والفرع)، على عكس السنوات الباقية التي ورد بها الإحصاء بصفة إجمالية (لمسلمين والأجانب)، وفي ما يلي عرض لهذه الإحصاءات مرتبة ترتيبا كرونولوجيا:

• إحصاء 1876م:

ورد هذا الإحصاء في كتاب: معجم قبائل ودواوير الجزائر، أعطى صاحب الكتاب أكاردو (محقق قسم الأراضي ومفوض مديرية الداخلية) في البداية إحصاء اجمالي لعدد الأهالي (المسلمين) الأغاليك: 44342 نسمة، - بدون إحصاء للبلدية المختلطة الجلفة والتي بها العدد الأكبر من الجالية الأجنبية مقارنة بباقي منطقة الدراسة - ، فهذا الإحصاء هو عبارة عن عدد كل القبائل التي تمثل اقليم البلدية العربية الجلفة والتي تتكون من: زينة¹، سحاري العطايا، أولاد طعبة، أولاد أم الأخوة، أولاد سيدي يونس، العبايز، أولاد عيفة، سحاري خييزات، أولاد سي أحمد، أولاد عبد القادر، أولاد بو عبد الله، أولاد رقاد - غرابة، أولاد رقاد - شراقة، أولاد بن علي، أولاد لعور و المهاش، أولاد الغويني، أولاد الخناثة، أولاد أم هاني و أولاد يحيى بن سالم، قصور أولاد نايل²، لم يكتفي صاحب الكتاب بإعطاء

¹ في جل الكتابات الفرنسية التي تناولت تاريخ منطقة الجلفة ترد كلمة زينة مرة باسم قصر ومرة باسم قبيلة.

² أكاردو: مصدر سابق، ص: 228

اسماء القبائل المسلمة وعدد أبنائها فقط، بل فصل في كل عروشها وفرقها وبطونها وفروعها ورفقها(القاف تنطق باللهجة المحلية فوقها ثلاث نقاط) وفرع الرفقة ، فأورد موقع كل عرش وفرقة منها بالنسبة لعاصمة الملحقة، وما يمكن ملاحظته أن صاحب الكتاب صنف السكان إلى صنفين القبائل والقصور وهو تصنيف أتبع تقريبا في جل الإحصاءات التي قدمت عن سكان المنطقة:

أ/ القبائل:

- قبيلة أولاد سيدي نايل: والمتكونة من عرشي: أولاد يحي وأولاد مليك¹.

- عرش أولاد يحي فرقة أولا عيسى الغرابية² وتتكون من البطون التالية: أولاد عيفة، أولاد أم الإخوة، أولاد لعور والمهاش، ومضارب كل فرقة وبطونها كما يلي:

بطن أولاد عيفة: تقع مضارب هذا البطن على مسافة 10 كلم جنوب شرق مدينة الجلفة، عدد الأهالي 2788 نسمة الأهالي 2788 نسمة، تألف هذا البطن من الفروع التالية³: أولاد نساير: عدد الأهالي 552 نسمة، أولاد بوكابي: عدد الأهالي 217 نسمة، أولاد شرابة: عدد الأهالي 179 نسمة، أولاد سعد: عدد الأهالي 388 نسمة، أولاد زير: عدد الأهالي 447 نسمة، وأولاد عبد الله بن أحمد: عدد الأهالي 224 نسمة، قسمية: عدد الأهالي 412 نسمة، أولاد وامنية: عدد الأهالي 207 نسمة.

بطن أولاد أم الإخوة: مضارب هذا البطن تقع على مسافة 40 كلم جنوب شرق مدينة الجلفة على المنحدر شمالي لجبل بو كحيل، عدد الأهالي 3979 نسمة، تكون هذا البطن من الفروع التالية⁴: أولاد جاب الله عدد الأهالي 620 نسمة، أولاد ناصر: عدد الأهالي 336 نسمة، أولاد قويسم: عدد الأهالي 245 نسمة، أولاد سيدي ساعد: عدد الأهالي 166 نسمة، أولاد بوخلاط: عدد الأهالي 242 نسمة، أولاد بن جدو: عدد الأهالي 185 نسمة،

¹ لتفاصيل أكثر حول هذه القبيلة أنظر الفصل التمهيدي عنصر التركيبة الاجتماعية.

² لم يتم مؤلف كتاب قبائل ودواوير الجزائر بتصنيف هذه القبائل بهذه الصيغة هو من إنجاز الباحثة.

³ أكاردو: مصدر سابق، ص ص: 121، 176، 181، 199، 203، 229، 232، 255.

⁴ نفسه، ص ص: 229، 107، 119، 195، 200، 203، 209، 213، 228، 245.

أولاد القاقى: عدد الأهالي 236 نسمة، أولاد سيدي ناجي: عدد الأهالي 550 نسمة، أولاد لكحل: عدد الأهالي 515 نسمة، سمالة أوزماننة: عدد الأهالي 175 نسمة، و أولاد زيد، الكاكي: عدد الأهالي 236 نسمة.

بطن أولاد لعور واللمهاش: هما بطنان غير خاضعتان لتطبيق المرسوم التشريعي، وتابعتين للبلدية العربية الدائرة و المقاطعة القضائية الجلفة، قسمة المدية على مسافة 24 كلم جنوب شرق مدينة الجلفة عدد الأهالي 2961 نسمة، تألف هذان البطنان من الفروع التالية¹: أولاد عبد الله: عدد الأهالي 368 نسمة، أولاد سالم: عدد الأهالي 270 نسمة، أولاد صالح: عدد الأهالي 387 نسمة، نقاقرة: عدد الأهالي 298 نسمة، النيوف: عدد الأهالي 149 نسمة، المهاش: عدد الأهالي 328 نسمة، المهايب: عدد الأهالي 213 نسمة، والنائم: عدد الأهالي 205 نسمة، أولاد سعيد: عدد الأهالي 208 نسمة، أولاد عبد الرحمان: عدد الأهالي 271 نسمة، الذبازة: عدد الأهالي 21 نسمة، الدباز: عدد الأهالي 148 نسمة، النعيم: عدد الأهالي 205 نسمة.

عرش أولاد مليك فرقة أولاد سالم: هذه الفرقة تكونت من البطون التالية: بطن أولاد عبد الرحمان والمتمثل في فرع أولاد سي امحمد؛ و بطن أولاد ساعد بن سالم، وبطن أولاد يحي بن سالم، وقد حدد صاحب كتاب معجم قبائل ودواوير الجزائر، مضارب هذه البطون وفروعها وعدد أفرادها، وهذا ما سيتم عرضه بناء ما أورده.

بطن أولاد عبد الرحمان فرع أولاد سي امحمد: الذي يتكون من الرّفقّ التالية: أولاد أم هاني، أولاد ضية، أولاد شليحة²، ومضارب كل فرع وفروعه في ما يلي:

¹ أكارودو: مصدر سابق، ص: 99، 110، 111، 103، 165، 113، 176، 209، 220، 234، 235.

² تجدر الإشارة هنا إلى أنه في بداية الاحتلال الفرنسي للمنطقة لم تكن تفرق قوات الاحتلال بين أولاد ضية وأولاد أم هاني، حيث اعتبرت أولاد أم هاني فرع من أولاد ضية، وقدرت عدد خيم أولاد ضية ب: 1200 خيمة، موزعة بالشكل التالي: 900 خيمة لأولاد ضية؛ 300 خيمة لأولاد أم هاني، وذلك في بداية الرحلات الاستكشافية للمنطقة.

رفقة أولاد أم هاني: مضارب هذه الرفقة على مسافة 50 كلم غرب مدينة الجلفة و جنوب غرب سد زاغز الغربي، عدد الأهالي 1927 نسمة، تكونت هذه الرفقة أولاد أم هاني هذا من فروع الرفقة التالية¹: أولاد شيخ و أولاد بيضاء: عدد أهاليهما 412 نسمة، أولاد حمد بن براهيم: عدد الأهالي 179 نسمة، مريجة: عدد الأهالي 746 نسمة، أولاد مريم: عدد الأهالي 394 نسمة، أولاد سي بلقاسم: عدد الأهالي 196 نسمة.

رفقة أولاد ضية هذه الرفقة متفرعة إلى: أولاد بوعبد الله وأولاد عبد القادر

فرع رفقة أولاد عبد الله: تقع مضارب فرع الرفقة هذا على مسافة 26 كلم شمال شرق مدينة الجلفة، وعلى الطريق بين هذه المدينة و بوسعادة، عدد الأهالي 2336 نسمة، وتآلف فرع الرفقة هذه من²: أولاد العقون: عدد الأهالي 569 نسمة على مسافة 30 كلم شمال شرق الجلفة و على الطريق بين هذه المدينة و بوسعادة، أولاد سي أحمد: عدد الأهالي 554 نسمة، أولاد ميسرة: عدد الأهالي 330 نسمة، أولاد جريبيعة: قسمة المدية عدد الأهالي 272 نسمة، أولاد دنيدية: عدد الأهالي 190 نسمة.

فرع رفقة أولاد عبد القادر: تقع مضارب فرع الرفقة هذا على بعد مسافة 10 كلم شمال مدينة الجلفة و شرق الطريق الوطني بين الجزائر العاصمة و الأغواط عدد الأهالي 2619 نسمة وتآلف فرع الرفقة هذا من³: أولاد درام: عدد الأهالي 299 نسمة، أولاد شيبوط: عدد الأهالي 496 نسمة، الطرايفة: عدد الأهالي 384 نسمة، أولاد جدي: عدد الأهالي 266 نسمة، القوادرية: عدد الأهالي 627 نسمة، تجدر الإشارة إلى أن مضارب هذا الرفقة تغيرت، وأضحت تقع على بعد 75 كلم شمال شرق مدينة الجلفة في ما يعرف اليوم ببلدية حاسي العش.

¹ أكاردو: مصدر سابق، ص ص: 150، 151، 180، 202، 225، 230، 239.

² نفسه، ص: 197، 205، 206، 226، 237.

³ نفسه، ص: 107، 109، 176، 113، 203، 206.

❖ رفقة أولاد شليحة: وهم فرعان: أولاد لغويني، وأولاد سي أحمد.

فرع رفقة أولاد الغويني: مضارب فرع رفقة هذا على مسافة 44 كلم شمال غرب مدينة الجلفة و شمال بحيرة زاغز غربي، عدد الأهالي 3395 نسمة، وتآلف فرع الرفقة هذا من ¹: أولاد الكربي: عدد الأهالي 521 نسمة، أولاد عبد النبي: عدد الأهالي 529 نسمة، أولاد عربية: عدد الأهالي 210 نسمة، أولاد عثمان: عدد الأهالي 224 نسمة، أولاد الصديق: عدد الأهالي 212 نسمة، أولاد بورقبة: عدد الأهالي 525 نسمة، أولاد عمران أولاد عمران: عدد الأهالي 626 نسمة، أولاد العرية: عدد الأهالي: 559 نسمة.

فرع رفقة أولاد سي أحمد: تقع مضارب فرع رفقة على مسافة 24 كلم غرب مدينة الجلفة و جنوب سد زاغز الغربي، عدد الأهالي 3740 نسمة، وتآلف فرع الرفقة هذا من: ² أولاد الشريف: عدد الأهالي 579 نسمة، أولاد سليم: عدد الأهالي 891 نسمة، أولاد سيدي سالم: عدد الأهالي 241 نسمة، أولاد جاب الله: عدد الأهالي 488 نسمة، أولاد شريك: عدد الأهالي 398 نسمة، أولاد ميلاب: عدد الأهالي 428 نسمة، جعيدات: عدد الأهالي 375 نسمة، الكاكي: عدد الأهالي 340 نسمة.

بطن أولاد يحي بن سالم بن مليك: تقع مضارب هذا البطن على مسافة 50 كلم جنوب شرق مدينة الجلفة وشرق الطريق الوطني الجزائر، الأغواط عدد الأهالي 1149 نسمة، أولاد يحي بن سالم تتكون من الفروع التالية ³: أولاد جنيدي: عدد الأهالي 269 نسمة، أولاد العيشي: عدد الأهالي 319 نسمة، أولاد جيش: عدد الأهالي 226 نسمة، وأولا سعد بوزيد: عدد الأهالي 295 نسمة.

بطن أولاد ساعد بن سالم بن مليك ⁴: يتكون من الفروع التالية: أولاد رقاد، أولاد خناثة، أولاد طعية.

¹ أكاردو: مصدر سابق، ص: 177، 189، 200، 208، 209، 229، 236.

² نفسه، ص: 88، 95، 107، 203، 206، 222، 223، 236، 237، 245.

³ نفسه، ص: 206، 207، 233، 253.

⁴ هذا التقسيم من انجاز الباحثة ولم يرد في كتاب معجم قبائل ودواوير الجزائر.

فرع أولاد رقاد: الشراقة والغرابية.

فرع أولاد رقاد – شراقة: تقع مضارب هذا الفرع على مسافة 16 كلم، جنوب مدينة الجلفة و على الطريق الوطني الجزائري – الأغواط، عدد الأهالي 1752 نسمة، هذا الفرع تكون من الرفق التالية¹: أولاد مجبر: عدد الأهالي 385 نسمة، امباركة: عدد الأهالي 485 نسمة، أولاد عبيد الله: عدد الأهالي 882 نسمة.

فرع أولاد رقاد- غرابية: تقع مضارب هذا الفرع على مسافة 30 كلم، جنوب مدينة الجلفة و على جانب الطريق الوطني الجزائري – الأغواط عدد الأهالي 1611 نسمة ، تكون هذا الفرع من الرفق التالية²: أولاد قرد الواد: عدد الأهالي 216 نسمة، أولاد حبشي: عدد الأهالي 124 نسمة، أولاد بلول عددهم الأهالي 530 نسمة، أولاد الحاج عدد الأهالي 376 نسمة، أولاد لصحاب: عدد الأهالي 365 نسمة.

فرع أولاد خناثة: تقع مضارب هذا الفرع على مسافة 60 كلم جنوب غرب مدينة الجلفة ومتاخمة لعمالة وهران عدد الأهالي 2282 نسمة، تألف هذا الفرع من الرفق التالية³: أولاد بن عثمان: عدد الأهالي 199 نسمة، أولاد نوا: عدد الأهالي 752 نسمة، أولاد فاطمة، أولاد غويني بن سالم: عدد الأهالي 463 نسمة، أولاد عامر: عدد الأهالي 585 نسمة، أولاد شناتة: عدد الأهالي 179م نسمة.

فرع أولاد طعبة: تقع مضارب هذا الفرع على مسافة 70 كلم جنوب مدينة الجلفة على الضفة اليسرى لواد جدي، عدد الأهالي: 1558 نسمة، تكون هذا الفرع من الرفق التالية⁴: أولاد جاب الله: عدد الأهالي 802 نسمة، أولاد البقارة: عدد الأهالي 756 نسمة على مسافة 90 كلم جنوب الجلفة و على وادي الجلفة.

¹ أكاردو: مصدر سابق، ص ص: 113، 215، 227، 231.

² نفسه، ص ص: 194، 215، 216، 220، 232.

³ نفسه، ص ص: 88، 213، 187، 229، 296، 218، 219.

⁴ نفسه، ص ص: 103، 113، 166 (من النص الأصلي).

قبيلة السحاري¹: بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة قامت سلطاته بتقسيم قبيلة السحاري العطايا أو من بقي منهم إلى: السحاري العطايا، و سحاري الخبيزات هذه الأخيرة سميت كذلك نسبة إلى أحمد بن قطاف بن خبيزات الذي عين عليهم كقائد سنة 1856م و أدخلوا إلى جبل السحاري²، ومنه أصبح السحاري أثناء الاحتلال الفرنسي ينقسمون إلى عرشين: عرش السحاري الخبيزات وعرش السحاري العطايا.

عرش سحاري العطايا: تقع مضارب هذا العرش على مسافة 20 كلم، شمال مدينة الجلفة و على الطريق الوطني الرابط بين الجزائر و الأغواط، عدد الأهالي 897 نسمة تكون من الفرق التالية³: أولاد يونس 759 نسمة، أولاد كوانين عدد الأهالي 138 نسمة.

عرش سحاري خبيزات: تقع مضارب هذا العرش على مسافة 48 كلم شمال مدينة الجلفة و جنوب سد زاغز الشرقي، عدد الأهالي 658 نسمة، تكون هذا العرش من الفرق التالية⁴: أولاد راشد عدد الأهالي 305 نسمة، أولاد بخيطة عدد الأهالي 257 نسمة، الرداة عدد الأهالي 96 نسمة.

قبيلة العبايز: تقع مضارب هذه القبيلة على مسافة 50 كلم جنوب غرب مدينة الجلفة، عدد الأهالي 2645 نسمة تتألف هذه القبيلة من العروش التالية⁵: أولاد بن يحي عدد الأهالي 676 نسمة، العساكرية عدد الأهالي 467 نسمة، أولاد البكوش عدد الأهالي 787 نسمة، أولاد سيدي احمد عدد الاهالي 616 نسمة.

قبيلة أولاد بن علي: تقع مضارب هذه قبيلة على مسافة 40 كلم شمال شرق مدينة الجلفة و جنوب بحيرة زاغر الشرقي عدد الأهالي 1185 نسمة، تتألف هذه القبيلة من

¹ لمعرفة تفاصيل أكثر عن هذه القبيلة أنظر الفصل التمهيد عنصر التركيبة الاجتماعية من الأطروحة.

² Arnaud: **Notice sur les Sahari...**, IN: R.A, VOL: 10, op. cit, p: 27.

³ أكارو: مصدر سابق، ص ص: 219، 254، 263.

⁴ نفسه، ص ص: 112، 192، 231، 264.

⁵ نفسه، ص ص: 13، 103، 196، 208، 240.

العروش التالية¹: سيدي لحاج عدد الأهالي 547 نسمة أولاد سي عامر عدد الاهالي 183 نسمة أولاد عبد القادر عدد الأهالي 325 نسمة، أولاد فاطمة عدد الأهالي 130 نسمة.

قبيلة أولاد سيدي يونس: تقع مضارب هذه القبيلة على مسافة 45 كلم جنوب غرب مدينة الجلفة و جنوب غرب سن لبا عدد الأهالي 111 نسمة تتكون هذه القبيلة من العروش التالية²: أولاد سيدي يعقوب عدد الاهالي 351 نسمة، أولاد سنوسي عدد الأهالي 149 نسمة، أولاد سيدي براهيم بن طويل عددهم 91 نسمة، أولاد سي أحمد بن محمد عدد الأهالي 111 نسمة، أولاد محمد بن يونس عدد الأهالي 134 نسمة، أولاد سي عبد الرحمان عدد الأهالي 101 نسمة، الرداة عدد الاهالي 174 نسمة.

2/ عدد سكان القصور³:

قصر عين السلطان: عدد الأهالي 108 نسمة.

قصر عمورة: عدد الأهالي 610 نسمة

قصر البرج: بطن من قصور الجلفة، عدد الأهالي 21 نسمة.

قصر دمد: عدد الأهالي 487 نسمة

قصر الحنية: عدد الأهالي 250 نسمة

قصر مسعد: بطن من قصور عدد الأهالي 1532 نسمة

قصر عين الإبل: عدد الأهالي 336 نسمة.

قصر مويلح: بطن من قصور عدد الأهالي 74 نسمة.

قصر مجبارة: عدد الأهالي 254 نسمة.

¹ نفسه، ص ص: 112، 177، 195، 239، 243.

² نفسه، ص ص: 222، 237، 238، 242، 243، 245، 246.

³ نفسه، ص ص: 23، 24، 35، 65، 93، 103، 106، 107، 155، 161، 245، 292.

زينة: قبيلة و قصر و أغاليك أولاد نايل عدد الأهالي 1034 نسمة.

عامرة: عدد الأهالي 469 نسمة

زكار: عدد الأهالي 376 نسمة

- احصاء سنة 1906¹ هذا التقرير كان أقل تفصيل مقارنة بالتقرير السابق من حيث البطون وفروع والقصور، قدر عدد سكان منطقة الجلفة الجزائريين حسب هذا التقرير ب: 69.702 نسمة، موزعة كالتالي:

أ / القبائل:

❖ قبيلة أولاد نايل:

فرقة أولاد عيسى لغرابية² المكونة من البطون التالية:

أولاد لعور والمهاش 6.401

أولاد أم الاخوة 6.799

أولاد العيفة 3.275

فرقة أولاد سالم: المكون من البطون التالية:

بطن أولاد ساعد بن سالم: المكونة من الفروع التالية: أولاد رقاد الغرابية 1.456،

أولاد رقاد الشراقة 2.683، أولاد خناثة 3.824، أولاد طعبة 2.371.

بطن أولاد يحي بن سالم 1.954

بطن أولاد عبد الرحمان بن سالم: المكون من الفرع التالي:

فرع أولاد سي امحمد المكونة من:

¹ A.O.N.M OA83.

أنظر ملحق رقم: 13، ص: 421

² أسماء الفرق الأم هي من انجاز من طرف الباحثة.

أولاد أم هاني 3.608 نسمة؛

أولاد شليحة المكونة من: { أولاد الغويني 5.908 نسمة؛ أولاد سي أحمد 4.644 نسمة }؛

أولاد ضية المكونة من: { أولاد عبد القادر 3.322 نسمة، أولاد بن عبد الله 4.051 نسمة }

❖ قبيلة أولاد زيد: 1.145 نسمة

❖ قبيلة سيدي يونس - زينة 3.022

❖ قبيلة أولاد بن علي: 2.577 نسمة.

❖ قبيلة السحاري المكونة من عرشين هما:

سحاري خبيزات 1.190

سحاري العطايا 1.654

❖ قبيلة العبابيز 4.456 نسمة.

❖ قبيلة أولاد زيد: 642 نسمة.

القصور:

سكان القصور: 2123 نسمة.

• إحصاء 1911م¹: بلغ عدد السكان الجزائريين 72958 نسمة بالبلدية الأهلية،

و2022 بالبلدية المختلطة.

بعد عرض الخريطة الديمغرافية لسكان منطقة الجلفة الجزائريين، هذا المجتمع المسلم صاحب الأرض، حاول المستعمر الفرنسي خلق مجتمع أجنبي فرسي وأوروبي يوازي المجتمع الجزائري، فكانت منطقة الجلفة كغيرها من مناطق الوطن محطة للاستيطان الفرنسي والأوروبي، وهو سيتم تقصيه في العنصر الموالي.

¹ A.N.O. M OA 83.

3 - 1 - 2 الخريطة الديموغرافية للأوروبيين بالمنطقة :

بلغ عدد الأوروبيين في منطقة الجلفة سنة 1866م حسب ما أورده فيكتور بيرار الذي زار المنطقة ب: 210 أوروبي موزعة كالتالي:

- كان يعيش في مدينة الجلفة عاصمة الإقليم وحدها 195 أوروبي من بينهم 109 فرنسي¹؛

- في حين ذكر أن عدد السكان المراكز العمرانية التابعة للجلفة والتي حددها بثمانية مراكزه أو تجمعات بحوالي: 15 أوروبي².

كما ورد في احصاء سنة 1911م³ أن عدد الأوروبيين بالبلدية المختلطة الجلفة كان موزع كالتالي: اليهود مجنسين: 91 نسمة، الفرنسيين: 310 نسمة، أوروبيين مجنسين: 67 نسمة، أوروبيين غير مجنسين: 42. إسبان: 10 نسمة، إيطاليون: 07 نسمة، وآخرون: 03 نسمة، أما عدد الأوروبيين بالبلدية الأهلية بالجلفة كان موزع كالتالي: فرنسيين أصليين: 59 نسمة، المجنسون: 28، اليهود: 7، الاسبان: 6، الإيطاليين: 4، غيرهم: 1.

أما احصاء سنة 1908⁴ قدر عدد الأجانب المشكلين من عناصر اثنية مختلفة بالبلدية المختلطة الجلفة ب: 561 موزعة كالتالي: 357 نسمة من الفرنسيين، و 97 نسمة من اليهود و 105 نسمة من الأجانب.

وبهذا العرض يمكن أن نستنتج أن منطقة الجلفة لم تسلم من السياسة التي رسمتها فرنسا، التي تهدف إلى تذويب المجتمع الجزائري وخلق مجتمع آخر عن طريق السياسة الاستيطانية التي انتهجتها، وهو ما تعكسه التحول في الخريطة الديموغرافية للمجتمع الجلفاوي فبعد أن كان مجتمع عربي مسلم صافي أصبح مجتمع يتكون من خليط

¹ Victor Bérard: **op. cit**, p: 305.

² Ibid, p: 307.

المراكز الي ذكرها هي: الشارف، عامرة، زكار، مجبارة، مسعد، دمد، الحنية، عمورة.

³ ANOM. Oasis. 83.

⁴ Ibid.

الأعراق و الاثنيات، لكن تجدر الإشارة إلى أن المجتمع الجزائري بالجلفة حافظ على عروبه واسلامه، وكانت معاملتهم مع هؤلاء الأجانب منقطعة أو في أحسن أحوالها معاملة سطحية تتقضيها الضرورة.

3 - 2 التهجير والتشريد:

لم تقتصر الممارسات الفرنسية ضد الشعب الجزائري على الاضطهاد وتعسف الإدارة الفرنسية، فقد قامت بتهجير العديد من قبائل منطقة الجلفة ومنها: فرقة أولاد أم الإخوة - هذه الفرقة التي كان لها عدة معارك مع قوات العدو ولم تخضع له، مما عرضها للعديد من الحملات كما أشرنا إليه في الفصول السابقة - فشردت وهجرت إلى التراب التونسي والليبي، تاركة وراءها أموالها وأراضيها ومواشيها وجميع ممتلكاتها.

حيث هاجرت القبيلة في حال يرثى لها ومكثت في تونس وليبيا إلى أن قرر أفرادها العودة بعد عشر السنين من الهجرة، وقد فرضت عليها بعد عودتها السلطات الكولونيالية الإقامة الجبرية في منطقة بوتريفيس بمدينة الجلفة، مع عدم تسجيل أبناء القبيلة في السجلات الرسمية، وعدم تجنيدهم لأنهم محل ريبة من طرف فرنسا، وحرمانهم من الخدمات المزعومة التي تقدمها سلطة الاحتلال، غير أن قبيلة أولاد أم الإخوة وجدت تضامنا منقطع النظير من طرف أبناء "فرقة أولاد عيفة" الذين تقاسموا معهم مواشيهم وتكفلوا بهم وآزروهم في محنتهم بعد العودة¹.

3 - 3 العمران الفرنسي:

سكان المنطقة عرفوا منذ القديم بحكم نشاطهم الاقتصادي بالتقل وراء الكلاً والماء، مما سينجر عنه واقعا اجتماعيا شاملا وهو الأمر الذي رفع عدد الرحل، كما كان للسياسة الفرنسية المنتجة ضد قبائل المنطقة، دور في جعل قبائل المنطقة تفر من حياة الاستقرار هروبا من دفع الضرائب وكذا الاستغلال التعسفي الذي كان يقوم بها رجال إدارتها ضد الأهالي، وهذا ما عرقل حركة التمدن بمنطقة الجلفة.

¹ مسعود بن سالم: "مقاومة أولاد أم الإخوة 12 أكتوبر 1854"... قصة معارك بطولية ضد محاولة إبادة جماعية ومأساة قبيلة نايلية حُملت بها أرض الجزائر وتونس وليبيا !!"، مقال شوهدة بتاريخ: 2015/4/22 عبر الموقع الإلكتروني:

https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/8345.html

ففي تقرير يعود لسنة 1930م قدر عدد المقيمين (الحضر) سكان المدن و القرى بـ: 7462، أما الرحل المتنقلين (البدو) فعددهم 45660 نسمة، مما يوضح بأن المجتمع النائلي هو مجتمع ريفي متنقل، وتزداد الصورة وضوحا بعرض مساحة منطقة الجلفة والتي قدرت بـ: 27614 كم² وهو ما يجعل الكثافة السكانية 1.8ن/ كم² وهي كثافة منخفضة¹.

وبمقارنة بسيطة مع منطقة الأغواط المجاورة المشابهة للجلفة في عناصر اجتماعية و تضاريسية كثيرة، يمكن ملاحظ تفوق المجتمع الأغواطي من خلال نسبة السكان الحضريين إلى السكان الرحل المتنقلين، رغم أن منطقة الجلفة تتفوق عن الأغواط في المساحة وعدد السكان فمساحة الجلفة تقدر بـ: (22614 كم²)، في حين أن مساحة الأغواط تقدر بـ: 17770 كم²، وعدد سكان منطقة الجلفة قدر سنة 1926م بـ: 53122 موزعين 7462 مقيمين، رحل 45660، في حين عدد سكان الأغواط يمثل نصف عدد سكان الجلفة في نفس السنة أي 26244 نسمة، مزعين 9850 مقيم، 16394 رحل.

وعليه فإن طبيعة نشاطهم الاقتصادي المتمثل في الرعي فرض عليهم التنقل وراء الكلاً، وهو الأمر الذي رفع عدد الرحل و عرقل حركة التمدن (14.04 بالسنة) على عكس ما نجده في الأغواط (37.53) مثلاً².

لكن يكمن اعتبار مدينة الجلفة عاصمة الإقليم أول مدينة خطها المحتل الفرنسي بالمنطقة، وتوفرت على أهم شروط المدينة خاصة وأنها كانت مقر إقامة جل الأوربيين الذين وفدوا على المنطقة، لذا سيتم في ما يلي محاولة لتتبع أهم المحطات انجاز المدينة والمرافق التي انجزت بها باعتباره نموذج المدينة الفرنسي بالمنطقة.

مدينة الجلفة:

تأسست مدينة الجلفة في البداية لتكون حصن عسكري بأمر من الحاكم العام راندون للجنرال يوسف، بهدف تنظيم وترسيخ الفعل الاستعماري والسيطرة على تحركات

¹ عبد القادر قوبع: مرجع سابق، ص: 41.

² نفسه، ص: 42.

أهالي منطقة الجلفة، وكذا من أجل امداد الطوابير العسكرية بالمؤن والذخيرة الحربية وبالجنود أثناء عملية احتلال الأغواط¹.

وقد تم اختيار الموقع وسط بلاد أولاد نايل عند المخرج الجنوبي لمجرى الواد المالح، بالمكان المسمى ضاية الجلفة، لإنشاء حصن عسكري الذي شرع في انجازه الجنرال يوسف بتاريخ 24 سبتمبر إلى غاية 17 نوفمبر 1852م حيث تمت الأشغال الكبرى للحصن، عرف هذا البرج ببرج الجنوب، وكان بمثابة دار لقيادة للخليفة سي شريف بلحشر²، وقد وصف فرومنتان البرج بأنه بناء كبيراً تحيط به أسوار منخفضة ويضم بالداخل فناءً فسيحاً به صقان من إسطبلات الخيول يتسع كل منها لحوالي 100 حصان وغرفاً كثيرة تتوزع على طابقين، كما ذكر أن هناك مدرسة أسسها سي الشريف، يديرها طالب، كمعلم محلي، يدفع له سي الشريف من ماله الخاص³.

انشأ هذا الحصن ليقوم بعدة وظائف على حد تعبير فرومنتان الذي زار ضاية الجلفة بعد عام من انشاء الحصن أي 1853م فقال عنه: « بيت سي الشريف، الممنوح كقلعة لخليفته، والتي انتهت الأشغال به فقط في نوفمبر الماضي كتابة، منحوتة على الحجر، فوق باب المدخل، تشير أنها بنيت في خمسين يوماً، أثناء حكم الجنرال راندون Randon، من طرف فصيلة الاستكشاف للجنرال يوسف Yusuf، ...، هذا السكن، مرتب بطريقة ليكون، في الوقت ذاته، إقامة للخليفة، وخاناً للقوافل، وحصناً.....»⁴.

¹ E. Fromentin: op. cit, p: 79

بن يوسف تلمساني: التوسع الفرنسي...، مرجع سابق، ص: 332.

² Arnaud: " **Histoire de oulad nail**", IN: R.A, V: 17, op. cit, pp: 382, 383, François de Villaret: **op. cit**, pp: 121, 123

ذكر فرومنتان الذي زار منزل سي شريف بلحشر بعد عام من انجازه، أن هذا المنزل الذي بنته السلطات الفرنسية لم يكن يرق للسي شريف بلحشر، فقد كان هذا الأخير يعتبره ضرورة سياسية لا يأتي إليه إلا المهمة أو حينما يكون مضطراً لاستقبال ضيوف، فهو يمتلك إضافة على هذا البيت الرسمي، بيتاً حقيقياً في المراعي المجاورة لصخرة الملح " زمالته"، مع قطعان عظيمة من الأغنام، وحوالي 6000 من الإبل، انظر:

E. Fromentin: op. cit, pp: 80, 81.

³ Ibid, pp: 79- 82

⁴ Ibid, p: 79.

تغير مخطط قرية الجلفة وبنيت لباشاغا أولاد نايل سي شريف بلحشر دار أخرى بمدخل المدينة¹ بعين شنوف سنة 1853م الذي انتهت الأشغال به سنة 1855م²، كما قام الخليفة بتشكيل دائرة من أناس أجانب عن قرية الجلفة فقام بإحضار لأجل ذلك موظفي دوائر قدامى لدى الأتراك وقام بإنزالهم بالقرب من مأخذ الماء، منهم من قبيلة العبايزز وسموا عبايزز الجلفة تميزا عن عبايزز الشارف، كما أنه بداية من سنة 1854م وصل مدنيين فرنسيين استقروا عند سفح برج الجلفة اشتغل بعضهم بتجارة مع العسكريين وآخرين بالزراعة³.

زار الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان قرية الجلفة سنة 1858م ومما أورده عنها: « الجلفة قرية حديثة جدا، لا تتكون إلا من عشرة منازل، يسكنها سبعون نسمة من الأوروبيين، وكان بها فندق صغير... »⁴.

إلا أن التاريخ الفعلي لتأسيس مدينة الجلفة كان في: 20 فيفري 1861م بموجب قرار صادق عليه الإمبراطور الفرنسي " نابليون الثالث " ⁵.

بعد قرار تأسيس مدينة الجلفة بدأ التوسع المعماري الاستعماري بالجلفة، إذ شرع المستعمر في تنفيذ برنامجه التوسعي بالمنطقة طبقا لقرار تأسيس الجلفة والاعتمادات المالية والوسائل والإمكانات المادية في إنجاز⁶، فبدأت في بناء وتثبيت الهياكل الإدارية والصحية والخدماتية والدينية تمثلت في: بناء مقر البلدية والمكتب العربي والمستوصف وإنجاز السوق المغطى وتوسيع مد قنوات المياه وبناء معمل لجمع وربط نبات الحلفاء، ومقر البريد ثم محطة النقل للسكك الحديدية في سنة 1921م⁷، ووسائل النقل كالعربات التي تجرها الخيول لنقل المسافرين والبضائع ثم القطار والحافلات، وبناء الكنيسة، كما بدأت أشغال ورشة

¹ Florian pharaon: "d 'Alger à Lar 'ouat", R.O, T: 01, 1855, pp: 302-308

² Francois De Villaret: op .cit, p: 124.

³ IBID

⁴ هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ثلاث أجزاء، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ج:3، ص ص: 185، 186.

⁵ أنظر ملحق رقم: 8 ، ص: 416.

⁶ François De Villaret: op .cit, p: 131.

⁷ لتفاصيل أكثر عن مد خط السكة الحديدية بمنطقة الجلفة أنظر: ص ص: 189 - 192

التلغراف سنة 1861م و لم يتم تشغيله إلا في 26 أكتوبر 1862¹، و انشاء محكمة بها بتاريخ 15/09/1870، كما أنشأت بالمدينة العديد من الفنادق².

وقد زار فيكتور بيرار مدينة الجلفة بعد التاريخ الفعلي لتأسيس المدينة سنة 1866م، ومما أورده عنها ما يلي: « مدينة الجلفة بها 52 منزل يسكنها 195 أوروبي منهم 109 فرنسي، بها كنيسة تحتوي على نافورة وحوض للشرب وقانات طولها 2 متر، الطرق مغروسة بالأشجار، بها سوق كبير مسيج يعمل من الجمعة إلى الأحد.... و بها فندق الجنوب وفندق فرنسا، ...محطة التلغراف...»³ وفي موضع آخر ذكر أن بها مدرسة عربية⁴.

وتجدر الإشارة أنه تم بناء سور يحيط بمدينة الجلفة لحمايتها، وذلك عقب الهجوم الذي شنّه المقاوم بوشندوقة في أبريل 1861م⁵ وتضمن السور أربع أبواب: باب الجزائر، باب الأغواط، باب بوسعادة باب الشارف، التي تفتح صباحا وتغلق ليلا، إلا أنه تم تهديم السور سنة 1950م⁶.

لم تكن مدينة الجلفة هي الوحيدة التي خطها الاستعمار في المنطقة، بل هناك مجموعة من القرى التي تأسست بالمنطقة - قبل تأسيس مدينة الجلفة -، خاصة تلك التي تقع على فرع الطريق الوطني رقم واحد الرابط بين الأغواط والجزائر العاصمة المار بوسط منطقة الجلفة، فمن المعلوم أن قرى الطريق في الجزائر خلال القرن التاسع عشر تطورت عبر ثلاث مراحل: مراكز - مقاهي، والمخيمات، إلى قرى طريق تعيش على حركة المرور وتؤدي دورا استراتيجي بتوفير الأمن وتنشيط الاستعمار⁷، فقد نقلت لنا كتب الرحالة الفرنسية

¹ François De Villaret: **op. cit**, p: 131.

² Ibid, p: 128.

أنظر مخطط مدينة الجلفة في الفترة الاستعمارية في الملحق رقم: 14، ص: 422.

³ Victor Bérard: **op. cit**, p: 306.

⁴ Ibid, p: 293.

⁵ لتفاصيل أكثر حول هجوم بوشندوقة، أنظر ص ص: 131، 132

⁶ François De Villaret: **op. cit**, p: 131.

مقابلة مع السيد بوخلخال: مرجع سابق.

⁷ رضا حوحو: مرجع سابق، ص: 330.

الذين زاروا المنطقة في هذه الفترة، والذين مروا عبر الطريق الوطني الرابط بين الجلفة والأغواط، المحطات التي مروا بها والتي تحولت فيما بعد إلى قرى.

فقد ذكر فيكتور بيرارا سنة 1866م خان المصران: حيث توجد محطة القهوة يقابلها نزل¹، ويبدو أن هذا الخان أنشئ حديثا، لأنه عند زيارة فرومنتان للمنطقة سنة 1853م يذكره، رغم أنه سار على نفس طريق بيرار، وذكر أنه من بوغار إلى صخر الملح وعلى امتداد حوالي أربع وثلاثون أو خمس وثلاثون فرسخا المنطقة خالية تقريبا ماعدا لقلعة السطل².

خان صخرة الملح: وصفه بيرار بأنه يعتبر أكبر مستودع ملح الصخور وإليه ترجع التسمية، حيث ترتفع النقاط المضيئة فيه لـ 900 متر. ونجد فيه رقائق حديدية جد لامعة. يقع هذا الخان على بعد 47 كلم من قلعة السطل وعند مدخل الوادي المؤدي للجلفة. هنا كل المياه لها ذوق مالح. أنشأنا عند واد ملة قوميغني سدا بـ 7 أمتار 20 سنتيمترا ارتفاعا و210 متر من البناء بحفرة بعمق 1.400 متروالتي تضمن ري 1.800 هكتار³.

خان عين أوران: وقد أرودها بيرار وصفها بأنها عبارة عن نافورة بالمضيق حيث تسيل شلالات جميلة وطاحونة الإدارة، تبعد بـ 6 كيلومترات عن الجلفة. أنشأ بها السيد ماين استراحة ساحرة، حيث شكّل بستانا رائعا من الأزهار، الفواكه، ونبات الهليون. على بعد بضعة خطى نحو الشرق، توجد نافورة ساخنة بـ حوالي 29 درجة⁴.

خان وادي السدور: ذكر بيرار أنه عند خروجه من مدينة الجلفة نزل بـ خان وادي السدور حيث تتواجد محطة القهوة على ضفته اليمنى على بعد ستة فراسخ من الجلفة⁵

¹ Victor Bérard: **op. cit**, p: 292.

² E. Fromentin: **op. cit**, p: 53

³ Victor Bérard: **op. cit**, pp:292 , 293.

⁴ Ibid, p: 293.

⁵ Ibid.

خان عين الإبل: كانت بجانبه قرية للأهالي. غرس بها السيد لونغ 16000 كرمة. على ارتفاع 1025 متر، بالقرب من الخان، يوجد كوخ من الخشب الأحفوري.¹، نترك تعظيماً على يميننا. مقمة الوسط عبارة عن نزل.²

أما عن القرى التي أنجزت بعد مد خط السكة الحديدية في بداية القرن العشرين بالمنطقة مجال البحث، وجدت قرية حاسي بحبح التي وصلها خط السكة الحديدية سنة 1918م وانجاز أول محطة قطار هناك³، وبالتالي تشكلت النواة الأولى لتشكيل قرية حاسي بحبح، فقد ورد بجريدة النجاح سنة 1924م أن حاسي بحبح قرية صغيرة واقعة بين الجلفة وقصر البخاري بها حوالي المائة دار للسكنى والحوانيت كلها جديدة، منها ما تم بناؤه ومنها ما هو على وشك الانتهاء⁴، والزميلة وهي الأخرى أنشأت بها محطة قطار لتكون في بعد قرية⁵.

¹ Victor Bérard: **op. cit**, p: 293.

² Ibid.

³ أنظر ص: 192

⁴ جريدة النجاح، ع: 157، 2 ماي 1924. أنظر ملحق رقم: 15 ص: 423.

⁵ أنظر ص: 192.

الباب الثالث

الحياة الدينية والعلمية والثقافية وأعلام

منطقة الجلفة

الفصل الأول

الحياة الدينية والتعليمية في منطقة الجلفة

الفصل الثاني

الحياة الثقافية في منطقة الجلفة:

الفصل الثالث

من أعلام المنطقة أثناء الاحتلال

الفصل الأول

الحياة الدينية والتعليمية في منطقة الجلفة

- 1 - الحياة الدينية في منطقة الجلفة قبل الاحتلال
- 1 - الحياة التعليمية في منطقة الجلفة أثناء الاحتلال
- 3 - حركية الطرق الدينية بالمنطقة أثناء الاحتلال

1 — الحياة الدينية في منطقة الجلفة قبل الاحتلال؛

كان للطرق الدينية أو الصوفية دور كبير وأثر بارز في الحياة الروحية والثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري، إذ ساهمت في ترسيخ العقيدة وقيم الإسلام عبر التاريخ، وحافظت على الهوية وتقوية الشخصية الوطنية¹، ففي ظل غياب السلطات الرسمية خاصة في الفترة العثمانية برز الدور الديني والتعليمي للطرق الدينية في المجتمع الجزائري من خلال اهتمام مؤسساتها كالزوايا بتحفيظ القرآن الكريم للأطفال الصغار بشكل متواصلة عبر الأجيال الإسلامية المتعاقبة مساعدة في ذلك على محو الأمية، وحماية القرآن الكريم من النسيان والضياع، إذ كان أغلب الناس كبارا وصغارا يحفظون القرآن كله أو جله أو بعض أجزائه عن ظهر قلب، ومن هذا المنطق كان على الباحث في تاريخ الحياة الدينية لأي منطقة في الجزائر التعرّيج على دراسة هذه الظاهرة باعتبارها مؤسسة قائمة بذاتها.

إلا أن الإشكال الذي يواجهه الباحث في هذا المجال هو معرفة التاريخ الأول لظهور الطرق الصوفية بأغلب مناطق الجزائر (بما فيها المنطقة مجال البحث) وذلك راجع إلى قلة المراجع التي أرخت لها، وتعتبر السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر مساهم كبير في وقوع هذا الإشكال، لتحقيق هدفها المتمثل في القضاء على الهوية العربية الإسلامية للجزائر عن طريق: طمس المعالم؛ نهب مكتبات الزوايا؛ وتوجيه المؤلفين الفرنسيين للإعراض عن الكتابة لكل ما يربط الجزائر بتاريخها الإسلامي، والتركيز على كل ما يربطها بروما لشرعنة احتلالها للجزائر كما سيتم توضيحه لاحقا.

وعليه فإن البحث في تاريخ بداية المد الصوفي أو الحياة الدينية بالمنطقة محل الدراسة، يبقى مجرد استنتاجات وربط لأحداث تاريخية ومتابعة لسير شخصيات وأعلام عاشوا بالمنطقة أو مروا بها، هذه الأحداث دارت أغلبها بمواطن عيش هؤلاء: في القصور التي شيدها بالمنطقة، والتي ازدهر كثير منها بتأسيس زوايا ومدارس قرآنية من طرف هؤلاء الشيوخ، إذ

¹ من خلال مواقفها السياسية ومقومتها الجهادية خاصة ضد الاحتلال الفرنسي، ولها محطات تاريخية كثيرة في ذلك فقد كانت بمثابة خزان المقاومة بعد انخيار المؤسسات الرسمية في الجزائر في بداية الاحتلال الفرنسي، ومن هنا تعرضت الطرق الدينية إلى التشويه وألصقت بها العديد من التهم من طرف المستعمر بمعية مستشرقها بغية إضعافها وصرفها عن مهمتها الأساسية التي قامت أساسا على حماية الدين وسياسة الدنيا من جهة، ومن جهة أخرى تأييد المتصوفة أصحاب الأغراض السائرين في فلكه والخادمين، شولي بلخضر وآخرون: مرجع سابق، ص: 81.

أعطى التتيلاني الذي زار منطقة الجلفة سنة 1816م صورة عن حب أهالي منطقة الجلفة للإسلام وتدينهم به وحبهم للعلم والعلماء فقال: «...و نعم العرب هم _كثُر الله في عرب المسلمين من أمثالهم- و هم أهل بيت الرحمة، ما رأيت ولا سمعت من يعظم العلماء و حملة القرآن مثلهم، و لو قلت: إني رأيت فيهم من البرور و الرحمة و الرأفة و الحنانة ما لم أراه في والي، ما كذبت، و لو مرّ بي أحدهم عشر مرات لا يمرّ حتى يقبل يديّ أو كساء..... أهل وضوء و صلاة و زكاة و رحمة»¹.

ومنه فالروايات الشفوية والكتابات القليلة في هذا المجال سواء من مصدرها الفرنسي أو العربي التي حفظت لنا سير هؤلاء الأعلام والشخصيات، تمكن الباحث من حصر أهم الطرق الدينية التي ظهرت في منطقة الجلفة وما رافقها من انتشار للزوايا التي قامت بدور ديني وتعليمي وبالتالي تعكس ترسخ الدين الإسلامي بالمنطقة في ما يلي:

1 - 1 الطريقة القادرية: أوردت المراجع المحلية اعتمادا على الروايات الشفوية²، أن أول طريقة وصلت لمنطقة الدراسة هي الطريقة القادرية على يد الشيخ أمحمد بن عليّة، الذي عاش خلال القرن 15م³، و يتصل نسب أمحمد بن عليّة بنسل عبد القادر الجيلالي القادري⁴، عرف نسل أمحمد بن عليّة بأولاد بن عليّة وضريحه ببسطامة⁵، هذه الشخصية التي كان اسمها بارز ومتداولة بشكل كبير عند قبائل المنطقة إذ كان بمثابة حاكم أو قاضي تلجأ إليه قبائل المنطقة لفك خصوماتها أو طلبا لدعائه من أجل نصرتها في حروبها مع القبائل المجاورة حول الأماكن الخصبة في المنطقة⁶، ونظرا لهذه المكانة الكبيرة التي حظي

¹ التتيلاني: مصدر سابق، ص ص: 462، 463.

³ Trumelet .C: **L'Algérie ...**p: 213.

⁴ Arnaud: " **Notice sur les sahari...**", IN R.A, VOL: 10, op. cit, p: 28.

⁵ عبد الله ابن محمد حشلاف: مصدر سابق، ص: 122، بسطامة المعروفة اليوم بسيدي بايزيد بولاية الجلفة، لمزيد من التفاصيل عن هذه القبيلة أنظر الفصل التمهيدي من الأطروحة

⁶ Arnaud: **Notice sur les sahari...**, IN: R.A, Vol: 8, op. cit, p: 116.

بها هذا الشيخ، فقد أعفت السلطة العثمانية عنه وأولاده من بعده من الضرائب طيلة فترة حكمهم حتى لي لا يחדشوا المعتقدات الدينية بالمنطقة¹.

1 - 2 الطريقة الشاذلية: هذه الطريقة عرفت انتشارا واسعا بالمغرب ككل، بل هناك من ذهب إلى أن أغلب الطرق الموجودة بالجزائر تتصل بطريقة أو بأخرى بتعاليم الطريقة الشاذلية²، أما عن تاريخ وصولها لمنطقة الدراسة، فيقال أنها وصلت عن طريق محمد نايل³ الذي تنسب له قبيلة أولاد نايل، بحكم أن محمد نايل هو أحد تلاميذ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني الشاذلي الطريقة⁴، الذي ذكر لويس رين (Louis Rinn) أنه توفي سنة 931 هـ الموافق لـ: 1524 - 1525م، و أنه من أشهر المرابطين في المغرب وأنه كان مقدما للشاذلية وسنده ضمن السلسلة للطريقة حيث نال عهد الطريقة في قبيلة شرفة الراشدية بالمغرب⁵.

كما عرفت المنطقة انشاء العديد من الزوايا الشاذلية بالتزامن مع وفود شخصيات دينية إلى منطقة الجلفة لها باع من العلم والتصوف هذه الزوايا هي:

زاوية سيدي علي بن محمد: قيل أن هذه الشخصية وفدت إلى منطقة الجلفة بداية من القرن 16م (بين 1500 و1510م)؛ وهو في رحلة حج قادما من الساقية الحمراء، إذ نزل بالقرب من عين ماء بمنطقة تيولفين (شمال شرق الشارف حاليا)، وأقام فيها وأسس زاوية بها، ويقال أنه إدريسي النسب، ومن أحفاده: علي بوفارس، موسى بن علي، بويحي، يحي، شعيب، وهم مدفونون جميعا في قطية، وهي جبال غابية جنوب قصر الشارف، ومن ذريته عبد العزيز الحاج⁶.

¹ Arnaud: "Notice sur les Sahari...", IN: R.A, VOL: 10, op. cit, p: 28.

² أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ج: 1، ص: 462.

³ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 87.

⁴ عبد الرحمان الديسي: مصدر سابق، ص: 62.

⁵ Louis Rinn: Marabouts et ...op. cit, p: 272.

⁶ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 88، 89،

Trumelet. C: op. cit, pp: 15-19

زاوية سيدي امحمد بن صالح بزينة: ذكر تروملي أن قصر زينة، على غرار قصر سيدي بوزيد، كان يتردد عليه الكثير من الطلبة في القرن الحادي عشر ميلادي، عكس قصر تيفولين السابق الذكر، إلى أن تأسس قصر الشارف واستطاع أن يستقطب الكثير من الطلبة والمريدين بالمنطقة¹.

زاوية سيدي عبد العزيز بلحاج²: قيل أن هذا الأخير وفد على منطقة في القرن 16 م، واشتهر في سائر البلاد بالعلم واطلاعه على كتب عصره، فهو من أسس قصر الشارف الحالي، وأسس به مسجدا وألحق به مدرسة، وانتقل إليه الناس لطلب العلم بمدرسته، ثم التحق به أبناء قبيلته إلى قصر الشارف، بعد أن كانوا قد سكنوا قصر تيولفين القديم الذي بناه جدهم علي بن محمد³ المذكور سابقا، وعبد العزيز بلحاج هو الذي تنسب له قبيلة العبايزر السابقة الذكر في الفصل التمهيدي.

1 - 3 الطريقة الرحمانية:

ذكر مشايخ المنطقة أن أول ظهور للطريقة الرحمانية بمنطقة الجلفة كان على يد الشيخ عطية بيض القول الذي أخذ مباشرة عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري⁴، المؤسس الأول للطريقة الرحمانية بالجزائر⁵، استطاع الشيخ عطية المشهور ب: بيض القول

¹ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 89،

Trumelet. C: op .cit, pp: 15-19

² لتفاصيل أكثر عن عبد العزيز بلحاج، أنظر: 37.

³ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 89.

⁴ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 25، عبد المنعم الحسني القاسمي: الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل، بوسعادة، الجزائر، 2013، ص: 776.

⁵ هو أبو عبد الله محمد بن أحمد يوسف بن أبي القاسم، وينتهي نسبه إلى إدريس الأصغر، لقب بالأزهري لجاورته الأزهر الشريف مدة عشرين عاما، أما عن مولده فهناك اختلاف فيه بين من أرخ له لكن الأغلبية اتفقت على أنه ولد سنة 1722م، ولد بقرية بوعلاوة بعرض آيت إسماعيل وهي قبيلة من الزواوة القاطنة أرض جرجرة نشأة في بيئة دينية محافظة، تلقى تعلمه الأول في زاوية الشيخ الحسين بن آعراب بآيت إثرين ببلاد القبائل، التي كانت مقصد الطلاب من كل أرجاء الجزائر، رحل الشيخ إلى الحج حوالي سنة 1152 هـ، وأثناء رحلة عودته من الحج أعجب بالأوضاع العلمية بالقاهرة فبقى هناك وواصل تعليمه بالجامع الأزهر وأقام بها حوالي عشرين سنة، وبعد تحصيل العلوم الفقهية، اتجه للبحث عن شيخ يوجهه نحو العلوم الصوفية، فكان ما يبحث عنه موجود عن محمد بن سالم الحفناوي الخلواتي، انتقل عدة بلدان من أجل نشر الطريقة الخلواتية ك: السودان، الهند، ثم عاد إلى الجزائر لينشر الطريقة الخلواتية والتي يرجح أنه رجع إليها سنة 1763م وأسس زاويته بقرية آيت إسماعيل والتي أدت دورا كبيرا في نشر العلم والطريقة

الأول العثماني الغويني النّائلي تأسيس زاوية بزاقر الشرقى بنحو 04 كلم عبر طريق البرّاكة سيدي بايزيد من الجهة اليُسرى سنة 1780 م¹، عن الزاوية، كان لها اسهام في ترسيخ العقيدة الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم والثبات على الهوية الوطنية²، وتأسست عدة زوايا على منهج الطريقة الرحمانية بمنطقة الجلفة منها:

• زاوية أحمد بن سليمان:

أسّسها الشّيخ بن سليمان أحمد اليُونسي السّحراوي الهلالي، و قيل الإدريسي الحسني (ت 1876م)، بمكان يُسمّى ضاية البقر، قرب مدينة بن يعقوب سنة 1813م، كما ورد ذلك عن الشّيخ بن سليمان التّلي المشرف الحالي عليها، و قد عرفت إبان تأسيسها نشاطا طيّبا، و بلغ عدد طلبتها عددا لا بأس به.³

• زاوية الشيخ أبو الأرباح محفوطي:

قيل أن الزاوية تأسست سنة 1830م على يد الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ السعداوي النّائلي المولود سنة 1790م ببادية أولاد ساعد بن سالم⁴، تلقى الورد الرحماني من شيخ زاوية أولاد جلال الشيخ المختار الجيلالي⁵ الذي أمره بتعمير زاوية¹، في البداية كانت

الخلواتية في تلك الفترة وشرع في الوعظ مما جعل طلبة الزوايا المجاورة يغادرونها لحضور دروسه... توفي الشيخ سنة 1208 هـ = 1793 / 1794م بمسقط رأسه قرية آيت اسماعيل، وقصة نقل جثمانه الطاهرة لا تزال الأجيال إلى يومنا هذا تروى تفاصيلها، وهي أن الأتراك خافوا تكاثر المريدين والقبائل حول ضريحه، فنقلوا جثمانه إلى العاصمة الجزائر وأودعوه قبرا هناك ليكون الزائر له تحت سمعهم وبصرهم، فنبش القائل قبره في آيت اسماعيل فوجده كأنه دفن اليوم، ومنه أطلق عليه لقب (بوقيرين) الذي اشتهر به بين العامة. أنظر: عبد المنعم الحسني القاسمي: مرجع سابق، ص: 304-326.

¹ السعيد هرماس: "مساهمة في التعريف بالموروث والتراث الثقافي والحضاري للمنطقة الزوايا الجلفاوية" * (الجلفة) ... النشأة و التاريخ"، مقال منشور على نت شوهدة بتاريخ: 17/03/2016 على الساعة 20: 30 عبر الموقع الإلكتروني:

<https://www.djelfa.info/ar/sites/9794.html>

² عامر محفوطي: مرجع سابق، ص: 25.

³ السعيد هرماس: مرجع سابق.

⁴ عامر محفوطي: مرجع سابق، ص: 31، علي نعلاس: مرجع سابق، ص: 96. السعيد هرماس: من فضلاء الجلفة، ط: 3، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، 2013، ص: 194.

⁵ هو الشيخ المختار بن عبد الرحمان ابن الغوث المدفون بجوار سيدي خالد المعروف بسيدي يوسف بن عبد الرحمان بن الخليفة الفحل، قيل أن نسبه يتصل بنسب الرسول - صلى الله عليه وسلم-، ولد ف بتاريخ: 1200 هـ / 1785م بقرية سيدي خالد، تلقى تعليمه الأول وحفظ القرآن بمسقط

الزاوية متنقلة (رحالة) صيفا و شتاء² على عادت سكان أهل المنطقة، ثم استقرت الزاوية بمسقط رأس مؤسسها ببادية أولاد ساعد بن سالم بالمكان المسمى ذراع الزوير (تتوسط مقر بلديتي الدويس وعين الشهداء اليوم)، وتفصلها حوالي 04 كلم على الطريق الرابط بين أفلو و الجلفة في حدود إقليم دائرة الإدريسية ولاية الجلفة اليوم³.

كانت للشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ مكانة كبيرة عند الشيخ المختار الجيلالي كما أورده نجل هذا الأخير محمد الصغير الجلاي⁴، ورغم أن الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ لم ينل حظ وافر من التعلم، فقد أسند بطلب منه والتماس وإلحاح مهمة التعليم فيها إلى العلماء وطلاب العلم المغاربة، الذين كانوا يَمرون ذهابا وإيابا بتلك المنطقة التي يسكنها وهم متوجهون إلى المشرق، كما سيتم التفصيل لاحقا.

زاوية اللّفيعة:

كانت الزاوية في البداية عبارة عن خيمة متنقلة تتكون من: خيمة خاصة بشيخ الزاوية وخيمتين إحداهما للطلبة وأخرى للضيوف وذلك سنة 1835م، أقام مؤسس الزاوية زاويته في البداية بعين الصنوبر، ثم انتقل إلى ناحية كاف اللفيعة بزاقر الشرقي (بنحو 09 كلم عبر طريق البرّاكة - سيدي بايزيد، من الجهة اليمنى تابعة لعين معبد اليوم)، أين أهدى له بعض

رأسه على يد شيوخ بلدته، وتفقه على يد أعلام علماء قطر الزيان ومهر في العلوم، وحصل منها على المنطوق والمفهوم وبرع في علم التوحيد على حد قول نجله محمد الصغير، ومن شيوخه الشيخ محمد بن عزوز البرجي، وولده الشيخ مصطفى بن محمد بن عزوز - شيخ زاوية نفطة بتونس-، والشيخ علي بن عمر الطولقي - شيخ زاوية طولقة- والشيخ عبد الحفيظ بن محمد الخنقي وإياعاز من شيوخه أسس الزاوية المختارية الرحمانية بأولاد جلال سنة 1230هـ/1815م، أنظر: محمد الصغير: تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، تح: طاهري مختار بن الحاج مصطفى، كنوز المعرفة، الجزائر، 2013، ص: 39-46، و صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخا ونشاطها)، دار البرق، بيروت، 2002، ص: 387.

¹ علي نعا: تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد - باقة من العلماء والصلحاء لمدينة الجلفة وضواحيها-، مطبعة الرويغة، الأغواط، 2016، ص:

93

² بلحاج لمباركي: صورة وخصائل من مجتمع، ص: 21. (مخطوطة مجودة بمكتبة الباحثة)

³ السعيد هرماس: "مساهمة في التعريف بالموروث والتراث الثقافي..."، مرجع سابق.

⁴ محمد الصغير الجيلالي: مصدر سابق، ص: 330.

المحسنين من أولاد الغويني (فرقة الهبارة) أرضا فأسس عليها زاوية تتكون من مسكن لأسرته ومسجد للصلاة وتلاوة القرآن، ومرافق للتدريس والاستقبال والمبيت وإسطنبول¹.

أما عن مؤسسها فهو الشيخ أبو القاسم بن محمد بن العزيزي بن عبد السلام بن مشيه الغويني النابلي، المولود سنة 1221هـ / 1806م ببادية العقيلة بدار الشيوخ، وكان يتبع أسرته التي كانت تنتقل كعادة ساكني منطقة الجلفة، وفي إحدى رحلاتهم إلى الجنوب بمنطقة الزيبان وهو ابن ثلاث عشرة سنة، اصطحبه والده إلى شيخ الزاوية الجبلالية الشيخ المختار الجبلالي، وهناك تمكن الشيخ أبو القاسم من حفظ القرآن الكريم حفظا جيدا، وعمل على حفظ متون الفقه المالكي، ودرس أصول العلوم الإسلامية من: تفسير وحديث والسيرة النبوية، كما أعتى به شيخ الزاوية الشيخ المختار الجبلالي فأخذ عنه ورد الطريقة الرحمانية وأجازه فيها، وأذن له إذنا صريحا في نشر أورادها وآدابها².

1 - 3 الطريقة السنوسية: اشارت المراجع التي أرخت للحياة الدينية للمنطقة أن هذه الطريقة وفدت إليها على يد الشيخ السنوسي الذي تواجد مدة بالأغواط، ثم مر على مسعد (ما بين 1819 و 1830م) واستقر بها بعض الوقت، وتزوج من بنت شيخ القبيلة وأسس هناك زاوية وبعد مدة قرر التوجه للحج وعهد بالزاوية لتلامذته هناك³.

1 - 4 الطريقة الدرقاوية:

ارتبط وجود الطريقة الدرقاوية عبر فرعها المدني بمنطقة الجلفة بشخصية الحاج موسى الدرقاوي منذ سنة 1831م، الذي تمكن من تأسيس زاوية بقصر مسعد عقب وصله إليه سنة 1831م، إذ لقي ترحيبا كبيرا من أهلها، وانضمت إليه أعداد كبيرة من أولاد نايل وتمكن هناك من تأسيس بيت وزاوية⁴.

¹ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 113، 114.

² محمد الصغير الجبلالي: مصدر سابق، ص: 329، السعيد هرماس: مرجع سابق، ص: 36، علي النعاس: مرجع سابق، ص: 113، 114.

³ بلخضر شولي: مرجع سابق، ص: 98.

⁴ Arnaud: " Histoire de Oulad Nail ... ", IN: R. A, VOL: 17, p: 305.

وفي سنة 1834م استقر بمنطقة عين الخضراء التي تقع بين قصري الشارف و زينة، واستقبله سكانها بكل حفاوة وتمكن من بناء بيت ومسجد¹.

فالزاوية الدرقاوية المدنية التي أنشأها الحاج موسى الدرقاوي لم تكن فقط للتعليم الديني بل كانت مركزا للتخطيط للجهد، ولذلك قام الجنرال لادميرول بتحطيمها مع دار الحاج موسى الدرقاوي ومصادرة أملاكه في حملته سنة 1849م².

و مما سبق يمكن أن نستنتج أن الدين الإسلامي كان راسخا لدى قبائل منطقة الجلفة وهذا ما تعكسه انتشار الطرق الدينية وزواياها بالمنطقة، هذه الأخيرة التي تولت مهمة تعليم أبناء المنطقة وبالتالي الحفاظ على لغتهم العربية ومنه الحفاظ على الموروث العربي الإسلامي.

¹ Arnaud: op. cit, p: 305

² لمزيد من التفاصيل عن مقاومة الحاج موسى الدرقاوي ببلاد أولاد نايل أنظر ص ص: 116-119. أما عن حملة لادميرول أنظر ص ص: 92-95

2 - الحياة التعليمية في منطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي:

عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر أصبح التعليم يقسم إلى صنفين: التعليم العربي، والتعليم الفرنسي، فالصنفان انتشرا في مختلف مناطق الوطن.

التعليم العربي بمنطقة الجلفة:

كان التعليم بالجزائر أثناء الحكم العثماني تعليم حر غير حكومي في المدن الكبرى والمناطق التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية بصفة مباشرة، إذ كان التعليم عصامي يعتمد على الهبات والأوقاف التي كان يحبسها الحكام أو محبي العلم لخدمة العلم وأهله¹، فإذا كان هذا حال التعليم بالمدن الكبرى التي كانت تحت يد سلطة مركزية مباشرة، فما بالك بالمناطق التي كانت علاقتها بالسلطة المركزية قائمة على جمع الضرائب كما هو حال المنطقة مجال البحث، فلم يكن يهمها من هذه المناطق سوى جمع المال، وبالتالي فالمجالات الأخرى بما فيها التعليم كان خارج اهتماماتها، لذا فقد حاول أبناء المنطقة سد هذه الثغرة كغيرهم من باقي أبناء المناطق الوطن بوسائلهم البسيطة، وهذا ما نلمسه من خلال تشييد أبناء المنطقة بالعلم عن طريق هجرتهم إلى مراكز التعليم التي كانت منتشرة في ذلك الوقت والمتمثلة أساسا في الزوايا، خاصة تلك القريبة والمحيطه بأراضيهم لنيل حظهم من التعليم الديني هناك، ك: زاوية طولقة²، والزاوية الجبلالية¹، وزاوية الهامل²

¹ لمزيد من التفصيل حول التعليم في الجزائر أثناء الحكم العثماني أنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830م)، ج: 1، ط: 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص: 314 وما بعدها.

² سمية كذلك نسبة إلى مدينة طولقة التي توجد بها، و مدينة طولقة تقع بالزاب - بسكرة - الغربي، وتبعد عن مدينة بسكرة عاصمة الزاب ما يقارب 40 كلم من جهة الغرب، وتعرف كذلك ب: الزاوية العزوزية، مؤسسها هو الولي الصالح الشيخ علي بن أحمد بن أحمد بن عمر بن الموفق بن أحمد ابن علي بن عثمان، قيل أن الشيخ علي بن عمر نشأ مفتظما على حب العبادة والخلوة حتى أنه اتخذ موضعا معدا للعبادة يسمى الشهب وهو جبل يقرب طولقة بنحو خمسة عشر ميلا أي حوالي 24 كلم، كان له ابن عم يسمى علي أيضا وكان علي هذا تلميذا لسيدي بن عزوز في بلدة البرجي، فلما رأى شدة تقوى ابن عمه الشيخ علي بن عمر عرض عليه ابن عمه أن يأخذ الطريقة الرحمانية على الشيخ بن عزوز، أغلا أنه رفض وبعد الحاح منه قبل الشيخ علي بن عمر وذهب معه إلى الشيخ بن عزوز البرجي وحكي علي لشيخه عن تقوى وصلاح ابن عمه الشيخ علي بن عمر وأنه يريد أخذ الطريقة الرحمانية منه، فأجابه الشيخ بن عزوز: لا يأخذ الطريقة مني إلا من كان متوضعا صائما، فقال الشيخ علي بن عمر إني متوضئ صائم، فقال الشيخ بن ابن عزوز ما اسمه؟ فقال: علي بن عمر، فقال له: تقدم أنت صاحبها، توطلدت العلاقة بين الشيخين: الشيخ بن عزوز والشيخ علي بن معمر حتى أن الشيخ بن عزوز زوجه بابنته "دحة"، وأمره بتكوين زاوية خاصة به وكان عمره وقتها حوالي ثمانية وعشرون سنة، بمعنى أن الزاوية تأسست حوالي 1780م، لقد بنيت الزاوية على أساس ديني وقامت بأعمال جليلة في تحفيظ القرآن الكريم، وتدریس مبادئ العلوم الدينية واللغوية من نحو وصرف

وقد حفظ لنا كتاب محمد الصغير الجليلي (ت سنة 1916م) نجل مؤسس الزاوية الجبلالية شيخ المختار بن خليفة قائمة بأسماء طلبة أبناء المنطقة الذي درسوا بالزاوية الجبلالية وتعلموا على يد مؤسسها الشيخ المختار بن خليفة الجليلي في كتابه تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان ووصفهم بقوله: «...فهؤلاء لقصد بهم طلبة بلاد أولاد نايل[قدس الله أرواحهم الطاهرة عند الوالد - رضى الله عنه - من أعز أولاده، بل من أنفس طارفه وتلاده، نفعا الله ببركاتهم، وجمعنا بهم بمعية أستاذهم في دار السلام»³، هؤلاء الطلبة عادوا إلى ربوع أولاد نايل وأسسوا زوايا على منهج الطريقة الرحمانية واشتغلوا بمهمة تعليم أبناء منطقتهم، وفي ما يلي قائمة أسماء الطلبة⁴:

- الشيخ سي الشريف بلحشرش الذي توفى 1281هـ/1864م.
- الشيخ عبد الرحمان بن سليمان النايلى العقونى مات في حدود العقد الثالث من الرابع عشر هجري ودفن بزاويته بدار الشيوخ

وبلاغة وغير ذلك، وقد أمها الطلبة من جميع أنحاء القطر الجزائري لتلقي العلوم بما تحفيظ القرآن، وتدرّس الفقه والتفسير وحديث نبوي شريف وعلم فك وجميع مواد اللغة العربية، وتوافد على الزاوية طلبة من عدة مناطق: الزيان والأوراس ووادي ريغ وبوسعادة، والجلفة والأغواط وغيرها من مناطق الوطن، أنظر: عبد الباقي مفتاح: نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلواتية، ط: 1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص: 151، عبد الرحمان بن الحاج: الدرر المكنوز، مطبعة النجاح، قسنطينة، ص: 15-17، سليمان الصيد: تاريخ الشيخ علي بن عمر بشيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر، ص: 9-17.

¹ لمعلومات عن الزاوية ص: 257-258.

² تقع الزاوية بمدينة الهامل على بعد 12 كلم غرب بوسعادة بولاية المسيلة اليوم، على بعد حوال 250 كلم جنوب العاصمة الجزائرية، مؤسس الزاوية هو الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي المولود بالبادية في محل يقال له الحامدية ضاية الحرث على جهة جبل تسطارة، بمنطقة الجلقة في 1239هـ/ 1824م، وثم بعد مدة استقر عائلته بقصر الهامل أين تعليمه الأول هناك أخذ تربيته الصوفية في الطريقة الرحمانية عن الشيخ المختار الجليلي مؤسس زاوية أولاد جلال، وفي سنة 1279هـ/ 1862م شرع الشيخ محمد بن بلقاسم الهاملي في انشاء الزاوية الذي استمر سنة كاملة وتم افتتاحها في محرم 1863م، وكان الأساس في تأسيسها التعليم والطريقة والرعاية، فكانت تأوي اليتامة والمساكين والأرامل، وتعلم القرآن الفقه والنحو وغير ذلك من العلوم النقليّة والعقليّة، وإعطاء أورد الطريقة الرحمانية، أنظر: عبد المنعم القاسمي: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862-1862)، ط: 2، دار الخليل، بوسعادة، 2013، ص: 50، 110، 111، 128، لحفناوي: مصدر سابق، ج: 2، ص: 339، عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص: 203، عبد المنعم القاسمي: الطريقة الرحمانية...، مرجع سابق، ص: 761، 762.

Cappolani (X), Depont (O): **confréries religieuses musulmanes**, Alger, A. Jourdan, 1897, p: 406.

³ محمد الصغير الجليلي: مصدر سابق، ص: 331.

⁴ نفسه، ص: 324-331.

- الشيخ أبو القاسم بن مشيه الغويني مات في حدود العقد الثاني من القرن الرابع عشر.
- الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ النايلي السعداوي مات في حدود العقد الثالث من القرن الرابع عشر
- الشيخ محمد بن رايح النايلي المحمدي لعقوني كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان.
- الشيخ يوسف بن محمد النايلي الأعوري، كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان.
- الشيخ محمد بن مرزوق الرحماني كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان توفي 1911م.
- الشيخ سيدي أحمد بن المعطار له أشعار غزيرة في مدح الشيخ المختار بن خليفة مؤسس الزاوية الجبلالية توفي سنة 1873م.
- الشيخ عبد القادر بن ابراهيم النايلي المحمدي البوذيني توفي 1915م.
- الشيخ سيدي الحاج المختار بن خليفة العيسوي الحداوي توفي 1898م ودفن بزاويته عين أغلال.
- الحاج بن رايح العلاني من نواحي بوغار كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان.
- محمد بخوش الجابري كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان.
- أحمد بن الحمروش النايلي اليحياوي كان حيا في زمن مترجمه محمد الصغير (توفي 1916م) صاحب كتاب تعطير الأكوان.

هؤلاء الشيوخ وغيرهم عملوا على انشاء زوايا مهمتها الحفاظ على اللغة العربية والقرآن الكريم وتعاليمه، فعمر بعضها بالصبيان وتعلموا مبادئ اللغة العربية وحفظوا القرآن الكريم كله أو جله، ومنهم من سافر إلى منارة العلم المنشرة في ذلك الوقت ليعودوا إلى أرضهم مرة أخرى أئمة أو مدرسين لأبناء جلدتهم....

التعليم بالزوايا:

نظرا لأن التعليم في الجزائر كان مرتبطا بالتعليم الديني الذي كان يلحق غالبا في الزوايا والتي كانت بمثابة المدرسة خاصة في المناطق الريفية، وجب تناول موضوع الزوايا بمنطقة الجلفة، وذلك لرسم صورة عامة عن الوضع في الفترة الاستعمارية وكيف كان الوضع الديني والتعليمي بالمنطقة.

ومن زوايا المنطقة نذكر:

• زاوية الشيخ عطية بيض القول (زاوية الشيخ بن عرار):

تمت الإشارة سابقا إلى أن الزاوية أنشأت قبل الاحتلال الفرنسي، وكان أغلب أبناء المنطقة يتلقون مبادئ اللغة العربية، ويحفظون جزء من القرآن الكريم بزاوية عطية بيض القول، قبل توجههم لمواصلة تعليمهم بالزوايا المجاورة، وعقب الاستعمار الفرنسي للمنطقة واصلت الزاوية مهمتها، ومن الشيوخ الذين تولوا مهمة التعليم نذكر:

بعد وفاة الشيخ عطية بيض القول مؤسس الزاوية، تولى مشيخة الزاوية ابنه الشيخ أحمد إلى أن وافته المنية 1850م، حيث واصل مهمة والده، ثم خلفه ابنه الشيخ البشير وسار بسيرة أبيه في تعليم القرآن وإحياء معالم الدين والإصلاح بين المسلمين وإعانة المعوزين من الفقراء والمساكين، وبعد وفاته تولى مشيختها الشيخ بن عرار بن البشير الذي سميت الزاوية باسمه، وازداد نشاطها في تعليم القرآن الكريم إلى غاية وفاته 1954م¹.

زاوية الشيخ أبو الأرباح محفوظي:

هذه الزاوية هي الأخرى تأسست - كما سبقت الإشارة إليه أعلاه قبل الاحتلال الفرنسي - على يد خريج الزاوية الجيلالية الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ السعداوي النابلي المولود سنة 1790م ببادية أولاد ساعد بن سالم، ومن أن الشيخ أسند مهمة التعليم بالزاوية

¹ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 25، 26، وما تزال الزاوية إلى اليوم عامر ولو أنها عرفت نوعا من الركود.

للحجاج وطلبة العلم المغاربة الذين كانوا يمرون بالزاوية، وهم متوجهون إلى المشرق¹، حتى عرفت بعد ذلك بزاوية سي أحمد المغربي المتوفي سنة 1989م²، توفي مؤسس الزاوية سنة 1304هـ/1885م، ودفن بمقبرة ونسة (عين الشهداء) وقبره معلوم³، وقيل أن الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ كان قد أذن لابنه محمد بأن يؤسس زاوية بالقرب منه، وأصبحت تعرف بزاوية الشيخ محمد بن الشيخ أبو الأرباح، وعليه ستتفرع عن زاوية الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ زاوية أخرى والتي تعرف باسم حفيده الشيخ سي علي بن محمد المحفوظي⁴، وفي ما يلي سيتم عرض مشايخ الذين تولوا مشيخة فرعي الزاوية:

الشيخ الذين تولوا مشيخة زاوية الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ فرع الشيخ مصطفى :

الشيخ مصطفى بن الشيخ أبو الأرباح: بعد وفاة مؤسس الزاوية الشيخ أبو الأرباح بن محفوظ تولى مشيخة الزاوية الشيخ مصطفى الذي أرسله والده إلى زاوية الهامل، وكان شيخها في ذلك الوقت الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس الزاوية، مكث عنده أياما وأجازه في الورد الرحماني، لم يخلف الشيخ مصطفى أولادا وبقي على رأس مشيخة الزاوية إلى أن توفي سنة 1361هـ/1942م⁵.

الشيخ أبو الأنوار بن سي أحمد: بعد وفاة الشيخ مصطفى الذي لم يرزقه الله أولادا، تولى مشيخة الزاوية ابن أخيه الشيخ أبو الأنوار المولود سنة 1305هـ/1887م، لم تدم فترة مشيخته طويلا إذ وافته المنية سنة 1368هـ/1948م⁶.

الشيخ أحمد المغربي بن سي أحمد: بعد وفاة الشيخ أبو الأنوار تولى مشيخة الزاوية الشيخ أحمد بن أحمد بن أبو الأرباح بن المحفوظ السعداوي النابلي المولود سنة

¹ أنظر ص: 257-258.

² السعيد هرماس: من فضلاء منطقة الجلفة...، مرجع سابق، ص: 194.

³ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 94.

⁴ بلحاج لمباركي: مرجع سابق، ص: 21.

⁵ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 95.

⁶ نفسه، ص: 95.

1337هـ/1918م، عرف بالمغربي لأن في وقته كثر الأعلام والمشايخ المغاربة الذين درسوا بالزاوية ومنهم: الشيخ ابن يحيى بن سليمان والمغربي عبد القادر، وابنه محمد المغربي، والشيخ أبو الأرباح بن المغربي (الأحرش)، هذا الأخير كان متضلعا في العلوم الدينية، وتخرج على يده عدد كثير من الطلبة يحفظون كتاب الله عز وجل مكث هذا الشيخ مدرسا بالزاوية مدة 64 سنة، سمي هذا الفرع من زاوية الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظي على اسمه زاوية الشيخ أحمد المغربي، توفي الشيخ أحمد المغربي سنة 1989م¹.

لعبت الزاوية دورا هاما في تعليم القرآن، و نشطت في تربية الطلبة ومساعدة المحتاجين و الصلح بين المتخاصمين، و اشتهرت بحفظة القرآن الكريم من أقارب و أبعاد، ووفد عليها الطلبة من عدة مناطق من الوطن: كالبيض وأفلو والأغواط ...، فكان يدرس بها التفسير و الحديث والفقه وفنون اللغة العربية².

الشيخون الذين تولوا مشيخة زاوية الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظ فرع الشيخ محمد:

الشيخ محمد بن الشيخ أبو الأرباح بن المحفوظي: هو الشيخ محمد بن أبو الأرباح بن المحفوظي الذي أذن له شيخه ووالده الشيخ أبو الأرباح بتأسيس زاوية بالقرب منه، وهذا ما حصل فعلا وبقي والده الشيخ أبو الأرباح هو شيخ الزاوية إلى أن توفي سنة 1885م، فخلف الشيخ محمد أبيه على مشيخة الزاوية الفرع، وسار على نهج أبيه من خدمة الزاوية الفرع، إلى أن توفي سنة 1889م.

الشيخ علي بن محمد أبو الأرباح بن المحفوظي: بعد وفاة الشيخ محمد بن أبو الأرباح بن المحفوظ السعداوي النابلي، تولى مشيخة الزاوية المحفوظية فرع الشيخ محمد ولده الشيخ علي المولود سنة 1893م، الذي اقتدى بسلفه إلى أن توفي سنة 1989م، وأصبحت الزاوية تعرف باسمه زاوية الشيخ علي بن محمد المحفوظي³.

¹ نفسه، ص: 96، السعيد هرماس: مرجع سابق، ص: 21.

² بلحاج لمباركي: مرجع سابق، ص: 21.

³ نفسه، علي نعاس: مرجع سابق، ص: 98.

زاوية اللّفيعة:

هي الأخرى كانت موجودة قبل الاحتلال الفرنسي، ولعبت الزاوية دور مهم في الحياة الدينية والثقافية لأبناء المنطقة والمناطق المجاورة، فقد قصدتها طلاب العلم والمعرفة من: الجلفة؛ وعين وسارة؛ وقصر البخاري؛ والمدية وتيارت؛ والأغواط. فكانت تقوم بمهمة تحفيظ القرآن الكريم، والحث على الأخلاق الفاضلة، ولم يدخر مؤسسها جهداً في رعايتها وصيانتها والحفاظ على مقوماتها الأساسية كتاب الله وسنة رسوله - صل الله عليه وسلم - ، إلى أن توفي 1298هـ / 1880م ودفن بزاويته¹.

المشايع الذين تولوا مشيخة الزاوية:

لا تتوفر معلومات كثيرة حول الشيوخ الذين تولوا مشيخة زاوية اللّفيعة بعد وفاة مؤسسها الشيخ أبو القاسم بن مشيه، وتكتفي المراجع التي تكلمت عنها بذكر تاريخ تولية الشيخ ثم وفاته مباشرة فأوردت:

بعد وفاة الشيخ أبو القاسم بن مشيه خلفه ابنه الشيخ السعيد من 1880م إلى غاية 1920م، وبعد وفاته تولى مشيخة الزاوية ابنه الشيخ النذير من 1920م إلى غاية 1951م، وبعد وفاته خلفه الشيخ بن علي بن مشيه في عام 1951م وبقي على رأس الزاوية إلى أن وافته المنية سنة 1991م.

أما عن الزوايا التي أنشأت أثناء الفترة الاستعمارية فهي:

• زاوية الشريف بن الأحرش:

تأسست هذه الزاوية بعين شنوف الذي أوائله بزاغر الغربي لأولاد الغويني (قرب عين معبد اليوم دائرة حاسي بحبح)، مؤسسها هو الشيخ الشريف بن الأحرش بن القندوز بن الأحرش بن أحمد بن الغربي بن الغويني بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم ملك بن محمد

¹ علي نعلاس: مرجع سابق ، ص: 115.

الملقب بنائل¹، ولد في شهر ربيع الأول سنة 1218هـ الموافق جوان 1803م بزاغز الغربي²، تلقى تعليمه الأول في زاوية الشيخ بيض القول، فتعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم³، ولما بلغ سن الثامنة عشر انتقل إلى الزاوية الجيلائية لطلب العلم وسلوك الطريقة الرحمانية على يد الشيخ المختار خليفة الجيلائي مؤسس الزاوية⁴، ودرس هناك رفقة كل من (عبد الرحمان النعاس⁵، ومحمد بن أبي بلقاسم الهاملي⁶، وسي الشريف بلخيزي غيرهم)⁷، مكث الشريف بن الأحرش بالزاوية الجيلائية مدة ثمانية عشر سنة مشغلا بالتحصيل في العلوم الشرعية من فقه وتفسير وحديث على يد الشيخين المعروفين في ذلك الوقت بالزاوية محمد الزين بن بركات، ومحمد بن السعيد بن بركات، وعن تلقيه العلوم بالزاوية الجيلائية، أورد نجل شيخها الشيخ محمد الصغير (ت 1916م) نقلا عن رسالة بعث بها ابنه أحمد بن الشريف (ت 1921): « ... ودرس [يقصد الشريف بن لحرش] واستفاد وأفاد.... وحووا مفهوم العلوم ومنطوقه، جرى على لسانه سمحا لفظا ومعنى، وبالجمل لم يكذب يشذ عنه حديث واحد في الصحيحين لما له من العناية بهما...حتى كانت ختمته لهما أكثر من الكثير، كما كان كذلك في موطأ مالك، وشفاء القاضي عياض، وشمائل الترميذي، والمواهب اللدنية، والجامع الصغير...وفي تفسير الكتاب كان المثال الماجد الخالد في ظاهره وباطنه،...كذلك في عدة فنون كالنحو والبيان والمنطق وسائر فنون الأدب، ثم الفلك والأصول وعلم القوم»⁸.

¹ محمد بن محمد بن عبد الرحمان الديسي: مصدر سابق، ص: 96، 97، حشلاف عبد الله بن محمد: مصدر سابق، ص: 43.

² محمد الصغير: مصدر سابق، ص: 324.

³ لقاء مع السيد بن الشريف محمد المولود سنة 1954 متقاعد وباحث في التاريخ وعائلة بن الشريف، قام به مؤلفو كتاب: مقاومة الحاج موسى

الدرقاوي...، مرجع سابق، ص: 241

⁴ محمد الصغير جيلائي: مصدر سابق، ص: 324، 325.

⁵ انظر ص: 277، 278.

⁶ أنظر ترجمته ص: 257، 258.

⁷ François De Villaret: **op. cit**, p: 110.

⁸ محمد الصغير الجيلائي: مصدر سابق، ص: 325، 326.

تلقي الإجازة وسند الطريقة الرحمانية من شيخه الشيخ المختار خليفة الجيلالي، والإذن في إعطاء العهد وتعمير زاوية، عاد إلى مسقط رأسه حوالي سنة 1254هـ/1838م¹، و عملاً بالإذن الذي عهده إليه به شيخه المختار الجيلالي بدأ الشيخ الشريف بن الأحرش في بناء زاويته سنة 1853م، وتم افتتاحها سنة 1856².

أسس الشيخ الشريف بن الأحرش زاويته لتحفيظ القرآن الكريم ومبادئ فروع علوم الدين، ووصل عدد الطلبة بها بعد الاحتلال الفرنسي أكثر من خمسمائة طالب، وتخرج منها من التلاميذ ما يزيد عن ثلاثمائة³.

وفاة مؤسس زاوية سي الشريف بن الأحرش: توفي يوم الأربعاء الثاني عشر من جمادى الأولى سنة 1281هـ/ أكتوبر 1864م، ويقال أنه قتل من طرف بعض الأتقياء⁴.

أثار شيخ الزاوية:

ورد في كتاب تعطير الأكوان بشذا نفحات الزمان أن مؤسس زاوية الشريف بن الأحرش كان له خطبا ورسائل عديدة منها ما رد بها على من أنكر عليه التولية مع فرنسا⁵، ومنها القصيدة التي مدح بيها شيخه الشيخ المختار بن خليفة الجيلالي شيخ زاوية أولاد جلال فأنشد⁶:

إلي عند بابيه أحبوس	ذليله حطيط الرؤوس
خضع لديه نكوس	تطلب منه الأوراد
بنظره يعطيك النوال	غير أعقب لديه وسال

¹ نفسه، ص: 326.

² Tableaux des Zaoua (1) Division D'Alger Cercle Djelfa.

³ الديسي محمد بن عبد الرحمان: مصدر سابق، ص: 96، محمد الصغير الجيلالي: مصدر سابق، ص: 326، 327.

⁴ الديسي محمد بن عبد الرحمان: مصدر سابق، ص: 96، حشلاف: مصدر سابق، ص: 43، في حين أن حفيده ذكر أنه قتل من طرف فرنسا خفية لأنها كانت تعلم مدى تأثيره على قبائل بلاد أولاد نايل وتوجهها من القيام بانقلاب ضدها.

⁵ عن تولية الشريف بن الأحرش من طرف فرنسا على أولاد نايل أنظر ص: 166 من الأطروحة.

⁶ محمد الصغير الجيلالي: مصدر سابق، ص: 328.

وله أيضا كتاب يحمل عنوان: الفيض الرحماني في قول بعض من الأولياء ومن رأيي ومن رأي من رأيي¹.

لم أجد في المراجع التي حصلت عليها المكتوبة أو الشفوية ذكر للشيخ الذين تولوا مشيخة الزاوية بعد وفاة مؤسسها، إلا أن المصادر أوردت أن أفراد أسرة الشيخ الشريف بن لحرش هم كذلك تلقوا تعليمهم بها أو بالزاوية الجيلالية، وهم:

الشيخ أبو القاسم بن الأحرش:

هو الشيخ بلقاسم بن الأحرش بن القندوز بن الأحرش بن أحمد بن الغربي بن الغويني بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك بن محمد الملقب بنايل²، أخ الشيخ الشريف بن الأحرش مؤسس الزاوية، ولد الشيخ بلقاسم بن الأحرش سنة 1258هـ/1824م بزاغر الشرقي³، أخذ الطريقة الرحمانية كأخيه عن شيخ زاوية أولاد جلال الشيخ المختار الجيلالي، وصفه الشيخ الديسي بأنه كان: «عارفا عالما عاملا شهما شجاعا، ذا حلم، ورياسة ومكانة، حميد السيرة جميل الآثار»⁴، كانت له مراسلات مع شيوخ الزوايا في عصره مثل مراسلته مع مؤسس زاوية الهامل الشيخ محمد بن أبو القاسم الهاملي⁵، توفي سنة 1890م.

الشيخ الحاج أحمد بن الشريف بن الأحرش:

هو الشيخ أحمد بن الشريف بن الأحرش بن القندوز بن الأحرش بن أحمد الغربي بن الغويني بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن مليك بن محمد الملقب بسيدي نايل⁶، ولد سنة

¹ ايضاح المكنون...ص: 214.

² الديسي محمد: مصدر سابق، ص: 98.

³ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 70.

⁴ الديسي محمد: مصدر سابق، ص: 97.

⁵ محمد فؤاد: وثائق تاريخية من المكتبة القاسمية، ط: 1، دار الخليل، بوسعادة، 2013، ص: 163.

⁶ الديسي: مصدر سابق، ص: 97.

1849م¹، وصفه الشيخ الديسي: « ذو الهمة العالية، والمدارك السامية، والمقاصد الحميدة، والمزايا العديدة، من علم وحكمة وحسن سياسة »²، كما وصفه القاضي حشلاف: « فسار بسير والده ليقصد الشيخ شريف بن الأحرش [جمع الله له بين الدنيا والآخرة وصارت تفد عليه الركبان بمحله المزخف بعين معبد، وطار صيته في الأنام] »³.

كانت له مراسلات مع المشايخ الذين عاصروا والده منهم الشيخ عبد الرحمان النعاس بن سليمان الذي تبادل معه الزيارات والمراسلات⁴، ومنها المراسلة التي كانت بينه وبين شيخ الزاوية الجيلالية الشيخ محمد الصغير بن الشيخ الجيلالي، التي كانت عبارة عن ترجمة لوالده الشيخ شريف بن الأحرش نشرها الشيخ محمد الصغير في كتابه تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان⁵، كما كانت له مراسلات مع محمد بن أبي القاسم الهاملي.

توفي سنة 1340هـ / 1921م⁶ ودفن بالقرب من قبر والده بمقبرة عين شنوف بمدينة الجلفة⁷.

الشيخ المختار بن أحمد بن الشريف:

نسبه هو الشيخ المختار بن أحمد بن الشريف بن الأحرش أي هو حفيد الشيخ شريف بن الأحرش مؤسس الزاوية، وصفه القاضي حشلاف بالعلامة المبجل⁸، اشتغل باش عدل

¹ هذه السنة استنتجتها الباحثة من النص الذي أورده فرومنتان الذي زار الشيخ شريف بن الأحرش سنة 1853م ووجد سي أحمد بن شريف بعمر أربع سنوات وبعملية حسابية بسيطة توصلت أنه يكون قد ولد سنة 1849م، أنظر:

Eugène Fromentin: **op. cit**, p: 81.

² الديسي: مصدر سابق، ص: 98.

³ حشلاف: مصدر سابق، ص: 43.

⁴ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 72، 73 أنظر نص الرسالة في كتاب علي نعاس: مرجع سابق، ص: 77

⁵ محمد الصغير الجيلالي: مصدر سابق، ص: 324 - 328.

⁶ حشلاف: مصدر سابق، ص: 43.

⁷ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 74.

⁸ حشلاف: مصدر سابق، ص: 43.

محكمة الجلفة¹ لمدة عامين ثم تولى عنها وآثر العزلة حتى توفى سنة 1953م ودفن مع عائلته في مقبرة عين مبيد².

• الزاوية الطاهيرية:

تأسست الزاوية سنة 1854م، بالقاهرة بمسعد جنوب المنطقة مجال البحث و قيل سنة 1837 م وهو أمر مستبعد لاعتبارات تاريخية³، سميت كذلك نسبة إلى مؤسسها الأول الشيخ الطاهر بن محمد بن عليّ من أولاد لعور من أولاد سيدي نايل، ولم يعثر على تاريخ مولده، درس بالزاوية العثمانية بطولقة والزاوية الجلالية وأذن له بتأسيس زاوية⁴، ركزت الزاوية جهودها على تعليم مبادئ اللغة العربية وتحفيظ القرآن الكريم، والمحافظة على الأخلاق و التفقه في الدين، واستمر كذلك إلى غاية وفاة مؤسسها سنة 1891م⁵.

الشيخو الذين تولوا مشيخة الزاوية الطاهيرية:

بعد وفاة الشيخ الطاهر بن محمد مؤسس الزاوية الطاهيرية، تولى مشيخة الزاوية عدة شيخو وهم:

الشيخ يوسف بن محمد: بعد وفاة مؤسس الزاوية، تولى مشيختها أخوه الشيخ يوسف بن محمد المولود بضواحي مسعد سنة 1831م، حفظ القرآن الكريم ومبادئ الفقه على يد أخيه الشيخ الطاهر، ثم انتقل إلى زاوية علي بن عمر بطولقة طالبا للعلم والمعرفة فمكث فيها مدة من الزمن، وبعد وفاة شيخه علي بن عمر الطولقي سنة 1842م⁶ قصد الزاوية

¹ نفسه.

² عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص: 248.

³ السعيد هرماس: التعريف بالموروث الثقافي...، مرجع سابق.

⁴ عامر محفوطي: مرجع سابق، ص: 26. رغم أن الشيخ محمد الصغير في كتابه تعطير الأكوان عند ذكره لتلامذة والده لم يذكر الشيخ طاهر بن محمد وذكر أخوه الذي خلفه على رأس الزاوية الشيخ يوسف، محمد الصغير الجلاي: مصدر سابق، ص: 330.

⁵ مبارك بلحاج: مرجع سابق، ص: 18.

⁶ السعيد هرماس: من فضلاء الجلفة....، مرجع سابق، ص: 137.

الجيلالية¹ فدرس فيها شروح الفقه الإسلامي والسيرة النبوية والحديث وغيرهما من العلوم الشرعية².

وعندما أخذ نصيبه من العلم عاد إلى مسقط رأسه وساعد أخاه الشيخ الطاهر بن محمد في تسيير شؤون الزاوية، وبعد وفاة هذا الأخير تولى مشيخة الزاوية وسار على نهج أخيه في تسييرها، فاعتنى بها وحفظ نظامها ورعى روادها من الطلبة والأيتام والأرامل والمعوزين، وعمل على توفير الظروف المناسبة لإقامتهم وحفظ سلامتهم، تخرج منها الكثير من الطلبة يحفظون كتاب الله منهم: الشيخ عبد الرحمان بن طاهر، الشيخ المبروك بن المحفوظ، الشيخ المسعود بن عبد الرحمان، ..³.

وفاته: توفي الشيخ يوسف طاهيري سنة 1917م، ودفن بمقبرة الزاوية بالقاهرة⁴.

الشيخ المختار بن يوسف بن محمد:

هو الشيخ المختار بن يوسف بن محمد طاهيري، ولد سنة 1888م، تربى في حضن في والداه وتربى، حفظ القرآن الكريم في سن 11 سنة، وكرمه أبوه وأقام له احتفال دام مدة ثلاث أيام، هذا التكريم مازال يذكر إلى اليوم⁵.

تولى مشيخة الزاوية بعد وفاة أبيه⁶، وفي وقته كانت الزاوية ترحل في فصل الصيف إلى المعلقة والمقطع، وفي فصل الشتاء إلى وادي جدي ومنطقة خيابر ومناطق أخرى في الصحراء بمسعد وكانت النزلة تضم ما يقارب 30 خيمة بالإضافة إلى عائلة الشيخ ورواد الزاوية⁷.

¹ محمد الصغير جلاي: مصدر سابق، ص: 330.

² علي النعاس: مرجع سابق، ص: 423.

³ نفسه، 424.

⁴ نفسه، ص: 425.

⁵ نفسه، ص: 426.

⁶ بلحاج لمباركي: مرجع سابق، ص: 18.

⁷ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 426، 427.

عمل الشيخ عقب توليه مشيخة الزاوية على توفير المعلمين في القرآن الكريم والفقه واللغة العربية والسيرة النبوية منه ¹.

وفاته: توفي الشيخ المختار طاهري سنة 1951م، ودفن بمقبرة الزاوية بالقاهرة ².

الشيخ محمد الطيب طاهيري بن يوسف:

ولد الشيخ محمد الطيب طاهيري سنة 1906م بالزاوية الطاهيرية بمسعد، قيل أنه بعد ولادته أخذه والده يوسف إلى الشيخ عبد الرحمان النعاس بن سليمان مؤسس زاوية حوش النعاس تبركا، فحمله هذا الأخير ودعا له وهو الذي سماه بهذا الاسم، تعلم القرآن الكريم بين أحضان والداه وبعد وفاة والده تولى تربيته أخوه الشيخ المختار ³، وبعد وفاة هذا الأخير تولى الشيخ محمد الطيب طاهيري مشيخة الزاوية ⁴ لمدة قصيرة، وبعدها كلف أخويه الشيخين بلخير وبلقاسم بتسييرها تحت إشرافه، وكان كثير الاهتمام بتعليم القرآن الكريم بالزاوية والالتزام بمبادئه ومحتا على طلب العلم ⁵.

وفاته: توفي 1969م ودفن بمقبرة الزاوية الطاهيرية بالقاهرة ⁶

• زاوية سي أحمد بن الحمروش:

تأسست الزاوية سنة 1860م كانت في البداية على شكل خيمة متنقلة ثم استقرت، مؤسسها هو: الشيخ أحمد بن عبد الله بن بلقاسم الملقب ابن الحمروش من عرش أولاد يحي بن سالم النايلي، ولد بضواحي سد الرحال (مسعد) سنة 1236هـ / 1820م، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه مبادئ اللغة العربية وحفظ أحزابا من القرآن الكريم، ثم انتقل كعادة

¹ نفسه، ص: 427.

² عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 27، علي النعاس: مرجع سابق، ص: 427.

³ نفسه، ص: 428، 429.

⁴ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 27.

⁵ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 429.

⁶ بلحاج لمباركي: مرجع سابق، ص: 18، علي النعاس: مرجع سابق، ص: 429.

أبناء منطقة أولاد نايل إلى الزاوية الجبلية¹، وصفه محمد الصغير الجليلي في كتابه تعطير الأكوان عند ذكره لطلبة والده الشيخ المختار الجليلي بأنه: « ومنهم العارف الفاضل النقي الشيخ الحمروشي النايلى اليحياوي»²، وبعد حفظه القرآن هناك وإجادته اللغة العربية ودراسة متون في الفقه والنحو، عاد إلى مسقط رأسه سد الرحال ونُصّب مُقدماً على عرشه - عرش أولاد يحيى بن سالم - ثم على عرش السعادات.

ليقوم في ما بعد بتأسيس الزاوية المتنقلة سنة 1277هـ/1860م، وحرص على تأدية الزاوية لدورها التعليمي لأبناء المنطقة، توفي الشيخ أحمد بن حمروش 1337هـ/1917م ودفن ببلدية سد الرحال وقبره هناك معروف³.

بعد وفاة الشيخ أحمد بن الحمروش استمرت الزاوية في تأدية دورها على يد أولاده وأحفاده طيلة الفترة المدروسة، وشيوخ الزاوية الذين خلفوه هم:

المقدم حمروش الحاج محمد:

بعد وفاة الشيخ أحمد بن حمروش تولى شؤون الزاوية ابنه الأكبر الحاج محمد المولود سنة 1852م بصحراء سد الرحال (مسعد)، تلقى تعليمه الأول بزاوية والده، وحفظ القرآن الكريم بها، ثم أرسله والده إلى الزاوية الجبلية ودرس هناك الشريعة والفقه والتفسير واللغة، ثم سافر إلى الحج في سن مبكرة في رحلة دامت ستة أشهر، فزار الأزهر وأعجب به شيوخ الأزهر لما رأوا فيه من علم وأدب وفصاحة⁴: « فقال علماء الأزهر: مثل هذا في الجزائر؟ فالجزائر بخير، وسألوه أين تعلم؟ فقال لهم في زاوية الشيخ المختار الجليلي ببسكرة، وطلبوا منه البقاء، فقال لهم: إني ذاهب إلى الحج ووالدي في حاجة إلي، وخاصة في خدمة الزاوية»⁵، وعقب أداء فريضة الحج عاد إلى وطنه وإلى الزاوية مدرسا، وتولى مشيخة الزاوية

¹ نفسه، ص: 55.

² محمد الصغير الجليلي: مصدر سابق، ص: 331.

³ علي نغاس: مرجع سابق، ص: 56، 58.

⁴ نفسه، ص: 58.

⁵ نفسه، ص: 58.

في غياب والده الذي ذهب مشاركا في مقاومة أولاد سيدي الشيخ بالبيض ومقاومة ناصر بن شهر¹، ولما عاد والده من الجهاد استمر في التدريس بالزاوية، فتخرج على يده علماء من بينهم عائلة الحواشي، دامت مشيخته على رأس الزاوية من سنة 1920م إلى 1947².

المقدم حمروش محمد الصغير:

بعد وفاة الشيخ المقدم الحاج محمد بن الشيخ أحمد بن حمروش تولى شؤون الزاوية أخوه شيخ محمد الصغير (أو محاد صغير)، المولود 1902م، وهو وحيد أمه.

تعلم المقدم محمد الصغير في الزاوية، فحفظ أحزابا من القرآن الكريم، ثم أرسله والده إلى الزاوية الجيلالية ولم يلبث هناك طويلا فرجع، وزاول دراسته في زاوية أبيه، كان شديد الحياء يزور أولاده في مسعد بمكان يسمى قبر الصحبي³، وقد بايعه العرش على أن يكون المقدم بعد وفاة أبيه فتولى المنصب لوقت قصير ثم تولى عنها لابن أخيه المقدم حمروش المبروك، توفي سنة 1982م وقيل 1989م⁴.

المقدم حمروش المبروك:

ولد المقدم حمروش المبروك عام 1908م، تعلم كأعمامه في زاوية أبيه فحفظ القرآن، ثم أرسله والده إلى الزاوية الشيخ الأزهري بالأغواط، فأكمل دراسته ونال منها الإجازة، وعاد إلى الزاوية فكان ينوب والده فيها وآلت إليه شؤون الزاوية، دامت خلافته على رأس الزاوية من سنة 1947م إلى غاية بعد الاستقلال، وخلفه بعده أخوه المقدم أبو بكر⁵.

¹ لمزيد من التفاصيل عن مشاركة أبناء منطقة الجلفة في مقاومة أولاد سيدي الشيخ وناصر بن شهر أنظر: 122، 132 ص: من الأطروحة

² علي نعاس: مرجع سابق، ص: 58، 59.

³ لمعرفة قصة قبر الصحبي أنظر الفصل التمهيدي العنصر الأخير منه من الأطروحة.

⁴ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 60.

⁵ نفسه، ص: 61.

• زاوية حوش النعاس:

تأسست زاوية الشيخ النعاس في البداية بالمكان المسمى عين الحمام ما بين حد السحاري وحاسي العش، ثم بخلة الربق بزاغز الشرقي واستقر بها المقام بحوش النعاس¹ وأصبحت الزاوية تعرف: بحوش النعاس لكونها كانت هي الوحيدة في تلك الجهة، ثم توسعت البناءات حولها بكثرة فأصبحت تعرف بدار الشيوخ اليوم²، أما عن تاريخ تأسيسها فيقال أنها تأسست سنة 1864م وقيل 1866م³، على يد الشيخ عبد الرحمان النعاس بن سليمان بن بلخير بن قويدر بن عثمان بن بوعبد الله بن العقون بن بوعبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن سالم بن محمد نايل، بأمر من شيخه الشيخ المختار الجيلالي مؤسس الزاوية الجيلالية⁴.

ولد مؤسس الزاوية بزاغز سنة 1242هـ/1822م، نشأ في كنف والديه اللذان سهرأ على تربيته وتأديبه، فحفظ ما تيسر من القرآن الكريم على يد والده ثم انتقل إلى الزاوية الجيلالية⁵ سنة 1859م وتلقي علوم الحقيقة والشرعية والدين⁶، وصفه الشيخ محمد الصغير الجيلالي عند عرضه لطلبة والده الشيخ المختار الجيلالي: «العارف كهف الأمن والآمان الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سليمان النايلى محمدي العقوني»⁷.

¹ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 226.

² عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 33، أول من قام بتغيير تسمية المدينة من حوش النعاس إلى دار الشيوخ، هو: الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس في السجل الرسمي، الذي كانت تدون فيه أسماء المدن والأحياء وذلك بهدف أن التسمية تأخذ طابع الشمولية لكل المشايخ الموجودين بالمنطقة، وهذا يدل على ذكائه وتفكيره الواسع وصفة الورع وإبعاد الشبهات، أنظر: علي النعاس: مرجع سابق، ص: 240.

³ السعيد هرماس: التعريف بالموروث...، مرجع سابق.

⁴ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 225، 226.

⁵ صلاح مؤيد: مرجع سابق، ص: 766.

⁶ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 225.

⁷ محمد الصغير: مصدر سابق، ص: 329.

كما أسس الشيخ عبد الرحمان النعاس مصلًى¹ من ماله الخاص، وكان ذلك في الستينات من القرن 19 م كرد فعل على السلطات الفرنسية لفتحها للكنيسة حوالي سنة 1861م².

توفي الشيخ عبد الرحمان النعاس مؤسس الزاوية سنة 1907م³.

ترك الشيخ عدة قصائد⁴ منها ما يمجّد بها الله سبحانه وتعالى ومنها ما وصف بيها الحال التي آلت إليها البلاد وعلاقات الناس ببعضها فأنشد:

كثرت الأهوال والأمطار وصب المطر من بحر ماء مالح

كثرت الأموال والأشعار وإبليس بالناس سارح

الجار يخدع الجار ويخدع الحبيب ويروح فارح

الدم للدم نكار متماسحا على الصوالح

كما وصف الزمان الذي عاش فيه فأنشد:

هذا قرن الأشعار ما فيه مخلوق مريح مسلم والكفار كل آخر باحساب يطرح

والخمر والدخان والكوارط فيها تريح ذا من فعل الأرذال أهل البدع والقبايح

وله قصيدة يذم ويحذر من الدخان فقال:

شجرة الدخان ألقها ولا تقربها يا فطان لا تبيعها ولا تشربها ولا تغرسها فيفدان

جميع من يرخص فيها لاشك يخالط فيها أتوب عليه رب الحنان

¹ وهو معروف اليوم بمقام ومصلي الشيخ عبد الرحمان النعاس بن سليمان وسط مدينة الجلفة بالقرب من مسجد بن المعطار.

² علي النعاس: مرجع سابق، ص: 227.

³ صلاح مؤيد: مرجع سابق، ص: 727.

⁴ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 230، 231، 234.

رجال ربي خاضوا فيها و اتخاصموا عنها في الزمان

دور زاوية حوش النعاس:

لعبت الزاوية دور في المحافظة على مقومات الأمة الإسلامية العربية في ربوع بلاد أولاد نايل، فكانت تستقبل المرددين وطلبة القرآن الكريم لحفظه، ويتعلمون مبادئ فنون علوم الدين، تخرج من الزاوية عدد كبير من حفظة القرآن الكريم، وعلوم أصول الدين، منهم: ولده محمد، أمهني بن الوناس، صالح بن أحمد، السعيد بن جرو، محمد الطيب، الطاهر جرو، الأزهري جرو، ابن الشيوخ مصطفى، سعد السعود بن عبد الله، كما كان يتردد عليه الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر وبن سفير¹. كما كانت الزاوية بالإضافة إلى دورها الديني كانت لها دور اجتماعي فكانت تتكفل بالفقراء والمحتاجين والأرامل والأيتام.

الشيخو الذين تولوا مشيخة زاوية حوش النعاس:

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان النعاس توالى على مشيخة الزاوية عدة شيخو وهم:

الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس²: ولد الشيخ محمد بن عبد الرحمان سنة 1860م، نشأ وترعرع في حجر والده في جو روحي وعلمي وسط رواد الزاوية من طلبة علم ومعرفة، فقرأ القرآن وأجاد حفظه على يد الشيخ السعيد بن إبراهيم في سن مبكرة، ثم شرع في دروس الفقه والحديث والتفسير وعلم الميراث وعلم الفلك على يد نخبة من العلماء أبرزهم الشيخ آدم الدلاجي، والشيخ المهني بن الوناس، كما أخذ نصيب من فن الخطابة، والبلاغة، وفن البديع وعلم الأصول والنحو والصرف عن الشيخ القاضي المختار بن علي، كما أخذ الورد الرحماني عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس معروف بأخلاقه الحميدة وسيرة الحسنه، وقد أناب والده عند غيابه عدة مرات في مشيخة الزاوية.

¹ علي نعاس: مرجع سابق، ص: 227.

² نفسه، ص ص: 236- 238.

نشاطه وإنجازاته وآثاره:

سهر الشيخ محمد بن عبد الرحمان على رعاية الزاوية، فكانت زاوية في عهده تقوم بدور علمي واجتماعي وسياسي، فعلى الصعيد العلمي والديني، كان الشيخ يقوم بنفسه بإلقاء الدروس الفقهية من فقه العبادات والمعاملات، وتفسير القرآن الكريم وعلوم الحديث للطلبة الذين كانوا يأتون من جهات بعيدة، ويطبقون بشكل داخلي في الزاوية بمعدل حصتين في اليوم، بالإضافة إلى دروس في المسجد.

كان للشيخ بن عبد الرحمان مواقف عديدة ولعل أبرزها موقفه من جمعية العلماء المسلمين، فقد ذكر حفيده الشيخ نعاس علي في كتابه تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد أنه عقب تأسيس خلية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة، وكما هو معلوم أن البعض كان يراها معادية لنشاط الزاوية، فإن الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس استبشر خيرا بالمبادرة وشجعها ورأى أنها مكملة لنشاط الزوايا، فباركها وقام بدعوة أعضائها وأعيان الجلفة ببيته، قدم كلمة هناهم فيها على هذا المجهود التربوي الجديد.¹

وفي إطار تعطيل عمل الجالية الاستعمارية ولاسيما اليهود منهم المعروفين بممارسة التجارة، فقد غير موعد السوق الأسبوعي لحوش النعاس أو دار شيوخ من يوم الجمعة إلى يوم السبت محققا بذلك هدفين فالهدف الأول: لكي لا يشتغل الناس بقضاء حاجتهم ويتركوا الصلاة، وثانيهما قطع الطريق أمام الجالية اليهودية حتى لا تتمكن من القيام بنشاطها التجاري لكون يوم السبت يوم مقدسا عندهم.²

أما الإنجازات التي تحققت في عهده فتمثلت: في بناء مسجد من ماله الخاص الذي ورثه من تركة والده بجوار الزاوية بدار الشيوخ، إقامة صلاة الجمعة بعدما توفرت شروطها وكان يوم المصلين بنفسه، كما قام بتوسيع الزاوية وبناء المرافق الخاصة بالطلبة، تحديد وتنظيم عقود الحبوسات التابعة لممتلكات الزاوية.

¹ علي النعاس: مرجع سابق، ص ص: 239، 240.

² نفسه، ص: 240.

كما كانت للشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس علاقات كثيرة مع رجال العلم منهم: الشيخ عطية مسعودي، والشيخ مصطفى حاشي، والشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ عبد القادر بن ابراهيم المسعدي والشيخ الأزهاري العزوزي والشيخ عبد الرحمان بن الطاهر ومشايخ الزوايا: الطاهرية والهاملية والجيلالية وغيرهم¹.

وفاته²:

توفي الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس بعد مرض ألزمه الفراش لفترة قصيرة سنة: 1945م بمسقط رأسه، ودفن بجوار أبيه بدار الشيوخ، ترك ابنين: الشريف الذي تولى خلافة الزاوية من بعده، وعبد الله، ثلاث بنات.

آثاره³:

من أهم آثاره مقال نشر في جريدة البلاغ التي كانت تصدر بمصر، بعنوان: «الصفات والأخلاق التي ينبغي أن تتوفر في المريد والمنتسب لطريق القوم»، نبه فيها ببعض المتطفلين والمشعوذين الذين لا يخلو منهم أي قطاع، حيث ذكر في مقالته بأن الطريق أساسها ومبناها كتاب الله وسنة رسوله صل الله عليه وسلم، كما كان مشتركاً في صحيفة أسبوعية عنوانها "الإسلام" كانت تصدر عن وزارة التربية والمعارف المصرية تهتم بالجوانب الروحية والتربوية في الإسلام والفتاوى الشرعية توجد منها أعداد كثيرة بمكتبة الزاوية.

كما ترك مكتبة غنية بالمخطوطات والمجلدات والمجلات في جميع العلوم والمعارف، توجد بالزاوية التي خلفه على تسيير شؤونها ابنه الكبير الشريف بمساعدة أخيه الشيخ عبد الله.

1 نفسه، ص: 239.

2 نفسه، ص: 240.

3 نفسه، ص: 240، 241.

الشيخ الشريف بن محمد بن عبد الرحمان النعاس¹:

بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الرحمان النعاس، تولى مشيخة زاوية حوش النعاس ولده الشيخ شريف الذي سار على نهج والده وجده في رعاية الزاوية، ولد الشيخ شريف بن محمد سنة 1899م بدار الشيوخ، عاش صابه بالبادية، ولما بلغ سن الدراسة والتعليم عاد إلى زاوية جده أين حفظ القرآن الكريم ودرس فقه العبادات والمعاملات على يد الكثير من شيوخ الزاوية ومنهم والده الشيخ محمد، ثم انتقل إلى زاوية الأزهاري بالحطبية بالأغواط حيث أخذ أدب الطريقة، أعجب شيخ الزاوية بذكائه وأخلاقه فزوجه ابنته الوحيدة صفية، ثم عاد إلى زاوية أبيه وساعد والده في خدمة الزاوية والإشراف على طلبتها وإخوانها، لينتقل بعدها إلى الزاوية الجيلالية أين أخذ عن شيخها عبد الحميد حفيد الشيخ المختار ورد الطريقة الرحمانية وبعد عودته لم تدم الفترة طويلا حتى انتقل والده الشيخ محمد إلى رحمة الله، وانتقلت مشيخة الزاوية إليه.

لم يحد الشيخ الشريف بن الشيخ محمد عن النهج الذي سار عليه جده مؤسس الزاوية وأبوه، حيث بذل جهودا لمواصلة تأدية رسالتها في تحصين وتثبيت العقيدة الإسلامية وتصحيحها وترسيخها في النفوس، وكذا جعلها مركزا لإيواء الفقراء واليتامى والمعوزين والأرامل وتحفيظ القرآن الكريم، وتدريس الشريعة الإسلامية، واللغة العربية والقيام بإصلاح ذات البين، والدعوة إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة، والعمل على بذل الجهد للحفاظ على الشخصية الإسلامية من كل الانحرافات والأفكار الخاطئة، ومحاربة مخططات التنصير والتغريب، وكل المخاطر التي كانت تهدد المجتمع وانسجامه، التي كان يبثها المحتل الفرنسي في ذلك الوقت.

ومن الشايخ الذين درسوا فيها: الشيخ الأزهري جرو، والشيخ سي لخضر رحمون وابنه الشيخ سي عبد الحميد والشيخ سي بوبكر السبخاوي، وكذا الشيخ سي مزوز المؤذن بالزاوية والشيخ سي المختار التواتي، وغيرهم.

¹ نفسه، ص ص: 242 - 245.

وفاته:

توفي الشيخ الشريف اثرى حادث مرور وقع له في الطريق قرب دار الشيوخ أثناء عودته من الجلفة وذلك سنة 1969م.

آثاره:

ومن آثاره مخطوط من تأليفه عنوانه: "إيقاظ الناس بمناقب الولي الصالح سيدي عبد الرحمان النعاس"، جمع فيه آثار الشيخ النعاس وقصائده وتحدث فيه عن مشايخ وعلماء لهم صلة ومحبة بالزاوية، وقد ترك أيضا مكتبة ثرية بالمخطوطات والكتب الفقهية والدينية.

• زاوية الشيخ عطية الجلالية:

تأسست الزاوية بمنطقة تسمى طكوكة شمال شرق عين مبعد على يد الشيخ عطية بن أحمد بيض القول سنة 1870م، ثم أمره شيخه محمد بلقاسم الهاملي شيخ زاوية الهامل بنقلها إلى الجلالية جنوب عين مبعد¹.

عمرها بالعلم والقرآن الكريم، فتخرج منها فقهاء وأئمة منهم: الشيخ الهادي بن مصطفى مسعودي وأخوه الشيخ عطية مسعودي²، والشيخ قدور بن هدية حمر العين والشيخ موسى بن بلخير، وغيرهم..³

وفي شهر أوت 1917 توفي الشيخ عطية، وخلفه ابنه الشيخ أحمد إلا أن خلافته لم تطل إذ توفي سنة 1921م، وخلفه ابنه بن عرعار، ونشطت الزاوية في عهده نشاطا منقطع النظير إذ تولى التدريس بها الشيخ عطية مسعودي والشيخ نعيم النعيمي، والشيخ بوزيان

¹ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 34.

² أنظر ترجمته ص: 376 وما بعدها من الأطروحة.

³ عبد الباقي مفتاح: مرجع سابق، ص ص: 259، 260.

الفرندي،...وتولى مشيختها أكثر من أربعين سنة إلى أن توفي سنة 1965م¹، وما تزال الزاوية قائمة إلى اليوم.

• زاوية الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر:

تأسست الزاوية بالمكان المسمى المكيمن شرق دمد بمسعد، لا يعرف لها تاريخ تأسيس، مؤسسها هو الشيخ عبد الرحمان بن أحمد طاهيري ونسبته إلى الطاهر عرفية لأن عمه هو مربيه، ولد سنة 1882م² بمكان يعرف بضاية زخروفة حوالي 50 كلم شرق مسعد³، تلقى تعليمه الأول على يد عمه ومربيه الشيخ الطاهر ثم انتقل إلى الزاوية الجبلالية وزاوية الهامل ليتابع تعليمه، فحفظ القرآن الكريم وتحصل على نصيب وافر من الفنون الشرعية التي كانت تدرس بالزوايا، ثم انتقل إلى الزاوية شيخ النعاس، وأخذ ميثاق الطريقة الرحمانية عن شيخها المتوفى سنة 1907م، ثم عاد إلى مسعد ليؤسس زاويته هناك والتي أصبحت تعرف بزاوية الشيخ عبد الرحمان بن الطاهر⁴.

دورها: لعبت الزاوية دور مهم في الحياة الثقافية لأبناء المنطقة، فقد نظم فيها طلبة القرآن الكريم وزودها بمعلمين أكفاء، من بينهم الأستاذ محمد الطاهر من تقرت، ورفعها بتعليم علوم الفقه واللغة العربية، منها تخرج أساتذة أكفاء في اللغة العربية منهم الشيخ محمد بن ربيح إمام الجامع الأكبر بالجلفة سنة 1938⁵.

قاوم الشيخ عبد الرحمان طاهيري تواجد المستعمر الفرنسي بالجزائر منذ شبابه، ورفض القوانين الفرنسية الجائرة الداعية لفرض الضرائب ومصادرة الأراضي ونهب الخيرات والتجنيد الإجباري⁶، ومن مواقفه أنه أمر طلبته والمقدر عددهم بـ: 400 طالبا بأن لا

¹ عبد المنعم القاسمي: الطريقة الرحمانية....، مرجع سابق، ص: 779.

² بلحاج لمباركي، مرجع سابق، ص: 19.

³ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 433.

⁴ السعيد هرماس: من فضلاء الجلفة...، مرجع سابق، ص: 136.

⁵ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 35.

⁶ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 434.

يتجنّدوا بعد إصدار فرنسا قانون التجنيد الإجباري، وهذا الأمر يعتبر بمثابة فتوى لهم¹، وقد تسبب موقفه هذا في سجنه بمدينة الجلفة وفرض الإقامة الجبرية عليه وأعيد سجنه بالجزائر العاصمة.

هذه المواقف الشجاعة لم تكن ترق الاحتلال الفرنسي فقاموا بسجنه أين توفى هناك سنة 1350هـ/1931م، ودفن بمقبرة آبائه في الزاوية الطاهيرية بالقاهرة².

آثاره: مجموعة من القائد منها ما رثى بها شيخه الشيخ عبد الرحمان النعاس عند وفاته فأنشد³:

يا حزن الأحباس من فقد النعاس يا شر الأنفاس عن زين الوردي

يا ضو المكان من فقد السلطان يا حزن الإخوان عن العهد

ومنها أيضا قصيدة يتحصر فيها إلى الوضع الذي آلت إليه مدينته مكيم جراء الأعمال التي قام بها الاستعمار بها فأنشد:

يا حصراه عليك يا مكيم يا زين الجار حسراه عليك يالي تعجبني

ماذا يصير في هذا الدهر الغدار بأمور سابقة تلحقني

اتشيب اللي راهم أصغار تدي من الكبار اتفني

خطرة انسيح ساير في الأقطار ونشوف في الأفج بعيني

ونشوف في الفلك الدوار وعلاش يدور باش يغني

بعيني الراس والقلب والأنوار وأولياء الله يملو عيني

¹¹ السعيد هرماس: من فضلاء الجلفة...، مرجع سابق، ص: 136.

² بلحاج لمباركي: مرجع سابق، ص: 19، علي النعاس: مرجع سابق، ص: 435.

³ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 436.

نبغي نكون صادق في كل أخبار وانقول غير لتعجبني
حسراه عليك يا زينة روبة الأمصار ويا كثيرة الدوزاني
عليك يا البهجة ناض الغبار سبع أيام ماتصحاش اتھني
قمانك صافين والوعل الطيار ومدافع حارس الميداني
وعساكر كدة والبحر زخار واسفاين ريحا تتوني
واعلاش ويحك كلب الماقوار صنع النقار يا مضموني
والعين طايش ماتدري تشطار من أي ناحية يتوني
يا حسرا عليك يا الخضرة زينة الأدوار بأوطانك حاطت القوماني
يا حسراه عليك يا الخضرة ناض الخضرة الغبار من أرض برابر السوداني
في طول الواد كيف أسنان المنشار من سبتو هاضت لمحاني
خيام من سوف وعلامات تصفار من ورقلة لتلمساني
يشرب من تقرت ما فيها تعبار ويعشي ساحت تماسيني
تملاحت الفايقة زينة الآثار حس فيك الجنود ايدويني
نصحك يا كاسب مال الغبار البقر والغنم والأتاني
ضيعت الراي مالك دبار اكسب عوجت السيقاني
أجواد الخيل والدرهم والدينار والحب ذخيرة الزماني
ما تدري ما يصير في ذا الدهر الغدار على الرحال والقيطاني
في الفلك الدوار وعلاش يدور باش يغني.

الشيخ الذين تولوا مشيخة زاوية عبد الرحمان طاهيري:

الشيخ عمر بن عبد الرحمان طاهيري:

بعد وفاة الشيخ عبد الرحمان طاهيري سنة 1931م، خلفه على مشيخة الزاوية ابنه الشيخ عمر طاهيري الذي ورث خصال أبيه، وقام بشؤون الزاوية إلى أن توفى سنة 1960م¹.

• زاوية الشيخ الصادق:

لم يكن للزاوية مكان قار، بل كانت دائمة التنقل؛ شتاء كانت تقطن أم العظام؛ وصيفا تقطن فيض البطمة وملييحة، أما عن مؤسس الزاوية فهو الشيخ الصادق بن الشيخ الذي ينتهي نسبه إلى الرجل التقي الصالح الشيخ ناجي، ولد سنة 1864م بصحراء مسعد، نشأ نشأة مباركة زكية، في كنف والدين كريمين، ذهب به والده رفقة إخوته بن ناجي والشيخ لخضر إلى الزاوية الجيلالية، فحفظوا القرآن الكريم وفهموا من الدين المتين وحصلوا على المرغوب من العقائد الدينية، والأحاديث النبوية والأحكام الفقهية، وسيرة السلف، فنبغ الشيخ الصادق من بين إخوته، فأحبه الشيخ محمد الصغير بن الشيخ الجيلالي وقربه إليه، الذي أجازته سنة 1887م وأمره بالرجوع إلى بلده ومسقط رأسه².

لعب الزاوية دور مهم في الجانب التعليمي والمحافظة على الهوية الإسلامية العربية الجزائرية، فقد كان الشيخ يوصي رواد الزاوية من الطلبة والمعلمين والزائرين على طاعة الله والمثابرة على حفظ القرآن الكريم وتعلمه، وعلى الأخوة الإسلامية والمحبة في ما بينهم، وكان يعبر عن موقفه من الاستعمار عندما يسأل عن ذلك بسكوت فترة ثم يجب أن كل شيء بحول الله وقوته، ولا يزيد عن ذلك³.

¹ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 36.

² نفسه، ص: 39، 40، علي النعاس: مرجع سابق، ص: 255، 257.

³ نفسه، ص: 257، 258.

وفاته: توفي الشيخ الصادق بن الشيخ سنة 1927م، دفن بتسلوين بملييحة (دائرة دار الشيوخ الجلفة)¹

الشيخون الذين تولوا مشيخة زاوية الشيخ الصادق:

الشيخ الحاج المختار: خلف الشيخ الصادق بن شيخ أولادا صالحين منهم الشيخ الحاج المختار الذي تأثر كثيرا بعد وفاة والده، وبقي كذلك إلى غاية زيارة الشيخ عبد الحميد شيخ الزاوية المختارية بأولاد جلال له، فأجازه وأمره بالقيام بشؤون الزاوية، فسعى في خدمة الزاوية وتعميرها، إلى غاية اندلاع الثورة، فقل نشاطها بسبب انشغال الشعب الجزائري بالثورة التحريرية، فتوجه دورها لدعم المجاهدين، وبقي الشيخ المختار على رأس الزاوية إلى غاية وفاته سنة 1970م².

• زاوية زينية (الإدرسية حاليا):

تأسست هذه الزاوية بقصر زينية (الإدرسية حاليا) سنة 1907م، من طرف الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري المولود سنة 1873م بزينية، تربى تربية دينية وأخذ الطريقة الرحمانية عن شيخه الشيخ عطية بن أحمد بيض الزاوية الجلالية وأجازه في 20 ربيع الثاني 1327م الموافق لـ: 10 ماي 1907م³

تخرج من الزاوية عدد كبير من الطلبة حفظوا القرآن الكريم، ولو لم يكن من بينهم إلا الأستاذ الشيخ عطية مسعودي الإمام الجليل بالجلفة - رحمه الله - ، الذي أذن له بالتربية والسلوك وأجازه إجازة تامة، وقد كان يربي صغار الطلبة جسما وروحا فيكسوهم ويطعمهم ويعلمهم القرآن والعلم ويكرم قاصديه ويجود بما لديه⁴.

¹ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 257.

² نفسه، ص: 258.

³ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 505، 506.

⁴ نفسه، ص: 506.

توفي ليلة الاثنين 15 ماي 1967م، ودفن بمقبرة الإدريسية¹.

• زاوية الشيخ القيشية (أو الغيشية):

تأسست الزاوية بالمكان المسمى الغيشية (التابعة للزعفران اليوم)، وذلك في بداية الأربعينيات من القرن العشرين²، مؤسسها هو الشيخ بن محمد بن علي بن النعيم بن العربي بن عطية...الحمدي النايلي، المولود سنة 1899م بمكان يسمى الخرشفة ببلدية الزعفران اليوم، نشأ يتيم الأب فرباه زوج أمه، وبلغ سن القراءة والتعليم التحق بزاوية الشيخ عطية بن أحمد بيض القول المسماة بالجلالية، وتابع دراسته هناك حتى حفظ القرآن الكريم، وتفقه في الدين، ثم اتجه إلى زاوية زينة وتعلم على يد شيخها الرحماني الطريقة الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري، ونال حظا من العلم والمعرفة في الفقه والحديث، وتفسير القرآن الكريم، ولما عاد من زاوية زينة، شرع في تحفيظ القرآن الكريم لأبناء عشرينته منتقلا إلى عدة أماكن بخيمته، أما عن الموضع الذي تأسست فيه الزاوية فيقال أنه بناء على رؤيا منه³، اتجه لهذا المكان و روى القصة على صاحب الأرض وهو السيد الحاج محمد بن الحاج المختار بن بوصوار، فاستقبله بالفرح والسرور، ووهب له تلك الأرض وبنى فيها مسكننا متواضعا و شرع في تعليم القرآن الكريم، إلى أن أتاه الإذن من شيخه الشيخ عبد القادر بن مصطفى طاهري شيخ زاوية زينة، وأجازه إجازة كاملة في تلقين الذكر والأوراد للمريدين بتاريخ 10 شعبان 1360هـ / 1941م⁴، فقام الشيخ بتأسيس الزاوية، وساعده في ذلك صاحب الأرض الحاج محمد بن الحاج المختار، وبعد بناء المسجد اجتهد الشيخ في تعليم القرآن الكريم، وإعطاء الذكر، وفي نشر الدعوة الإسلامية مثل أسلافه الصالحين، وقد تخرج من الزاوية عدد كبير من الطلبة حفظة القرآن الكريم، وبقيت كذلك إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية⁵.

¹ علي النعاس: مرجع سابق، ص: 508.

² عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 40.

³ لتفاصيل عن الرؤيا أنظر: علي النعاس: مرجع سابق، ص: 387.

⁴ أنظر نص الإجازة في الصفحة رقم 394 من كتاب علي النعاس: مرجع سابق.

⁵ علي النعاس: مرجع سابق، ص ص: 385-388.

وفاته: توفي بعد مرض ألزمه الفراش بتاريخ 17 ربيع الثاني 1410هـ / 16 نوفمبر 1989م، ودفن بجوار المسجد بالزاوية القيشية¹.
التعليم بالمساجد:

لم يقتصر التعليم الديني في الزوايا فقط، فقد أنشئت مساجد سواء تلك التي ألحقت بالزوايا أو التي أنشأها المحسنين بموافقة من الإدارة الفرنسية، هذه المساجد إلى جانب مهمتها الدينية كانت تقوم بمهمة التعليم العربي لأبناء منطقة الجلفة، ومن المساجد التي أنشأت بالمنطقة نذكر:

مسجد سي بلقاسم: المعروف اليوم بـ "المسجد العتيق" بحي البرج حاليا بمدينة الجلفة وهو أول مسجد بني بمدينة الجلفة، وحسب سجل الجرد العقاري لناحية التيطري سنة 1882م فإن جامع الجلفة (جامع سي بلقاسم) قد تم بناؤه سنة 1879م على مساحة 265.69 متر مربع بتكلفة 65 ألف فرنك فرنسي قديم².

مسجد الشارف العتيق: تم بناؤه عام 1898م، أسندت الإمام له للشيخ عمر بن كركود ومن بعده سي قويدر، وأستقدم أول مرة مكبر الصوت له عام 1910م بصوت المؤذن الحاج لخضر³.

مسجد مسعد(العتيق) من بين الذين تصدر التدريس به الشيخ عبد القادر المسعدي بطلب من: « الجميع ليقصد سكان مسعد! أن يفتح لهم دورسا منظمة في الفقه والحديث...مضى الشيخ لأي الشيخ عبد القادر المسعدي! في دروسه بالجامع العتيق»⁴ وكان

¹ نفسه، ص: 392.

² المسعود بن سالم: "حين أرادت فرنسا مدينة كاثوليكية ... قصة الحرب الدينية على منطقة الجلفة!!"، مقال منشور عبر الجلفة أنفو، شوهدة بتاريخ: 2020/12/02 على الساعة: 22 و 30 دقيقة عبر الموقع:

https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/12685.html

³ علي بن لحاج بورقودة: مشارف عن الشارف، - مراحل تاريخية أيام وذكريات-

⁴ عبد القادر المسعدي: دكتاتورية غير متناهية مظالم حاكم مسعد المتوالي، تق وتغ وتغ: لحسن بن علجية، ضمن كتابه: عبد القادر بن ابراهيم المسعدي...، مرجع سابق، ص ص: 238، 239.

ذلك حوالي: 1914م¹ ف: «هرع إليه الطلاب من كل حذب وصوب، يلتقطون جواهره ويقيدون نوادره»² أما عن الدروس التي درسها فهي: «خليلا وشراحه، والمدخل»³، وصحيح مسلم بشرحي الأبى والسنوسي⁴، وموطأ مالك بشرح الزرقاني، وبداية المجتهد، وسبل السلام»⁵، وقد تخرج على أيديه عدد كثير من الطلبة بعد امتحانهم فقال: «فلم يتم نصف سنة حتى تخرج به أكثر الطلبة، بعد أن امتحنهم الشيخ بحضرة أعيان البلد، وعين لذلك أياما متوالية، واختار لكل درسا يلقيه على مرأى ومسمع من أولئك، ففعلوا فكانوا على أربعة أقسام: فمنهم مبرزون لأي فاقوا أقرانهم، والثاني: متوسطون، والثالث: طلبة محصلون، والرابع حثالة، وماهم إلا النزر القليل جدا»⁶، ومن الطلبة الذين درسوا عنده⁷: الشيخ محمد بن عبد الرحمان⁸ - عرف بعد الاستقلال باسم الرئيس - ، ومحمد الصغير، وقاضي بلدة مسعد عطا الله بن أحمد.

مسجد سي علي بن دنيدينة: وهو أول مسجد يبنى داخل أسوار مدينة الجلفة الذي بني ما بين سنتي (1917 و 1920م)، وسط المدينة الجلفة بالقرب من برج العسكري (دار البارود اليوم)⁹.

ومسجد "جامع الجمعة" المعروف اليوم بـ: "مسجد سي أحمد بن الشريف"، تم بناؤه من طرف الحاج أحمد بن الشريف بن لحرش، وألحق به كافة المرافق اللازمة من مساكن

¹ لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 18.

² عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 239.

³ هو كتاب: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبية على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها وقبحها، للشيخ محمد بن محمد العبدري الفاسي المالكي الشهير بابن الحاج ت سنة 737هـ، طبع عدة مرات، أنظر لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 242، هامش: 1.

⁴ شرح الأبى على صحيح مسلم هو المسمى: أكمال المعلم لأبي عبد الله محمد بن خليفة الوشتالي الأبى المالكي ت سنة 827هـ، وشرح السنوسي هو المسمى: مكمل إكمال الإكمال للإمام أبي عبد الله محمد بن محمد بن يوسف السنوسي ت سنة: 895هـ، طبع بمطبعة السعادة، مصر سنة 1328هـ، أنظر: لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 242.

⁵ عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 242.

⁶ نفسه، ص: 239.

⁷ نفسه.

⁸ نفسه، ص: 238، 245، لتفاصيل أكثر عن هذه الشخصية أنظر ص: 378، 392.

⁹ خذير سالم: الشيخ سي علي بن دنيدينة (1870-1920م) حلقة مفقودة من تاريخ الجزائر، ط: 1، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2016، ص: 139، 141.

للإمام القيم؛ والمياضي؛ وقاعة لتعليم القرآن الكريم؛ بالإضافة إلى عدة عقارات أخرى وضعها حبوس تحت تصرف مسيري المسجد من أجل تغطية نفقاته العامة حسب الوثيقة المحررة بتاريخ **17 أبريل 1919م**¹، وذكرت الروايات قصة بناء هذا المسجد أن شيخ الزاوية المختارية عبد الحميد عندما جاء لمنطقة الجلفة لجمع الغفارة، سمع بقصة إعادة بناء الكنيسة بالحجارة التي كانت مبنية بالحطب سنة **1912م**، وأن أموال إعادة بناء الكنيسة جمعت من الأهالي بطلب من الإدارة الفرنسية وتم تدشينها من قبل القديس مونسينيوبا في، فحز ذلك في نفس الشيخ عبد الحميد فقام هو الآخر بتكوين لجنة - من أعضاء هذه لجنة شريف بلخيزي وهو من أولاد بوعبد الله مشهور بالكرم - ، وكلفت بجمع الأموال من أهالي المنطقة، كما اتجهت هذه اللجنة إلى الباشاغا سي أحمد بن شريف وطلبوا منه منحهم أرض، فوافق هذا الأخيرة وهذه الأرض كانت مقابلة للكنيسة، وبالتالي فهي عبارة عن ردت فعل من تجاه إعادة ترميم الكنيسة.²

وكمثال عن مدى حب أبناء منطقة الجلفة للعلم وأهله ولبيوت الله سيتم إعطاء تفصيل لكيفية تشييد مسجد من مساجد منطقة الجلفة، وهو مسجد حاسي بحبح الذي بني سنة **1924** بتطوع من أعيان قبائل المنطقة، وقد نشرت جريدة النجاح مقال بعنوان: " تأسيس مسجد في حاسي بحبح " - حاسي بحبح قرية صغيرة واقعة بين الجلفة وقصر البخاري- فأوردت: « ولما وقع اتفاق الجماعة المذكورة تحت أمر جامعها ومؤلفها وسبب اجراء الخير لها ولغيرها كما هي عادته في تجديد المساجد واعتائنه بها رغبة في قول الحبيب المختار (من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة) هو العالم الفاضل.....الشيخ سيدي الحاج عبد الحميد نجل سيدي محمد الصغير بن الشيخ المختار معمر زاويته بأولاد جلال، وقت مروره بسوق بببح الجديد الكائن بمحطة السكة الحديدية على طريق الجزائر تراب عرش أولاد الغويني دائرة الجلفة عند حلول ركابه به على وجه السفر لزيارته ببعض تلامذته يوم الرابع من شهر رمضان المعظم عام **1342 هـ** ووجد أهلها شارعين في انشاء بلدة في نحو المائة دار

¹ Francois De Villaret: op .cit, p: 131.

وأيضاً علي نعاس: مرجع سابق، ص: 73.

² مقابلة مع السيد بوخلخال، مرجع سابق.

للسكنى والحوانيت كلها جديدة، منها ما تم بناؤه ومنها ما هو على وشك الانتهاء فلما نظر حضرته أهلها ساعين في عمارتها بالجد والاجتهاد ظهر له أيده الله أن بلدة الإسلام لا يتم لها رؤيتها ولا سكنها إلا بإقامة أهلها شعائر الإسلام فجمع من حضر ذلك اليوم وكان جمعا غفيرا من موظفين وغيرهم وألقى عليهم خطبة مفيدة من جملها قوله: كونوا اخوانا وعلى البر والتقوى أعوانا (واعتصموا بحبل الله جميعا) (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)....أنه لا بد من بناء مسجد في هاته البلدة الجديدة المباركة ان شاء الله لإقامة الصلوات الخمس وتعليم الصبيان وبيوت عابر السبيل، وسكنى الامام والميضاة وغير ذلك بما يناسب حال المساجد وكلما صعب عليكم فيه فأنا بحول الله اعينكم عليه.

فأجابه الجميع بلسان واحد بالسمع والطاعة وكل واحد منا...بقدر الاستطاعة فكان الأستاذ المذكور أول مستفتح بألف فرنك ونجلاه النقيب سيدي محمد الصغير بألف فرنك، وقائد القياد السيد الشريف ابن أحمد بن الأحرش بولاية عرش أولاد الغويني ألف فرنك، وقائد القياد السيد أحمد ابن أبي القاسم بولاية عرش أولاد الأعور خمسمائة فرنك، وقائد أولاد يحيى بن سالم السيد أبو بكر بن أحمد بن الشريف تطوع بكروسة ذات... صالحة للخدمة والسيد أحمد بن خالد الغويني ستمائة فرنك والسيد دحمان الغويني خمسمائة فرنك وأولاد الشيخ سيدي أبو الأرباح عرش أولاد سعد بن سالم مقدم الطريقة الرحمانية خمسمائة فرنك والسيد مصطفى...مثل قائد عرش أولاد عبد القادر»¹.

ورغم رغم هذه الجهود فإن السياسة الفرنسية جعلت التعليم المسجدي تحت المراقبة الفرنسية، فبناء المساجد كان يتم بإذن من الإدارة و تطوع من الأعراس، والتعليم فيه لا يمس إلا طائفة معينة من سكان المدن².

فظاهرة الأمية في المنطقة تظهر لنا من خلال مراسلة صحفية في 15 أكتوبر 1925م، إذ كتب مراسل المنتقد عن أهل الجلفة: «... أنهم محرومون من ثمرة التعليم الذي

¹ جريدة النجاح، ع: 157، 2 ماي 1924. أنظر ملحق رقم: 15، ص: 423

² عبد القادر قوبع: أوضاع منطقة الجلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين ميلادي، ملتقى الجلفة تاريخ ومآثر، ص: 85.

هو مادة الحيوية الحققة ولم أدري من المسؤول عن ذلك ..¹ ، وفي مراسلة أخرى في 1930 قال صاحبها: « ..وأن الأستاذ المذكور [بلقاسم بن عيسى] بأذل جهده في التعليم النافع لا سيما العربية التي رأى بلدته في غاية التعطش لها ... »².

رغم أن التعليم العربي بالجزائر عموما بما فيه التعليم بمنطقة الجلفة، كان تعليما دينيا جافا غير فعال، إذ كان الصبي يتلقى مبادئ القراءة والكتابة الأولية وسور القرآن الكريم، ومن ساعفهم الحظ - وهم القلة - تعمقوا في العلم وأضافوا حفظ بعض الأراجيز والمتون دون فهم بالزوايا، ليكلفوا في ما بعد بأن يكونوا معلمين وأئمة في قبائلهم، إلا أن هذا الفضل للزوايا لا يمكن أن نستعين به في ظل احتلال قائم على التبشير والتجهيل والتفكير وإزالة مقومات الأمة.

أما التعليم العربي عقب انتشار حركة الإصلاح والتي أخذ رواد هذه الحركة على عاتقهم مهمة انشاء المدارس العربية الحرة ومنها: مدرسة الإخلاص بالجلفة.

مدرسة الإخلاص: تعتبر من المنابر التي كانت جمعية العلماء المسلمين تمارس نشاطها التعليمي في مختلف مناطق الوطن، أما عن تاريخ تأسيسها فهناك اختلاف حوله³؛

- هناك من أورد أنها تأسست سنة 1938م بناء على وثيقة أرشيفية مؤرخة في 22 جويلية 1938م.

- و آخر أورد أن مدرسة الإخلاص تأسست سنة 1940م، بناء على وثيقة باللغة الفرنسية مؤرخة عام 1940م، لمجلس الإدارة، إذ جاء عن الجمعية العامة لمدرسة الإخلاص عام 1940م أن إدارة مدرسة الإخلاص يتولاها محمد شونان كرئيس وعبد الله براهيم أمين عام، وعقون علي بلعباس أمين الصندوق، وشويحة الحاج نائب المراقب،

¹ محمد بن العابد الجلاي: "وقفة بالجلفة"، في المنتقد... مرجع سابق، ص: 295.

² البلاغ: من الجلفة، ع: 31، 1930/10/187.

³ عباس شونان (نجل الشيخ محمد شونان): مدرسة الإخلاص بين الحقيقة والتزييف، ص: 2. (وثيقة مخطوطة غير منشورة حصلت عليها الباحثة).

والمراقب: مقراني رابح، أما مساعد أمين الصندوق: هزرشي الحاج محمد، أما الأعضاء: بن سالم عبد القادر، و دروازي الحاج بن فايد، وحران عبد الرحمان...¹.

- أما الرأي الثالث أورد أن تاريخ التأسيس يعود لسنة 1943م، استنادا إلى وثيقة مكتوبة باللغة الفرنسية مؤرخة في سنة 1943م، وهي عبارة عن طلب قدمه المواطنون من بينهم: عبد الله الإبراهيمي، محمد الحاج لخضر بن بادة، زناتي محمد وغيرهم للقائد العسكري لمحافظة غرداية، طلبوا منه السماح لهم بفتح مدرسة الإخلاص، وأهم ما جاء في هذه المراسلة توضيح وظيفة المدرسة وتحديد معالمها الجغرافية، كما أعطت معلومات عن المدرس المقترح سي عطية مسعودي أصوله ونشأته ودراسته².

- وهناك رأي آخر أورد أن تاريخ انشاء المدرسة الفعلي كان سنة 1946م، استنادا إلى وثيقة هي عبارة عن مراسلة سكان منطقة الجلفة لسلطات الاحتلال حول هيكلة مكتب مؤقت للثقافة الإسلامية، ومناقشة قانونها الأساسي، تكوّن المجلس الإداري من:

- رئيس: حاج مصطفى بن حاشي.
- نائب الرئيس: ونوقي الحاج قدويد.
- السكرتير العام: محمد شونان.
- نائب السكرتير العام: براهيم عبد الله.
- سكرتير نائب العام: كاس الشيخ بن علي.
- أمين الخزينة: بشير بن عمار.

¹ صليحة رقيق: مدرسة الإخلاص - إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة- (1938- 1962 م)، ط:1، دار الضحى، الجلفة، 2016،: 91.

² نفسه، ص: 92.

- أمين خزينة: خبيزي الحاج شريف.
- أمين الخزينة: علي بن علي.
- مراقب: قناني محمد.
- نائب مراقب: نعاس عبد الله.

بالإضافة إلى مجموعة من الأعضاء المستمعين¹.

بتتبع هذه الآراء والأطروحات حول تاريخ تأسيس مدرسة الإخلاص، فإن نشأة مدرسة الإخلاص كان عبر مراحل؛ فالتاريخ الفعلي لنشأة المدرسة كان سنة 1938م، واعتمدت رسميا من طرف السلطات الفرنسية سنة 1940م، ثم دخلت تحت غطاء الجمعية سنة 1943م، ثم تم بناء مقر خاص بها سنة 1946م².

أما عن مقرها الأول في طريق كوشيدار - المقر يقع خلف جامع سي أحمد بن شريف اليوم -، هذا المقر تم استتجاره من عند براهيم عبد الله الذي ناب عن أخيه براهيم صدوق بن محمد وبقيت كذلك مدة من الزمن، ثم نقلت إلى مقرها الثاني إلى مقر الكشافة الإسلامية قرب خزان الماء بوسط مدينة الجلفة³، أما مقرها الثالث والأخير الذي تم نقل المدرسة إليه فإنه تم بناءه في نهج فورتان⁴.

أما عن مصادر تمويل وتمويل مدرسة الإخلاص، للقيام بنشاطها والتعليمي منه خاصة، فإنها لم تكن لتشد عن المدارس العربية الحرة عبر الجزائر، فقد كانت موارد مدارس

¹ أنظر ملحق رقم: 15، ص: 423

² صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 93.

³ نفسه، ص: 95.

⁴ محمد عيساوي: "مراسلة المواطنين الجزائريين بالجلفة (1 جوان 1943) لسلطات الاحتلال الفرنسي من خلال وثيقة أرشيفية " ، في مجلة أنسنه، مرجع سابق، ص: 13، لتفاصيل أكثر حول هيكلية المدرسة ومجلس إدارتها أنظر كتاب: صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 97-99.

التعليم العربي الحر في الجزائر معتمدة على الاحسان والتبرعات¹، ومن الذين ساهموا في تأسيس هذه المدرسة بجهدهم وتبرعاتهم المالية من أبناء منطقة الجلفة منهم: الشيخ كاس بالبختي، بلقاسم بن قحضاب، الحاج محمد بن علي بن الهادي المدعو (بن المساييس)، الحاج خليل يونس، محمد شونان، دروازي الحاج بن فايد، عمران النعاس و الأخوة: شكالي أحمد والطيب، والمداني بن مساييس وابراهيم عبد الله الذي كان وكيلًا شرعيًا بالمحكمة، وكذلك سي محمد بن ربيع و سي محمد بن حورية و غيرهم، كما تم جمع مبلغ من المال من العاملين أبناء منطقة الجلفة بالعاصمة².

• النشاط التعليمي لمدرسة الإخلاص بمنطقة الجلفة:

كانت مدرسة الإخلاص أول مدرسة عربية حرة بمنطقة الجلفة، وفتحت أبوابها للبنين و البنات في دوام ثابت و دائم، ففي المساء كان مفتوحا للتلاميذ الذين يدرسون في المدارس الفرنسية وكانوا يعرفون بالتلاميذ الليليين لأنهم يدرسون في المساء.

سار المنهاج الذي اتبعته مدرسة الإخلاص وفق المنهج التعليمي الذي أسسته جمعية العلماء، الذي أصبح مواكبا للعصر سواء من حيث البرامج أو الأساليب والنظم التعليمية والكتب المدرسية والتفتيش والإدارة التعليمية، وأهم ما امتاز به نشاط جمعية العلماء المسلمين التعليمي هو توحيد وتعميم برنامجها التعليمي عبر كامل مدارسها المنتشرة في ربوع الوطن، فكان محوره القرآن و ركيزته الأساسية في التعليم، وعموما فإن الإصلاح التعليمي كان يعتمد على العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق والعلوم اللسانية من قواعد ولغة وآداب والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرها...

¹ لتفاصيل أكثر عن موارد المدارس العربية الحرة في الجزائر، أنظر مقالين منشورين في جريدة البصائر، في السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 93، 9 محرم 1369 هـ الموافق ل: 31 أكتوبر 1949م، الأول بعنوان: "المدارس ومواردها المالية" لكتابه: عمر شكيري، ص: 10، والمقال ثاني بعنوان:

"العامل المالي في مدارس الجمعية"، ص: 11

² صليحة رقيق: مرجع سابق، ص ص: 102، 103.

ومن أبرز من ساهم في النشاط التعليمي لمدرسة الإخلاص؛ الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي¹، والشيخ لخضر بن الغويني لبقع²، ونشرت قوائم أسماء الناجحين بالمدرسة نتائج الامتحانات بجريدة البصائر³.

إلا أنه مع اندلاع الثورة التحريرية الكبرى أغلقت المدرسة سنة 1955م.

التعليم الفرنسي بالمنطقة:

بعد قرار تأسيس مدينة الجلفة بدأ التوسع المعماري بالجلفة، إذ شرع المحتل في تنفيذ برنامجه التوسعي بالمنطقة طبقا لقرار تأسيس الجلفة والاعتمادات المالية والوسائل والإمكانات المادية في إنجاز أولى الهياكل الدينية، من بينها الكنيسة كمكان عبادة للمسيحيين والتي بنيت سنة 1861م⁴، ووصف فيكتور بيرار كنيسة مدينة الجلفة والفضاء المحيط بها سنة 1866م بها: « كنيسة تحتوي على نافورة وحوض للشرب وقانات طولها 2 متر، الطرق مغروسة بالأشجار»⁵، وبالإضافة إلى دورها الديني فقد كانت هذه الكنيسة وقساوستها يقومون بدور تعليمي.

أما عن التعليم الفرنسي في منطقة الجلفة فقد قامت سلطات الاحتلال بالاهتمام بتعليم أبناء معمرها إذ أن كان مقر البلدية بالجلفة الذي أنشئ 1874 يحتوي على قسم يدرس به الذكور⁶.

ومع بداية القرن العشرين وبفضل قانون 1882 الذي كان يرغب أبناء ست سنوات من الأهالي على التسجيل في المدرسة الأوروبية، لكن ظل الإقبال عليها ضعيفا و برنامجها ضعيفا و معلموها غير جادين، بينما كانت حصص العربية تقتصر على حكايات جوذر

¹ لتفاصيل أكثر حول نشاطه أنظر ص: 367-377.

² لتفاصيل أكثر حول نشاطه، 393-396.

³ قسنطينة، السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 53، 15 ذي الحجة 1367 الموافق ل: 18 أكتوبر 1948م، ص: 7.

⁴ Francois De Villaret: **op .cit**, p: 125.

⁵ Victor Berard: **op. cit**, p: 293.

⁶ Francois De Villaret: **op .cit**, p: 128.

الصيداد¹ ... و يعرف بأن الأوروبيين كانت لهم مدارس خاصة بهم تختلف عن مدارس الأهالي، وتم بناء مدرسة للبنات سنة 1912² مقرها اليوم هو مديرية التربية القديمة بالجلفة.

ومن خلال وثيقة أرشيفية تعود لبداية القرن العشرين يمكن عرض جوانب من الوضع التعليمي بمنطقة الجلفة لسنة 1911³:

المدارس الفرنسية:

عدد التلاميذ	عدد الأقسام	نوع المدارس	أسماء المعلمين	أحياء القرى
الذكور	البنات			
17	64	2	مدرسة ابتدائية	السيدة موري مديرة والأنسة مودان نائب
				الجلفة

مدارس عربية: يشرف عليها حوالي 80 طالب(معلم) يعلمون الأهالي الشباب إما في القصور أو وسط الرحل مبادئ اللغة العربية لقراءة القرآن الكريم وكتابته.

¹ رايح تركي: التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ط: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

² Francois De Villaret: op .cit, p: 128.

³ A.N.O.M /AO83

3 - حركية الطرق الصوفية بالمنطقة أثناء الاحتلال:

كانت الطرق الصوفية وشيوخها ومردوها تتخوف منها السلطات الفرنسية، وهذا للتأثير الكبير لها في المجتمع الجزائري بما فيه سكنا منطقة الجلفة، لذا عملت السلطات على مراقبة مريديها، والحد من قيمة الزيارة.

3 - 1 الطريقة الرحمانية:

بنتبع الإحصاءات التي أحصت عدد مریدی الطريقة الرحمانية بمنطقة الجلفة يلاحظ أنها في تزايد مستمر، فقد بلغ عددها في الإحصاء الذي قدمه لويس رين سنة 1884م حوالي: 8333 مرید، و 22 مقدا¹، وازداد عددهم سنة 1910 ليصل حوالي 13000 مرید، و22 مقدا²، وهي نسبة تمثل خمس السكان من مجموع دائرة الجلفة.

هذا العدد الكبير لمريدي هذه الطريقة تعكسه الانتشار الواسع للزوايا الرحمانية بالمنطقة³، ومن المردین الذي كانوا لهم تأثير بمنطقة الجلفة وذلك سنة نذكر: مقدم زاوية دار الشيوخ المقدم سي عبد الرحمان بن سليمان وهو مرید قديم للشيخ المختار بن خليفة المتوفي سنة في: 16 أفريل 1909م عن عمر ناهز 85 سنة، وقبل وفاته عين ابنه الأكبر سي محمد بن سي عبد الرحمان لتولي مشيخة الزاوية، وسي عطية بين سي أحمد المدعو بيض القول من أولاد الغويني، والمقدم سي سعيد بن بلقاسم بن مشيه من أولاد الغويني، المقدم سي محمد بن أبو الأرباح من أولاد خناثة، والمقدم يوسف بن محمد من أولاد لعور، والمقدم سي أحد بن حمروش من أولاد يحي بن سالم، والمقدم سعيد بن أحمد بن طالب من أولاد بوعبد الله، والمقدم سي محمد البخيتي من أولاد أم هاني⁴.

التزايد المستمر لمريدي الطريقة الرحمانية بمنطقة الجلفة أربك قوات العدو، وهذا بناء على ما ورد في تقرير يعود لسنة 1910م ورد أن السلطات الفرنسية قامت بجولة من

¹ Louis Rinn: op .cit, p: 531

² A.N.O.M. /OA 83.

³ لتفاصيل أكثر عن هذه الزوايا أنظر: كتاب: علي نعام: مرجع سابق.

⁴ A.N.O.M./ OA 83.

الإجراءات من أجل الحد من هذا الانتشار الواسع لهذه الطريقة الذي قد يؤدي إلى تفكير معادي للسلطات الفرنسية، فراقبت مرديها؛ منعت تنقلاتهم إلا برخصة؛ حدث من قيمة الزيارة وخلص التقرير أن قيمة هذه الزيارة هي في تناقص مستمر¹.

لم تسلم الطرق الصوفية هي الأخرى من المراقبة والتضييق².

3 - 2 - الطريقة القادرية:

رغم أن وجود الطريقة القادرية بمنطقة الجلفة قديم قدم وجودها بالجزائر، إلا أنه أثناء الفترة الاستعمارية يكاد لا يكون لها ذكر عدا عدد قليل من المريدين، فقد جاء في إحصاء يعود لسنة 1884م أن عدد المريدي الطريقة القادرية بالجلفة بـ: 10 مريدين³، في حين أن تقرير 1910م⁴ أشار إلى أن عدد أتباع الطريقة القادرية أقل عددا مقارنة بأتباع الطرق الأخرى، كما كانت في تقلص مستمر⁵.

فمن خلال هذا العرض لأتباع الطريقة القادرية في المنطقة الذي هو في تناقص، فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على ندرة زوايا لها بالمنطقة، إذ ذكرت المراجع أنه وجدت زاوية واحدة تعرف بزاوية الشيخ التواتي القادري نسبة إلى مؤسسها الشيخ التواتي الصالحي الأعوري النابلي، القادري الطريقة، أسس زاويته سنة 1837م، توفي سنة 1873 ودفن بدمد⁶.

3 - 3 - الطريقة شاذلية:

أما عن عدد أتباع الطريقة الشاذلية فهي كذلك في تناقص مستمر عبر السنين، فالإحصاء الذي قدمه لوي رين الذي يعود إلى 1884م، ذكر أن أتباع الطريقة الشاذلية

¹ A.N.O.M./ OA 83.

² Ibid.

³ Louis Rinn: **op .cit**, p: 531

⁴ A.N.O.M./ OA 83.

⁵ Ibid.

⁶ علي النعاس: مرجع سابق، ص ص: 185، 186.

بمنطقة الجلفة قدر بحوالي 404 مريد ومقدم واحد¹، في حين تقرير يعود لسنة 1910م² أن عدد اتباع الطريقة الشاذلية لم يكن يتعد ما يقارب بعض المئات.

3 - 4 الطريقة التيجانية:

أتباع هذه الطريقة هي الأخرى عددهم لم يتجاوز بعض المئات مستمر ، فالإحصاء الذي قدمه لوي رين الذي يعود إلى 1884م، ذكر أن أتباع الطريقة التيجانية بمنطقة الجلفة قدر بحوالي 235 مريد و ثلاث مقدمين³، في حين تقرير يعود لسنة 1910م⁴ عدد اتباع الطريقة التيجانية لم يكن يتعد ما يقارب حوالي 300 مريد، فمن أعلام الطريقة التيجانية بمنطقة الجلفة، الشيخ صدارة سي محاد بن العيد (1862- 1949م)، أخذ ورد الطريقة التيجانية ولزمها رفقة مقدم الطريقة آنذاك الشيخ محاد بن الصيقع⁵، كما ورد في إحدى التقارير الفرنسية انشاء زوايا تيجانية بدائرة الجلفة وهي زاوية الشيخ الحاج المبارك سنة 1860م، وزاوية مسعد سنة 1860 إلا أنها تعرضت للغلق سنة 1867م وأعيد فتحها سنة 1870م⁶

3 - 5 الطريقة الطيبية:

ذكر لويس رين أن أتباع هذه بلغ تبعا لإحصاء 1884م 50 مريد ومقدمين⁷، وفي تقرير يعود إلى سنة 1908م أن عددهم صغير⁸.

¹ Louis Rinn: **op .cit**, p: 531

² A.N.O.M. OA 83.

³ Louis Rinn: **op .cit**, p: 531

⁴ A.N.O.M. OA 83

⁵ لمباركي بلحاج: الجلفة في أعلام وأقلام جنوب الولاية، ص: 82.

⁶ Tableaux des Zaoua ..op. cit.

⁷ Louis Rinn: **op .cit**, p: 531

⁸ A.N.O.M. /OA 83

3 - 5 الطريقة الدرقاوية:

قدر عدد أتباع الطريقة الدرقاوية سنة 1884 " لويس رين" بحولي 688 مريد، ومقدم،¹ في حين انحصر الدرقاويين وفق ما جاء به تقرير يعود لسنة 1910م إلى أقل من 400 اخوان و4 مقاديم موزعين على العروش التالية: أولاد أم هاني، العبايز، أولاد خناثة، أولاد بن علي، أولاد طعبة².

وعليه فإن الطريق الصوفية ومريدها كانت ترعب قوات العدو الفرنسي لأنها تدرك أن أمنها بالجزائر مرتبط بمراقبتها لتحركات رواد الطرق الصوفية.

¹ Louis Rinn: **op .cit**, p: 531.

² **A.N.O.M./ OA 83.**

الفصل الثاني

الحياة الثقافية في منطقة الجلفة

- 1 - مظاهر الحياة الثقافية في منطقة الجلفة ؛
- 2 - المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الثقافية في منطقة الجلفة.
- 3 - الحركة الثقافية في منطقة الجلفة من خلال الجمعيات والنوادي حفاظا على الهوية الوطنية أثناء الاحتلال الفرنسية؛
- 4 - مكتبة الجلفة.

في هذا الفصل سنتم محاولة لعرض جوانب من الحياة الثقافية لأبناء منطقة الجلفة.

1 – مظاهر الحياة الثقافية في منطقة الجلفة:

من المعلوم أن لكل منطقة تراثها وحضارتها التي تجسد من خلالها تاريخها وتصور تطلعاتها وآمالها، وتظهر تقاليدها وعاداتها ومختلف أطوار الحياة فيها وكذا معتقداتها، ومن دون شك فإن منطقة الجلفة قد عرفت مختلف الأنواع الشعبية نظرا لاختلاف الحضارات المتعاقبة عليها مما يدل على التنوع الثقافي وغنى الموروث الشعبي بالمنطقة، وفيما يلي سنتطرق إلى أهم المظاهر في الحياة الثقافية بمنطقة الجلفة.

1 – 1 الشعر الشعبي (الملحون):

من بين أهم عناصر الموروث الثقافي بمنطقة الجلفة هناك الشعر بأنواعه المختلفة لاسيما الشعر الشعبي، الذي ازدهر بعد بداية تشكل اللهجة المحلية، خاصة بعد وصول الهجرات العربية الهلالية والإدرسية التي كانت فتحة ثقافيا عربيا، إذ حفظت الذاكرة الشعبية فيه عدة أسماء لأبطال عرب خاصة ما نجده في القصص الشعبي التي تروى في المنطقة، وهو ما يدل على انتشار الأدب العربي في ذلك الزمن عبر أرجاء هذه المناطق خاصة الشعري منه، فالسيرة الهلالية قد عرفت مرحلة شعرية قبل أن تستقر في إطارها النثري القصصي¹.

ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، برز شعراء تناولوا مواضيع متعددة كان الدين أهمها، وذلك لانتشار زوايا ومدارس لتعليم القرآن التي كانت موجودة بالمناطق المجاورة للجلفة التي لعبت دورا كبيرا في الحفاظ على اللسان العربي لأهالي المنطقة، بحيث إن جل الشعراء الأدب الشعبي أخذوا مبادئ لغتهم العربية منها، بل إن الكثير منهم قد أخذ منها ثقافته الدينية وقناعاته².

¹ عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب، القاهرة، 1986، ص: 141

² عبد اللطيف تامر: البعد السرد في الشعر الشعبي عند أولاد نايل . دراسة في نموذج التكلم اللهجي، جامعة وهران، منشورة عبر الموقع الإلكتروني:

<https://www.facebook.com/TrathWlaytAljlf/posts/386167331489554/>

كما كان للبيئة بنوعيتها الاجتماعية والطبيعية تأثيرا واضحا في الشعر النابلي، ذلك أن لغة الشعر الملحون النابلي في عمومها هي لغة المجتمع الذي توجد فيه، والتي يفهمها ويتفاعل معها، هذا مع ما تحمله هذه الظاهرة من قيم فكرية واجتماعية، كما تظهر أيضا عناصر الحياة البدوية التي عاشتها أغلب قبائل المنطقة إلى عهود قريبة في الشعر الملحون بناحيها المادية والمعنوية، ففي تلك النصوص مثلا ذكر للخيل والأنعام التي تربي في المنطقة، ومن أمثلة ذلك قول الشاعر "يحي بختي"¹:

قدام البيوت خيل اتدعمهم شامية من صيل ما فيهم تعيار

كل اخر لحصان للصيد اعلم ولاع بيه موابدو في كل نهار

وقوله : الغنم ثم الإبل فلاحتهم ... النجع إذا طل يبرى من الأضرار

وفي هذا الإطار نجد أن في المنطقة الاحتفاء بالقبيلة كظاهرة من بين ظواهر الحياة الاجتماعية البدوية مما جعل كثيرا من الشعراء يصرون على ذكر أسماء قبائلهم في أواخر قصائدهم. فبعد أن يذكر الشاعر اسمه وتاريخ القصيدة يثني على قبيلته التي ينتمي إليها، أو يكتفي بمجرد الذكر كما أنشد الشاعر "بن عيسى الهدار":

ألف وتسعميا ختمت الرسالة ... سبعة والستين تورخت باسطار

مول الكلمة من أولاد عبيد الله واسمو بن عيسى وباباه الهدار

يسكن في الجلفة وناسو رحالة شريف من أولاد نايل جاب أشعار

ومن الظواهر الفنية التي تدل على تأثير البيئة الطبيعية في الشعر الملحون بمنطقة أولاد نايل ظاهرة الألفاظ، ففي غالبية القصائد نجد المعجم اللغوي الخاص بالبيئة الطبيعية النابلية ظاهرة، فالألفاظ الصحراء والصحراء والحمدان بمعنى: الحرارة، وكذلك الأغنام والغزال والخيل والنعمان والرحالة والجمال... الخ وهي الألفاظ التي تتوارد بشكل دائم في قصائد الشعراء الشعبيين، وخاصة قصائد الوصف².

¹ عبد اللطيف تامر: مرجع سابق.

² نفسه.

ولقد كانت للأشعار النابلية العديد من الخصائص و الميزات تميزها عن باقي الأشعار، ومن أهم الخصائص في هذا الصدد¹:

- 1- المزج بين عديد من المواضيع في القصيدة الواحدة فمثلا نجد في قصيدة واحدة الجمع بين الرثاء، النصح، الافتخار...
 - 2- التشبع بالثقافة الإسلامية كميزة لهذه الأشعار باعتبار أن جل شعراء الشعر الشعبي يستقون ثقافتهم وأفكارهم من القرآن الكريم.
 - 3- الإلحاح على الوعظ و التذكير، خصوصا الذين ضعفت أنفسهم وغرتهم الحياة بمفاتتها.
 - 4- الإكثار من الأساليب الإنشائية كالأمر والنهي، لأنهما الأصلح لمقام النصح والإرشاد.
 - 5- اختلاف المطالع والخواتيم في الشعر النابلي عن الشعر العمودي الفصيح مثل:
 - الصلاة على النبي (صل الله عليه وسلم).
 - التذكير بالاسم والعرش.
 - الختام بطريقة النظم وعدد الأبيات وحتى سنة نظم القصيدة.
 - 6- استعمال ألفاظ قديمة تكاد تندثر ولا نجد لها اليوم استعمالاً بين الناس إلا على السنة الكبار الذين يقطنون البوادي منها.
 - 7- استعمال الشعراء للأمثال والحكم الشائعة من بينها: "سال على رابح صباطو في اليد وكراعو حفيان"
- كما أن للشعر الشعبي النابلي أيضا أغراض عدة منها: المدح، الرثاء، الهجاء، الوصف، الغزل، الفخر.. برزت من خلال أشعار أهم الشعراء في المنطقة .
- وقد اشتهر بالمنطقة فطاحل من الشعراء نذكر منهم : أحمد بلعكف، شليقم، بن بادر، القيصر، حماد بن عمر، طيب بلقاسم، لمباركي بلحاج، حميدة بولرياح، مريزق محمد، بلخير المحفوظ، بزيز بن بادر... وغيرهم كثير.

¹ عبد اللطيف تامر: مرجع سابق.

عموما يمكن القول أن الشعر الشعبي النايلي ذو الطابع الخاص هو من أهم معالم الحياة الثقافية بمنطقة الجلفة.

1 – 2 اللباس والحلي النايلي:

تتميز منطقة الجلفة أيضا بطابع خاص في لباس وحلي أهلها، سواء للرجل أو المرأة، وسنحاول هنا في هذا العنصر إبراز أهم خصائص هذا اللباس وأنواعه ومسمياته:

أ/ لباس الرجل: لم يختلف لباس أبناء منطقة الجلفة عن أبناء مجتمعه الجزائري مع بعض الخصوصيات التي تميزه عن غيره هذه الخصوصيات فرضتها البيئة والنشاط الاقتصادي لأبناء المنطقة، فقد كان الرجل الجلفاوي يلبس على الطريقة البدوية (البرنوس، القشابية، القندورة، سروال عربي،...) هذه الملابس تسمح لهم بممارسة أعمالهم بكل أريحية؛ كما يضعون عمامة فوق الرأس بيضاء اللون يلفونها بعض اللفات لتقيهم حر الشمس وتطير الرمال في الصيف، ولسعات البرد في الشتاء؛ أو حتى بعض ضربات العصي المفاجئة، كما كان رجل منطقة الجلفة يرتدي حذاء جلدي خاص به منتج محليا يعرف بحذاء الطعبي، تحميهم من الحصى الحادة، والأشواك ولسعات الزواحف؛

فالبرنوس لباس لفت إليه الرحالة والكتاب الفرنسيين عندما وفدوا إلى المنطقة في بداية الاحتلال الفرنسي¹، يصنع البرنوس من الوبر الخالص؛ أو من الوبر والصوف مناصفة؛ أو من الصوف الخالص، حسب قدرة من يلبسه، أما البرنوس الأبيض وهو ملازم للبرنوس البني فلا يكاد يفارقه إلا في حالة الجو المعتدل فقد يلبس وحده لخفته، وغالبا ما يلازمه ملازمة الظل لصاحبه، وهو أقل تكلفة منه وأرخص ثمنا، ويصنع من الصوف فقط لأن لونه أبيض خالصا.

أما **القشابية** وهي اللباس المفضل لدى أغلب سكان المنطقة منذ زمن، وهي شبيهة بالبرنوس إلا أنها مغلقة محيطة بلباسها، وذات كمين طويلين، تصنع من الوبر الخالص أو من الصوف والوبر مناصفة، أو من الصوف الخالص حسب مقدرة صاحبها المادية، و الثابت أن كلا من

¹ Arnaud: " Exploration du Djebel Boukahil ..", IN: R.A, V: 07, op .cit..., p: 343,

Eugène Fromentin: op. cit, pp: 58-60

البرنوس والقشابية هي: صنع محلي، تصنعها المرأة النيلية، العمامة أو اللحفاية وهي عبارة عن قطعة من القماش الأبيض يلفه الرجل على رأسه.

ب/ لباس المرأة وأدوات زينتها:

يرتبط الزي النيلي للمرأة بالثقافة النيلية، حيث يتألف الزيّ النيلي النسوي في شكله من: الروبة (فستان بالفرنسية تم تعريبها)؛ الملحفة؛ الطاسة؛ الخمري؛ الزمالة؛ و العبروق؛ والبثرور، وهي قطع أساسية التي يتكون منها الزيّ النائي النسوي في شكلها الموروث، بحيث ترتدي المرأة الروبة (الفستان) التي تخاط باستخدام تميمقات خاصة، وفوق الروبة ترتدي المرأة "الملحفة" التي توضع على الظهر وتحكم في طرفي الكتفين من الأمام، ولا تكون بنفس الطول مع الروبة بل هي قطعة قصيرة حتى تظهر كل القطع بانسجام.

أما "الطاسة" فهي عبارة عن قبة مصنوعة من الصوف الغليظ، وتحاك في الوسط بخيط ذهبي، وفوق الطاسة والروبة يأتي دور "الخمري" الذي ينسج من خيوط الصوف الرفيعة، وهو عبارة عن قطعة سوداء اللون تكون على شكل مربع مطرز في حاشيته بألوان زاهية، ترتديه المرأة من أعلى الرأس إلى أخمص القدمين، وفوق الخمري تضع الزمالة البيضاء اللون ذات الحاشية السوداء، وهي شبيهة كثيرا بالخمري في تفصيلها، لكن قماشها غالبا ما يكون شفافا، ويتم إحكام كل من الخمري والزمالة جيدا من أعلى الرأس بما يسمى بـ"العبروق"، وهو عبارة عن قطعة قماش طويلة غالبا ما تكون بيضاء وتقوم المرأة بلفها كعصاة، ويزيد من جمال الزيّ أن المرأة تستعين بما يسمى بـ: "البثرور" وهو حزام يصنع من خيوط الصوف الغليظة والمختلفة الألوان، يتوسط خصر المرأة وتتحزم به كي يضبط الشكل النهائي للزيّ.

وبشكل عام، يغلب على الزيّ النيلي اللون الأبيض الذي ترمز دلالتة إلى النقاء والطهارة والعفة، ويمكن أن تستعين المرأة فيه بألوان عديدة أخرى، فهو في شكله النهائي يعتبر من الأزياء التقليدية الذي يتميز به أولاد نايل ويشكل تنوعا ثقافيا تتميز به الجزائر، وذو قيمة جمالية وحضارية.

كما اهتمت المرأة الجلفاوية أيضا بزینتها، فلبسن من الحلي¹:

الْخَلْخَال: عبارة عن قطعة للزينة من الفضة توضع في الرجل للترزين؛

السَّخَّاب: وهو عبارة عن حبات من الطيب والعطر المجفف تجعل على شكل عقد دائري، يدل على من الرقبة، له رائحة فواحة ومميزة ومعروفة؛

المنديل: ويشبه الخمار الذي يوضع على الرأس اليوم، إلا أن لونه كان أحمر وحجمه كبير، ذا خيوط متدلّية مزركشة له على طرفيه؛

الْمَدَوْر: وهو شكل دائري معدنه من الفضة أو الذهب مزركش يستعمل مع الحولي على جهة الصدر، ماسكا طرفيه موصلا بينهما، كان يستعمل من طرف الكهلات و العجائز، ومزال مستعملا إلى اليوم؛

الحدايد: وهو شكل دائري يوضع على اليدين، معدنها من الفضة أو الذهب، وعادة ما يكون العدد زوجيا في كل يد ومزال مستعملا؛

المِقْوَأَس: وهو شبيه بالحدايد، ولكنه أغلظ منها وأغلى، معدنه من الفضة أو الذهب؛
المنقاش: شكله غالبا ما يكون دائري يوضع على الصدر؛

المَحْزُومَة: وهي معروفة كمحزمة إلى اليوم تصنع من الفضية أو الذهب مزركشة، تضعها المرأة فوق الفستان عادة، وما تزال تستعمل وقد يعوضها البثور؛

الخُمْسَة: وهي على شكل اليد (خمس أصابع).

أما عن أدوات زينتها فتمثلت أساسا في:

المراية: عبارة عن مرآة صغيرة مغلقة مغلقة بجلد أحمر، تعلق على الصدر؛

المشط: عبارة عن مستطيل ذو أسنان يحفظ في صندوق المرأة الخاص؛

السواك: وهو عود كريم طيب، يمضغ ليزيل رائحة الفم؛

¹ لقاء للباحثة مع نساء وشيوخ من المنطقة على فترات زمنية مختلفة، ملاحظة: لازال الكثير من هذه الألبسة والحذاء وأدوات الزينة تستعمل إلى اليوم.

العطر: وغالبا ما يكون العنبر والسخاب؛

الدهون: وهو ما يدهن به الشعر ويكون عبارة عن زيوت للتجميل؛

المِرْوَد: وهو عود صغير يصنع من خشب العرعار يستعمل لكحل العين؛

الجَعْفَة: وهي القارورة التي يوضع فيها الكحل وتصنع من القصب.

أما عن أشهر تسريحة كانت تسرح بها شعرها كانت الضَّفِيرَة: وهي خصلات من الشعر المضفورة، تتدل إلى أسفل الرأس وعادة ما تكون على الجانبين، مدعمة بخيوط تطويلا لها.

1 - 3 الفروسية والصيد؛

اشتهر أبناء منطقة الجلفة باهتمامهم بالخيول وتربيتها، فكانوا لا يستخدمونها إلا للركوب، ووصفها الأمير عبد القادر بأنها الأكثر تحملا للعطش والجوع والتعب والأسرع في السباقات والأكثر صبرا على العدو دون انقطاع¹، ومن أشهر الخيول التي امتلكتها قبائل المنطقة فحل شهير يسمى "الأبيض" الذي كان يملكه بطن أولاد سي أحمد وهو معروف بسرعته وقدرته على التحمل².

كما اشتهروا بألعاب الخيل، هذه الألعاب التي تنوعت بين: الفنطازيا³ (ألعاب البارود على صهوة الخيل)؛ والسباقات؛ والفروسية؛ والصيد⁴، فالصيد كان هواية مارسها سكان هذه الرقعة الجزائرية، كالصيد بالبارود (أو بالنار) والصيد بالسوقي⁵، والصيد بالباز⁶ وغيرها،

¹ Eugène Daumas: **op. cit**, p: 35.

² Ibid, pp: 30, 31.

³ وهي عبارة عن تجمع عدد من الفرسان وينطلقون جريا إلى نقطة معينة، ثم يأتون مجتمعين وقد يطلقون عيارات نارية لدى قرب النهاية.

⁴ هاينريش فون مالتسان: **مصدر سابق**، ص: 186-190.

⁵ نوع من أنواع الكلاب مختص بالصيد.

⁶ وتعني استخدام الصقر لصيد الحبارة وهو ثلاثة أنواع هي: الحر، الشاهين، والباشق، وتوضع فوق قفاز أسود الذي يرتديه الصياد، أنظر: هاينريش فون مالتسان: **مصدر سابق**، ص: 190.

وهذا بحكم أن المنطقة كانت تعج بأنواع من الطرائد البرية من نعام و غزلان بأنواعها وأرانب و الحبار و الحجل...¹

1- 4 الأعراس والأفراح :

للعلاقات الاجتماعية بمنطقة الجلفة طقوسها وتقاليدها، خاصة الأعراس والمناسبات الخاصة ك: الختان مثلا أو ما يعرف محليا بـ"الطهارة".

أ- الختان (الطهارة)² : يقام عرس الختان بحضور النساء والرجال عند القيام بهذه العملية من قبل الختان، وبما أنه لم يكن لدى الختان وسائل للتخدير فإن الكل يشارك في عملية تخدير الطفل بما يطرحونه في حجره من دراهم، في حين أن الختان يكون قد أنهى عملية الختان ليبدأ الصغير في الصراخ والنساء بالزغاريد وذوي البنادق بإطلاق البارود، وتستمر العملية متبوعة بعد ذلك بغناء النسوة في البيوت مع الرقص؛ في حين أن الرجال يستمعون إلى عزف ودقات الطبول، وتستمر السهرات الليلية حتى الصباح

ب/الزواج : كانت الأعراس بالمنطقة تعتبر حدثا هاما في حياة السكان، وكان الناس يولونها من العناية الكبيرة ما يجعل الكل مبهتجا بما توفره لهم من أفراح، سواء بما يسمعه الناس من دقات الطبول ومزامير العازفين على الناي أو المنافسات الرياضية الخاصة بالفروسية والمصارعة أو مقارعة الشعراء، ثم يجتمع الناس حول قصعة الطعام وتوزع قطع اللحم إن توفرت للجميع أو على الأقل فهي للخاصة والوجهاء من أهل القرية مثل شيخ الجامع وكبار الدوار أو الضيوف.

والمعارف عليه بالمنطقة هو أن تلك الزيجات عادة ما كانت تتم بين أفراد العائلة أولا والأقارب أو داخل نطاق القبيلة أو العرش.³

¹ نفسه، ص: 188 – 190.

Arnaud: " Exploration du Djebel Boukahil.. ", IN: R. A, Vol: 07, op .cit, pp:44, 45.

² محمد بجاوي: دراسة مونوغرافية لمنطقة باليسترو " الأخضرية " 1869-1962م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر - 2، 2011/2012، (غير منشورة)، ص: 238.

³ نفسه، ص: 239.

وأفراح الأعراس في المنطقة كانت تقام في الساحة خارج البيوت بين الرجال إذ تقوم الفرق الموسيقية بالضرب على الدف والنفخ على المزمارة (الزرنبة)، حيث يبدأ الشباب وحتى بعض المسنين من الرجال بالرقص على النغمات الموسيقية، وللنساء أيضا في الأعراس طقوس خاصة، حيث يحتفلن داخل البيوت بالزغاريد والأغاني التي ترددها المدعوات، تحت نغمات التصفيق بالأكف والضرب على الطبل أو الدربوكة أو حتى الضرب على أي وعاء معدني خفيف، ومن كلمات الأغاني المتداولة في الأعراس ما يلي: "أريج ابرح يا راج قال الفال أباركة عقبتها على البحيرة وعجبنا نوارها"، وأيضا "هاتو كحل العين وهاتو سالفها خويا شاب صغير العين باش يولفها".. وغيرها من الأغاني، وخلال أداء الأغنية تدخل الفتيات والنساء حلبة الرقص، خاصة ما يسمى بالرقص السعداوي الذي تتميز به المنطقة، أو "الحضرة"¹.

1 - 5 السهرات العائلية (الحكايات الشعبية والألغاز):

نظرا لطبيعة الحياة الريفية والتعب الذي ينال من الرجال والنساء الذين يقضون معظم يومهم في عمل مضني دائم بسبب صعوبة الحياة ومتطلبات العيش التي تستوجب إحضار الماء من العيون أو السواقي وجمع الحطب من الغابة لإعداد الطعام على المواعيد التقليدية (الكانون)؛ حيث يقوم رب العائلة أو الجدة بسرد حكاية شعبية، نذكر منها مثلا:

- قصة عيشة بنت قويدر وخطيبها قويدر بن مقلوث و زوجة أبيه مسعودة، حيث كانت تريد تزوجيه من أختها، و كان هو يريد الزواج من عيشة، هذه الأخيرة سحرتها زوجة أبيه فمرضت، و رحل أهله بعيدا عن أهلها، فمرض هو ومات كمدا، و لما سمعت خطيبته عيشة بوفاته ماتت من يومها كمدا كذلك، و لما حُمل ليُدفن انشق قبرها - و كانت قد دفنت قبله بقليل - ، فدفنا معا في قبر واحد، و قد أكد كثير من القصّاص صحة هذه الرواية، و أنها كانت بعين الإبل.

- قصة بقرة ليتامه (بقرة الأيتام).

¹مقابلة الباحثة مع السيدة فاطنة بوزيدي بمقر سكنها بحي العرقوب حاسي بجبج ولاية الجلفة، بتاريخ 24 أكتوبر 2017 على الساعة الثانية زوالا.

كما تتميز السهرات العائلية بطرح ألغاز وأحاجي للتنافس بين الحاضرين في السهرة، ومن بين الألغاز المتداولة في المنطقة نذكر ما يلي:

- هو قاعد ومترع وناس تزور فيه ما يلقا ما يتلكم والحق يعطيه، حل هذا اللغز هو الميزان. إذ تم تشبيه الميزان بالإنسان الذي يجلس ويثني رجله وبه يزن الأشياء دون أن يصدر صوتا.

- ثلاثة وقوف والرابع يخبط ويشوف، وهنا يقصد الحمامة (وهي عبارة عن ثلاثة أعمدة تربط مع بعضها بالأعلى) تعلق بها الشكوة، أما الرابع فهو الذي يمخضها ومن حين لآخر يفتح الشكوة وينظر هل جهز اللبن أو لا.

1 _ 6 الأمثال والحكم:

من بين أهم مظاهر الحياة الثقافية في منطقة الجلفة، هي تلك الحكم والأمثال الشعبية التي كانت تدرج في إطار ما يعيشه المواطن يوميا من خلال التعبير عما ينفعه في هذه الحياة بما يجده في بيئته الريفية، وهي أيضا تعكس عادات وتقاليد أي مجتمع من حيث توجهه وتفكيره ومستوى معيشتة، ونوعها ومدى تلاحم وتماسك أفرادها أو تباعدهم، ومن الأمثال والحكم الشعبية المشهورة بالمنطقة نذكر¹:

الراجل إذا قعد في الدار يهرد الكسا أو يطلق النسا: هو مثل يضرب على الزوج الذي يجلس بالمنزل طوال الوقت لا يعمل ولا يسعى لكسب رزقه، تجده في البيت يكثر الشجار مع الزوجة إلى أن تصل الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

اللي كلا علاليش الناس يسمن علاليشو: والمقصود من هذا المثل أن الانسان الذي يحل ضيفا على الآخرين يجب أن يستعد هو أيضا لاستقبالهم.

مكتوب حد ما ينحو حد: ويقصد منه أن الانسان مكتوبه محدد من عند الله ولا يستطيع أي حد انتزاعه منه ولو اجتمع الانس والجن.

¹ مقابلة الباحثة مع السيدة فاطنة بوزيدي، مرجع سابق.

ككان حي شاهي دقة وكلمات علقولوا عرجون: ويعني هذا أن الانسان عندما كان حيا يحتاج إلى من يساعده ويقف بجانبه لكنه لم يجد ، وعندما مات اصبح الكل يبكيه ويتحسر على فراقه.

مشيت أما وخالتي ما لقيت أحسن من قرارتي: ومعناها أن الإنسان مهما أعطاهما الآخر حتى ولو كان أقرب الناس إليك، يجب أن يعتمد على نفسه.

سول يا قلبي على من سال عليك، ولي ما سال عليك ماردنا سوالوا: وتعني أن الانسان يبحث عن الانسان الذي يريده ويحبه، ومن لا يبحث عنه ويريده لا يبحث حتى هو عنه.

ما يعجبك نوار الدفلة في الود داير ظلايل، وما يغويك زين الطفلة حتى تشوف الخصايل: حمل هذا القول حكمة أزلية تؤكد أن الحياة تبنى على الأسس التي لا تتصدع، وذلك أن جمال الفتاة قد يدفع كل شاب إلى الارتباط بها، بالضبط مثلما ينهر الناس بنوار شجرة الدفلة الذي يعجب كل من يراه، لكن عندما يقترب منه الشخص يجده مرا زعافا وقد يكون ساما قاتلا، فهو تشبيه بليغ استمد منه المبدع الشعبي من البيئة التي يعيشها الفرد ويعرفها معرفة كاملة وهو بهذا قد يتعظ، فلا يرمي بنفسه إلى التهلكة، حتى من أخلاق وتربية ومناقب شريك المستقبل، والمرأة في منظور الناس في ذلك الوقت عليها يتوقف شقاء العائلة أو سعادتها، ولذلك قال بنبرة¹.

1_7 الألعاب الشعبية:

عرفت منطقة الجلفة ألوانا عديدة من الألعاب التي كانت بمثابة المتنفس للأهالي، حيث لم تكن وسائل الترفيه والتسلية موجودة، والملاحظ أن أغلب هذه الألعاب تجري جلها ولاعبها جالس (متربع) (جلسة تربية) ، إلا السباق والغميضة وعصية سرات والبتة و من بين ما اشتهرت به من ألعاب :

السيق: و هي لعبة شعبية وربما اشتق اسمها من قطع القصب المصنوعة منها والتي يمرر عليها السكين لترطيبها فيسمى ذلك التمرير تسييقا بالعامية وهي تحريف لكلمة

¹ بجاوي محمد الصالح: الأمثال والحكم الشعبية الجزائرية - دراسة تحليلية بأسلوب قصصي وحكم وأحادي ولايات الوسط -، مخطوط بحوزة الباحثة.

تزييف التي هي من طبيعة كلام العرب تحريفهم للكلمة، ويعتمد فيها على قطع من القصب متساوية الطول و العرض مصبوغة من جهة ، ويتقابل فيها اثنان أو أربع اثنين اثنين ، والفائز من كثرت أسياقه وستاته غالباً وتقيّم العملية بحفر أو بخطوط توضع فيها أحجار لجهة ، ونواة (علف) التمر أو حجر مغاير للخصم و الخاسر منهما من نفذت أو قلّت حجراته أو علفاته بتنازعهما تبعاً لنظام اللعبة.

الخريفة: وهي حفر أو مربعات فيها نوعين من الحجر أو الحجر و العلف تميزا لقطع اللاعبين لها، وتحول الحجرات والعلفات من جهة إلى جهة حسب اتجاهات معروفة ونظام و ضوابط معروفة، والخاسر فيها من نفذت أو قلّت حجراته أو علفاته وربما تكون مشتقة من تقاطع حفرها أو مربعاتها، وتعقيدها فسميت بذلك أو اشتقت من خربث لغة عامية وتعني قعر نسبة إلى حفرها.

الزليحة: وهي لعبة شبيهة بالخريفة، إلا أنها على شكل خطوط متقاطعة والفائز فيها من جاءت حجراته أو علفاته على مستوى واحد عموديا أو أفقيا (و لا تكون محاطة بخط مغلق) ، وربما اشتقت من الفعل (زلج) ومعناه بالعامية راوغ وخادع وماكر ، لأن كل من اللاعبين يراوغ ويخادع ويمكر خصمه ليغلبه.

السباق: وهو شبيه بسباق الخيل حيث ينطلق شخصان أو أكثر من خط واحد محددين خط الوصول، ومن وصله الأول هو الفائز ، وعادة ما يكون مراهنة بدفع المهزوم مبلغاً أو طعاماً لمن حضر العملية و الفائز ، ومنه كذلك سباق الخيل تماماً.

الفلج: و هي لعبة شعبية عادة ما تكون بين اثنين فقط بخطوط متقاطعة (4 خطوط) ، و تحاط بخط مغلق و قد تكون على شكل مربع أو مستطيل و يضع كل طرف أحجاره أو أشياءه على استقامة واحدة و تكون ثلاثاً تحرك في كل الاتجاهات، و من تتابعت حجراته أو أشياءه على خط واحد في أي اتجاه فهو الفائز وربما اشتقت من الفعل (فلج) ومعناها بالفصحى: شق وقسم لتقاسم طرفيها بين الخصمين (أي طريقة اللعبة).

لعبة الغميضه: و هي لعبة كانت و مازالت لدى الصغار، وتتم بتغميض عيني واحد أو واحدة، ويتجمع حوله الآخرون ومن أمسكه هو المغلوب، واشتقت من الفعل (أغمض)

عصية سرات: و تتم برمي عصاً ليلاً ومن وجدها هو الفائز ، ولا تكون في ليلة مقمرة واشتقت من الإسراء ليلاً.

البتة: هي لعبة شعبية تتم برفع شخصان شخصاً آخر أحدهما من يديه وأحدهما من رجليه ويسقطانه أرضاً على ظهره ، على فراش من الرمل واشتقت من البت وهو الفصل وربما من البطة المحرفة إلى البتة لطبيعة كلام العرب كما ذكرنا.

لُقريتة: هي لعبة شعبية شائعة بين الأطفال و تتم بإحضار خمس حجرات صغيرة ، ترمى إحداها إلى أعلى و تطرح الأربع حجرات الأخرى على الأرض، و يتم التقاطها واحدة واحدة، ثم اثنتين اثنتين، ثم ثلاثاً، ثم الأربع معا عبر على مراحل، والذي لا ينجح في العملية هو الخاسر وربما اشتقت من القرت وهو الحجر عامية ويسمى تحريفا الكرد والكلمتان مستعملتان معا (الكرد ، القرت)

التلومة: وهي ما يسمى اليوم بكرة القدم ، إلا أن الكرة كانت تعوض بحزمة قماش تلف على شكل كرة، وتكور ويلعب بها إلى أن ظهرت كرة القدم، وكانت تلعب بنفس طريقة اليوم ، إلا أنها بطريقة فوضوية دون ضوابط وقواعد. و غيرها من الألعاب التي اشتهرت بها المنطقة .

1 – 8 وسائل الطرب:

تعددت وسائل الطرب في منطقة الجلفة التي يشتهر أهلها بتذوق الفن الأصيل، و من بين أهم الآلات الموسيقية والطربية التي يتم العزف عليها نذكر¹:

¹ علي بن عبد العزيز عدلاوي: الأمثال الشعبية – ضوابط وأصول – ، دار الأوراسية، ط: 1، الجزائر ، 2010 ، ص ص: 35 – 38.

القصبة: و تستعمل خاصة في الولائم والمناسبات، كالأعراس والحفلات، كما أنها رفيقة الرعاة و البدويين بصفة عامة، يرفهون بها عن أنفسهم،

البندير: وهو لا يكاد ينفصل عن القصبة .

القايطه: في الأصل هي بحرف الغين، و لكن أهل الجلفة ينطقون الغين قافا، وهي تشبه القصبة، لكنها تختلف عنها في بعض التفاصيل.

1 – 9 الرقص الشعبي :

وهو كثير الأنواع و الطبع، منه¹

- الدّارة: وذلك بأن يصطف الرجال وأمامهم قائدهم، و يلبسون لباسا موحدا و يحملون بنادق أو عصيا، يقابلهم عازف القصبة أو القايطه و ضارب البندير، و يدورون عدة دورات، ثم يطلقون البارود، و من الدوران اشتق اسم الدارة، و أشهر عرش يستعملها هم أولاد عبيد الله.

- السعداوي: و هو رقص عادي، و عادة ما يكون بين اثنين (رجلان أو رجل و امرأة من محارمه) على نغمات الناي وضربات الدف).

¹ علي بن عبد العزيز عدلاوي: مرجع سابق، ص ص: 35-38.

2 – المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الثقافية لمنطقة الجلفة:

لم تعتمد فرنسا من أجل الاستلاء على أرض الجزائر و إخضاع أهلها على قوة السلاح فقط، بل انتهجت سياسات كثيرة مسّت كل مجالات الحياة، ومنها المجال الثقافي، وهي سياسات كانت أشد فتكا من السلاح، وذلك لأن آثارها ما تزال إلى اليوم.

وفي ما يلي سنحاول عرض بعض من هذه السياسات التي مسّت منطقة الدراسة:

استغلال البحث العلمي المزيف لتحريف أصل وتاريخ منطقة الجلفة بهدف شرعنة الوجود الاستعماري بالجزائر:

كان هدف جيش الاحتلال الفرنسي هو تحويل الجزائر إلى مقاطعة فرنسية بكل مكوناتها ومجالاتها الحياتية أرضا وشعبا، لهذا كان الاستعمار له بعدين: غزو عسكري و غزو فكري ثقافي بهدف إخضاع الأرض والشعب، وكل مجال يخدم الثاني، فكانت الثقافة مستخدمة لأغراض استراتيجية، أي مساعدة الغزو و شرعنته عن طريق دراسة الماضي بطرق مزورة بهدف تحريفه، ومحاولة إضعاف العدو بالتفجير الداخلي لبناء التقليدية، وإحلال فرنسا بالجزائر، أي لغتها وحضارتها وقيمها ومعاييرها الثقافية، و بشكل أشد مكرا سيحاول المحتل توظيف الثقافة لتجذير (فكرة فرنسا) بالأذهان.

ومن أجل شرعنة الوجود الاستعماري تاريخيا، عملت السلطات العسكرية الفرنسية على تشجيع الباحثين بالبحث في الموروث الجزائري، باستغلال الموروث الروماني، مع التركيز على المجالات التي تخدم مصالح السلطات العمومية الفرنسية بشرط عدم معارضتها إيديولوجيا¹.

وعلى هذا الأساس أراد الفرنسيون اثبات أن أفريقيا لاتينية ١٩٩، باستغلال عملية تحديث الآثار المادية للحضور الروماني وحضارته الذي سخرت له كافة التسهيلات المادية والمعنوية في محاولة منهم إبراز المستوى الرفيع للتطور الذي بلغه الرومان، - في حين أغفلت البحوث التي تهتم بالفترة الإسلامية بالجزائر لتضي على العرب المسلمين صفة الجهل والتخريب ١٩٩- في

¹ كميل ريسلير: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830 - 1962) (تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي)، تر وت: نذير طيار، ط: 1، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 2016، ص: 66

محاولة منهم لإقناع الأهالي بشرعية الوجود الفرنسي بالجزائر، وذلك عن طريق ربط الماضي اللاتيني المُشرق (على حد تعبيرهم) ثقافيا بفرنسا، وفي هذا الصدد قال الجنرال فور ببيقي Faure- Biguet: « نلتقي برجال من العرب يروننا نقرأ الحروف الرومانية كما نقرأ حروف لغتنا، وهم مقتنعين أن النصب التذكارية التي تفك حروفها المنقوشة هي من إبداعنا نحن أنفسنا، هم يرون أننا بمجيئنا إلى أفريقيا، نقوم باستعادة ثروتنا فحسب أي استعادة بلد طردنا منها أسلافهم »¹.

ففي بداية الاحتلال أدرك الجيش الفرنسي الأهمية الاستراتيجية والسياسية الممكن استغلالها من الثقافة، وكان الماريشال سولت **Soult** (وزير الحرب) هو الذي أخذ زمام المبادرة، واقترح على علماء أكاديمية النقوش والآداب الجميلة الانطلاق في أحد المشاريع الفكرية الكبرى، التي لم تعرفها فرنسا أبدا، وهو الاستكشاف العلمي للجزائر الذي يمكن من تشكيل علم كامل عن الجزائر، تحت الإدارة المباشرة للسلطات، وعليه ولدت سنة 1837 لجنة مكلفة " بالبحث في الجزائر عن ما يمكن أن يهتم الآداب والفنون وتجميعه"، فهذا الاستكشاف العلمي بالجزائر كعمل ثقافي ضخم يدخل في إطار الاستراتيجية العسكرية ومن ثم السياسية لتحقيق مصالحها².

ومن هذا المنطلق فقد عملت السلطات الفرنسية كل ما بوسعها أيضا من أجل دعم جمعيات الآثار والجمعيات العلمية، وما تفعله هذه الأخيرة من تعميق المعارف الأثرية والتاريخية المتعلقة بإفريقيا الرومانية والآمال التي عقدت عليها من أجل إحياء أمجاد أجدادهم الماضية في زعمهم، ونشرت هذه الأعمال في المجلات والكتيبات، وقد لعبت المجلة الافريقية (REVUE AFRICAINE) الدور الرئيسي لنشاط هذه الجمعية التاريخية، وقد تضمنت هذه المجلة العديد من المقالات التي تناولت مجال البحث هذا، فقد صدر في عددها الأول سنة 1856 مقال لرييو أشار فيه إلى الآثار الرومانية بمنطقة الدراسة ستكون منطلق أبحاث أخرى³.

¹ كميل ريسليير: مرجع سابق، ص: 61

² نفسه، ص ص: 55، 56.

³ Reboud: **op. cit.**, pp: 26, 27

و في إطار الحفاظ على الموروث الذي سلب منهم !! من طرف العرب المسلمين؟؟ الذين لم يتركوا آثارا مرئية عند وجودهم بالجزائر!!،. طبعا حسب زعمهم وإثباتا لروايتهم . على عكس الرومان الذين خلفوا آثارا عكسته النصب التاريخية هذه النصب التي أصبحت مرجعا ثقافيا تاريخيا، ورمزا حاسما في إثبات الشرعية الفرنسية لوجودها بالجزائر!¹، وعلى هذا الأساس فقدتم إحصاء العديد من هذه النصب الرومانية بالجزائر، والذي يهمننا هنا تماشيا وسياق البحث هو النصب الرومانية التي وجدت بمنطقة الجلفة، ومنها الحصن العسكري كاستيليوم ديميدي الذي أدى بعالم الآثار جيلبار شارل بيكار (Gilbert Charles Picard) إلى تأليف كتاب حوله وهو: الحصن العسكري كاستيليوم ديميدي²، وفي ما يلي ملخص عن ما جاء في هذا الكتاب عن الحصن، لكي ندرك الأهمية الكبيرة في ذهن الفرنسيين لأجل شرعنة وجودهم والاهتمام بأدق التفاصيل:

موقعه وهندسته: مركز أو حصن كاستيليوم ديميدي أو قصر البارود³ يقع إلى جانب قصر مسعد على الضفة اليسرى للوادي، وعند مخرج الجسر على طريق بوسعادة⁴، أنشئ الحصن على قمة التلة التي تشكل مسطحا مستويا وحدودها منحدرات غير متساوية من الحصن وقطع من صخور غير مصقولة تعلو ركاما من حجر، قد تكون تلك قواعد لجدار حصن مكون من كتلة عازلة محصورة بين جدارين وكان مبنيا على حافة التلة بطريقة غير منتظمة، من الجهة الشمالية حيث المنحدر أقل حدة كان الجدار مستقيما نوعا ما على طول 70م، كما وجدت آثار في وسط هذه الجهة يشرف على جنبه برجان بشكل دائري ومن وراء الجدار، رواق يمكن غلقه بشباك له مزالج، وجدت بعض آثاره، ومن جهة الوادي كان هناك على ما يبدو كما ذكر بيكار مطل أو اثنان يفتحان على الوادي مباشرة، وفي الوسط فتحة باب، وهناك ممر واسع مرصوص، بالإضافة إلى ممر واسع في شكل حرف T والذي يمثل الفوروم أو

¹ كميل ريسليز: مرجع سابق، ص: 66، 67.

² Gilbert, ch. Picard: **Castellum Dimmidi**, Boccard, Paris, 1944.

³ عُرف عند أهالي المنطقة بـ " قصر البارود"، وذلك لشهرة سكان منطقة دمد بصناعة البارود في كامل الصحراء لجودته العالية وكان يباع في قرايطيس من القصب الجاف حجمها كحجم الخرطوش، أنظر دوماس: مصدر سابق، ص: 196.

⁴ فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 78.

الساحة، كما وُجدت به عدة غرف ودكاكين لإيواء الجنود ومزاولة الحرف الضرورية لتسيير ساكنة الحصن، ووُجدت ضمن الحصن عدة معالم لطقوس عبادات مختلفة كالمعابد.

تأسيسه¹: أسس المركز ليكون حصنا عند بوابة التدفق بين الصحراء والتل لمراقبة أي تسلل للمقاومين من الجيتول (الزناتيين) والمور، وبذلك يكون الرومان قد أحكموا قبضتهم على منافذ الصحراء، بناء على النقوش اللاتينية المكتشفة في عين المكان التي خلفها الجنود الرومان بالحصن والتي وجدها شارل بيكار، تم بناء الحصن سنة 198م في عهد سيفر السابع (Sever Septième) من طرف الفرقة الرومانية التي تشكلت من فصائل الفليق الأغسطا الثالثة (عناصره إفريقية) والفليق غالريكا الثالث (عناصره سورية)، وقدر عدد الجنود التي ضمتها تلك الفرقة بحوالي 300 رجل أغلبهم من المشاة، كما تواجدت أثناء بناء الحصن وحدة من خيالة ألابانونيورووم (Ala pannoniorum) تعدادها حوالي 500 رجل، مهمتها كانت على ما يبدو حراسة الورشة من أي إغارة للعدو وضمان الإمدادات بالمؤونة وذكر بيكار أن الدلائل أشارت أنها غادرت المكان بمجرد الانتهاء من بناء الحصن، كما غادرت فرقة غالريكا الثالثة ولم تبقى إلا فرقة الفليق الأغسطا الثالثة التي لم يتجاوز عدد أفرادها 100 مرتزق منها عشر خيالة أو فرسان مهامها حراسة الحصن الذي كان يمثل نقطة ارتكاز واتصال لحملات الخيالة.

وقد أشارت بعض الكتابات إلى وجود جنود تدموريين (Palmyréniens) انضموا إلى فرقة الفليق الأغسطا الثالثة، وفي هذه الفترة عثر على قبر امرأة وهي مؤشر على جلب خيالة (palmyréniens) بأسرهم، وشكلوا تجمعا صغير حول الكاستيلوم (الحصن)، إلا أنه بعد سنة 235م عاد الفليق الأغسطا الثالثة بمفرده مرة أخرى، لأنه بعد هذا التاريخ لم تعد هناك كتابات أو نقوش تشير إلى هذه الفرقة

وفي سنة 238م أُخلي الحصن، إذ قام رجال الحصن من فرقة الأغسطا الثالثة كل ما يمكن نقله، ويبدو أنهم قد أحرقوا الحصن أثناء مغادرتهم المكان، وقد أظهرت الحفريات التي

¹ Gilbert, ch. Picard: **op. cit**, p: 51-61.

أجراها بيكار في عامي 1939 و 1941 م آثارا للحرق في غرف وقاعات الحصن "كاستيلوم دمد".

ولم تقتصر سلطات الاحتلال على توظيف البحوث الأثرية لإثبات شرعية وجودها بالجزائر، بل دعمتها بالدراسات الأنثربولوجية لتعزيز الشعور القومي الفرنسي الكبير في تلك الفترة وذلك بالرجوع إلى أصول الأمة، ومحاولة العثور على مبررات مادية مدعمة للتاريخ في الجزائر كفرنسيين أو حتى الأوربيين في ظل تفشي ظاهرة الحملات التوسعية الأوربية المسعورة على أفريقيا في تلك الفترة، وكذا محاولة إقناع الأهالي بشرعية الوجود الفرنسي، وضمن هذا المنظور كانت آثار سلف أوربي تشكل عونا بامتياز للبحث عن الأدلة المشرعنة، ظهرت النظرية السلطية بوصفها "نتاجا للظرف تسنده الأسباب التاريخية"، والتي تشارك في تشييد علم قومي وتصنع عظمته، علم يخص الحضارة الفرنسية، خاصة وأن افريقيا الشمالية تملك العديد من الدولمان والأنصبة الحجرية المنسوبة عبر المقارنة إلى المحتلين السيلسيين¹.

ومنه جاءت نتائج أبحاث علمائهم تصب في خانة دعم السياسة الاستدمارية، وشرعنة وجودهم بالجزائر إذ استطاعت السلطات العمومية، بفضل هذه النتائج من نشر التاريخ الرسمي للجزائر - بل التاريخ الذي أراده الفرنسيين - المستوحى من الاكتشافات الأثرية والأنثربولوجية التي كلفت لتصب في خانة مساعيهم - في الكتب المدرسية والمجلات العلمية والشعبية².

فلم تسلم المنطقة مجال البحث من هذه السياسة، إذ جاءت أبحاثهم في هذا المجال لتثبت أن السكان الأصليين بمنطقة الجلفة وفدوا من أوربا، مستدين في ذلك إلى الآثار التي وجدت على شكل مدافن بالمنطقة والمسماة بالتيمولوس³ والبازينة⁴، وقد أحصي 130 موقعا من

¹ كميل ريسليير: مرجع سابق، ص: 70، 71.

² نفسه، ص: 73

³ وهي عبارة عن مدافن تتشكل من كومة بسيطة من الأحجار، محاطة أحيانا بخط من الأحجار المغروسة في الأرض، وفي وسط البعض منها تجويفة (صندوق) لاحتواء الجثة، وفي البعض الآخر نوع من القمع في قمته يمكن من الوصول إلى اللحد ذاته. انظر فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 70.

⁴ وهي تليموس ولكنه محاط بجدار غير عال يتضمن درجات تصل إلى أعلى النصب، والبعض منها يتضمن ممرات وفروع وتجويفات ومقصورات أو تكون محاطة بممر دائري نسميه رواق. انظر فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 70.

التيمولوس والبازيّة بمنطقة الجلفة و35 موقعا آخر بزيّنة، وفي منطقة قلّة السطل - شمال منطقة الدراسة في هذه الفترة - 10 مواقع لتيمولوس والبازيّة¹، هذه التيمولوس والبازيّة هي شبيهة بالمدافن التي تسمى الدولمان، التي ذكر كامب (camps) أنها ليست من صنع السكان الأصليين²، وبما أن أغلبها موجودة على الحدود الجزائرية التونسية، فقد رأى أن طريقة الدفن هذه جاءت من جزيرة سردينيا على الأقل بالنسبة لما يوجد في الجزائر والغرب التونسي لأن سردينيا هي مقابل سواحل المنطقة الحدودية المذكورة، فقد ذكر كامب أن هناك مجموعات سردينية توغلت وسط السكان الأصليين وحدث بعض التمازج معهم³، كما أضاف أن هناك شعوب جاءت من اليمن واستدل على ذلك من خلال الخط الليبي البربري الذي وجد بالمنطقة المدروسة في كل من جارت الحمام، ووادي الحصباية، وصفية البارود، وعين الناقة، ووادي بوزقينة، وصفية بورنان، حيث التشابه الكبير بين هذه الخطوط الليبية البربرية وبين أحد خطوط جنوب الجزيرة العربية⁴.

إلا أنه، ونظرا لعدم العثور على بقايا إنسان بمنطقة الجلفة كما قال فرونسوا دوفيلار حتى يتمكن الباحث من معرفة الجنس الذي سكن المنطقة⁵، حاول حل اللغز الذي يتعلق بأصل الإنسان بمنطقة الجلفة، وقال الباحث لوت **lhote** من خلال النقش المسمى "العاشقين الخجولين" الذي وجدته بعين الناقة أنه تبدو على شخوصه مقاطع الجنس الأبيض الأورباوي⁶.

ومنه ومن خلال ما سبق فإن السلطات الفرنسية حاولت بكل السبل تزوير تاريخ المنطقة مستخدمة في ذلك كل الوسائل لمسح تاريخ المنطقة وتحريفها عن أصلها العربي الإسلامي ومحو هويتها الثقافية.

¹ Gsell et Joly: **Atlas Archéologique de l'Algérie**, 1908, feuille: 46.

² G. Camps: **op. cit**, p: 149.

³ **Ibid**, p: 149.

⁴ فرنسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 67.

⁵ نفسه، ص: 39.

⁶ Henri Lhote: **op. cit**, pp: 102-104.

3 - الحركة الثقافية في منطقة الجلفة من خلال الجمعيات والنوادي حفاظا على الهوية الوطنية؛

لم تكن منطقة الجلفة مختلفة عن باقي مناطق الوطن من حيث الحركة الثقافية ونشاط النوادي والجمعيات، بهدف الحفاظ على هوية وأصالة هذا الشعب، وتأسست لأجل ذلك بعض الجمعيات والنوادي منها:

3-1/ النادي الإسلامي بمدينة الجلفة: عمل رواد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أجل تحقيق أهدافهم الإصلاحية في مختلف الميادين التعليمية والتوعوية عدة وسائل وأساليب، فمنها الزيارات الميدانية لمختلف مناطق الوطن، وإصدار ونشر صحف ناطقة باسمها حاملة لأفكارها وغيرها من الأساليب، كما عمدوا إلى إنشاء عدة نوادي تكون وسيلة لنشر أفكارها عبر مختلف مناطق الوطن ودعمها، ومنها النادي الإسلامي بالجلفة.

تأسس النادي الإسلامي بمدينة الجلفة سنة 1937 م¹، من طرف بعض أعيان الجلفة ممن وحدهم الكفاح المشترك، ومصير التعليم العربي ومستقبل الأجيال، ومنهم: قدور بن الحويو، الذي كان يعمل في شركة النقل للمعمار الفرنسي (دولوني)، حروز قدور السوي في الحلاق، شلالى الطيب بن السعيد الصحراوي، بن العربي عمر، محمد بوسعيد القبائلي (مؤسس الحركة الكشفية بالجلفة)، شونان محمد، سلمانى أحمد، بن علي علي، وأخوه بن علي حميدة، والقاضي النعاس، ناعم محمد الشامخ، و محمد بن حورية، وقد ترأس النادي عند تأسيسه في عامه الأول: حرّان عبد الرحمان الخياط، وأسندت أمانة المال للنعاس بن الزباش السوي في.

تم الاتصال بالشيخ عبد القادر المسعدي وهو ممن آمن بمبادئ وأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعا إليها، فقال عن تأسيس النادي ودعوته للمحاضرة فيه: «... وإذا بجماعة من مصلحي الجلفة قد أسسوا ناديا، وطلبوا محاضرا فلم يقع اختيارهم إلا على الشيخ

¹ وهذا استندا إلى المقال الذي أورده الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي تكلم فيه عن تجديد إدارة النادي سنة 1937م وذلك أن التجديد حصل بعد عام من تأسيسه، أنظر: محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة"، البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، ع: 132، 28 رجب 1357هـ الموافق لـ: 23 سبتمبر 1938م، ص: 3.

عبد القادر المسعدي، فلم يلبث الشيخ أن تحول إليهم...¹، نشر خبر النشاط الإصلاحي الذي كان يؤديه النادي الإسلامي بالجلفة في صحف الجمعية فوصف: « حاضرة الجلفة وما آلت إليه بعد تأسيس ناديها من خير وسعادة، وأنها عمرته بالمحاضرات والدروس العلمية التي يقوم بها الشيخ عبد القادر المسعدي »²، فكان الناس متشوقين لمعرفة دينهم والتشبت به ف: « وإلى محاضراته³ الدينية القيمة فانها على الناس أفواجا، وأقبل الخاص والعام على الإكتراع من مناهله العذبة »⁴، فبدأت بوادر التخلص من الأفكار التي عمل على نشرها المستعمر الفرنسي بالمنطقة بمساعدة الطرقيين خاصة ضعاف النفوس منهم الذين استطاعوا استغلال الناس: « فانخفض أهل الزيف والخرافات والباطنية، وظهر أولياء الرحمان وانحدر أولياء الشيطان، وصار العمي يميز بين الفريقين، ويعطي كلا ما يستحق »⁵، فبدأت بمنطقة الجلفة: « تجلى الإصلاح بأتم مظاهره على المذهب السني، مذهب إمام دار الهجرة من دون إفراط ولا تفريط، وخير الهدي هدي محمد صل الله عليه وسلم، انتشر بذلك الإصلاح في الربوع والنواحي، وعلت كلمة الله »⁶، أنشد الشيخ محمد بن عبد الرحمان قصيدة عبر فيها عن فرحته بإنشاء النادي الإسلامي بالجلفة⁷:

يا سائق العربات سوق إجهاد	مهلا حضيت بإسعاف و إسعاد
بالله إن دمت في أمن و عافية	يمم ربى الجلفة الغراء يا حادي
عرج على فتية بها ذوي كـرم	أبلغ إليهم سلامي الوامق الصادي
واشكر لما فعلوا من جمع كلمتهم	بعد التفرق في جهل و أنكـاد

¹ عبد القادر ابن براهيم المسعدي: دكتاتورية غير متناهية، تحقيق لحسن بن علجية منشور ضمن كتابه: الشيخ عبد القادر المسعدي (حياته وآثاره)، دار الهدى، عين مليلة، 2015، ص: 246.

² محمد شونان: محمد شونان: "مكاتبات...الجلفة"، في: البصائر، السلسلة: الأولى، السنة الثالثة، ع: 99 11 فيفري 1938، قسنطينة، ص: 8.

³ الهاء تعود على الشيخ عبد القادر المسعدي.

⁴ عبد القادر ابن براهيم المسعدي: دكتاتورية غير متناهية...، مصدر سابق، ص: 246.

⁵ نفسه.

⁶ نفسه.

⁷ محمد شكيب الرايس: أعلام منسية...، مرجع سابق، ص: 8.

وانزل بناديهم الميمون فهو لنا
 رمز لإحياء مجد أمة ضاد
 إنا رجونا بلوغ القصد منذ فتحت
 أبوابه نحو زوار و وفاد
 واحمل إليهم تهاني القلب خالصة
 من كل مدق وتدليس وإحاد
 و اشرح لهم ما يلاقي الصب من ألم
 قد عاقه عن شهود الجمع في النادي

بعد مدة من نشاط هذا النادي وعمارته بالمحاضرات طيلة ستة أشهر¹، بدأت المضايقات الفرنسية وأعوانها في محاولاتها لتعطيل النادي ونفي السيد محمد شونان - وهو من مؤسسي النادي - من الجلفة²، و منع التدريس وإلقاء المحاضرات بالنادي محتجة بذلك بالقانون الذي صدر في 8 مارس 1938م³، وأن عليه - أي الشيخ عبد القادر المسعدي المكلف بالدروس بالنادي - طلب رخصة للتعليم، والوجوب بضرورة التوقف⁴، ورغم اعتراض الشيخ المسعدي على هذا القرار واحتج بقانون النوادي، وإذن الوالي العام في المحاضرات، وأن المحاضرات ليست كالتدريس ولا نادي كالمدرسة، إلا أن الحاكم رفض ذلك، ففتح الشيخ عن التدريس بالنادي⁵، أوردت جريدة البصائر الحادثة وما يعانيه المصلحين بمنطقة الجلفة: «... منع المحاضرات والمشروبات من نادي الجلفة، أي تعطليه ومنع صحيفة (الفرقان) من أجل نشرها مقالا عن تعطيل النادي ونفي السيد محمد شونان من الجلفة»⁶.

إلا أن الرجال الذين حملوا على عاتقهم مهمة تنوير عقول أبناء منطقة الجلفة وإصلاح حالها لم يرق لهم ذلك ومنهم الشيخ شونان، الذي أرسل رسالة إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس ويبدو أن مضمونها كان يخبره فيها بقضية محاولة تعطيل النادي، وما تعرض له مدرسه وعلى

¹ عبد القادر ابن براهيم المسعدي: دكتاتورية غير متناهية...، مصدر سابق، ص: 246.

² "أحاديث جمعية العلماء وحوادثها: مظالم، مسعد"، في البصائر، سنة الثالثة، سنة الأولى، قسنطينة، ع: 140، 18 نوفمبر 1938م، ص: 3.

³ وهو قانون أصدره كاميل شوتان، فقد جاء هذا القانون منع التعليم باللغة العربية إلا برخصة من السلطات الفرنسية بل أكثر من ذلك، فإن هذا القانون قد اعتبر اللغة العربية لغة غريبة عن الجزائر، وكان السبب في القضاء على اللغة التعليم العربي الذي انتشر في الوطن الجزائري بفضل جهود جمعية العلماء

الجزائريين، أنظر: لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 274، هامش رقم: 1.

⁴ أنظر نص رسالة محمد بن عبد الرحمان المسعدي لابن باديس كتاب الرايس سالم العلوي: مرجع سابق، ص: 159-160.

⁵ عبد القادر المسعدي: دكتاتورية...، مصدر سابق، ص: 246.

⁶ "أحاديث جمعية العلماء وحوادثها: مظالم، مسعد...، مصدر سابق.

رأسهم الشيخ عبد القادر المسعدي من منع التدريس وإلقاء المحاضرة، ويبدو أن مضمون الرسالة هو ما المقال الذي نشرته جريدة البصائر بعنوان: "مظالم: مسعد"¹، - بعد أن استأذن الشيخ عبد الحميد بن باديس الشيخ شونان لنشرها - ، فجاء رد ابن باديس برسالة مؤرخة بتاريخ 22 جويلية 1938 وحثه على طلب رخصة للتعليم².

ويبدو أنهم أخذوا بنصيحة الشيخ عبد الحميد بن باديس، فبعد مرور سنة على تأسيس النادي في سبتمبر 1938م، تجددت إدارته، وحددت المهام التي ستقوم بها هذه الأخيرة، فتشكل مجلس الإدارة من³:

- الرئيس: عبد الرحمان بن محمد.
- لنيابة الرياسة محمد شونان.
- الكتابة العامة يونس بن أبي الخير.
- لنيابة الكتابة العامة محمد بن عبد الرحمان.
- لأمانة المال النعاس بن مبارك (شغل هذا المنصب منذ تأسيس النادي)
- لنيابة أمانة المال: محمد بن الشامخ.
- المراقبة: المولود بن يوسف.
- الأعضاء المستشارون فهم: العيش بن مصطفى، النعاس بن أبي الأرباح، الجيلاني بن بلقاسم، عمر بن محمد، و الطيب بن السعيد.

¹ مظالم مسعد...، مصدر سابق، ص: 3

² أنظر نص الرسالة في الملحق رقم: 16، ص: 424.

³ محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة"، مصدر سابق.

ومن الأعمال التي أراد مجلس هذه الجمعية القيام بها فهي¹:

- الدفاع عن هذا المحل بكل ما في وسعها.
 - السعي لدى الحكومة بالطرق المشروعة عساها تسمح لهم بالتدريس.
 - السير حسب القوانين المذكورة بقانونها الأساسي.
 - تخفيض الاشتراكات ليسهل الانخراط في هذه الجمعية فيكون معلوم اشتراك الأعضاء الإداريين سبع فرنكات ونصف، و الأعضاء العاملين و المؤسسين خمس فرنكات، و المحسنين ثلاث فرنكات.
 - تأليف جمعية نيابية متركبة من اثنتي عضو عشر رئيس و نائبه و كاتب و نائبه... الخ، تكون نائبة عن الجمعية الإدارية بحيث إذا فقد أو غاب عضو من أعضائها يخلفه المماثل له من الجمعية النيابية وتكون من الأعضاء العاملين و لا تقدم أسماءهم إلى الحكومة.
 - تنقيح القانون الأساسي بالزيادة و النقص، فيزداد فيه مثل أسماء هذه الجمعية النيابية و ينقص منه ما يكون غير ملائم و موافق.
 - تمتين الرابط و الصلات و بث روح الإخاء و النهضة بين جميع الجزائريين.
- كما أوردت جريدة البصائر في عددها 155، من السلسلة الثانية، السنة الثالثة عن تجديد إدارة شعبة الجلفة² - والأرجح أنها قصدت النادي الإسلامي - ، فنشرت أعضاء إدارتها وهم:

- الرئيس: محمد شونان.
- نائب الرئيس: بلقاسم قحصاب.

¹ نفسه.

² (تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، 8 شعبان 1370 هـ الموافق ل: 14 ماي 1951م، ص: 8.

- الكاتب: عبد الله براهيم.
- نائب الكاتب: الحاج قويدر بن عمران شويحة.
- أمين المال: الحاج بن قايد دروازي.
- نائب أمين المال: عبد الرحمان بن يحي حران.
- المراقب: أحمد بن يحي عدلي.
- الأعضاء المستشارون هم: عبد القادر بن القرن سالم، حميش بودينار، النعاس أبو الأرباح، النعاس بن مبارك حران، المولود بن يوسف عرعور.

3 - 2 / فوج الأمل الكشفي (الكشافة الإسلامية الجزائرية):

يعتبر فوج الأمل من أوائل الأفواج الكشفية التي أنشأت بالجزائر وتأسس سنة 1939م، مؤسسها هو محمد بوسعيد¹، ذكر أن هذا الأخير كان عاملا في مجال الصباغة والرسم، نشأ ولوعا باكتشاف الجديد و حب المغامرة وقد انخرط في صفوف الكشافة بالصدفة حيث التقى بمحطة القطار في مدينة عين وسارة سنة 1939م بشباب يلبس زيا متميزا عن الزي العسكري و المدني، فتقدم منه مستفسرا عن هذا الزي، فرد عليه الشاب أنه ضمن حركة تسمى الكشافة الإسلامية الجزائرية، فزاده فضوله التعرف على هذه الحركة و أهدافها، فأخبره الشاب أنه بحاجة ماسة إلى مساعدة مالية فقال له بو سعيد: من يضمن لي رد المبلغ...!! فأجابه الشاب: « شرف الكشافة موثوق به، و إذا أقسم لا يحنث...»، عندئذ سلم له المبلغ المالي بعد أن أخذ الشاب عنوان محمد بوسعيد، و بعد مدة أرسل إلى بوسعيد حوالة بريدية بالمبلغ الذي أعاره للشاب، و كتاب عن الكشافة عنوانه « من أجل الدخول إلى اللعبة » تضمن التعريف بتنظيم وأنشطة الحركة الكشفية وقوانينها وأهدافها، فازداد اهتمامه بهذه الحركة وتابع مسيرتها بكل شغف، وأدت شدة اهتمام محمد بوسعيد بهذه الحركة الجديدة عنه، إلى اتصاله بالقائد

¹ عن أرشيف متحف الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية بالجلفة، أنظر صورة محمد بوسعيد في الملحق رقم: 18 ، ص: 426

العام للحركة محمد بوراس فتم له ما أراد و أخذ فكرة لا بأس بها عن هذه الحركة الجديدة ليعود إلى مدينة الجلفة منشأً بذلك أول فوج كشفي في مدينة الجلفة، سمي بـ: **فوج الأمل**¹.

تكون المجلس القيادي لهذه الحركة من: محمد بوسعيد (مؤسس الحركة الكشفية بالجلفة)، حميدي لخضر، شكري أحمد، وأسماء أخرى، أما المجلس الإداري فتكون من: زناتي محمد، نعاس عبد الله، خليل يونس، جاب الله بوهالي، العقون علي، بن شرقي ساعد².

كانت نفقات فوج الأمل تغطى من قبل المواطنين (اشتراكات أو تبرعات)، فضلا عن عائدات هذه الأفواج من الأشغال اليدوية التي كانوا يصنعونها ويقومون ببيعها.

لم ترى السلطات الاستعمارية تأسيس فوج الأمل بمنطقة الجلفة بعين الرضى، واعتبرته يهدد أمنها وطمأنيتها، خاصة وأنه ارتباط اسمه بكلمتي (الإسلامية الجزائرية)، وهذا هو مبعث قلقها فشباب الفوج سيكونون المعين الذي لا ينصب لإمداد الحركات الوطنية برجال تربوا على حب الوطن والإخلاص له، إلا أن قادة الفوج تفتنوا إلى خدعة لدرء هذه المخاوف و التخلص من مضايقات الإدارة الفرنسية، و ذلك بإسناد الرئاسة الشرفية للفوج إلى فرنسي كان يشغل مديرا لإحدى المقاولات، و يدعى ديبوشار و أثبتوا أن التكشيف حركة شبانية غير عدوانية³.

نشاطات فوج الأمل ومشاركته في التظاهرات الكشفية:

كان للكشافة بالمنطقة مجال البحث العديد من النشاطات و المشاركات في مخيمات و مسيرات التنديد منها:

المشاركة بالتجمع الاتحادي الكبير في جويلية 1944 المقام بتلمسان والذي دعت إليه الإدارة العامة بالجزائر للمشاركة في جمع المال لإقامة مؤتمر في تلمسان، هذا التجمع حضره نحو 450 كشافا يمثلون 60 مدينة وقرية جزائرية، ومن بينهم فوج الأمل ممثل الكشافة

¹ العيد الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية "، في صوت السهوب، ع: 06، جوان/ جويلية 1995م، ص: 22.

² عن أرشيف المتحف الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية بالجلفة.

³ التواقي، عبيدي: "ومضات من تاريخ الكشافة الإسلامية بالجلفة"، في صوت السهوب، ع: 2، فيفري 1995م، ص: 23.

بمنطقة الجلفة، اجتمعوا في مخيم كبير في هضبة "لالة ستّي" واستمر نشاطه عدة أيام وحضره من الشخصيات الشيخ البشير الإبراهيمي والرئيس فرحات عباس، أما عن أسماء أبناء المنطقة الذين مثلوا فنذكر منهم: زناتي محمد، وشكالي أحمد، وشكالي الطيب، وقرش موسى¹.

المشاركة في الملتقى الكشفى العالمى "جمبوري" في منطقة مواسون شمال باريس في أوت 1947، وهو ملتقى للكشافة العالمية للتعارف والصداقة، شارك فيه وفد من فوج الأمل ممثلاً في حران الطاهر، وبولرباح شتوح وصديقي محمد، وكانوا يرتدون اللباس الكشفى والطربوش العربى رمز الوطنية الذى يميزهم عن الكشافة الفرنسية والإسرائيلية².

4 - مكتبة الجلفة:

حفظت لنا المصادر والمراجع التى أرخت لمنطقة الجلفة أن أبناء هذه المنطقة اهتمت بالعلم والعلماء، وهذا ما تعسكه المكتبات التى كانت منتشرة بالمنطقة، ومثال ذلك المقال الذى أعده روني باسى René Basse (ت 1924م) المنشور بمجلة المراسلات الإفريقية **Bulltin de correspondance africain** في عامها الثالث، والذي حمل عنوان³: المخطوطات العربية لبشاغا أولاد نايل الجلفة (Les manuscrits arabes du bach- agha de djelfa)، إذ ذكر المؤلف أن سبب عمله هذا يدخل في إطار تنفيذ تعليمات القسم الشرقى من كلية الدراسات العليا في الجزائر العاصمة، التى أوصت الكتاب الأكاديميين بصياغة فهرس كامل خاص بالكتب في الجزائر وتونس، وأضاف أنه قبل إعداد هذا الجرد العالمى والمنهجي للثروات الببليوغرافية في المنطقة المغاربية، كان من الضروري جمع عناصر هذا العمل، وهذا لن يكون ممكناً إلا في اليوم الذى يتم فيه جرد المخطوطات التى لا تزال موجودة بين العرب، وبعد نشر فهرس الزيتونة والقيروان بتونس بالعام الماضى في مجلة أو نشرية مراسلات افريقية⁴.

¹ أنظر ملحق رقم: 19، ص: 427

² أنظر ملحق رقم: 20، ص: 428

³ René Basse: "Les Manuscrits Arabes du Bach- Agha de Djelfa ", IN: **Bulletin de correspondance africain**, imprimerie de l'association ouvrière, Alger, 1884, pp: 363-374.

⁴ Ibid, p: 363.

وفي هذا الإطار أشار أن زميله هوداس قد تم له استكشاف المكتبات الخاصة لقسم ولاية وهران عدة مرات، أضاف إلى هذه الفهرسة فهرسة كتب مكتبة باشا أغا أولاد نايل سي بلقاسم بن الأحراش¹.

وقد ذكر رونييه أنه عند وصوله في أفريل من عام 1884، من بوسعادة إلى الجلفة بصحبة الجنرال لويس Loyse قائد قسم الجزائر العاصمة، الذي قال أنه يدين بكرمه الشديد لفحص مكتبة الباشا أغا، إلا أنه يتأسف لقلة وقته لأنه لم يستطع زيارة مكتبة ابن أخ الباشا أغا سي أحمد بن سي شريف الذي كان يسكن على بعد بضعة كيلومترات من حجر الملح، إلا أنه قال أنه من حسن حظه حصل على هذه القائمة في الجزائر العاصمة، من عند السيد باغارد Bagard، وهو مترجم فوري في الجلفة، وقال أن هذه القائمة هي التي سينشرها، بالإضافة إلى بعض المعلومات تم استخلاصها في معظمها من حججي خلفه².

وقد أحصى رونييه باسيه مخطوطات الجلفة التي كانت عند باشاغا أولاد نايل بلقاسم بلحرش، وابن أخيه سي أحمد بن شريف، والتي كانت تسعة وخمسين مخطوطة، فصنفها، وكانت كالتالي³:

- علم المنطق والنحو: ستة مخطوطات.

- علم الدين والأصول: عشرة مخطوطات.

- علم الحديث: ثمانية وعشرين كتاب.

- علم الفقه: ستة كتب.

- علم التصوف: 5 مخطوطات.

¹ René Basse: op. cit, p: 364.

² Ibid.

³ Ibid, pp: 364 – 375.

- علم القرآن: 5 مخطوطات
 - علم الحساب والطب: اربع مخطوطات.
 - علم السياسة: أربع مخطوطات.
 - علم الأدب: سبع مخطوطات.
- هذا بالإضافة إلى مكتبات الزوايا التي انتشرت بمنطقة محل الدراسة.

الفصل الثالث

من أعلام المنطقة أثناء الاحتلال

- 1 - الشيخ عبد القادر المسعدي.
- 2 - الشيخ عطية مسعودي.
- 3 - الشيخ محمد الرايس
- 4 - الشيخ الأخضر بن الفويني (الأبقع)
- 5 - ابن الجوبري الحاج يحيى بن يحيى
- 6 - الشيخ الإمام محمد بن ربيع
- 7 - الشيخ محمد شونان

تمهيد:

أنجبت المنطقة عدة أعلام حافظوا على تراث آبائهم وأجدادهم، وساهموا بذلك بالحفاظ على عناصر الهوية الوطنية الجزائرية، الإسلامية منها والعربية، وبذلك وقفوا حجرة عثر في وجهة المساعي الفرنسية الرامية إلى طمس الهوية الوطنية الجزائري.

1 - الشيخ عبد القادر المسعدي،

يعتبر الشيخ المسعدي من أبرز أعلام المنطقة والذي بذل جهد كبير من أجل أهل منطقته وإصلاحها، والحفاظ على موروثها الثقافي، فمن هو؟.

مولده ونشأته: هو الشيخ عبد القادر بن ابراهيم بن الشيخ الطعبي السعداوي النايلى¹ المسعدي²، ولد بمسعد في دوار عرش أولاد طعبة القاطن بسفوح جبال مسعد في بيت من بيوت أولاد ساعد بن سالم إحدى البطون النائية المتمركزة في جنوب الجلفة³ حوالي سنة 1884⁴، عرف بالمسعدي نسبة لمسقط رأسه، عاش وسط أسرة كريمة عرفت بالتقوى والصلاح، كان أبوه أحد أعيان عرش أولاد سعد بن سالم، وكان من أتباع الطريقة القادرية عمل على تربيته وتنشئته على القيم والمبادئ الإسلامية⁵.

تعليمه: تلقى المسعدي تعليمه الأول بمسقط رأسه، فأخذ مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة (سبع سنوات)⁶، ثم انتظم في سلك طلبة المدرسة الحكومية الفرنسية وقد يكون بأمر من والده إبراهيم، مع أن الأمر يبدو غريباً، فمن جهة أنه بنواحي مسعد زاويا عامرة كالهامل والجلفة والزيبان....، وكان من الممكن أن يترد عليها منذ صباه، ومن جهة أخرى أن الجزائريون في تلك الفترة كانوا يتوجسون خيفة من تدريس أبنائهم بالمدارس

¹ نسبة لقبيلة أولاد نايل لتفاصيل أكثر أنظر قبيلة أولاد نايل من الفصل التمهيدي.

² نسبة لبلدة مسعد وهي دائرة تابعة لولاية الجلفة اليوم، لتفاصيل أكثر عن تاريخ هذه المدينة أنظر ص: 52، 53.

³ حفناوي بن عامر غول: "الإمام عبد القادر المسعدي مرجع في العقيدة وقاموس في الأدب"، مجلة صوت السهوب، جريدة: أسبوعية، يومية،...، تصدر عن: ع:، 1995،

⁴ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط: 2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980، ص: 298.

⁵ حفناوي بن عامر غول: مرجع سابق.

⁶ نفسه.

الفرنسية وبالأخص الابتدائية منها، بل بعضهم رأى حرمة ذلك، ومهما يكن من أمر فمن تعلم لغة قوم أمن مكرهم، نال الشيخ عبد القادر المسعدي شهادة الحكومة بامتياز وذلك في سن الثانية عشرة، بعد أن أتقن اللغة الفرنسية نطقا وكتابة على يد الأستاذ حساني محمد (المتوفى سنة 1910م¹).

كان الشيخ عبد القادر المسعدي يحضر دروس الوعظ والإرشاد وحلقات العلم التي كانت تعقد بالزوايا والمساجد، والتي كان يشرف عليها بعض الشيوخ ممن يزورون المنطقة من حين لآخر، كما أنه اطلع على متون العلم المتداولة آنذاك، منها: لامية الأفعال لابن مالك، والقاموس المحيط والسيرة النبوية لابن هشام، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وغير ذلك من المؤلفات حتى تعمقت ثقافته، وأثريت موهبته الأدبية، كما قصد زاوية الهامل وأخذ عن بعض مشايخها².

لم يكتفي الشيخ المسعدي بهذا القدر من العلم وتاقت نفسه للاستزادة، لذا قصد بلدة تقرت سنة 1327هـ / 1909م حيث يربط عالمها وفقهها الشيخ الطاهر العبيدي³، وبقي عنده

¹ حفناوي بن عامر غول: "في ذكرى وفاة المسعدي (1888م - 1956م)"، في مجلة:؟؟، ع: 308، 5 أوت 1997، جريدة: أسبوعية، يومية، لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 15، 16.

² صالحة بن عبد الله: « أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائي - تحقيق ودراسة مخطوط -»، رسالة ماجستير في اللغة العربية، تخصص: تحقيق مخطوطات، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، 2015، (غير منشورة)، ص: 113، 114.

³ لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 16. الطاهر العبيدي هو: الشيخ الطاهر بن علي بن بلقاسم العبيدي، ولد بوادي سوف سنة (1305هـ / 1886، 1887 - 1886م)، حفظ القرآن الكريم على الشيخ الطالب مبروك بن رقية، وأخذ عن أعلام منهم عبد الرحمان العمودي بن موسى، قصد جامع الزيتونة سنة 1904م، وأخذ عن أعلامها في ذلك الوقت منهم: محمد النجار...، وبعد ثلاث سنوات من الجد والاجتهاد في الدراسة رجع الشيخ العبيدي إلى الوادي، ثم انتقل إلى تقرت وربط بجامعها الكبير مدرسا، أخذ عنه أعلام منهم: أخوه محمد، الشيخ عبد القادر المسعدي، الشيخ الطاهر بن دومة، الحشاني العمري...، وكان الشيخ العبيدي صديقا للعلامة ابن باديس، أكمل تفسير القرآن الكريم تدرسا سنة 1934م، كان الشيخ كثير الترحال والتجوال فزار مناطق كثيرة منها: مسعد فيض البطمة التي كان كثير التردد عليها وملاقاته تلاميذه ومشائخ المنطقة، كما كان يزور مدينة الجلفة ويلقي دروسا وخطبا في مساجدها كمسجد جامع الجمعة، حيث يبقى في مدينة الجلفة مدة شهرين أو ثلاث مقيما في بيت الشيخ عطية مسعودي، أو أن هذا الأخير يخصص له بيتا لقضاء فصل الصيف هربا من حر جو تقرت، وكانت تربطه علاقات مع أعلام المنطقة وشيوخها خاصة: لخضر بن خليف، عامر محفوظي، بن ناجي غويني، حاشي معمر، عبد القادر بن بوزيد، ترك عدة مؤلفات: جريان المدد في الاعتصام برجال السند، رفع اللهو بكشف مسائل السهو، رفع الإيهام عن مسائل الصيام، رسالة في كيفية العبادة...، توفي - رحمه الله - بتقرت سنة 1968م، لمزيد من التفاصيل حول هذه الشخصية أنظر: أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص: 100-102. حفناوي بن عامر غول: "الشيخ الطاهر العبيدي وجوانب مخفية من حياته العلمية والأدبية"، ج: 1، في مجلة البصائر، ع: 849، 19 مارس 2017، ص: 15. و لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 16.

طيلة ستة أشهر درس عليه: النحو والفقه والتوحيد، وختم الألفية في حضرته بقراتهم عليه في صفر 1328 / 1910م وعمره حوالي 24 سنة¹، وأجاز الشيخ الطاهر العبيدي تلميذه الشيخ عبد القادر المسعدي، وهي إجازة منظومة ومما ورد فيها²:

حمدا لمن قد جعل الإجازة توصل بالأستاذ من أجازته

أشكر تخصيصه بالسند أمة خير المرسلين سندي

إلى أن قال:

ثم المجاز عبد القادر من فاز بفضل الله أدنى زمن

تحسبه في غاية التحرير مجددا بلاغة الحريري

يقول أبصره وأنصفا الله يعطي من يشاء وكفى

ذاك إبراهيم وهو مسعدي لا يزال يقفو كل نهج مسعد

أجزته في كل ما لفقته من نشر أو نظم نمقته

وكل ما أفهمت وما تلقيت وما رقيت

وكل ما قرأت أستاذنا العربي بن موسى وما أذنا

أو غيره من كل ذي علم همى بالوادي أو تونس أو غيرهما

استمر الشيخ عبد القادر المسعدي في التواصل مع شيخه الطاهر العبيدي عن طريقة تبادل الزيارات والرسائل، وكثيرا ما كان الشيخ العبيدي يشيد ببراعة وتمكن تلميذه الشيخ عبد القادر المسعدي في الأدب ووصفه بالعلامة والشيخ فقال عنه: « الأديب الذي له غرر الفنون أوفر

¹ حفاوي بن عامر غول: "محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائي"، شوهذ بتاريخ: 12/08/2013 على الساعة: 23:30 ليلا، عبر الموقع الإلكتروني:

https://www.djelfa.info/ar/aalam_htm/1179.html.

² لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص ص: 16، 17.

نصيب، غصن الأدب الرطيب ذو الصيت الطائر كالمثل السائر البدر المبادر واليث الخادم... ولدنا الشيخ عبد القادر المسعدي¹، ووصفه الشيخ عبد الرحمن الديسي² بقوله: « قسر البراعة وأفضل من أقر على أنامله البراعة بدر بني سعد.. خير جليس وأفضل أنيس... »³، ورغم هذا الارتباط الكبير للشيخ عبد القادر المسعدي بشيخه، إلا أنه لم يتأثر بسلوك شيخه الطاهر العبيدي الصوفي، لأنه سرعان ما تبنى الأفكار الإصلاحية منذ بداية ظهورها، كما سيتم توضيحه أدناه.

بعد تلقي المسعدي نصيبه من العلوم التي كانت تدرس بذلك الوقت على يد شيخه الطاهر العبيدي، وكذلك إتقانه اللغة الفرنسية على يد معلمه الأستاذ حساني محمد، جلس بمسقط رأسه مسعد يدرس بالمسجد العتيق.

ولم يقتصر على مكان يليقيه من دروس على تلامذته أو يكتفي فقط بالعلوم التي تلقاها على يد شيخه الطاهر العبيدي بتقترت، فقد كان الشيخ عبد القادر المسعدي من حين لآخر يرحل لزيارة شيوخه أو حضور اجتماعات، خاصة رحلته الى زاوية الهامل لإلقاء دروس وزيارة صديقه الشيخ الديسي المدرس بالزاوية والالتقاء بالأعلام والشيوخ الذين كانوا يزورون الزاوية بانتظام، ومنه شيخه الطاهر العبيدي ففي إحدى وثائقه وجد بأنه أجاز⁴ صديقه الروحي وأحد

¹ ضمن رسالة بعث بها الشيخ الطاهر العبيدي إلى الشيخ عبد القادر المسعدي يعلمه فيها بثبوت رؤية الهلال في تونس يوم الثلاثاء 1 رمضان من سنة 1330 هـ الموافق لـ: 13 أوت 1912م، وأنهم بالوادي سيستخدمون هذا التاريخ لصيام اليوم الأول في رمضان ويبحثه على العمل بهذا التاريخ هو ومن تبعه من الناس والابتعاد عن الفتنة إلى غير ذلك... أنظر نص الرسالة في الملحق رقم: 21 ص: 397.

² هو أبو عبد الله محمد بن محمد "ابن السنوسي" بن محمد بن عبد الرحمان بن محمد الطيب بن عبد القادر بن أبي القسم محمد بن سيدي إبراهيم الغول السلامي الجزائري، من سلالة سيدي إبراهيم الغول، ولد الشيخ الديسي سنة 1854م بالديس وهي قرية تبعد عن بوسعادة بحوالي 10 كلم، نشأ في أسرة علم وديانة وصلاح، ترعرع في حضن والدته خديجة بنت الخرشني لوفاة والده بعد مدة من ولادته، وكانت أمه صالحة تحفظ القرآن الكريم فكانت معلمته الأولى، كما ساهمت في تربيته كل من عمته السيدة عائشة بن عبد الرحمان وجدته السيدة عيشوش بنت أبي العدل، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، فقد بصره في صغره، إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة حفظ القرآن وأتقن أحكامه على أيدي علماء القرية، ثم انتقل إلى زاوية سيدي السعيد بن أبي داود ببلاد القبائل المشتهرة في ذلك الوقت بتدريس الفقه رغم معارضة أهله ذلك بسبب أنه لا يستطيع القيام بشؤونهم بسبب فقد البصر، إلا أنه أصر على الذهاب إليها فنهل منها العلم ما استطاع ثم قفل راجعا إلى قريته أين زاول مهمة تدريس أبناء بلدته، ثم انتقل إلى زاوية الهامل واستقر بها مدرسا للعلوم الشرعية لمدة جاوزت الأربعين سنة، ومن بين تلامذته الشيخ عبد القادر المسعدي، ألف الديسي العديد من الكتب في شتى العلوم والفنون، لمزيد من التفاصيل عن هذه الشخصية أنظر: عبد المنعم القاسمي: الشيخ الديسي محمد بن عبد الرحمان سيرة ومسيرة، دار النعمان، الجزائر، د. ن، ص: 25...

³ أنظر نص الرسالة في ملحق رقم: 22، ص: 398

⁴ نص الإجازة: (كتب وأنا اضعف خلق الله البر الرحيم عبد القادر بن إبراهيم لطف الله بي في الدارين أمين، حدثنا الشيخ الطاهر بن العبيدي بالهامل حدثني الشيخ المكي بن عزوز بسنده المتصل إلى سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه قال رسول الله صل الله عليه وسلم: يا معاذ إني

طلبته ابن عياش بن الطيب بالحديث المرفوع إلى السند الذي حدثه به شيخه الطاهر العبيدي بزاوية الهامل¹.

بالإضافة إلى الدور التعليمي الذي قام به الشيخ عبد القادر المسعدي، فقد كان كثيرا ما يستفتيه الناس سواء أهل بلده أو من المناطق المجاورة²، ومن الفتاوى التي مازالت مخطوطة، الجواب على سؤالين وجهها له، فالسؤال الأول كان حول: أن رجل أقسم بقول الحرام يلزمني ما لم أفعل ولم يفعل بل حنث ولم يمكن من فعله، فما حكم ذلك؟ فكان الجواب أن تحريم الحلال في غير الزوجة والأمة لغو...، واستدل على ذلك بأقوال أهل العلم، أما السؤال الثاني فكان حول: من أن الحج يسقط التبعات (أي دين)، فقال المسعدي: «أن هذا القول لا نصيب له من الصحة، وذلك أنه اطلع على حديث أن الله غفر لأهل عرفات رضى الله عنهم التبعات... وهذا الحديث لم يخرج أصحاب الصحيح ولا أصحاب السنن وعليه فهو ضعيف ويعارضه حديث السائل الذي سأل رسول الله صل الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله عليا دين وعليها حجة الإسلام، فقل له رسول الله صل الله عليه وسلم: أقض دينك... فهذا بيان ضعفه رواية، وأما بطلانه دراية فقد انعقد الإجماع على أن الحقوق المالية لا يبرؤ منها إلا رادها أو التحلل من صاحبها، وخرق الإجماع كبيرة وقيل كفر، فهل يعقل بعد هذا أن يقول الرجل لأخيه اقضني ما بدمتك، فيقول إني حججت فلم يبق لأحد حق عليا، وتقول الزوجة لزوجها ادفع إلي صداقي فيقول أني حججت إلخ، وهذا مالا يقوله عاقل، فلم يبق للحديث المشار إليه على فرض صحته إلا موضع واحد يحمل عليه وذلك أن من عجز عن رد التبعات لخراب ذمته حتى مات وهو تائب نادم فإن الله يتحملها...»³.

أحبك فقل دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقال الشيخ بسنده وأنا أحبك إلخ وأنا أقول لك يا عبد القادر إني أحبك... إلخ، وأنا أقول لأخي الروحي يا بن عياش بن الطيب إني أحبك فقل دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، وقد اجزته به وأجزت له روايته عني لمن يحقق بذلك حسبا اجازني الشيخ رضي الله عنه، فليشدد يده بهذا الكنز الذي تنقطع دونه آمال الرجال من سند صحبة سيد أهل الكمال والحمد لله على كل حال ذلك فضل الله يؤته من يشاء والله ذو الفضل العظيم، نقلا عن: حفناوي غول: محطات في مسيرة العلامة عبد القادر...، مرجع سابق.

¹ حفناوي بن عامر غول: محطات في مسيرة العلامة عبد القادر...، مرجع سابق.

² لتفصيل أكثر حول الموضوع أنظر ملحق رقم: 23، ص: 399.

³ أنظر نص الفتوى مخطوطة في الملحق رقم: 23، ص: 399.

هذا وقد أقلق لجوء الناس له لاستفتائه في أمور دينهم ودنياهم، إذ كان الناس في ذلك الوقت يعزفون عن الذهاب إلى القاضي الذي عينته السلطات الفرنسية في خصوماتهم، ويحتكمون في ذلك الشيخ عبد القادر المسعدي، ففي رسالة بعث بها قاضي حاكم دائرة الجلفة يشتكي فيها من عدم لجوء الناس له لحل قضاياهم، وتوجههم إلى الشيخ عبد القادر المسعدي¹.

نشاط الشيخ عبد القادر المسعدي تحت لواء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

مع هبوب رياح الإصلاح مع مطلع القرن العشرين التي عرفت الجزائر عموما، فإن الجلفة هي الأخرى لم تكن بعيدة عنها، فيعتبر عبد القادر من بين الأوائل الذي علم بجهود عبد الحميد بن باديس التعليمية، واطلع على أفكاره الإصلاحية، وربما قد يكون طالع صحف ابن باديس الأولى المنتقد والشهاب، ويبدو أن الأفكار الإصلاحية صادفت قلبا خاليا فتمكنت منه، فكان للشيخ عبد القادر المسعدي آراء ومواقف من قضايا عصره².

قليل أن الشيخ عبد القادر المسعدي دُعي لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقى بالعاصمة 5 ماي 1931م، حيث تم وضع القانون الأساسي للجمعية والمصادقة عليه، والموافقة على تشكيل المكتب الإداري للجمعية، كما كان يحضر لأغلب الندوات التي تقيمها الجمعية وحتى الاجتماعات الرسمية، ومنها حضوره الجمعية العامة لجمعية العلماء المنعقدة في العاصمة من 1 إلى 1934/11/30 بناء على الدعوة الموجهة إليه من رئيسها بتاريخ 1934/10/17³، كما وجهت له دعوة من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ البشير الإبراهيمي ليشترك في المؤتمر العام للمعلمين الجزائريين الأحرار الذي انعقد 5- 7 شوال 1365هـ الموافق لـ: 2- 3 سبتمبر 1946م، وذلك لبحث مشاكل التعليم العربي في أساليبه وبرامجه، والتفكير في طريقة التي تجعله مساهما لنهضة الأمة وروح العصر، وكل ماله علاقة بالتعليم العربي الحر⁴.

¹ أنظر ملحق رقم: 9، ص: 385.

² لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 18.

³ حفناوي بن عامر غول: محطات في مسيرة العلامة عبد القادر....، مرجع سابق.

⁴ أنظر نص الدعوة في الملحق رقم: 24، ص: 400.

كما كانت للشيخ عبد القادر المسعدي مراسلات مع أعضاء جمعية العلماء: منها رسالة يستأذن فيها من الشيخ محمد البشير الابراهيمي للانتقال إلى مدينة الجلفة مرة أخرى، بناء على رغبة أبناء هذه المدينة، فرد الشيخ محمد البشير الابراهيمي على هذه الرسالة ويختم جمعية العلماء تحت رقم: 337 مؤرخة في 02 رمضان 1366/20 جويلية 1947 جاء فيها: « الأخ المحترم الشيخ عبد القادر بن ابراهيم حفظه الله. بعد السلام عليكم ورحمة الله. فقد بلغني رسالتكم ففرحنا بقدموها فرحتنا برؤية وجهكم، أما ما ذكرته عن استعدادكم للانتقال حيث تعمل للعلم وللدين فقد سرنا ذلك جد السرور، وقد بلغني من جماعة الجلفة أنهم راغبون في قدومك اليهم ونحن نوافقهم عن ذلك ونخصك على القدوم إلى الجلفة وفتح دروس الوعظ والارشاد ونحن واثقون أنك تخدم الحركة الاصلاحية لا في الجلفة وحدها بل في كل ما يحيط بها من قرى وأعراش بارك الله فيك وأعاننا وإياك على الخير وعليكم السلام من أخيك محمد البشير الابراهيمي »¹.

يعتبر الشيخ عبد القادر المسعدي ممن آمن بمبادئ وأفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودعا إليها، ويقرضه أعضاء الجمعية فقالوا عنه: «...هو لأي الشيخ عبد القادر المسعدي I من أحسن من عرفنا من طلبة أولاد نايل، نعرف فيه الذكاء وحب الاطلاع»²، وقال الشيخ سالت الجابري فيه³ أن: «الجمعية تشرفت بانتسابه إليها»⁴، فقد استجابة للطلب الذي وجهه له أعضاء النادي الإسلامي بمدينة الجلفة⁵.

إلا أن هذا الأمر كان السبب في مآلقه وبعض تلامذته وأصدقائه من السجن والتغريم، والسب والقذف والتشهير⁶، ولقب « بالعقبي لإنكاره للبدع والشرك و الخرافة في زمنه »⁷، وقد

¹ أنظر ملحق رقم: 25 ص: 401

² البصائر: "مكاتبات...الجلفة"، مصدر سابق، ص: 8.

³ هو أحد أعلام المنطقة المعاصرين وأحد تلامذة مدرسة الإخلاص، يشغل حاليا مدير المدرسة

⁴ مقابلة مع الشيخ سي سالت الجابر مدير مدرسة الإخلاص حاليا، في مكتبه بمدرسة الإخلاص الكائن بمدينة الجلفة بتاريخ: 6 ديسمبر 2017، على الساعة: 15:30 مساء.

⁵ انظر تفاصيل أكثر عن النادي الإسلامي بالجلفة ودور المسعدي في نشيط حصصه، ص: 350

⁶ سيتم التفصيل في مآلقه تلاميذه عند تناول شخصية محمد بن عبد الرحمان الديسي في العنصر الموالي

⁷ محمد شكيب الرايس: أعلام منسية - الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي (1912م - 1968م)، (غير منشورة)، ملاحظة: محمد شكيب الرايس هو حفيد الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي المعروف بالرايس والذي سيتم الترجمة له ونشاطه في العنصر الموالي، كانت للباحثة مقابلة معه بمقر

أزعج سلطات الإدارة الاستعمارية بمنطقة الجلفة النشاط الإصلاحي بمنطقة الجلفة ومنهم الناشط الشيخ عبد القادر المسعدي، فقامت السلطات الفرنسية بالجلفة في ذلك الوقت بمنعه التدريس بالمنطقة¹.

وقد ذكر الشيخ عبد القادر المسعدي أن أحد رجال النادي الإسلامي بالجلفة وهو محمد شونان كتب مقالا بجريدة الأمة² وذكر الواقعة باختصار واحتج على ما وقع على جماعته من الظلم والاضطهاد الذي لا تؤيده القوانين، ولا تحبذه الشرائع³، ومكان للمسعدي إلا أن يعود قافلا إلى مسقط رأسه مسعد، إلا أن ذلك لم يكف عنه إيذاء الفرنسيين وأعداء الإصلاح له، فما إن حل بمسعد حتى بعث له حاكم بلدة مسعد، اتهمه بأنه هو مملي المقالة أو كاتبها، وأخبره أنني سأمنعك من الخروج من مسعد إلا بإذن مني، وبقي الشيخ « مدة ستة أشهر لا يحضر مجتمعا دينيا ولا دنيويا، ولا يبارح داره إلا لضرورياته الشخصية »⁴، وقد أوردت جريدة البصائر الحادثة فنشرت: «أخبرنا مخبر أن حاكم مسعد أشعر مصالحها بأن لديه قرارا ضد الدين وكل ناه عن المنكر وأمر بالمعروف، وأنه يستطيع سجن من يحاول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنه عدد لهم من أعمال الإدارة على معنى التهديد منع المحاضرات والمشروبات من نادي الجلفة، أي تعطليه ومنع صحيفة (الفرقان) من أجل نشرها مقلا عن تعطيل النادي ونفي السيد محمد شونان من الجلفة»⁵.

لم تنتهي محنة الشيخ عبد القادر المسعدي، فهي هو تلميذه قاضي رباط مسعد عرابي عطا الله الذي كان يکید له الدسائس وعين من عيون الاستعمار الفرنسي، إذ كان سببا في قضاءه

سكنه الواقع بوسط مدينة الجلفة، يوم: 15 نوفمبر 2017، على الساعة: 15:30، وزودني بالعديد من الوثائق التي تخص جده الرئيس التي سيتم إدراجها في محلها.

¹ لتفصيل أكثر أنظر ترجمة المسعدي.

² هي جريدة من الجرائد الإصلاحية، وصاحبها هو أبو يقضان كانت تصدر مرة كل أسبوع يوم ثلاثاء باللغة العربية في أربع صفحات، صدر العدد الأول منها في 09/08/1933م، ثم توقفت سنة كاملة، ليصدر عددها الثاني سوم 25/04/1934م، وبقيت تصدر بانتظام إلى غاية 07/06/1938م، وذلك بعد صدور قرار من الإدارة الفرنسية بوقفها، وبذلك فقد صدر 170 عددا منها.

³ عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 247، 246.

⁴ نفسه، ص: 248

⁵ أحاديث جمعية العلماء وحوادثها: مظالم، مسعد، مصدر سابق، ص: 3.

23 يوما في السجن¹ بعد وشاية من القاضي وأخبره بأنه: «رجل من جمعية العلماء بل عمدتهم بهذه الديار ليقصد مدينة مسعد»²، وزاره في سجنه محامي اسمه لاقيارد³ من البلدة الذي كلفه أخوه بقضيته⁴، وقد آزرت صحيفة البصائر الشيخ عبد القادر المسعدي فنشرت مقال عنوانه: الشيخ عبد القادر المسعدي في السجن⁵، فأوردت: «الشيخ عبد القادر المسعدي هو من مسعد إحدى قرى أولاد نايل، عالم ذكي مصلح، تخشاه الطرقية على سمعتها في تلك الجهات، فهي لا تفتأ تدبر له المكائد لتعرقل حركته الإصلاحية لما تأسس النادي الإسلامي بالجلفة كان هو محاضره، فلما جاءت نوبة النوادي المعاكسة أغلقت الحكومة نادي الجلفة من غير سبب، فعاد الشيخ إلى مسعد فمنع بها من التعليم بالمسجد، وأخيرا بلغنا أنه أدخل السجن بمسعد يوم: 1939/1/29م، ولم يعلم به إلا بعد أيام، كما لا يعلم له سبب، وهو مضيق عليه، ولا يؤازره ولا يتصل به أخ أو غيره،»⁶، كما أورد محمد شونان الحادثة فكتب: «سجن الشيخ عبد القادر المسعدي من غير سبب، ثم أفرج عنه ...، و أوقف بين يدي الحاكم فأصر على كتمان سبب السجن، وبالع في التهديد والوعيد له ولكل مصلح، ثم غرمه خمسين فرنكا، هذا والشيخ لا يجاب في بيان السبب بأكثر من أن هناك ملفا سريا ...»⁷.

عرض المسعدي شكواه ضد القاضي إلى حاكم رباط الجلفة في رسالة⁸ التي كتبها في 10 جوان 1939م¹، كما كتب كتب مقالا في صحيفة البصائر - لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - ، يسرد فيه الحادثة وأصالة الفكر الإصلاحي فيه منذ صغره².

¹ وكان ذلك في فترة حكم الكومندان شومر، أنظر ملحق رقم: 26، ص: 402.

² عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 250.

³ لم أجد معلومات عنه،

⁴ لتفاصيل القضية أنظر: عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 250، 251، ذكر المسعدي أن من كلف المحامي بالدفاع عنه هو أخوه محمد، في حين أن محمد شونان ذكر في جريدة البصائر أن من قام باستجلاب المحامي هو تلميذه الشيخ محمد الصغير، أنظر: محمد شونان: كتاب مفتوح، في: البصائر، قسنطينة، سلسلة الأولى، سنة الرابعة، ع: 165، 12 ماي 1939، ص: 7.

⁵ السنة: الرابعة، السلسلة: الأولى، ع: 162، بتاريخ: 16 أبريل 1939م، قسنطينة، ص: 3.

⁶ نفسه.

⁷ محمد شونان: كتاب مفتوح... مرجع سابق، ص: 7. لتفاصيل أكثر عن الحادثة أنظر كذلك: عبد القادر المسعدي: مصدر سابق، ص: 249، 250.

⁸ أنظر نص الرسالة في الملحق رقم: 26، ص: 402. ومنها حصلت على اسم المحامي.

لعب الشيخ عبد القادر المسعدي دور كبير في سبيل نشر العلم والفكر الإصلاحية بمنطقة الجلفة، هذا الدور وإن كان قد أعجب فئة من أبناء منطقة الجلفة وفرحت به وساندته كما تم ذكره سبقا، فإن هناك فئة أخرى سواء كانت من بين بني جلدته أو سلطات الاحتلال الفرنسي ناصبت له العداء وعملوا على إيذائه وعرقلت هدفه، - وهذا الحال قد عرفه رجال الإصلاحية في كل مناطق الوطن - ، فهذا العداء وما جرّه له من إيذاء، جعله ناقما على الوضع وعلى أهله، وهذا ما عبر عنه في إحدى رسائله للشيخ الديسي فقال: « ... ولا حي الله هذا الزمان ولا بيا،... زمان أبكى الأدباء... وأفزع بذى المعارف و اللطائف... وأعلى كعب الثام...، فلا بارك الله فيه...، زمان سادت أراذله، وشاطت أباطله... »³، وهو ما جعل الديسي يتجاوب معه ويرد عليه في إحدى رسائله، حيث وصفه بقوله: « بدر بني سعد وان لم ينصفوه قبل وبعد، اذ لو انصفوه لتوجوه،... »⁴. كما عبر المسعدي عن ذلك في إحدى قصائده⁵:

أصبحت في مسعد وليس يسعدني دهر بلا صحب ولا دين

كأنني جئت اغتال العقول أو أعلمهم طيش السراجين

أو كأنني مصحف في بيت طاغيه هلباجة من أهيل ذمة الدين

¹ حفناوي بن عامر غول: محطات في مسيرة العلامة عبد القادر...، مرجع سابق.

² جاء المقال بعنوان " حول الصحف الفاجرة"، في البصائر (تصدر عن جمعية العلماء المسلمين)، السنة الرابعة، السلسلة: الأولى، ع: 168، 13 ربيع الثاني 1358هـ/ 2 جوان 1939، قسنطينة، ص: 4، هذا المقال كان ردا من طرف الشيخ عبد القادر المسعدي على افتراء ورد في جريدة النجاح تحت عنوان: ضحايا جمعية العلماء سجن داعية بمسعد (هذا العنوان جعلته جريدة النجاح عنوانا تكرر عدة مرات، تذكر بعده من سجن أو غرم من العلماء المصلحين)، فجاء في المقال ما نصه: «في بلدة مسعد التابعة للحكم العسكري بجنوب الجزائر، يوجد فقيه قديم يدعى الشيخ عبد القادر بن ابراهيم، متطوع للتدريس كسائر الطلبة المعروفين بتلك الجهات، غير أن (داء كلب) جمعية العلماء أصاب هذا الفقيه المسكين، كما أصاب غيره، فأصبح داعية لها بتلك الجهة، وجمع حوله أذنا من كل ناحية وصوب، فأصبحت مسعد البلدة الهادئة الآمنة تغلي كالمرجل، وقام الشقاق واندلعت نار الفتنة بين سكانها، غير أن الحكام المحليين تداركوا الأمر فأطفأوا النيران باعتقال وسجن الداعية المذكور أولا، ثم بسجن أحد أذنا به المسمى محمد الصغير بن جاب الله ثانيا، وأصبحت في عداد ضحايا جمعية العلماء، ولا يزال البحث جاريا عنها»، النجاح، ع: 2278، السبت 9 ربيع الأول 1358هـ / 29 أبريل 1939م، نقلا عن: لحسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 22.

³ أنظر نص الرسالة في ملحق رقم: 27، ص: 403

⁴ أنظر نص رسالة في الملحق رقم: 22، ص: 398

⁵ حفناوي بن عامر غول: محطات من مسيرة...، مرجع سابق.

رغم كل هذا النشاط الإصلاحي، وهذا التواصل مع عمداء رجال الإصلاح فإن الشيخ لم يكن عضواً في هيكله جمعية العلماء إلى غاية 2 جوان 1939م، وقد أكد ذلك بنفسه في مقال نشره في جريدة البصائر جاء فيه: أما جمعية العلماء المسلمين رضوان الله عليهم فإني لم أنخرط إلى الآن في عضويتهم، ولكن المشرب واحد وطريق الحق مفردة..، ولا يعرف في ما بعد هل انخرط المسعدي في هيكله جمعية المسلمين بعد هذا التاريخ؟، فلا تتوفر وثائق حالياً التي تثبت أو تنفي انخراطه في الجمعية، ومهما يكن الأمر فلا ريب من أنه آزرها ونصرها وتبنى أفكارها ومبادئها، وكتب في صحفها، ورد على المتربصين بها، مع أن الباحث لحسن بن علجية يستبعد فكرة انخراطه في هيكله الجمعية¹.

• وفاة الشيخ عبد القادر المسعدي:

توفي المسعدي يوم 30 أوت 1956 ورثاه شيخة الطاهر بن العبيدي، فقال²:

مسعد حسرتي فقدت السعادة وخلعت تاج العلا والسيادة

كنت بين القرى محط رحال في بني نائل كقصر إشادة

كان نور العلم فيك شريفاً إن فقد العلوم فقد السعادة

كان عبد القادر نجل ابراهيم فيك أنواره وقادة

إلى أن قال

نعزي كل النوائل فيه وذويه ومن أحسن افتقاده

• آثار الشيخ عبد القادر المسعدي:

خلف الشيخ عبد القادر المسعدي العديد من الآثار سواء كانت مؤلفات أو مراسلات لازال معظمها مخطوطاً، وقد شملت مؤلفاته العديد من المجالات والفنون، يمكن للباحث أن يستفيد

¹ مرجع سابق، ص: 31.

² نفسه، ص ص: 39، 40.

منها تاريخيا وأديبا وفقهيا...، كما أنه يمكن لمس الفكر الإصلاحى الذى تبنته الجمعية ودعت إليه فى آثار الشيخ عبد القادر المسعودى التى خلفها سواء كانت فى مراسلاته التى كانت بينه وبين معاصريه من تلامذته وشيوخ ذلك العصر، أو من خلال شعره، فالدارس لها يجد أنها ذات أبعاد إصلاحية كثيرة منها البعد الدينى، و البعد الفكرى و البعد الاجتماعى¹، وفى ما يلى عرض لأهم مؤلفاته:

طرفة البيان على نظم تحفة الإخوان وهى شرح لمنظومة العبيدى التى نظمها فى البلاغة للدردير²؛ الكلام عن الولاية فى الإسلام؛ تفضيل البادية بالأدلة البادية³ - وهى عبارة عن رسائل أدبية تبادلها مع عبد الرحمن الديسى - : الأرجوزة الشمقمقية تحقيقه وتعليقه؛ مظالم حاكم رباط مسعد المتوالية دكتاتورية غير متناهية؛ ديوان شعر مخطوط⁴؛ شرح لامية الأفعال لابن مالك؛ كتاب فى النحو؛ البدعة فى الإسلام؛ ورتك عدة مقالات منها: الدين نصيحة؛ الصحف الفاجرة، ... وغيرها⁵.

أما الرسائل - فلا تعد ولا تحصى ضاع منها الكثير- التى كان يتبادلها مع أعلام عصره وأصدقائه من الأدباء والحكام والأعيان وكانت أغلبها أدبية، وهى من نوع الرسائل الإخوانية المتبادلة بين الشيخ وتلميذه والشيخ وصديقه، ولم تكن بعيدة عن ما عرفته تلك الفترة من أحداث خاصة وأنه فى عدد من الرسائل يجد الباحث آراء سياسية بما فيها عدد من الأحداث الدولية خاصة التى شهدتها العالم الإسلامى كالانقلاب الذى قاده كمال أتاتورك ضد الخلافة العثمانية والتى كانت ضمن مراسلة مع الشيخ الديسى⁶، أما عن مراسلاته مع شيخه الطاهر بن العبيدى فلا تعد ولا تحصى⁷.

¹ للاطلاع على هذه الأبعاد أنظر: صالح بن عبد الله: مرجع سابق، ص: 185-206.

² أنظر عن نظم العبيدى لرسالة الدرديري ملحق رقم: 28، ص: 436.

³ أنظر ملحق رقم: 29، ص: 405.

⁴ وقد قام الأستاذ حسن بن علجية بجمعها وتحقيقها، وضمنها فى كتابه الشيخ عبد القادر المسعودي...، مرجع سابق، ص: 45-253.

⁵ حفناوي بن عامر غول: الإمام الشيخ عبد القادر...، مرجع سابق، حسن بن علجية: مرجع سابق، ص: 36-38.

⁶ حفناوي بن عامر غول: "محطات فى مسيرة..."، مرجع سابق، أنظر نص الرسالة عن هذه الانقلاب فى ملحق رقم: 7، ص: 383.

⁷ وقد تم إدراج واحدة منها، ارجع للملحق رقم: 21، ص: 397.

2 - الشيخ عطية مسعودي:

مولده ونشأته¹: هو عطية بن مصطفى مسعودي النايلى، ولّد بالزاوية الجلالية الكائنة على مشارف مدينة الجلفة² سنة 1900م، تعلم مبادئ اللغة العربية وحفظ القرآن وعمره لا يتجاوز سبع سنوات على يد أخيه الأكبر العلامة سي الهادي، وأخذ عنه بعض المبادئ في العلوم الدينية بالزاوية الجلالية، بعد وفاة أخيه انتقل الى زاوية الشيخ عبد القادر الطاهري بقصر زينة (الإدرسية)، ثم ارتحل طلبا للعلم؛ فدرس بزوايا بلاد القبائل، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة؛ ودرس عند العلامة عبد الحليم بن سماية مفتي العاصمة في العشرينيات، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ عبد القادر الحمامي ودرس بها، و بمدينة البليدة درس عند الشيخ بن جلول دفين ثنية الأحد، ثم عاد إلى الجلفة وعمل بالتدريس في مدرسة جمعية علماء المسلمين الجزائريين، عين إماما خطيبا بجامع الجمعة³ بمدينة الجلفة، ومما كتب عنه في هذا المقام⁴:

لجفتنا الغرّاء الهناء المختار ♦ إمام الهدى الداعي لسنة مختار
وناصر دين الله ركن مناره ♦ وأقضى قضاة العصر من غير انكار
مواقفه ترضي الإله ودرسه ♦ به القلب يحي بعد موت واقبار
وتذكيره روح القلوب يهزها ♦ وينشردرّ الدمع من خشية الباري
بني نائل بشراكموا إذ أتاكموا ♦ أخوا العدل والتوفيق أكرم بمختار

كتب لفضيلة الشيخ ابن بشير الرابحي مفتي مليانة عام 1370هـ، وقد ضمن شعره إليه سؤالاً يطلب فيه فتوى عن من أنكر عليه توليه إمامة المسجد من الحكومة الفرنسية⁵:

¹ نبذة عن حياة اشيخ سي عطية مسعودي" منشور عبر الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي

http://www.si-attia.org/?page_id=2

شوهده بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00، عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 43.

² لتفاصيل أكثر حول الزاوية أنظر ص: 283

³ لتفاصيل أكثر عن الجامع أنظر ص: 291، 292.

⁴ أنظر الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي:

=مراسلات-بينه-وبين-فضيلة-الشيخ-سي-مصطفى <http://www.si-attia.org/?liss>

شوهده بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:30

⁵ نفسه.

يا بهجة العلماء يا عبد الصمد ❖ يا من عليه في الفتاوى يعتمد
 إني أتيتك سائلاً مسترشداً ❖ لتدلّني - فضلاً على النهج الأسد
 ما قولكم؟ واللّه يرفع قدركم ❖ ويدّكم نهلاً يروق لمن ورد
 فيمن تولّى باختيار ذوي التقى ❖ من أهل بلدته إمامة من سجد
 وبدا لهم من بعد أعوام مضت ❖ حمدوه فيها إذ إلى الله استند
 تعيينه عند الحكومة خوف أن يلي الإمامة فاسق في المعتقد
 فأثار قوم فتنة وتفرّقوا ❖ عملاً بقاعدة الخطأ : "فرّق تسد"
 زعموا وبئس الزعم أن صلاتهم ❖ خلف الحكوميين من عمل فسد
 ولجهلهم ولحاجة بنفوسهم ❖ شادوا ضراراً مسجداً خلف البلد
 أغراهم شيخ الضلال وغرهم ❖ من عن سبيل الله والأعلام ضد
 أَيْصِحُّ في الشرع الشريف مقالهم ❖ أم ذا افتراء ما له من مستند
 فأجب واجلب ما اطلعت عليه من ❖ أقوى الأدلة وأبق في حفظ الصمد
 واقبل تحية واحترام "عطية" ❖ مَنْ مِنْ مَرِيدِ كَمَالِ عِلْمِكَ يَسْتَمِدُّ
 فأجابه الشيخ :

فحمداً وحمداً لِلَّهِ مَدَى الْأَبَدِ ❖ على أنعم جلّت عن الحصر والعدد
 وثم الصلاة والسلام بلا انتها ❖ على العاقب المختار والصحب والولد
 واهدي سلاماً عاطراً متجدداً ❖ كنشر الخزامى في الأريج إذا وقد
 إلى الشاعر الهمام أعني "عطية" ❖ خطيب بيوت الله والكاتب الأسد
 وبعد فقد بدا عليّ كتابكم ❖ مشعاً كضوء الشمس في طالع الأسد
 يسألكني عن عصبية قد تحذلقوا ❖ وقالوا في دين الله بالرأي واللّد
 وهمو ولكن لم ينالوا فأركسوا ❖ بما اكتسبوه من آثام ومن جحد
 وقولهم المسؤول عنه خرافة ❖ يقابل بالإعراض والفض والفند
 أدلّتنا ما قاله السلف الألى ❖ وما عملوا فذاك القاطع الومد
 فصلوا جميعاً خلف برّ وفاجر ❖ حديث رواه البيهقي وقد ورد
 وصلى الإمام ابن الزبير وغيره ❖ كأما ابن عبد، وهو في الدين يعتمد
 وراء الوليد والحجاج ومن هما؟ ❖ إذ حالهما يفنيك عن كل مستند

.....

ومن يترك الصلاة خلف أئمة ❖ بتلك الدعاوي الساقطات فقد قند
و مبتدع أيضا وآثم قلبه ❖ ومزدرع بذرا على قمم الجرد
وما أسسوه من مساجد شأنها ❖ ضرار وتفريق وإفساد معتقد
وإدخال تشكيك و إبعاد وارد ❖ عن المنهل الأوفى إلى منهل الثمد
وما مثلهم في الناس إلا كنافخ ❖ على ضوء شمس كي يرى الليل عن صد
أو ملتمس بلجة البحر جذوة ❖ بها يصطلي ردحا مُجدداً وما وجد
وما قيل في أخذ الإمام جرایة ❖ فذاك الحلال الطيب الطاهر الرغد
و أفتى الهداة قبل ذا بجوازه ❖ كالزین العراقي الفحل والطاهر الخلد
دليله أخذ المصطفى قد ر قوته ❖ من البيت دون ريب فيه ولا فند
وفي احكام القرآن قد صحّ نقله ❖ لدى مصرف الزكاة و القول يعتمد
لأقضى القضاة الحافظ الثبت في الوری ❖ أبي بكر القاضي وقد جاء بالسند
لواستوعب الإنسان أقوال من مضى ❖ لضاقت قواي في الشعر و اتسع العدد
ولكن هذا القدر فيه كفاية ❖ لمنتهج نهج الشريعة والسدد
فغض أخي طرفا وكن لي مسامحا ❖ فإن الكمال ليس إلا إلى الأحد
ودع كل ما يلقونه من مسا وس ❖. أخي - واعتصم بالله تتج من الوبد
وقا بلهم بالصفح والنصح للوری ❖ فأنت الطبيب إن أصاب الفتى خضد وثابر على نشر
العلوم فإنها ❖ مفاتيح ايصال إلى كثرة الصغد
وناظمها يرجوا الدعاء من جنابكم ❖ بحسن الختام والإنابة والرشد
وهو ابن بشير الراحي انتماؤه ❖ إلى الدوحة العليا ويكنى عبد الصمد
مباشرا للإفتاء بمليانة التي ❖ لها حرم "باليوسفي" حرم البلد
فهذا وصلى الله ربي مسلما ❖ على المصطفى والصحب والأهل والحفد
وتاريخها (سيف العناية وصلت به منح) الأستاذ نصر إلى الأبد.

كما كانت له عدة مراسلات مع شيوخ عصره ومنها :

رسالة كانت عبارة عن رد عن خطاب توجه به الشيخ عطية مسعودي إلى الشيخ مبارك

الميلي¹ فكتب: " الحمد لله و حده الأديب الفاضل السيد عطية بن مصطفى ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد أتتني رسالتكم وسررت بها لصحة تراكيبها وسلامتها من اللحن ، فحمدت الله على انتشار العربية بينكم فإن فهم الدين متوقف عليها ، وما ذاق حلاوة الدين من حرم النظر في كتاب الله وأحاديث رسول الله صل الله عليه وسلم ، وما ذاق حلاوتهما من لم يرزق حظا وافرا من العربية ، فعلى نسبة الرجل من العربية تكون نسبة مقدرته على فهم أصول الدين النقلية وقد كان مما رجع به العلماء الإمام مالكا على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما أن مالكا أعلم منه بالعربية وأحوال العرب فلا تسأموا - أعانكم الله - من مطالعة كتب العربية وأخبار العرب وحرصوا إخوانكم على ذلك وعلموهم مما علمكم الله ما وجدتم الى التعليم سبيلا ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

أما إعرابكم الآية فصحيح لا يحتاج الى زيادة بيان ولا فائدة في التطويل إذا كان الخصم قاصرا معاندا ودمتم في العلم راغبين وفي الاستقامة سائرين وبحفظ الله مكلوئين والسلام عليكم وعلى أحبائكم في الله . من أخيكم في الله مبارك بن محمد ميلي ، الأغواط في 8 صفر 50 . 25 / 06 سنة 1931² ؛

مراسلات مع الشيخ الطاهر ابن العبيدي³ ، هذا الأخير كان يمكث عند الشيخ سي عطية بالأشهر ، خاصة في فصل الصيف على عادة أهل الصحراء خاصة تقرت الذين كانوا و مازلوا إلى اليوم يقصدون الجلفة لقضاء فصل الصيف فيها ، وكان الشيخ عطية يقدم الشيخ الطاهر ابن العبيدي لكي ليلقي دروسا في المسجد ومنها الدرس الذي قدمه الشيخ لعبيدي حول تفسير القرآن الكريم ، فأعجب الشيخ سي عطية بطريقة تفسيره ، فأنشد هذه الأبيات:

مفخرة القطر الإمام الطاهر ❖ له على الإسلام حق ظاهر

¹ أنظر الموقع الرسمي للشيخ عطية مسعودي:

<http://www.si-attia.org/?liss> =رسالة-العالم-الشيخ-مبارك-الميلي-رحمه شوهدت يوم: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00

² أنظر الموقع الرسمي للشيخ عطية مسعودي:

<http://www.si-attia.org/?lisslkq;v ufv hgl;ru hgvsld gg> =رسالة-العالم-الشيخ-مبارك-الميلي-رحمه شوهدت بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00

³ شوهدت على موقع:

=مع-الشيخ-الطاهر-ابن-العبيدي <http://www.si-attia.org/?liss>

شوهدت بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00

لأنه أبدى معالم الهدى ❖ بعلمه فكم لحائرهدى
 قدوة خير نهجه قويم ❖ إمام رشد نفعه عميم
 قد ألّف التأليف العديدة ❖ ذات السنا والرفعة المفيدة
 إذا تصدّى لبيان آية ❖ فإنه أعجوبة وآية
 يأتي بأقوال المفسرين من ❖ مثل، ابن عباس²، وأمثال الحسن³
 إلى الخطيب⁴ والإمام الصاوي ❖ كأنه عن قائله راوي

نقل صحيح ومقال فصل ❖ دلّ على رسوخه في الفضل
 يا فوز من عنه روى أوعرفه ❖ فالله يسقيه كؤوس المعرفة

وفاته : توفي الشيخ سي عطية بتاريخ: 27 سبتمبر 1989م، دفن بمسقط رأسه .

آثاره:

آثار الشيخ سي عطية مسعودي مخطوطات متنوعة نظما ونثرا ومنها: مصحف بخط يده؛
 ومجموع في الحديث النبوي الشريف؛ ديوان شعر؛ ديوان خطب؛ ديوان فتاوى؛ وبعض التقييدات
 الفقهية والنسبية، انجاز شجرة الأنساب لأولاد نائل¹.

3 - الشيخ محمد الرايس:

هناك شخصية مهمة ومؤثرة في المجتمع الجلفاوي، ألا وهو الشيخ محمد بن عبد الرحمان
 الذي عرف بعد الاستقلال بالرايس²، فمن هو؟.

مولده ونشأته وتعليمه:

ولد الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس بتاريخ: 21 رمضان 1330هـ الموافق لـ: 02
 سبتمبر 1912م بقصر دمد³ الواقع جنوب شرق منطقة الجلفة، قضى طفولته هناك¹ يتيما،

¹ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 44-117. أنظر شجرة الأنساب أولاد نائل، في الملحق رقم: 3 ص: 411، نشر العديد من قصائده ومراسلاته عبر موقعه الرسمي المذكور أعلاه.

² مقابلة مع حفيد الشيخ محمد الرايس البكر الأستاذ محمد شكيب الرايس، مرجع سابق.

³ محمد شكيب الرايس: أعلام منسية...، مرجع سابق، ص: 5.

حيث توفي والده مبكرا و هو لم يتجاوز السنتين، ثم لحقته الأم، وقد سبقتها ابنتها التي تكبر الشيخ محمد بن عبد الرحمان، فبقي الشيخ وحيدا فكفله خاله عمر بن بلقاسم فريطس معلّم القرية، وجدته لأمّه مريم بنت التومي اليحيويّة، وكانت آنذاك معلّمة قرآن أيضا، وقد أحبّته، وأعتت به عناية خاصّة، وكان لها حرص على تعليمه بما أثار في شخصيته، وتوجّهه للعلم².

لقد سلك الشيخ محمد الرّئيس الطريقة المتداولة في عصره للتعلّم، فدخل الكتاب القرآني، حفظ القرآن الكريم في سنّ مبكّرة لم تتجاوز العاشرة و أتقن حفظه، كما تلقى مبادئ العلوم، وصار بعد ذلك مساعدا لخاله عمر في تعليم الصبيان؛ ثمّ درس بعد ذلك بمسعد على يد الشيخ عبد القادر بن إبراهيم المسعدي³، حيث درس عليه بعض كتب الآداب والنحو والفقه⁴، ويعتبر الشيخ محمد بن عبد الرحمان من أنجب طلبة الشيخ عبد القادر المسعدي، فقد ختم عليه مصنفات جليّة، فأنشد الشيخ محمد بن عبد الرحمان بمناسبة ختمه الكتاب الأول من الشرح الكبير للعلامة الدرديري على شيخه:

لنا من زاد العلم قبس له انمحي ظلام بهذا القطر قد أسدل التسرا

وأوقد نبراسا أنار ظلامه وأعلا له قدرا وأحيا له ذكرا

فنارت بلاد طالما قد تكاثفت بها سحب الجهل الذي يورث الفقراء

فهاهي تباهي اليوم أترابها لما ببحر العلوم الغمر قد نالت الفخرا

هنيئاً لها قد انجبت سيّدا غدا له المجد في الدنيا حليفا وفي الأخرى

هو الحبر عبد القادر السيد الذي غدا جمعنا من ذكره عابقا نشرا

فلا غرو إن أطنبت مدحه فما على البحر فضل للسحاب همى مطرا

¹ و إليها انتسب في بادئ حياته، أنظر: سالم علوي: راييس محمد بن عبد الرحمان المسعدي أديب وشاعر نماذج من شعره، دار هومة، الجزائر، 2013، ص: 5.

² نفسه، ص: 6، محمد شكيب الرايس: أعلام منسية..، مرجع سابق، ص: 5.

³ سبق تعريفه.

⁴ سالم علوي: مرجع سابق، ص: 8.

فردد على مسمعي شاه فإنه يزيد لنا أنسا ويشرح لنا صدرا

وعدد مزاياه وكرر مديحه علينا فما أهناً لدينا وما أمرا

وأسأل من رب العرش أن يحفظنه من الكيد والأسواء بما حفظ الذكرى

ويبقيه للناس في القطر منهلا يزيل من جاءه يشتكي حرا¹

- رحلات الشيخ محمد بن عبد الرحمان لطلب العلم:

● رحلته لطلب العلم بقسنطينة:

تزامنت فترة تلمذ الشاب محمد بن عبد الرحمان مع بداية انتشار أفكار حركة الإصلاح و التربية، التي تولّاها الشيخ ابن باديس في قسنطينة التي أصبحت محط الأنظار و الأسماع والأبصار، فرغب الشاب أن يعيشها عن قرب، فانتقل إلى قسنطينة بتاريخ: السبت 21 شعبان 1357هـ الموافق لـ: 15 أكتوبر 1938م والتحق بالجامع الأخضر و جالس الإمام عبد الحميد بن باديس الذي كان في قمة عطائه، فتتلمذ على يديه وعلى يد الشيخ الجيلالي الفارسي، ثم درس في السنة التي بعدها على الشيخ أمبارك الميلي.²

قيد الشيخ محمد بن عبد الرحمان³، الطريقة التي كان يدرسهم بها الشيخ عبد الحميد بن باديس ومنهجه وأسلوبه وأبرز مبدأ شيخه الإصلاحي، ومما أورد في ترجمته لمنهج الشيخ عبد الحميد بن باديس، لإعداد طلبته لحمل عبئ الدعوة أنه: «...وكان يلزم الطالب الذي يصله دور قراءة الدرس، بقراءته واقفا، كي يتربى ويتعود عن الكلام أمام الجماهير بدون حشمة أو هيبة ...»، وأنه - أي الشيخ عبد الحميد بن باديس - حثهم أن يكونوا قدوة حسنة لأقوامهم إذا رجعوا إليهم، فقال: «كان يوصينا بعد اختتام الدروس، عند رجوعنا إلى بلداننا أن نكون متحلّين بأخلاقنا الفاضلة والآداب، وأن نكون مثلاً حسناً يقتدى بنا».

¹ نفسه، ص: 32، 33.

² محمد شكيب الرايس: أعلام منسية...، مرجع سابق، ص: 9.

³ وهذا التقييد عبارة عن ترجمة للشيخ عبد الحميد بن باديس في ذكرى وفاته تكونت من قسمين أعادها تلميذه الشيخ محمد بن عبد الرحمان، قد سجّل فيها بعض مواقف شيخه، و بقي منها بعض الأوراق المسوّدة محفوظة في مكتبته.

كما أشار إلى أسلوب شيخه و كثرة استنباطاته، واستحضاره لشواهد القرآن، فأورد: « وكانت طريقته في التدريس، أن يقرأ النص أولاً ثم يعقبه بالشرح، و التفسير مع الاستنتاج، و الاستنباط، و الاستشهاد للشواهد، وكان مستحضراً لآيات القرآن على طرف لسانه، فكلما عرضت عليه مسألة علمية إلا و كان الاستشهاد لها بالقرآن الكريم على طرف لسانه ... ».

هذا بالإضافة إلى إبرازه مبدأ شيخ عبد الحميد بن باديس الإصلاح، و منهجه الديني تحت عنوان: "عبد الحميد المصلح الديني السلفي" فذكر مبدأ أستاذه وما كان يكتبه في ظاهر مجلته، من قول الإمام مالك بن انس - رحمه الله - (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، وقال أيضاً: « وأما الإصلاح فإننا ندعو إخواننا المسلمين إلى الرجوع إلى الهداية الإسلامية كما جاء بها محمد صل الله عليه وسلم خالصة نقيّة ممّا أحدثه فيها المحدثون في العقائد والأقوال، والأعمال داعية إلى الزكاء النّفسي، و الكمال الخلقي، والتفكير العلمي، و الرقي العمراني، و العدل الاجتماعي، ببضاء نقيّة ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وندعوهم أن يطلبوا هذه الهداية في القرآن، الذي هو كتاب الإسلام، و سنّة الرّسول صل الله عليه و سلم، من أقواله و أفعاله، و أحواله، وسيره التي هي بيان للكتاب، و سيرة السلف الصالح في فهمها و العمل بها، فإنهم و الله أصحّ إفهاماً بنطقهم العربيّة، و مجالستهم للنبي صل الله عليه و سلم، و قرب زمانهم، و أصفى أذهاناً و أقوى إيماناً، و أزكى نفوساً، و أطهر قلوباً، و أقلّ تكلفاً، هذا مبدأ في الإصلاح الديني، وهو الرجوع إلى الكتاب و السنّة، و آثار السلف الصالح، و الاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم .. »³.

لم يغفل الشيخ محمد بن عبد الرحمان الجانب الإنساني والطيب للشيخ عبد الحميد ابن باديس، فقال: « وأذكر أنني لما رجعت إلى القراءة في سنة 1939م بعد قيام الحرب العالمية الثانية وكان الكثير من الطلبة لم يرجع لتلك السنة، لأنهم جنّدوا، و ذهبوا إليه وسلّموا عليه، وفرح فرحاً شديداً بي، وسألني بتعجّب؛ كيف جئت؟! كيف جئت؟! و قلت له: جئت مخفياً، فأجابني بقوله: المسألة مسألة شجاعة لا غير »؛ هذه الحادثة تبين مدى حب الشيخ لطلابه و حرصه و شففته عليهم.

تعلق الشاب بشيخه الشيخ عبد الحميد بن باديس كثيرا، وهذا ما تم لمسه من خلال رثائه بقصائد قوية تعكس عظيم مصابه بفراقه و جليل حبه له ، فقال ¹:

- | | |
|-------------------------------|------------------------------|
| قضى الأمر بي لا مقال لقائل | ولا حيلة ترجى لدفع الغوائل |
| أعبد الحميد ما درينا بأننا | سنرزا فيك عاجلا غير آجل |
| رحلت عن الدنيا و غادرتنا بها | كفرقى حيارى من خطوب نوازل |
| كأنك لم تعجبك فيها إقامة | كأنك ترنوا للعلا و الفضائل |
| فأوليتها الهجران والصد إذ غدت | مجالا و سوقا للخنى و الرذائل |
- ثم يصوّر بكاء المصلحين على فقدانه، بل بكاء الأرض و السماء فقال :
- | | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| ليبك عليك مصلحون جميعهم | شبابا و شيبا في جموع جحافل |
| ليبك عليك العلم إذ هد ركنه | و أصبح يخشى من دعاة البواطل |
| ليبك النوادي و المدارس إذ خلت | و أمست كأحياء النساء العواطل |
| لتبك الأرض شرقا و مغربا | و برا و بحرا في الغدى و الأصائل |
- ثم يصف صدمة الفراق لشيخه و تذكره بآثاره الكثيرة :
- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| لقد ضاقت الدنيا علي برحبها | فسرت كسكراني من بين ذاهل |
| أطوف على الآثار مسائلا | عليك فما تبدي جوابا لسائل |
| أسائل عنك الجامع الاخضر الذي | غد بك دهرا حائزا خير نائل |
| أجول بطرف العين في جنابته | فتوحشني وجدا و تذكي مشاعلي |

¹ سالم علوي: مرجع سابق، ص ص: 80، 81. أنظر قصائد رثاء الشيخ عبد الحميد بن باديس في الصفحات التالية من نفس الكتاب، ص ص: 81-84، و ص ص: 68-71.

بعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس توجه الشيخ لطلب العلم خارج الجزائر، فشق طريقه إلى تونس لاستزادة من العلم وتطبيقا لوصية شيخه الشيخ عبد القادر المسعدي الذي حثه على أخذ العلم ولو خارج الجزائر كالأزهر والزيتونة والقرويين¹.

رحلته إلى تونس لطلب العلم بجامع الزيتونة أو الجامع الأعظم:

لم تطل إقامة الشيخ محمد الرئيس بقسنطينة بعد وفاة شيخه ابن باديس، فاتجه صوب تونس ونزل بها بتاريخ 06 ديسمبر 1940م²، ثم اتصل بإدارة الجامع بتاريخ 15 جانفي 1941م³، وتم قبوله فوراً في دفتره: « ادعى صاحب هذا الدفتر أنه كلمة غير واضحة⁴ القراءة خارج الجامع العظيم في الرتبة الابتدائية، وأذنت المشيخة بإجراء اختبار عليه فيما يدعي، من لجنة عينتها لذلك وقد أجرى الاختبار عليه فيما يدعي، فأنتج الاختبار أن يكون من أهل السنة الرابعة من الرتبة الابتدائية، حرر في 20 في ذي الحجة 1359 هـ الموافق لـ: 18 جانفي 1941م⁵، وقد باشر التلميذ محمد بن عبد الرحمان دروسه في السنة الرابعة بعد أن أثبت أنه درس العلوم التي « تدرس في السنوات الثلاث بالجامع الأعظم وفروعه من المرتبة الابتدائية فأنتج أنه من أهل لقراءة كتب السنة الرابعة من تلك المرتبة....»⁶، وبعد دراسته العلوم التي تدرس بالسنة الرابعة حصل الشهادة الأهلية، وانتقل إلى السنة أولى ثانوي في ذي القعدة 1360 هـ الموافق لـ: نوفمبر 1941م⁷، وبعد تمكنه واجتازة السنة أولى من التعليم الثانوي انتقل إلى السنة الثانية بتاريخ: رجب 1362 هـ الموافق لـ: جويلية 1943 م⁸، وبعد تحصل على دروس السنة الثانية انتقل إلى السنة الثالثة من التعليم الثانوي من الدورة الأولى بتاريخ: رجب 1363 هـ

¹ نفسه، ص: 8.

² محمد شكيب الرئيس: أعلام منسية...، مرجع سابق، ص: 12، كما ذكر أنه التقى بزملائه الجزائريين منهم الشيخ أحمد حماني، و مصطفى بن سعيد الجيجلي، و أحمد بن ذياب، وغيرهم.

³ أنظر ملحق رقم: 30، ص: 406

⁴ ويبدو أنها قرأ أو درس وهذا تماشياً مع صياغة الحديث.

⁵ أنظر ملحق رقم: 31، ص: 407

⁶ أنظر ملحق رقم: 32، ص: 408

⁷ أنظر ملحق رقم: 33، ص: 409

⁸ أنظر ملحق رقم: 34، ص: 410

الموافق لـ: جويلية 1944م¹، وبعد اجتيازه امتحان السنة الثالثة من التعليم الثانوي، وذلك في: 5 شعبان 1364هـ الموافق لـ: 15 جويلية 1945م²، وحصل بذلك على شهادة التحصيل التي يحمنها الجامع الأعظم وفروعه³، تلقى أثناء دراسته علوما عديدة: كالتجويد؛ والتوحيد؛ الفقه؛ والنحو؛ والصرف؛ والبلاغة؛ والحساب؛ والهندسة؛ والتاريخ؛ والأدب وأصول الفقه؛ والسيرة النبوية...، على يد علماء كثيرين من أعلام الزيتونة⁴، وقد عدد شيوخه الذين درس على أيديهم وكذا العلوم التي درسها وضمنها في مسودة ما زالت موجودة اليوم بمكتبته، ومن هؤلاء الشيوخ الشيخ معاوية التميمي⁵، وقد كان متأثرا به كثيرا، فعند وفاته رثاه بقصيدة، قال فيها⁶:

قد هاجت منك اليوم آثار وألهم الفكر نظم الشعر تذكار

ومن بعدكم عنا وفرقتكم تذب وتسعر في أحشائنا النار

يا من ثوى ذكرهم بالقلب فهو له جار إذا ما جفاه الأهل و الجار

قد كنتم أنس قلبي حين توحشه من صرف دهري أحزان وأكدار

إنا على العهد لا ننسى مودتكم طول الزمان و إن شطت بنا الدار

ثم ذكر شفقتة وعطفه عليهم كما أبرز مكانته العلمية، فقال:⁷

هذا معاوية الأب الشقوف بنا أجلته وهو ذخر منه نمتار

كم قد أبان معمى في الدروس إذا رنت إليه من الأقوام أبظار

وكم أعان في نيل المؤمل من تقاعست عنه أصحاب و أنصار

¹ أنظر الملحق رقم: 35، ص: 411

² أنظر ملحق رقم: 36، ص: 412

³ أنظر ملحق رقم: 37، ص: 413.

⁴ شكيب محمد الرايس: أعلام منسية، مرجع سابق، ص: 12.

⁵ وهو أستاذ تونسي عرف بحبه للطلبة الجزائريين، سالم علوي: مرجع سابق، ص: 75.

⁶ سالم علوي: مرجع سابق، ص: 75، 76.

⁷ مجموعة من الأبيات بخط الشيخ محمد الرايس، موجودة في مكتبته.

جَزَاهُ رَبُّ الْوَرَىٰ عِنَا بِرَحْمَتِهِ

كما نشر محمد بن عبد الرحمان عدة قصائد ومقالات في المجلة الزيتونية¹ ومنها تلك القصيدة التي هنئ فيها الشيخ ابن عاشور عند توليه مشيخة الجامع الأعظم، فقال في مطلعها:

عاد المنا² وسرور النفس قد آبا و زال عنا العنا والعيش قد طابا

و الفكر من فرح هزّت مشاعره

وواصل فقال:

العالم العامل الذي انتشرت في الناس شهرته عجما وأعرابا

إلى أن ذكر:

محمد الطاهر الفرد ابن عاشور نبراس الهدى الذي ظل مرتاب

ثم هنأه وترجّاه لترقية المعهد ، و طلب منه أن يتعطف على الطلاب فقال:

فاهناً بما حزت من فخر و من كرم
و أسلم و دم لعروس المجد خطابا

فمعهد القطر قد ألقى مقالـــــــه إليك يبغي المنى فافتح له البابا

وانظر إليهم بعين من عنايتكم كي يمدد اليوم للعلواء أسبابا

وَأَعِظْ عَلَى سَائِرِ الطَّلَابِ فِيهِ فِكْرٌ

حَقِّ رَجَا مِنْتَهُ مِنْهُمْ وَمُبْتَدِئُ

وبعد حصوله على شهادة التحصيل في العلوم، عاد الشيخ محمد بن عبد الرحمان إلى وطنه أواخر سنة 1945م، و أنشد عند رجوعه قائلاً¹:

¹ ع: 10، تونس، مارس 1945م، ج: 10، مج: 5، نقلا عن سالم العلوي: مرجع سابق، ص: 95.

² هكذا في الأصل

ولما درسنا كل فرض و سُنّة وفاز بنيل القصد من هو فائز

شددنا إلى التّرحال كل حقبة وسالت بأعجال القطار المفاوز

نشاطه في صفوف جمعية العلماء المسلمين بمنطقة الجلفة وعبر الوطن الجزائري:

لم يستسغ محمد بن عبد الرحمان في البداية الأفكار الإصلاحية التي حملتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عند تأسيسها سنة 1931م كهيئة، بل أكثر من ذلك فكان يناوئها بعنف، لكن سرعان ما انجلت له الحقيقة، فتبنى الدعوة الإصلاحية، فكان يردد: «...أنا لا أدخل شيئا حتى أقتنع به، قبل أن أعتق الإصلاح، كنت عنيفا و متشددا في الطرقيّة، و شديدا على حركة الإصلاح، وما دخلت الإصلاح إلا بعد اليقين، و التّثبت من صحّته و سلامته، ولم أكن كالذين اندفعوا للإصلاح ثمّ تتكروا له ...»²، وأصبح عضوا نشطا بارزا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وممثلا لها ليس في منطقة الجلفة فحسب، بل عبر مناطق كثيرة من الوطن، و يرجع الفضل في ذلك - بعد الله عز وجل - إلى شيخه عبد القادر بن إبراهيم المسعدي الذي نصح تلميذه بقراءة جريدة البصائر، إذ كان قبل ذلك يقرأ جريدة البلاغ و النجاح على مسامع الطرقيين في بلده كلّما صدّرنا، لقلّة من يقرأ منهم³.

تعلق الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي بشيخه عبد القادر بن ابراهيم المسعدي المتشبع بالأفكار الإصلاحية والمتشدد فيها لدرجة أنه لقب بالعقبي، وهذا ما جعل شيخه متابعا من طرف الإدارة الفرنسية وأذناها - كما تم التطرق له سابقا - ، مما جعل الشيخ لا يسلم هو الآخر من الأذى الذي كان موجهها لشيخه، فقد تسبب له هذا التعلق الكثير من المتاعب ومنها؛ ضربه وسجنه بغير حق سنة 1356هـ الموافق لـ: 1937م، في محاولة من الإدارة الفرنسية وأذناها تشيه عن هدفه المتمثل في التعلق برجال الإصلاح وأفكارها، وقد سرد هذه الواقعة الشيخ محمد عبد الرحمان في رسالة بعث بها إلى عبد الحميد بن باديس : « نخبركم بأنني كنت مع رفيق لي في السنة الماضية 1356هـ نذهب من قريتنا إلى بلدة مسعد على بعد 2 كلم

¹ شكيب الرايس: أعلام منسية، مرجع سابق، ص ص: 12، 13.

² ذكرها الأستاذ سالم علوي الذي كثيرا ما يجالسه في حياته، نقلا عن مقابلة مع السيد شكيب محمد الرايس حفيد محمد بن عبد الرحمان، مرجع سابق.

³ شكيب الرايس: أعلام منسية ...، مرجع سابق، ص ص: 6، 7.

نزاول دروسا علمية على الشيخ عبد القادر بن إبراهيم إلى أن سعت بعض الأذئاب الحكومية واتهمونا بالخوض في السياسة وسب مصالحهم، فمنعت الحكومة الشيخ من التدريس ثم أغروا بي أنا ورفيقي بعض سفهائهم، فاعترضونا ونحن ذاهبون إلى قريتنا، فضربوني أنا ضربة شديدة على رأسي أسالت دمي وسقطت منها على الأرض وكذلك رفيقي حتى سال دمه....فحكم عاينا بخمسة عشرة يوما سجنا وخمسين فرنكا»¹، وهذا ما أكده شيخه عبد القادر المسعدي فكتب: «ضربوا بقاعة السوق رجلين من خيرة الطلبة: السيدين: محمد الصغير ومحمد بن عبد الرحمان، فحملا مضجرين بدمائهما إلى ذلك الحكام، فعاقبهما رغما عما ظلما به بالسجن،...»²، إلا أن هذه الواقعة لم تثني الشيخ محمد بن عبد الرحمان عن ارتباطه بشيخه، بل زادته تعلقا أكثر به وبالأفكار الإصلاحية التنويرية، ففي فترة سجنه تم افتتاح النادي الإسلامي³ للشباب بالجلفة، التابع لجمعية العلماء المسلمين أواخر سنة 1937م، فتحصر الشاب محمد ابن عبد الرحمان على أنه لم يكن من السابقين الأولين إليه، فكتب قصيدته التي تعكس حرقته لعدم حضوره افتتاح للنادي، وسروره بفتحه⁴

لم يتوقف الأمر عند حد قول القصائد من طرف الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي بمناسبة افتتاح النادي الإسلامي، بل أنه بمجرد خروجه من السجن، التحق به في بداية 1938م فوجد شيخه عبد القادر بن إبراهيم أستقدم من بلده مسعد للتدريس بالنادي في الجلفة⁵، وفي إحدى المرات قدمه شيخه فألقى خطاب بحضرته وأشاد فيه بجمعية العلماء المسلمين ونوّه بفضلها على الأمة الجزائرية، فقال عنها شَخَّصَتِ الداء ووصفت الدواء وبثت في الأمة حب العلم، و الإرشاد، والتعاون، و التي سرت بفضلها في جسم الأمة الجزائرية، وشكر مساعي القائمين عن النادي.

وعندما تجددت إدارة النادي الإسلامي في عامها الثاني وذلك في سبتمبر 1938م كان الشاب محمد بن عبد الرحمان المسعدي ضمن أعضاء إدارته فشغل نائب الكاتب العام، كما

¹ نص الرسالة كامل في كتاب سالم العلوي: مرجع سابق، ص: 159، 160

² عبد القادر المسعدي: دكتاتورية....، مصدر سابق، ص: 245، 246.

³ لمعلومات أكثر حول النادي الإسلامي أنظر ص: 325-330.

⁴ أنظر القصيدة ص: 326-327

⁵ لتفاصيل أكثر حول تفاصيل عن التحاق الشيخ عبد القادر المسعدي بالنادي الإسلامي أنظر ترجمته

ذكر هو بنفسه في مقال له نشر في جريدة البصائر¹ في نفس السنة التي تجدد فيها أعضاء إدارة النادي في عامها الثاني سنة 1938م².

هذا وقد كانت رحلته لطلب العلم إلى قسنطينة والتحاقه بالجامع الأخضر، والنهل من العلوم التي كانت تدرس به على شيوخ فطاحل وعلى رأسهم رجل الإصلاح بالجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان في قمة عطائه³، دور كبير في الاستزادة من التشبع بالأفكار الإصلاحية والعمل على نشرها، وهذا ما عكسه نشاطه في صفوف الجمعية كما سيتم عرضه في العناصر الموالية.

• محمد بن عبد الرحمان المسعدي كاتباً في الصحف:

كان الشيخ محمد بن عبد الرحمان كاتباً في جريدة البصائر، وتتنوع الموضوعات التي نشرها فمنها؛ موضوعات متعلقة بالنشاط الإصلاحي بالمنطقة وطريقة تسييره⁴؛ والمقالات السياسية التي كثيراً ما كانت تفضح الجرائم، والممارسات العدوانية المنتهجة من طرف السلطات العسكرية في منطقة الجنوب⁵، كما أن له أبيات شعرية يرد فيها على قصيدة نشرتها جريدة البصائر تحيي بها قراءها بمناسبة مرور سنة على صدورها فجاء في مطلعها⁶:

أيها القارئون حياكم اللّـه له و أحياكم أبرّ العباد
مرّ عام عليه أوليكم النّص ح و أهليكم سبيل الرشاد

¹ محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة"...، مرجع سابق، ص: 3.

² أنظر تفاصيل أكثر عن ما ورد في هذا المقال عند الكلام عن تأسيس النادي الإسلامي بالجلفة أنظر ص: 327-329.

³ لتفاصيل أكثر عن تدرس الشيخ محمد بن عبد الرحمان بقسنطينة أنظر أعلاه.

⁴ أنظر مثلاً المقال الذي نشره بجريدة البصائر الشيخ محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة..."، مرجع سابق، ص: 3.

⁵ محمد بن عبد الرحمان الدمدي المسعدي: "من رأى منكم فليغيره - بيده فإن لم يستطع فبلسانه-"، في: البصائر، السلسلة الأولى، السنة الرابعة، ع: 171، 5 جمادى الأولى 1355هـ الموافق لـ: 23 جوان 1939م، ص: 8.

⁶ "البصائر تحي قراءها الكرام بمناسبة دخولها السنة الثانية"، في: البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثانية، ع: 51، 3 ذو القعدة 1355هـ الموافق لـ: 15 جانفي 1937م، ص: 1.

فرد عليهم التحية فأنشد¹:

بغتتا منك تحية يا _____
محضت بنصحها لكل العباد
و دعت لإتباع نهج رسول الله
_____ ه أهل القرى و البوادي
بكتاب و سنة و بيــــــــــــان
قد حكى السحر امتلاك الفؤاد
ثم حضت على التآخي ونبذ الـ
_____ غلّ و الالتئام و الاتحاد
و اجتتاب لما يدهورنا مــــــــــــن
بدع فشت و كل فســــــــــــاد
و غدا همها و كل مناها
شعبها كي يفوز بين البلاد
فعليك السلامة منا و
حييت من كل تحية ووداد

كما أن له مقال آخر عبر فيه عن فرحه بعد عودت صدور جريدة البصائر بعد الحرب العالمية الثانية، التي انقطعت عن الصدور عند اقتراب اندلاعها²، فأنشد³:

ظللنا نشاوي مذ رأينا البصائرا
وعم السرور الأهل ثم العشائرا
وأقبل شهر الصوم يغذو عقولنا
وأرواحنا مما يهز المشاعرا
فلله شهر لاح كالصبح إذ بدت
تباشيره الغراء تجلو الدياجرا
أعاد به الأفراح عود صحيفة
تتير بما تمليه عنا البصائرا
وتهدي إلى نهج الحقيقة كل من
غدا في ظلام الشك والوهم حائرا

¹ محمد بن عمر (دمد): "رد تحية البصائر"، في: البصائر، السلسلة الأولى، السنة الثانية، ع: 51، 1 ذو الحجة 1355هـ الموافق لـ: 12 فيفري 1937م، ص: 7. ملاحظة ذكر لي حفيده الأستاذ محمد شكيب بأن جده كان يعرف في ذلك الوقت بهذا الاسم أي خاله الذي رياه عمر محمد بن عمر.

² عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار في الجزائر (1913 - 1940م)، ط: 1، دار الشهاب، بيروت، 1999م، ص: 184.

³ محمد بن عبد الرحمان المسعدي: "تحية البصائر"، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الأولى، ع: 12، 12 ذي الحجة 1366هـ الموافق لـ: 27 أكتوبر 1947م، ص: 7.

فكم أظهرت حقا وكم بينت هدى وكم أوضحت من غامض عاد ظاهرا

وكم ناضلت عن حرمة شعب عابثا خوونا أراد النيل منه وماكرا

وكم قاومت ظالم متجبر يرى الحق للسيف الذي ظل قاهر

وواصل الإنشاد بفضائل البصائر إلى أن ختم القصيدة بقوله:

إليك ومن يحذوك أزكى تحية وأخلصها من ابتداء وآخرها

• الشيخ بين التدريس والإدارة بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

عاد الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي إلى وطنه بعد رحلة علمية خارج الديار بتونس، و كله جدّ ونشاط وإخلاص لخدمة وطنه بتعليم أبنائه، بدأ التدريس في مسقط رأسه "مسعد"، فكان يقيم دروسا للكبار في المسجد بين المغرب والعشاء، و دروسا للصغار، و كان يلقي درس الجمعة في المسجد الواقع بوسط مسعد سنة 1946 م، ثم التحق رسميا بمدارس جمعية العلماء المسلمين من 1945م إلى غاية 1956م، فاشتغل ب: الجلفة، وعين تموشنت، المغير، تيارت، ورجع للجلفة للمرة الثانية، ثم طولقة¹.

ففي السنة الدراسية 1946/1947م عيّن مديرا و معلّما بمدرسة الإخلاص بالجلفة² ثم عيّن مديرا بمدرسة الإصلاح بمدينة عين تيموشنت 1947/ 1948م³، كما شغل منصب مدير بمدرسة المغير⁴ لمدة ثلاث مواسم دراسية وهي على التوالي: 1948/1949م⁵ 1949/ 1950م

¹ أنظر الملحق رقم: 38، ص: 414.

² مقابلة مع حفيد الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي الأستاذ شكيب: مرجع سابق.

³ محمد بن عبد الرحمان المسعدي: " مدرسة الإصلاح بعين تموشنت (وهران)"، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الأولى، ع: 12، 8 ذي الحجة 1367هـ الموافق ل: 11 أكتوبر 1948م، ص: 7.

⁴ هي اليوم إحدى دوائر ولاية وادي سوف.

⁵ أنظر ملحق رقم: 39، ص: 415.

و 1950 / 1951 م¹، وله ذكريات ومراسلات كثيرة مع أهلها²، وفي سنة 1951/1952م عين مديرا وخطيبا وواعظا بمدرسة الفلاح بوهرا ن ثم مديرا في تيارت³،

عاد إلى مدينة الجلفة بعد مراسلات كثيرة من طرف محمد شونان كانت موجهة لمحمد بن عبد الرحمان ولجمعية العلماء المسلمين من أجل عودة الشيخ محمد بن عبد الرحمان إلى منطقة الجلفة للتدريس، ومن هذه المراسلات تلك المراسلة التي بعث بها محمد شونان للشيخ وللجمعية بشأن هذا الموضوع التي تعود لتاريخ 18 أكتوبر 1949م⁴، لكنه لم يعد لمدينة الجلفة وبالضبط إلى مدرسة الإخلاص إلا في السنة 1953/1954م⁵، وبقي يتنقل عبر تراب الوطن مكلفا من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإدارة مدارسها والتعليم بها.

وفاته: توفى رحمه الله في 28 شوال 1987هـ الموافق لـ: 28 جانفي 1968م، إثر مرض عانى منه طويلا، من جراء التعذيب والسجون وكابد مشاق طلب العلم والتقلات الكثير، ودفن بمقبرة دمد⁶.

آثاره:

لم يخلف الشيخ محمد بن عبد الرحمان أعمالا كاملة، ولعل السبب في ذلك يعود لقلّة تفرغه للبحث لاشتغاله بالتحصيل وانهماكه في التعليم والتدريس بعد التخرج من الزيتونة، وكثرة مضايقات الاحتلال الفرنسي له، خاصة بعد اندلاع الثورة، فقد أخذوا كثيرا من كراريسه

¹ البصائر: " قائمة توزيع المعلمين للسنة 1950-1951"، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 135، 8 ربيع الأول 1370هـ الموافق لـ: 18 ديسمبر 1950م، قسنطينة، ص: 2.

² بناء على ذكره لي حفيده الأستاذ محمد شكيب بلقائي معه.

³ أنظر ملحق رقم: 40 و 41 على التوالي ص ص: 416، 417.

⁴ أنظر ملحق رقم: 42، ص: 418.

⁵ صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 129.

⁶ مقابلة مع حفيده الأستاذ محمد شكيب: مرجع سابق.

ومذكراته أثناء مداماتهم لبيته، وربما ضاع شيء منها في تنقلاته¹، ومن بين بعض الآثار التي بقيت محفوظة في مكتبته وجد²:

- كتاب بعنوان: "الفصيح المحرف عن الفصيح"، تناول في هذا الكتاب الكلمات العامية، وقارنها باللغة العربية؛ فذكر أولاً عن لفظها هل هو مطابق للمعنى العربي أم محرف عنها، ثم كان يتناول معناها عند العامة، وهل هو مطابق للمعنى العربي أم لا، وأحياناً كان يستشهد بالقرآن أو الشعر أو الحديث، ويبدو أنه كتاب ثري ومهم لو قدر له التمام، لكن لأسف لم منه إلا قصاصات وكناشات متناثرة.
- قصائد شعرية كثيرة في أغراض مختلفة منها ما هو منشور في جريدة البصائر ومنها ترك في مكتبته الخاصة، قام بجمع أغلبها والتعليق عليها تلميذه الدكتور سالم العلوي في كتاب سماها: من آثار الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأدبية الشعرية والنثرية - راييس محمد بن عبد الرحمان المسعدي أديب وشاعر: نماذج من شعره، طبع سنة 2013م.
- بعض الفتاوي المكتوبة بخط يده، خطب جمعية وأخرى وفي مناسبات مختلفة، بحوث قصيرة في علوم اللغة والشريعة.
- رسالة من ست صفحات، ذكر فيها أعماله الثورية، وموقفه من بلونيس.
- ترجمة للشيخ ابن باديس في قسمين مخطوطة، لكن تنقصها أوراق.

¹ محمد شكيب: أعلام منسية...، مرجع سابق، ص ص: 17، 18.

² نفسه، ص: 18.

4 - الشيخ الأخضر بن الغويني (الأبقع) :

علم آخر من أعلام منطقة لجلفة الشيخ الأخضر بن الغويني المعروف بالأبقع، فمن هو؟

مولده ونشأته وتعليمه: هو الشيخ الأبقع الأخضر بن الغويني من مواليد 1910م بعين الإبل التابعة لمنطقة الجلفة، حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة، درس بالزاوية المحفوظية، تتلمذ على يد الشيخ بيوض بالقرارة، ثم انتقل إلى الزاوية الجيلالية ونال من شيوخها وعلمائها شهادات الكفاءة والتقدير، كلف هناك بالتدريس في الفقه وتفسير القرآن للطبري والنحو والأصول والحديث، وعند رجوعه إلى مسعد عام 1939م شرع في التدريس بالمساجد.

وعند زيارة وفد من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدينة مسعد سنة 1946م، ومنهم أحمد حماني أعجبوا به فطلب منه الانضمام إلى صفوف المعلمين التابعين لجمعية العلماء المسلمين وكلف بمهمة النشاط التعليمي الإصلاحي، وذلك من خلال تعليم الناشئة، وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد للعامة¹.

نشط الشيخ الأخضر الأبقع الحركة التعليمية التي رسمتها جمعية العلماء المسلمين وجعلتها من بين أهدافها، فكلف بمهمة الإدارة والتدريس بمدارسها ومنها مدرسة الإخلاص بمنطقة الجلفة في السنوات الدراسية ما بين 1948 و 1950م؛ ففي السنة الدراسية: 1948 / 1949 شغل منصب مدرس، أما في السنة الدراسية 1949/1950م كلف بأعمال الإدارة، وهذا بناء على المقالات المنشورة في لسان حال جمعية العلماء المسلمين البصائر؛ فعن منصبه الأول ورد اسمه مقرونا باسم معلم، عندما نشرت الجريدة أسماء الناجحين في الامتحان السنوي للسنة الدراسية 1948/1949م، ومنهم الناجحون بمدرسة الإخلاص بالجلفة²؛ أما عن منصبه الثاني كلف بأعمال الإدارة، عندما نشرت الجريدة قائمة توزيع المعلمين لسنة الدراسية 1949 - 1950م، فاقترن اسم القائم بأعمال الإدارة في مدرسة الجلفة بالشيخ الأخضر الغويني³.

¹ هشام الأبقع: الأستاذ الأبقع الأخضر المسعدي، مخطوط غير مصنف موجود بمكتبته، نقلا عن صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 134.

² البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 53، 15 ذي الحجة 1367 الموافق ل: 18 أكتوبر 1948م، قسنطينة، ص: 7.

³ البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 93، 9 محرم 1369هـ الموافق ل: 31 أكتوبر 1949، قسنطينة، ص: 15.

انتقل لتولى مهمة التدريس في مدرسة سبدو¹ للسنة الدراسية (1950 - 1951م)²، كما كلف بإلقاء دروس الوعظ والارشاد في شهر رمضان بكل من؛ سبدو سنة 1371 الموافق ل: سنة 1952م³؛ وبريقو سنة 1373هـ الموافق ل: 1954م⁴.

الشيخ الأخضر الغويني الأبقع كاتباً في الصحف:

كان الشيخ الأخضر الغويني كاتباً في صحف جمعية العلماء المسلمين، نشر عدة مقالات بجريدة البصائر ومنها:

مقال بعنوان: " لا عال من اقتصد"⁵، أكد في هذا المقال على ضرورة الاهتمام بالجانب الاقتصادي للبلاد والاهتمام بالأرض، وأشار لما تعانيه بلاده الجزائر المسلمة التي تعجب في إشارة منه للفقر الذي يعيشه أبناء جلدته، وأرجع سبب ذلك لعاملين؛ أولهما عدم الاهتمام من قبل الشباب بهذا الجانب وانشغالهم على حد قوله بسفاسف وقشور السياسة؛ وثانيها كان سببه الاستعمار الفرنسي الذي استحوذ على خيارات البلاد، والمطلع على هذا المقال يلمس أنه يتحدى الاستعمار الفرنسي بمقالته التي يحرض فيها الشباب الجزائري المسلم بطريقة غير مباشرة ضد المحتل، وذلك باستخدامه عبارات قوية: المسلم الجزائري، بلاده، الاستغلال الفرنسي لأراضي الجزائريين...

كما نشر مقال آخر بعنوان: " المعلم الحر في معترك الحياة"⁶، حث فيه على ضرورة وأهمية التأزر والتعاون لمصلحة العامة، وتكلم عن الزمن الذي كان يعيش فيه وكيف طغى الجانب المادي على الجانب الروحي للإنسان، وإهمال الطبقة المثقفة واستحقارها من طرف

¹ هي اليوم بلدية تابعة لدائرة أولاد ميمون ولاية تلمسان.

² البصائر: السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 135، 8 ربيع الأول 1370 الموافق ل: 18 ديسمبر 1950، ص: 2.

³ البصائر: "قائمة الوعاظ لشهر رمضان"، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 190، 24 شعبان 1371هـ الموافق ل: 19 ماي 1952م، قسنطينة، ص: 2.

⁴ البصائر: "قائمة الوعاظ لشهر رمضان"، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 190، 24 شعبان 1371هـ الموافق ل: 19 ماي 1952م، قسنطينة، ص: 3.

⁵ الأخضر بن الغويني المسعدي المعلم بمدرسة الجلفة، في: البصائر: السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 85، 8 رمضان 1368هـ الموافق ل: 4 جويلية 1949م، ص: 5.

⁶ الأخضر بن الغويني المسعدي، البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 95، 23 محرم 1369هـ الموافق ل: 14 نوفمبر 1949م، ص: 8.

الجهلة، ثم أكد على أهمية التعليم والمعلم في حياة الشباب، وأفضالهم عن الأمة، فإن كان جامعو الأموال قد ملؤوا خزائنتهم، فإن المعلم قد جمع وأضاف إلى خزانة الأمة وخزانة الشعب اليقظ شابا ذا عقول مصقولة بالتوحيد والسنة المهذبة، باللسان العربي، مع نشاط و أخلاق طيبة وأعمال مفيدة، ستكيف مستقبل الوطن تكييفا، نفخر نحن أبنائه بنتائج... إلخ.

ونشر مقالين آخرين عن مدينة بريقو بنفس الجريدة:

الأول " بريقو تلتحق بركب العرفان"¹، ووصفها بأنها كانت تعاني حالة من الخمول والكسل والانحطاط الأخلاقي، وارجع السبب في ذلك إلى الوجود الاستعماري الفرنسي، وأشار إلى دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في انتشالها من هذا الظلام الذي تعيشه بإقامة دروس الوعظ والارشاد بها، وانشاء مدرسة بها لاحقا... إلخ؛

أما المقال الثاني جاء بعنوان: "بريقو تحتل بالشيخ العباس"²، وأعطى وصفا لموقع وجغرافية المدينة، عارضا مؤهلاتها التي جعلتها محط أنظار المعمرين الذين استقروا بها مزحين بذلك سكانها الأصليين الأهالي عن أراضيهم، وأصبح هؤلاء عمال لديهم سواء لخدمة أراضيهم المسلوقة أو لمسح الأحذية والنوافذ، وحمل البراميل، وبرزت جراته مرة أخرى مشيرا إلى السياسة التعسفية الفرنسية التي مارسها على أبناء الشعب الجزائري، ووصف المعمرين بالأجانب، ثم أشار إلى أن هذه المدينة بدأت تعرف طريقها إلى النور ومعرفة بعد نكران بعد ظهور الحركة الإصلاحية بها أثناء زيارة الشيخ العباس لها، فعرف بالشيخ ومكانته العلمية، وسرد تفاصيل خطبته التي ألقاها... إلخ.

كان للشيخ الأخضر الغويني أخ يدعى التلي³، شغل هو الآخر مدرس بجمعية أولاد الرقاد الغرابة والشرافة - مقررهم بعين الابل - تابع لمدرسة الاخلاص بالجلفة وذلك بناء على

¹ الأخضر بن الغويني المسعدي، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 215، 14 جمادى الأولى 1372هـ الموافق ل: 30 جانفي 1953م، ص: 8.

² الأخضر بن الغويني المسعدي، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 218، 6 جمادى الثانية 1372هـ الموافق ل: 20 فيفري 1953م، ص: 8.

³ وهذا ما ورد في قصيدة رثى بها الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي والد الشيخين الأبقع الأخضر الغويني والأبقع التلي، أنظر هذه القصيدة في كتاب: سالم علوي: مرجع سابق، 76.

طلب منه تقدم به إلى رئاسة إدارة مدرسة الاخلاص محمد شونان وكان ذلك بتاريخ: 1/7/1948م¹.

وفاته: توفي رحمه الله في 18 سبتمبر 1984م إثر سكتة قلبية في الجلفة، ونقل مسقط رأسه مسعد ودفن هناك².

5 – ابن الجوبري الحاج يحي بن يحي؛

علم رجل آخر من أعلام المنطقة، وقدموا خدمات تعليمية لأبناء وطنهم ابن منطقة الجلفة الشيخ ابن الجوبري الحاج يحي بن يحي، فمن هو؟.

هو الشيخ ابن الجوبري الحاج يحي بن يحي من مواليد بلدة مسعد بالجلفة عام 1923م، تلقى مبادئ العلوم الأولية بمسقط رأسه، وليس بعيدا أنه كان قد درس على يد الشيخ عبد القادر ابن ابراهيم المسعدي، لأن فترة تلمذه تزامنت مع تصدر الشيخ عبد القادر المسعدي التدريس بمسعد، واستوعب الدروس التي كان يتلقاها في اللغة والفقه وأنواع المعارف الأخرى وبعد أن حفظ بعضا من القرآن الكريم جيدا، وتمكن من عدة متون ك: متن ابن عاشر والآجرومية، والجوهرة والجزرية والسلم ولامية الأفعال والألفة، التحق بجامعة الزيتونة في السنة الدراسية (1938 - 1939م)، ورقم دفتريه (20410)، كانت اقامته في وكالة التمارين باب سعدون، في بداية التحاقه بتونس رسم بالسنة الثالثة من المرتبة الأخيرة، وبعد التدرج تحصل على شهادة الأهلية دورة جوان 1942م، ثم سجل بالسنة الأولى ثانوي في السنة الدراسية (1942 - 1943م)، حيث أحرز شهادة التحصيل في العلوم دورة جوان 1946 م، بعد عودته للجزائر انخرط في العمل الإصلاحي والإصلاحيين، حيث درس في المدارس العربية الحرة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين³.

¹ أنظر ملحق رقم: 43، ص: 419.

² صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 136.

³ خير الدين شترة: معجم أعلام الجزائر خريجي الجامع الأعظم بتونس، ط: 1، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة (الجزائر)، 2015، ج: 2، ص: 361، 362.

6 – الشيخ الإمام محمد بن ربيع:

هذا الرجل هو الآخر علم من أعلام المنطقة الجلفة، فهو الشيخ محمد بن ربيع رابحي بن حمامة من مواليد 1891م ببادية الزعفران، حفظ القرآن الكريم ثم انتقل إلى زاوية الشيخ المختار بالزاوية الجيلالية، فتفقه في علوم الدين و اللغة العربية¹، ثم عاد إلى منطقته، تقلد منصب إمامة المسجد جامع الجمعة – معروف اليوم بمسجد سي أحمد بن الشريف - بمدينة الجلفة لمدة أربع سنوات، كان مقصد سكانها للاستفسار عن أمور دينهم و دنياهم، ووصفه الشيخ سي الجابري بأنه مربي ميدان فقد كان ينقل المسجد إلى مقهى، في إشارة منه أنه لم يكن ينتظر الناس ليأتوا إليه بل هو كان ينتقل إليهم².

كان يتبادل الرسائل مع الشيخين عبد الحميد بن باديس و البشير الإبراهيمي³، إلا أن نضاله الدؤوب من أجل وطنه عرّضه لتآمر الحاقدين، الذين دسوا له السم في الدواء على إثر المرض الذي أصيب به ليتخلصوا منه و ليرتاحوا من أفكاره التي تغيظ أعداء الوطن ففارق الحياة سنة 1943م.⁴

7 – محمد شونان:

الكاتب و المراسل و الجمعوي محمد شونان بن المختار التّايّلي ولد سنة 1900م⁵، انتقل لزاوية الشيخ المختار بقصر الشلالة، حفظ القرآن أو يكاد حافظا له، تعلم مبادئ اللغة العربية⁶، سافر إلى المغرب والتحق بجامع القرويين ليواصل تعليمه الشرعي هناك⁷، انضمّ مبكراً إلى النّضال الإصلاحي والوطني، فعند زيارة الشيخ عبد الحميد بن باديس منطقة الجلفة

¹ عامر محفوظي: مرجع سابق، ص: 23.

² لقاء مع الشيخ سي الجابري، مرجع سابق.

³ مصطفى داودي: " النشاط الإصلاحي والتعليمي لجمعية العلماء المسلمين بمنطقة الجلفة "، ملتقى الوطني الأول حول: الجلفة مسيرة كفاح (1830 – 1962م)، المنعقد بجامعة زيان عاشور بالجلفة يومي: 25/26 جوان 2013، دار النعمان، الجزائر، 2015، ص: 108.

⁴ سعيد هرماس: من أعلام المنطقة، مرجع سابق، ص: 28.

⁵ من مذكراته الشخصية التي كتبها هو شخصيا يوم: الأربعاء 17 مارس 1982م جاء بعنوان حياتي قبل وبعد الثورة، (مخطوطة) من مكتبته الخاصة ببيت ابنه شونان عباس.

⁶ سعيد هرماس: مرجع سابق، ص: 122.

⁷ رسالة أرسلها عبد الكريم التواني الفاسي المغربي مؤرخة في سبتمبر عام 1946 بفاس، مخطوطة وغير مصنفة، موجودة بمكتبته.

في صائفة 1932م؛ قيل أن محمد شونان هو الذي رتب عملية استقباله ضيافته ، وكان ينقل أخبار منطقة الجلفة وما يجري بها ، وما يتعرض له رجال الإصلاح بمنطقة الجلفة من مداخلات وسجن وبطش ، كما كانت له مراسلات مع رؤساء جمعية العلماء المسلمين ومنها تلك الرسالة الموجه إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس يطلعه فيها بالتطورات الحركية في منطقة الجلفة والعراقيل التي تعترضها¹ ، فردّ عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس برسالة بتاريخ 22 جويلية 1938 جاء فيها: « الاخ الكريم محمد شونان حفظه الله وأيده وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وبعد . فقد جاء كتابكم وعرفت موقفكم الصادق الثابت الشريف أمام من يحاول صد الناس عن تعلم دينهم وأود أن تأذنوا لي في نشره بالبصائر ليكون عبرة وسيحث إخوانكم على الاقتداء بكم. أشير عليكم أولا بطلب رخصة التعليم لمن تثقون به حسب القوانين فإذا منعتم من الرخصة فعلموا واستعدوا للمحاكمةأرجوا أن تكاتبوني بما يجد . والله يتولاكم بحفظه وتأييده. والسلام من أخيك عبد الحميد بن باديس »².

شارك بماله وجهده في تنشيط الحركة الإصلاحية بالجزائر عموما وبمنطقة الجلفة خصوصا ، فقد كان من مؤسسي النادي الإسلامي بالجلفة وعضوا في إدارته ، فشغل منصب نائب رئيس النادي بعد تجديد إدارة النادي بعد عام من تأسيسه وكان ذلك سنة 1938م³ ، ونتيجة لنشاطه فإنه بتاريخ: 13 أوت 1939 سجن خمسة أيام مع الأشغال الشاقة وغرامة قدرت بخمسين فرنكا⁴ ، إلا أن ذلك لم يثته ولم يبعده عن الجمعية ونشاطها الإصلاحي ، فشغل منصب رئيس مدرسة الإخلاص عام 1940م⁵ ، كما عين سكرتيرا عام لمكتب مؤقت

¹ ولعل الرسالة التي بعث بها محمد شونان فحواها هو المقال الذي نشرته - بعدما طلب منه الشيخ عبد الحميد بن باديس الإذن - جريدة البصائر وجاء بعنوان: أحاديث جمعية العلماء وحوادثها: مظالم، مسعد، مصدر سابق، ص: 3، وكان بداية المقال بعبارة أخبرنا مخبر...، هذا المقال يتكلم عن قرار منع الشيخ عبد القادر المسعدي من التدريس بالنادي الإسلامي إلا برخصة.

² ملحق رقم: 17، ص: 393

³ محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة"، مصدر سابق، ...، ص: 3.

⁴ محمد شونان: "اعتداء على الأديان والأنفس والأموال بالجلفة"، في: البصائر ، السلسلة الأولى، السنة الرابعة، ع: 180، 9 رجب 1358هـ الموافق ل: 25 أوت 1939م ، ص: 4.

⁵ وثيقة أرشيفية، هيكل مدرسة الإخلاص بالجلفة عام 1940م، نقلا عن صليحة رقيق: مرجع سابق، ص: 99.

مؤقت للثقافة الإسلامية بالجلفة بتاريخ 8 جويلية 1946¹ كما شغل منصب رئيس شعبة الجلفة التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1951².

الشيخ محمد شونان كاتباً في الصحف:

كتب العديد من المقالات في جريدة البصائر، وتتنوعت المواضيع التي كتب فيها؛ فيصف ويصور وضع منطقة الجلفة السياسي والثقافي والاجتماعي، وينقل أخبارها لرجال الجمعية ومن هذه المقالات؛

نشر مقال آخر بعنوان: «كتاب مفتوح»³، تكلم هنا عن المضايقات التي كان يتعرض لها رجال الإصلاح بمنطقة الجلفة من طرف الاحتلال الفرنسي هناك؛

وهناك مقال آخر بعنوان: «اعتداء على الأديان والأنفس والأموال»⁴، سرد فيه ما تعرض له هو وأصدقائه من سجن وتغريم وشتيم وسب من طرف الإدارة الفرنسية بالجلفة.

تم في هذا العنصر عرض بعض من أعلام من منطقة الجلفة الذين كان لهم تأثير ليس على مستوى مسقط رأسهم فقط، بل تعداه إلى مناطق كثيرة عبر الوطن، وهناك العديد من الأعلام الذين أنجبتهم المنطقة لم يذكر.

¹ أنظر ملحق رقم: 16، ص: 392.

² جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "شعبة الجلفة"، مصدر سابق، ص: 8.

³ محمد شونان: مصدر سابق.

⁴ محمد شونان: «اعتداء على الأديان...»، مصدر سابق.

الخاتمة

الخاتمة

تعتبر الدراسات المونوغرافية من أهم الدراسات التي تسترعي اهتمام الباحثين، لما لها من مقومات البحث العلمي الرصين، وتفتح آفاقا بحثية كثيرة، على اعتبار أنها تهتم بالعديد من تفاصيل المتعلقة بموضوع البحث، و تخصوص في الكثير من شواهدا ومعالها التاريخية، وهو ما يدفع الباحثين إلى بذل جهود مضاعفة، من جمع وتدقيق للمصادر التاريخية والوثائق الأرشيفية والشهادات الشفهية، بهدف الوصول إلى إلمام بأقصى ما يمكن من عناصر الموضوع، على الرغم من تشعبها وكثرة تفاصيلها وطول امتدادها عبر الزمن .

وهو ما اجتهدت الباحثة فيه وحاولت الوصول إلى الهدف من هذه الدراسة بما أتيح لها من إمكانيات، وما استطاعت الحصول عليه من معلومات ووثائق بحثية، حيث أنه، وبعد التطرق لأهم العناصر المتعلقة بهذا الموضوع، في محاولة جادة للإجابة عن الإشكالية بالاعتماد على بعض المناهج والأدوات البحثية، توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات وهي:

- كان الحيز الجغرافي الذي تقع في نطاقه منطقة الدراسة - أي جنوب بايلك التيطري ابتداء من الحصن العسكري برج السواري - قبل الاحتلال الفرنسي لمنطقة الجلفة يعرف باسم: أولاد نايل، نسبة للقبيلة التي كانت تقطنه، و القصد من تعميم اسم قبيلة " أولاد نايل" على نطاق هذه البلاد هو الانتشار الواسع لهذه القبيلة بسبب ممارستها تربية المواشي وما يتطلبه هذا النشاط من عملية ترحال، فالقبائل التي كانت تقطن هذا الحيز الجغرافي كان بينها عقد أو تحالف أو اتحاد بقيادة أولاد نايل ضد السلطة العثمانية، والتمرد عليها لاسيما عدم الخضوع للضريبة.

- كانت منطقة الجلفة كلمة مرادفة لبلاد أولاد نايل الغرابية، أما مصطلح منطقة الجلفة هو مصطلح جديد استحدث في الفترة الاستعمارية بداية من إنشاء اللبنة الأولى للحصن العسكري بضاية الجلفة بتاريخ سبتمبر 1852 على يد الجنرال يوسف بأمر من الحاكم العام راندون، إلى غاية صدور القرار الرسمي لإنشاء مدينة الجلفة من طرف الإمبراطور الفرنسي " نابليون الثالث " في 20 فيفري 1861م، لتكون بذلك مدينة الجلفة العاصمة الإدارية الرسمية للإقليم طلية الفترة الاستعمارية وحملت اسمه، و مازالت إلى اليوم.

الخاتمة

- كانت منطقة الجلفة عامرة بالبشر منذ العصور قديمة بداية من العصور الحجرية الأولى، فتواجد الإنسان بمنطقة البحث على الأقل يعود إلى حوالي 7000 سنة قبل الميلاد، وهذا ما دلت عليه الآثار والمخلفات المتمثلة في: الحجارة المنحوتة؛ الفخار؛ بقايا حجارة؛ رسوم جدارية؛ بقايا عضوية؛ النقوش الحجرية...الخ، في عدة مواقع أثرية بمنطقة الجلفة، والمكتشفة بها بداية من القرن التاسع عشر ميلادي.

- المنطقة مجال البحث لم تكن داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، بل اقتصر وجودها على إقامة مراكز عسكرية متقدمة مهمتها حماية حدودها الجنوبية من غارات سكان الجنوب عليها في الشمال.

- وصول الإسلام لمنطقة الجلفة كان حوالي 62 أو 63هـ/682 م، على يد الفاتح عقبة بن نافع، أثناء حملته التي قادها من القيروان متوجها إلى المغرب لفتحها فمر على منطقة الجلفة عبر سهل مسعد و زاغز باعتبارها ممرات طبيعية، إذ وجد بالمسار الذي سارت عليه جنود عقبة بمنطقة الدراسة قبور إسلامية طويلة نوعا ما، ويعرف الواحد منها عند أهل منطقة الدراسة باسم قبر الصحبي، وتذكر الروايات الشفوية أنها قبور لجنود رافقوا سيدي عقبة في حملته، وانتشر الإسلام بصورة أوسع بالمنطقة مع توالي هجرات العربية الهلالية والإدرسية في ما بعد (السحاري، أولاد بن علي، أولاد سيدي يونس، أولاد نايل).

- سكان منطقة الجلفة أو بلاد أولاد نايل الغرابة انقسم حسب مواطن اقامتهم إلى: مقيمين (الحضر) وهم: أهل القصور؛ و متقلين وهم: البدو الرحل (مثلوا الأغلبية)، كان بين سكان بلاد أولاد نايل المقيمين بالقصور والمتقلين (البدو الرحل) ما يمكن الاصطلاح عليه بعقد شراكة، إذ كان الرحل في إطار ممارستهم لنشاطهم الرعوي يتوجهون للتل ويجلبون معهم الحبوب التي يعمل المقيمون بالقصور على زراعة بعضها، والاحتفاظ بالباقي في مطامير بالقصور التي تعتبر بمثابة مخازن لقبائل منطقة الجلفة؛

- كانت قصور أولاد نايل مقصدا لطلاب العلم في حالة حوزته على زاوية، أو مدرسة قرآنية. أو ضريح لأحد أولياء الله الصالحين، أو يسكنه شيخ عالم، أو مرابط. مثلما هو الأمر مع الشارف، وزينة، و بن يعقوب، و دمد.

– منطقة الجلفة كغيرها من مناطق الجزائر، لم تسلم من التوسع الفرنسي الذي وصلها بداية من سنة 1844م على يد الجنرال ماري مونج، وذلك في إطار سياسة الاحتلال الفرنسي الشاملة للجزائر، هذا التوسع استدعى منه أكثر من حملة لإخضاع قبائلها، منها: حملات الجنرال ماري مونج (مارس وأفريل، وماي جوان) سنة 1844م، ماي 1845، 1848، وحملة العقيد Camou، وحملة الجنرال يوسف (مارس- جوان 1846)، حملة العقيد بلانجيني في أفريل 1846م حملة ماري مونج وهيريون سنة 1847، حملة الجنرال لادميرول سنة 1849، حملة الجنرال يوسف على عرش أولاد طعبة في 13 أكتوبر 1852، حملة ضد **عرش** أولاد أم لخوة في أكتوبر 1854م...، عكس العدد الكبير للحملات العسكرية الموجهة ضد منطقة الجلفة أن أهلها لم يخضعوا ويستكنوا بسهولة لقوات الاحتلال، لأنه بمجرد أن تتاح لها الفرصة للانتفاضة فلا تتأخر..

– كانت ردت الفعل أبناء منطقة الجلفة عنيفة من أجل مقاومة الاستعمار الفرنسي للأراضي الجزائرية، إذ جرب أبناءها مختلف أساليب الكفاح، بداية من المقاومات الشعبية طيلة القرن 19م؛ وشاركوا في معظم المقاومات الشعبية عبر أغلب مناطق الوطن، واحتضنوا ودعموا زعماء المقاومة الوطنية: الأمير عبد القادر، والحاج موسى الدرقاوي، بومعزة، محمد بن عبد الله شريف ورقلة، والثائر ابن ناصر بن شهرة، دعموا مقاومة أولاد سدي الشيخ، وثورة المقراني، كما أنجبت الجلفة زعماء للمقاومة ك: تلي بن لكحل، بوشندوقة، طاهيري سي عبد الرحمان بن الطاهر، وبفضل المقاومات الشعبية تبنا الكفاح السياسي، وأصبح لمنطقة الجلفة ممثلين لها في مختلف تيارات الحركة الوطنية التي ظهرت بالجزائر، وعبروا من خلالها عن مطالبهم.

– يعتبر الأمير عبد القادر أول من وحد قبائل منطقة الجلفة تحت راية واحدة لأول مرة في تاريخها وعين خلفاء له ببلاد أولاد نايل - بما فيها منطقة الجلفة - ليصهروا على تنفيذ أوامره وتمثيله هناك، وظل الخليفة سي شريف بلحشر ممثلا له بالمنطقة إلى غاية تسليمه ما بين نهاية 1847م وبداية 1848م، وهذا تزامنا مع تسليم الأمير عبد القادر الذي كان وفق شروط.

الخاتمة

– اعتمد المحتل الفرنسي لتسيير منطقة الجلفة - على غرار مختلف مناطق الوطن- ، على نفس النظام الذي أحدثه الأمير عبد القادر لتسيير أمور دولته، و النظام الذي كان متبعاً في العهد العثماني، مركزة في عملية التسيير هذه على ما يخدم مصالحها، خاصة بعد أن أدركت القوة الاقتصادية والبشرية الهائلة التي تتمتع بها قبائل منطقة الجلفة، وأعربت عن مدى قوتها في حالة لو اتحدت، فراحت تبحث عن سبل لتمنع هذا الاتحاد، فقامت بتقسيم إدارة قبائل أولاد نايل بين: مقاطعة الجزائر ومقاطعة قسنطينة فالجزء الشرقي من أولاد نايل منهم يُضم إلى مقاطعة قسنطينة تحت إمرة الخليفة المقراني، وهم أحفاد زكري (أصبحوا في ما بعد تابعين لدائر بسكرة)، أما المنحدرون من مليك (شكلوا في ما بعد دائرتي بوسعادة والجلفة) يتبعون إداريا وعسكريا القيادة الإدارية والعسكرية في المدينة مقاطعة الجزائر.

– مر التنظيم السياسي والإداري لمنطقة الجلفة في الحقبة المدروسة بثلاث مراحل أساسية تفصل بينها محطات تاريخية بارزة (فاصلة)، وهي كالتالي:

المرحلة الأولى (1853- 1874): أصبحت منطقة الجلفة ملحقة عسكرية تابعة لدائرة الأغواط ناحية المدينة مقاطعة الجزائر، وفي هذه المرحلة تأسست مدينة الجلفة رسمياً كعاصمة للإقليم بتاريخ: 20 فيفري 1861م بموجب قرار صادق عليه الإمبراطور الفرنسي " نابليون الثالث " بعد اقتراح ودراسة للمكان ومميزاته الطبيعية والاستراتيجية من طرف الحاكم العام "راندون"، وكان بمنطقة الجلفة بلديتين: بلدية الأهالي، وبلدية مختلطة.

المرحلة الثانية (1874 - 1902م): أصبحت منطقة الجلفة دائرة عسكرية تابعة لقسمة المدينة مقاطعة الجزائر وفقاً للقرار الحكومي الصادر في 13 ديسمبر 1874م على مساحة 2.7 مليون هكتار والمكونة من عشرين قبيلة.

المرحلة الثالثة (1921- 1954م): صارت منطقة الجلفة ملحقة تابعة للإقليم العسكري غرداية أقاليم الجنوب وذلك بالموازاة مع التنظيم الإداري الذي اعتمدته السلطات الاستعمارية،

– كما قامت سلطات الاحتلال بإنشاء تنظيم قضائي للمنطقة على غرار باقي مناطق الوطن، تمثل في إنشاء: محكمة الجلفة وذلك بتاريخ: 15/09/1870؛ محكمة زينة بتاريخ:

1870/09/15؛ محكمة مسعد انشئت في **1870/09/15**، هذا بالإضافة إلى محكمة الزهايرز، بالإضافة إلى مجلس القضائي الذي تشكل من المحاكم الأربع الأولى بموجب قانون **23 سبتمبر 1905**، و الذي يضم الجلفة وزينية ومسعد وزهايرز، ورغم هذا التنظيم القضائي هذا إلا أن سكان المنطقة كانوا يعتمدون على أنفسهم في حل نزاعاتهم باعتماد بعض الآليات العرفية، وبقوا متمسكين بالنظام المعتمد من قبيلهم رافضين بذلك الخضوع للاستعمار بجميع أشكاله بما فيه القضاء خاصة الأحكام التي يمكن أن تخالف الشريعة الإسلامية، ومن الشخصيات التي عرفت في مجال القضاء من أبناء المنطقة الشيخ عبد القادر المسعدي.

— قامت السلطات الفرنسية باتخاذ مجموعة من الإجراءات العسكرية، من أجل تثبيت أركانها في المنطقة، والقضاء على أي تمرد قد يقع فيها، فقامت ب: حصار وتطويق المنطقة، إقامة الأبراج والخانات، إنشاء مراكز الشرطة... وغيرها.

— حاول الجزائري بمنطقة الجلفة التكيف مع البيئة الصعبة التي كان يعيش فيها فوفر احتياجاته الخاصة وحقق اكتفاءه الذاتي منتفعا بما تجود به أرضه، وكان مساهم بارز وفعال في عملية تنشيط الحركة الاقتصادية بإقليمه، فقام بزراعة الأرض واعتمد على تقنية الري لسقيها، وتخزين منتوجه في مطامير، كما اعتمد على نفسه لتوفير وسائل عيشه، فنسج خيمته من صوف مواشيه وشعر ماعزه ووبر إبله ونصبها، ونسج ملابسها، وصنع: الوسائل التي ينسج بها خيمته؛ حلي نسائه؛ وأوانيها من حلفاء أرضه؛ وحذاءه من جلد مواشيه، فوفر احتياجاته وصدر الباقي إلى الأسواق التي كان يرتادها: شمالا وجنوبا غربا وشرقا، وكان يلعب دور الوسيط بين سكان هذه الجهات الأربعة من وطنه، وساعده في ذلك حالة الحل والترحال التي كان يعيشها والتي فرضه عليه نشاطه الاقتصادي.

— عملت السلطات الفرنسية على رسم سياسة اقتصادية تخدم مصالحها، ففرضت على قبائل المنطقة نظام الغرامات والضرائب وذلك لكي تجردهم من أملاكها، كما عملت على تطوير وتحسين الاقتصاد بالمنطقة لتمكين من الاستغلال الأمثل للثروات الطبيعية، وتسببت بذلك في عملية استنزاف منظم لثروات البلاد وأدت في الكثير من الأحيان منها إلى اندثار بعضها، فقامت ب:

الخاتمة

— ومن أجل عملية تشجيع الاستيطان بالمنطقة قامت بصيانة وتشديد طرق المواصلات؛ ومد السكة الحديدية للمنطقة لتسهيل عملية استنزاف الثروات؛ وتوفير الخدمات البريدية و الاتصالاتية لتسهيل عملية مراقبة الأهالي؛ إقامة الأسواق ومراقبتها؛ بناء السدود وحفر الآبار وشبكات الماء الصالح للشرب والري.

— اهتمت فرنسا بتربية المواشي حيث أسست محطة تعظيميت بعد أن وجدت سكان المنطقة متخصصة في تربية المواشي، فقامت بمصادر العديد من الأغنام والأبقار وحولت كلحوم إلى أسواق أوروبا، ففي سنة 1942م تم نقل من منطقة الجلفة 7500 رأس في يوم واحد، كما تم انشاء المذبح البلدي بمدينة الجلفة من أجل تسهيل عملية نقل هياكل الماشية جاهزة ومعدة من المنطقة، وبفضل خيارات المنطقة أصبحت المستهلك الأول للحوم في أوروبا.

- كما عملت السلطات الفرنسية على انتهاج عدة سياسات ومنها ما يخص الجانب الاجتماعي من أجل القضاء الكيان الجزائري وكل ما يربطه بماضيه وتاريخه، وبالتالي جعل الجزائر فرنسية أرضا وشعبا، فقامت ب: تشجيع الهجرة الأوربية، وانتهاج سياسة الادماج الاجتماعي، وأجبرت التي القبائل التي رفضت الخضوع لها على عملية الهجرة وشردتهم كما فعلت مع قبيلة أولاد أم الإخوة، وبذلك أحدثت تحولات اجتماعية بمنطقة الجلفة.

— خطّت قوات الاحتلال في البداية مجموعة من القرى بالمنطقة، خاصة تلك التي تقع على فرع الطريق الوطني رقم واحد الرابط بين الأغواط والجزائر العاصمة المار بوسط منطقة الجلفة، منها: خان المصران، خان صخرة الملح، خان عين أوران، خان وادي السدور، عين الإبل، وبرج الجلفة وكان الهدف من انشاء هذه المحطات والخانات في بداية الاحتلال والتي أصبحت في مبعد قرى هو تموين قوات الاحتلال ومراكز للراحة والتزود بالذخيرة.

— كما أنشأت قرى بعد مد خط السكة الحديدية في بداية القرن العشرين إلى المنطقة مجال البحث، ومنها قرية حاسي بحبح التي وصلها خط السكة الحديدية سنة 1918م وانجاز أول محطة قطار هناك، وبالتالي تشكلت النواة الأولى لتشكيل قرية حاسي بحبح.

– رغم أن فرنسا لم تعتمد على الآلة الحربية فقط لإخضاع الأهالي و انتهجت سياسات أشد فتكا من السلاح كثيرة، مسّت كل مجالات الحياة، إلا الدين الإسلامي بقى راسخا لدى قبائل منطقة الجلفة وهذا ما تعكسه انتشار الطرق الدينية وزواياها بالمنطقة، هذه الأخيرة التي تولت مهمة تعليم أبناء المنطقة وبالتالي الحفاظ على لغتهم العربية ومنه الحفاظ على الموروث العربي الإسلامي، وحافظت على تراثها وحضارتها العربية الاسلامية، وحفظت الذاكرة أسماء لامعة من أبنائها تعكس هذا التمسك بالتراث ونشره ومنهم: الشيخ عبد القادر المسعدي، الشيخ عطية مسعودي، الشيخ محمد الرايس، الشيخ الأخضر بن الغويني (الأبقع)ابن الجوبري الحاج يحي بن يحي، الشيخ الإمام محمد بن ربيح، الشيخ محمد شونان.

مع الإقرار أخيرا أن هذه الدراسة حاولت أن تشمل جميع العناصر الواجب تناولها في أي دراسة مونوغرافية، كما أنها لا تزعم أنها وصلت للكمال، بل لا بد لها من دراسات مكملّة، وآراء ناقدة، لنصل إلى تدوين شامل وصحيح ودقيق لمنطقة الجلفة، ونساهم ولو بالجزء اليسير في كتابة تاريخ المنطقة، لتكون للأجيال القادمة إرثا تاريخيا تفتخر به، متمثلين قول الشاعر " إقرؤوا التاريخ إذ فيه العبر... ضل قوم ليس يدرون الخبر".

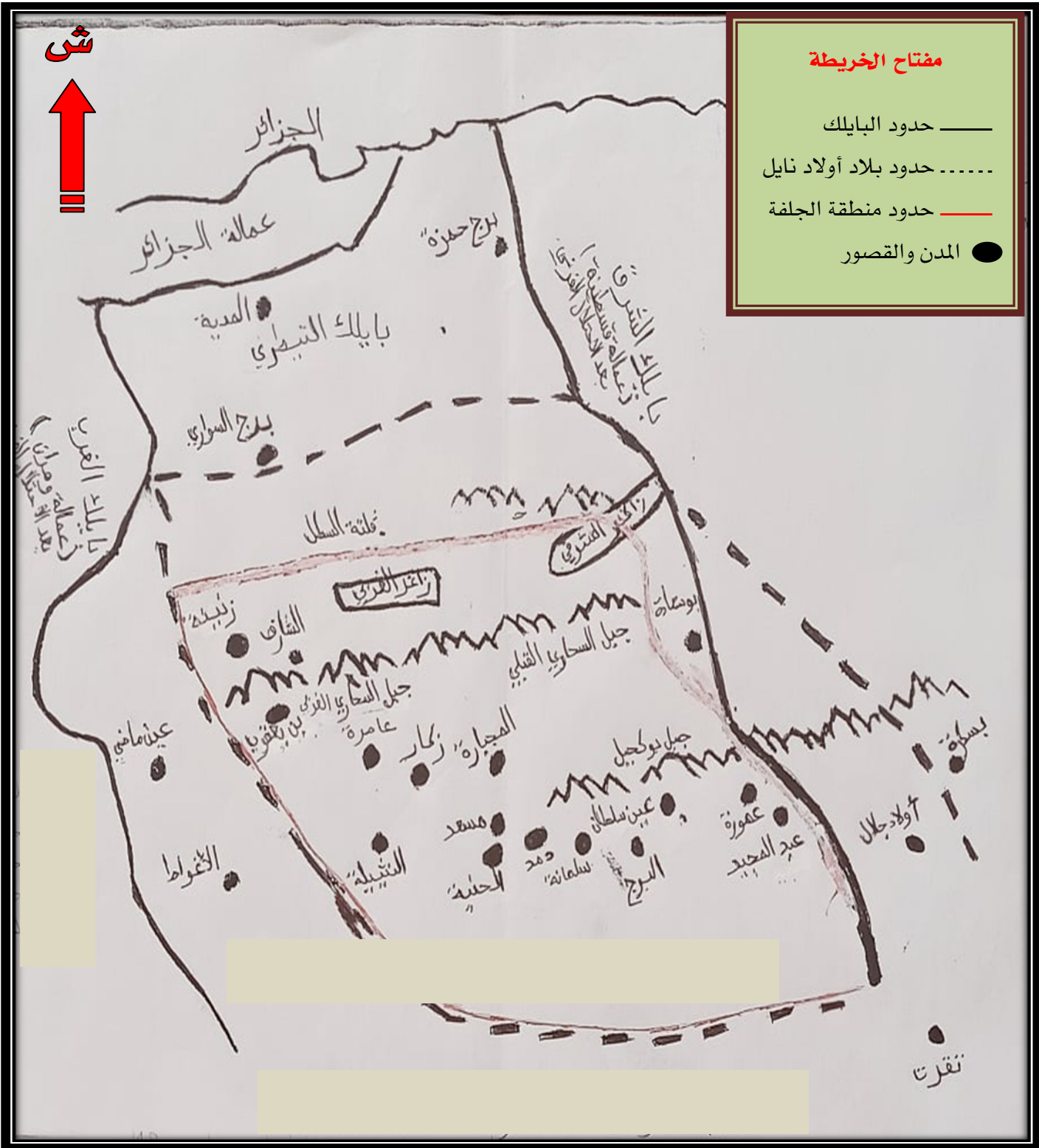
الملاحق

ملحق رقم 1 : خريطة توضح تسمية المناطق الواقعة جنوب بايلك
التيطرى ببلاد نايل تعود لسنة 1738م



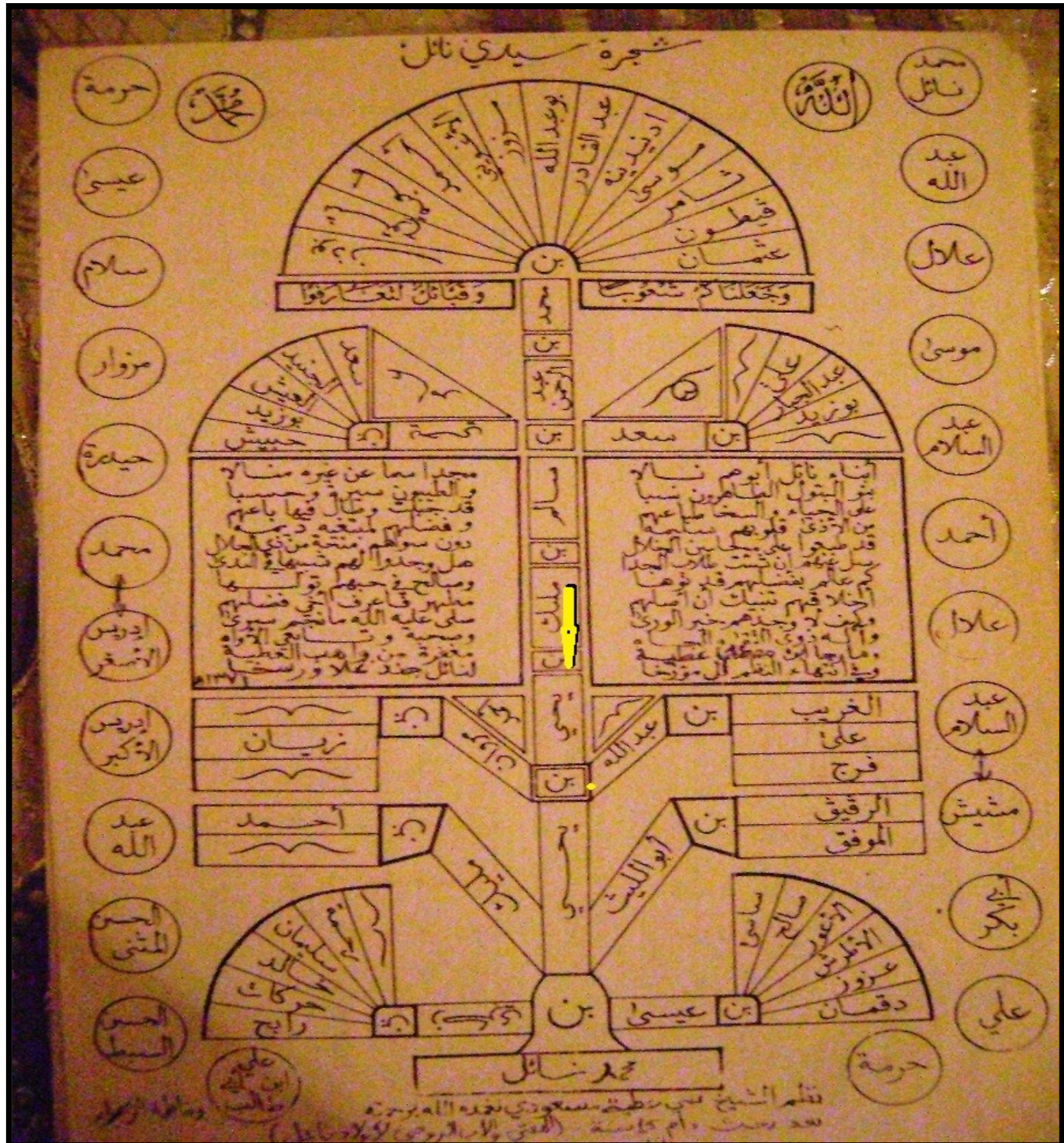
المصدر : Shaw Thomas: op. cit, p: 67. □

ملحق رقم 2 : خريطة حدود منطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي



المصدر: Louis Rinn: Carte de L' Algérie de Religieuse. Adolphe Jourdan. 1884.

ملحق رقم 03 : شجرة نسب سيدي نايل التي وضعها سي عطية مسعودي



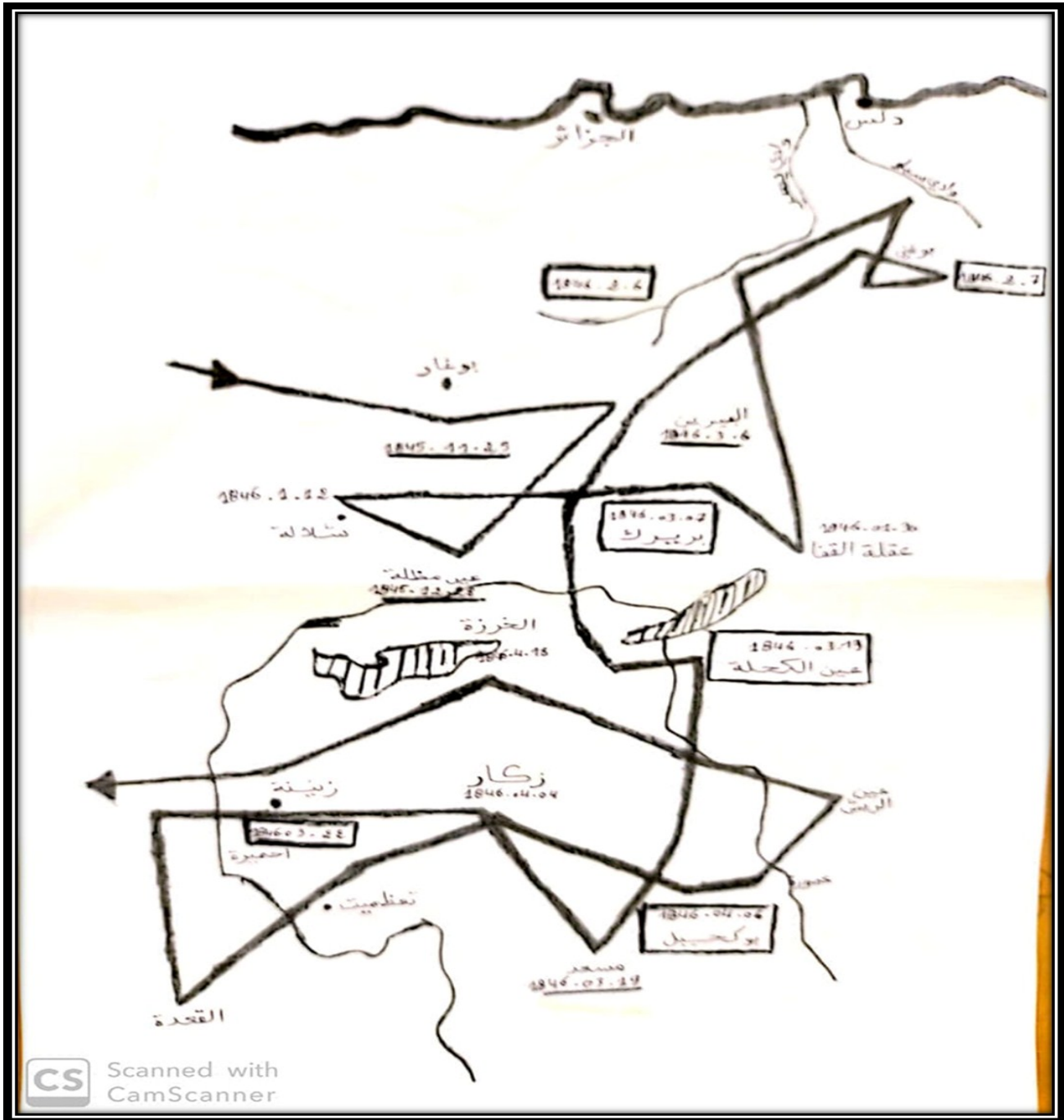
المصدر: الموقع الرسمي لشيخ سي عطية مسعودي.

ملحق رقم 04 : الجرد النهائي الناتج عن حملة الجنرال لادميرول على سكان منطقة الجلفة)
 باستثناء أ. عيسى الشراقة) سنة 1849

ملاحظات	غرامات	ضرائب طارئة أثناء الحملة على الجنوب	مداخل الضريبة العادية التي جمعتها الحملة		القبيلة
			نقدا	المواشي	
ناتج حملة - غزوة	//	//	17877	//	أ. ضياء/ أ. س يونس
	//	//	22181.50	//	أ. سي أحمد
الرقم تم تقديمه على أساس السعر الذي قدمه المحاسب الذي رافق الحملة لاحقا على أساس قرار الحاكم العام. تم بيع المواشي في المزاد العلني	//	//	4284	//	القويني
	4623	//	9936	//	أ. عيسى الشراقة والغرابة
	//	//	10850	2962	أ. أم هاني
	//	//	5650	800	عباريز الجنوب
	//	//	906	//	مسعد
	//	//	593	//	دمد
	//	//	650	//	زينة
	//	//	4824	12468	أ. سعد بن سالم
	//	//	1782	//	أ. يحيى بن سالم

المصدر : شولي بلخضر ، مرجع سابق ، ص: ، مع تصرف الباحثة

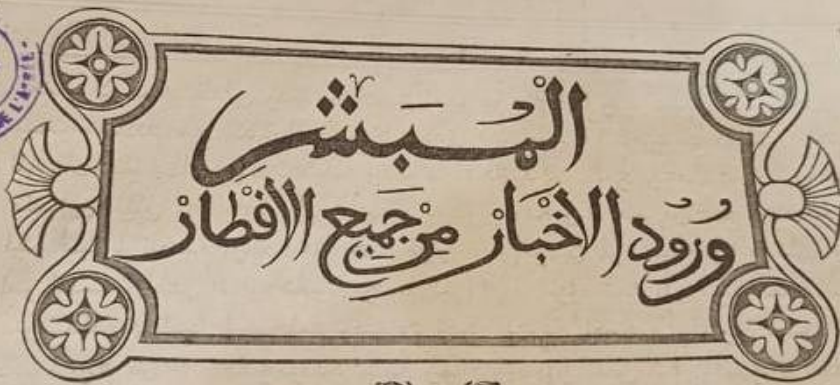
الملحق رقم 05 : مرافقة أولاد نايل للأمير عبد القادر في معاركه مع قوات الاحتلال ، داخل وخارج منطقة الجلفة 1845-1846



المصدر: فرونسوا دوفيلاري: مرجع سابق، ص: 118.

ملحق رقم 06 : تسليم قبائل أولاد نايل بعد تسليم الأمير

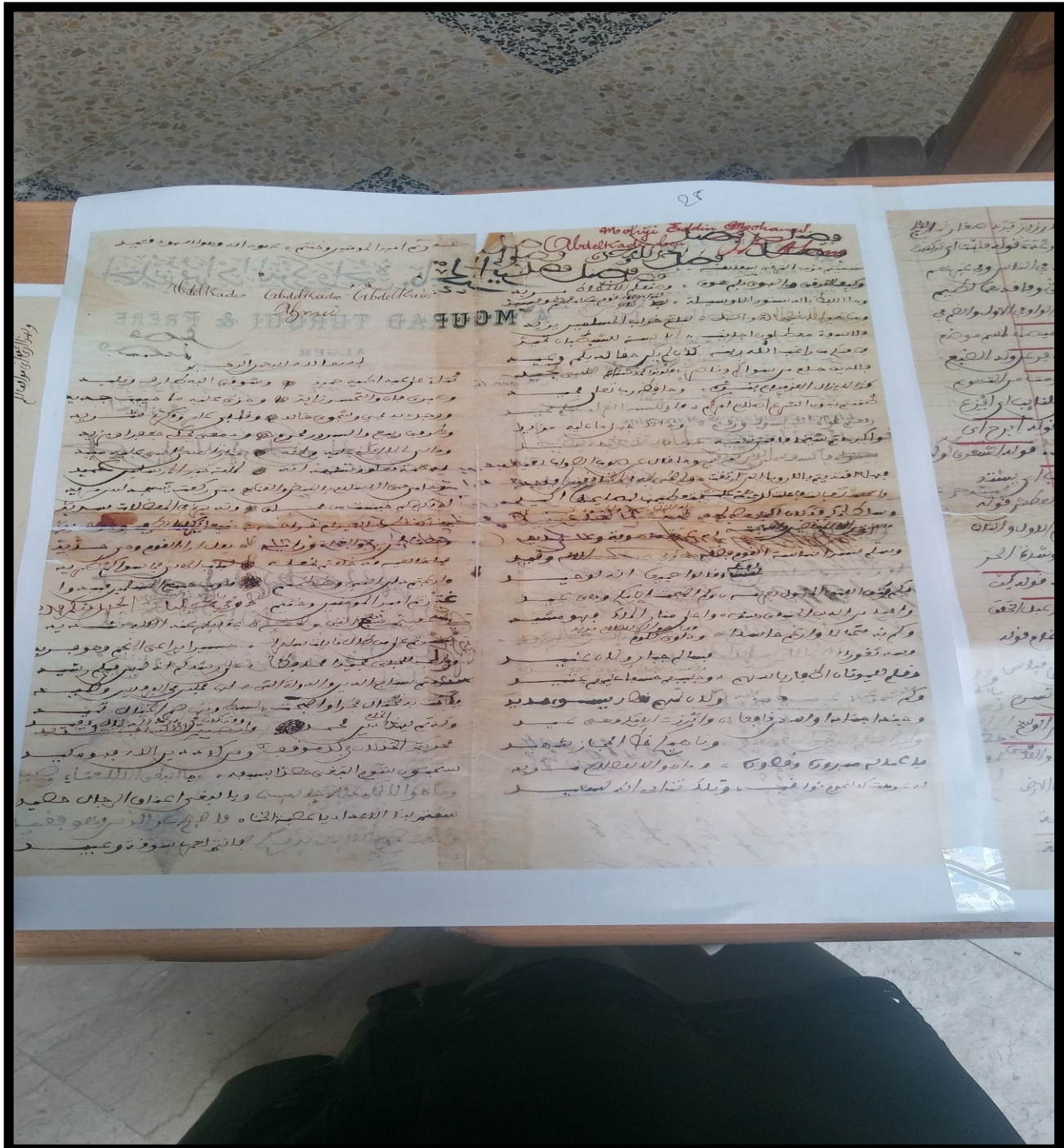
عبد القادر بشروط سنة 1847



محرم ٢٢ سنة ١٢٦٤ دجنبر ٣١ سنة ١٨٤٧

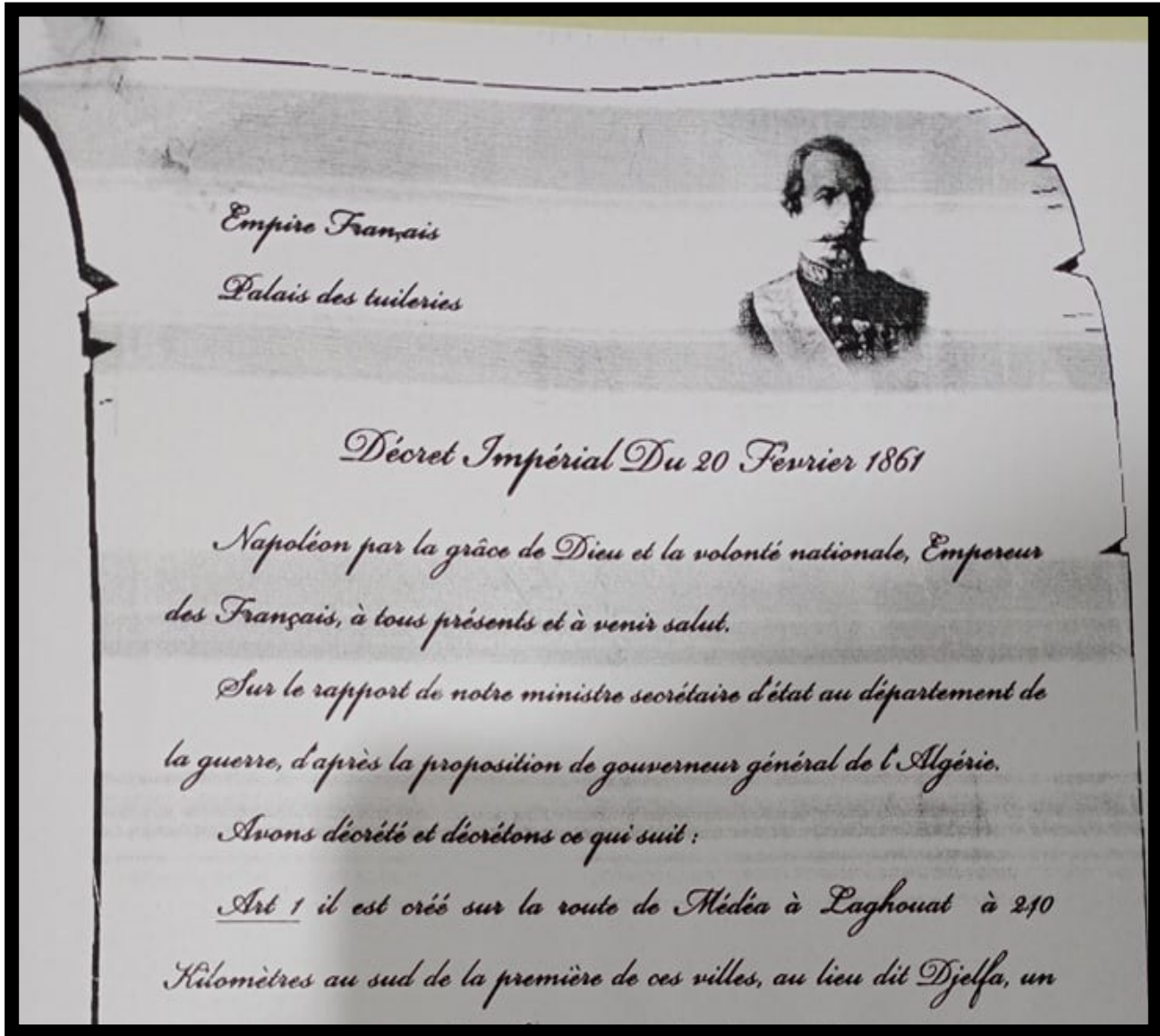
عدم قدرتم على ما كانوا يوعدونكم به ولما مروا صبروا الناس الذين تبعوهم في الهلاك وتركوهم مهملين في أيدينا لعدم طاقتهم ولولا الخيانة والمروءة التي هي من شأن الفرانصيص وعادته لأدركتهم عظيم المصائب. لاكن الدولة المنصورة ذات قدر ومروءة وبغبرت لهم وفيلتكم قبول الأب لابنه العاصي فلما أن كان ذلك كذاك بول ١٢٦٣ سنة تبغدت الناس أحوالها وشاهدت الضرر الذي حل بها من شدة البتن وأهوالها وانبعثت بصايرها بعد الغيلة وندمت وصارت تطلب العافية والهنا التي ينتج منها كل خير وينتج بسببها كل ضير كما كانوا بالسالى وكل من كان في السابق فابلنا بالعداوة قدم إلينا وفتيذ من كل ناحية وطلب منا الأمان منهم جلول بن يحيى كبير جبل العمور نال الحرمة منا وكذاك أولاد نايل الذين كانوا منافعهم اذعنوا لخدمة الدولة وأما السيد أحمد الطيب بن سالم والسيد أبي القاسم بن قاسي لما راوا عدم طاقتهم وخشوا على هلاك انفسهم والمسلمين في اترهم قدموا للجزاير أيضا ودخلوا بالطاعة للدولة وكذاك بومعزة سلم نفسه لعظيم مالك الدولة البوانصوية هذا وإن الحاج عبد القادر لما تحقق له عدم قدرته على مضادتنا قدم نفسه لسعادة

ملحق رقم 07 : نص قصيدة عبد الحميد الثاني (بين
الشيخين الديسي وعبد القادر المسعدي)



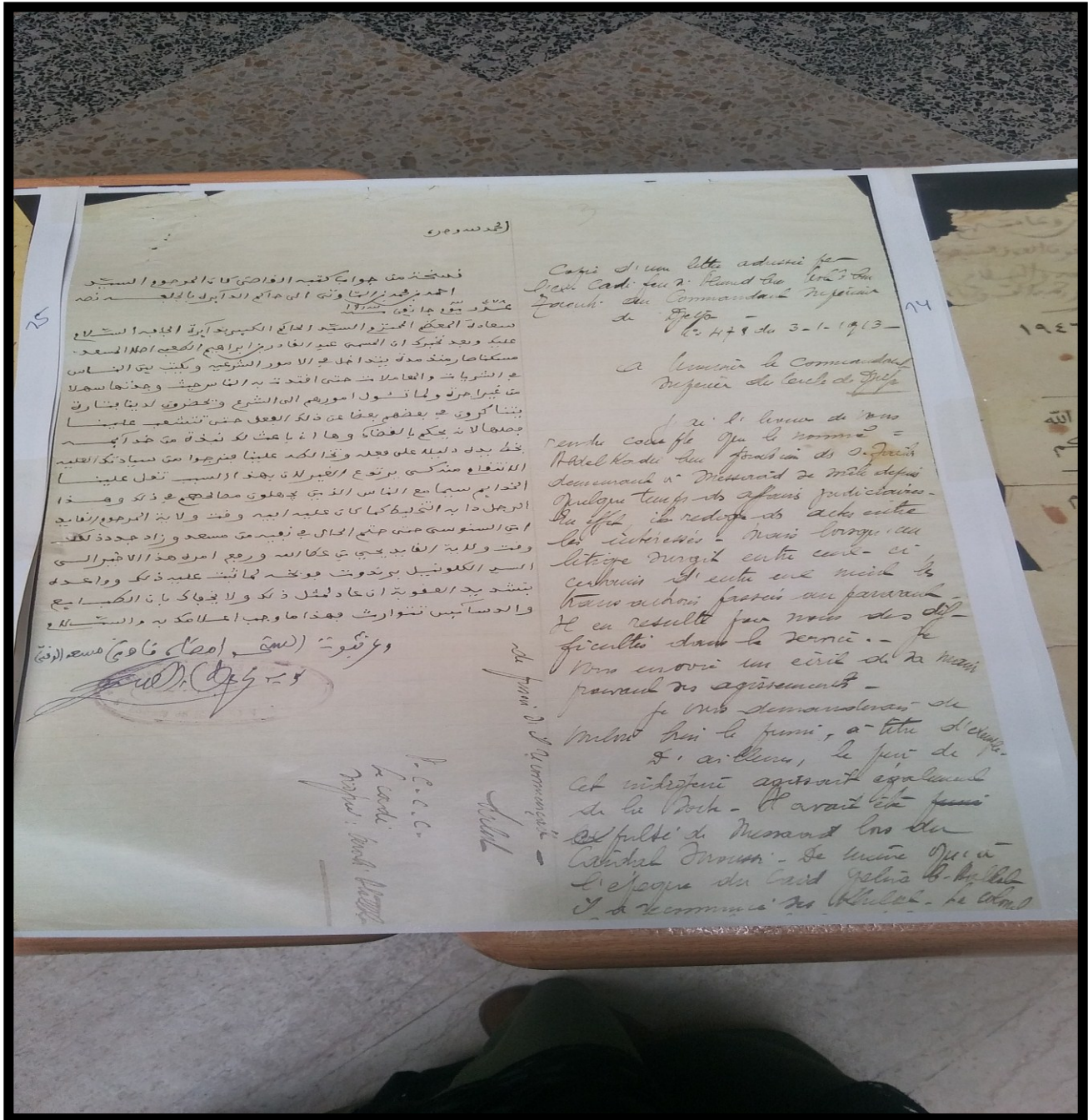
المصدر : مكتبة حفناوي غول

ملحق رقم 08 : نص مرسوم إنشاء مدينة الجلفة



ملحق رقم 09 : رسالة بعث بها قاضي حاكم دائرة الجلفة يشتكي

فيها من عدم لجوء الناس له لحل قضاياهم



المصدر : مكتبة حفناوي غول

ملحق رقم 11 : صورة حزم الحلفاء من محطة الجلفة للسكة
الحديدية الموجهة للنقل إلى الشمال ومنها للتصدير إلى فرنسا



Source gallica.bnf.fr / CIRAD

المصدر:

Prudhomme, Émile (1871–1963): Photographe. Dépôt d'alfa près de la
gare de Djelfa Emile Prudhomme. 1930

ملحق رقم 12 : صورة عن خيمة أولاد نايل



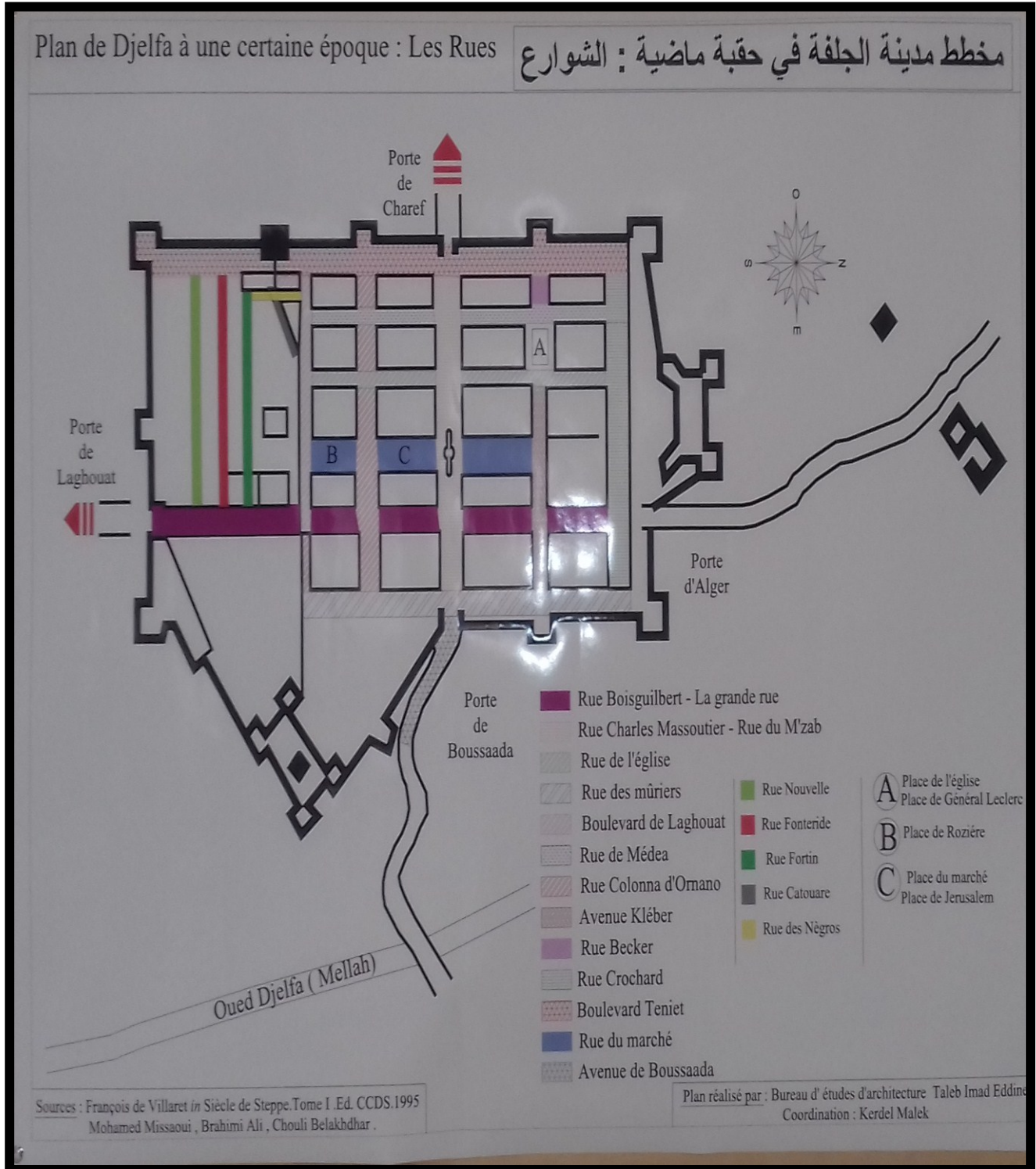
ملحق رقم 13 : إحصاء قبائل المنطقة سنة 1906

Après le recensement quinqu	
Popul	
Tribu des Abbaxiz	4.456
Tribu des Oulad Laouar et El Mehache	6.401
Tribu des Oulad Reggad Gheraba.	1.458
Tribu des Oulad Reggad Cheraga.	2.683
Tribu des Oulad Khenata.....	3.824
Tribu des Oulad Zid	1.145
Tribu des Kreurs	3.360
Tribu des Oulad Yahia ben Salem	1.954
Tribu des Oulad Toaba.....	2.371
Tribu des Oulad Sidi Younés et Zénina	3.022
Tribu des Oulad Oum El Akhoua..	6.799
Tribu des Oulad Aïffa	5.275

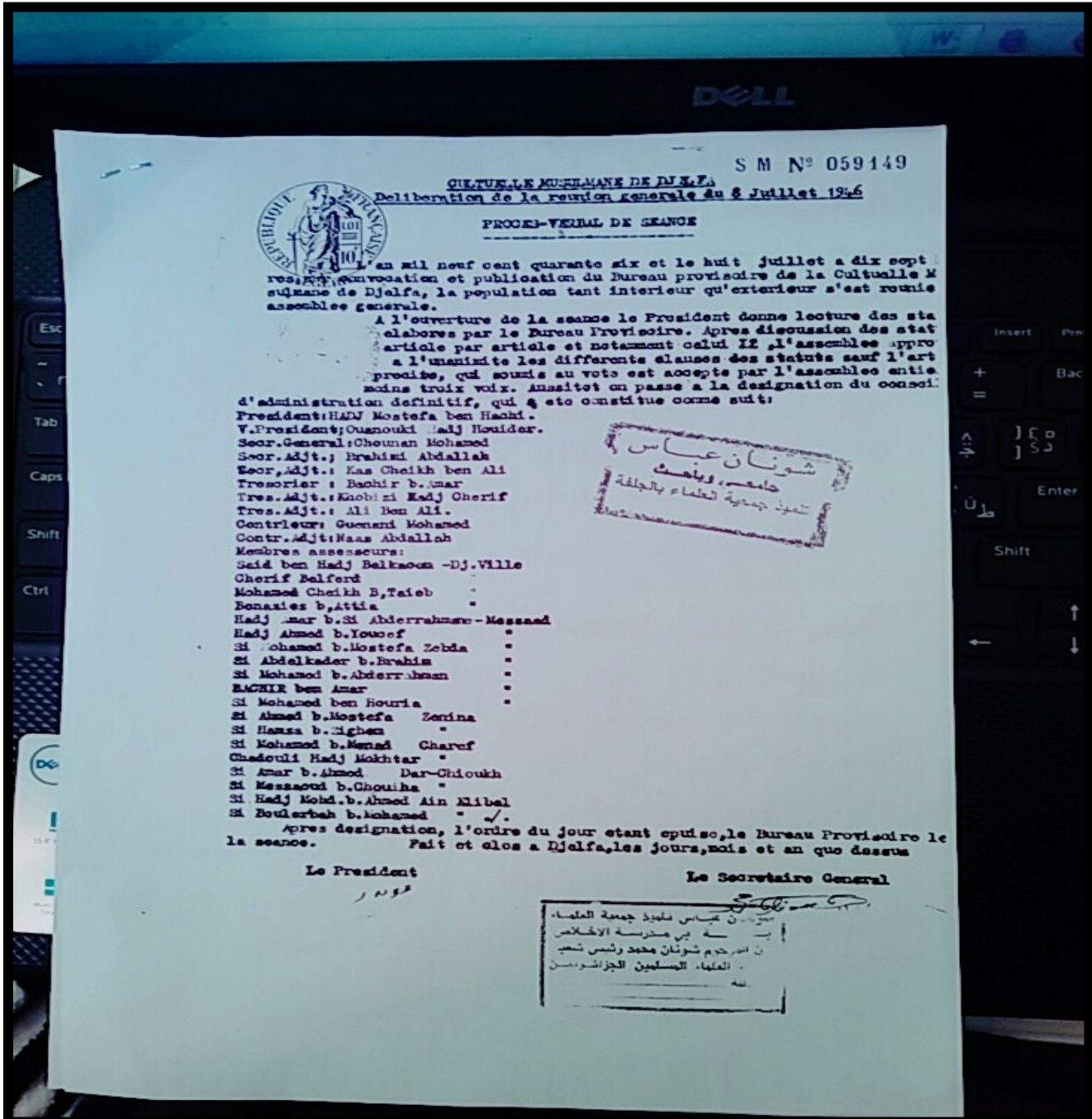
Total de la population de l'Aghalik.....	12.748
Tribu des Oulad El Ghadimi.....	5.908
Tribu des Oulad Oumhani.....	3.608
Tribu des Oulad Ben Ali	2.577

المصدر: A.N.O.M/ OA83 .

ملحق رقم 14 : مخطط مدينة الجلفة في بداية الاحتلال



ملحق رقم 16 : أعضاء المجلس الإداري للمكتب المؤقت للثقافة الإسلامية
بالجلفة ، بتاريخ : 8 جويلية 1946 وتعيين محمد شونان سكرتيرا عاما



المصدر : مكتبة الشيخ محمد شونان

ملحق رقم 18 : صورة محمد بوسعيد مؤسس الحركة الكشفية بالجلفة



المصدر : صور متحف الكشافة الإسلامية بالجلفة

ملحق رقم 19 : صورة المشاركة بالتجمع الاتحادي الكبير في جويلية 1944 المقام
بتلمسان



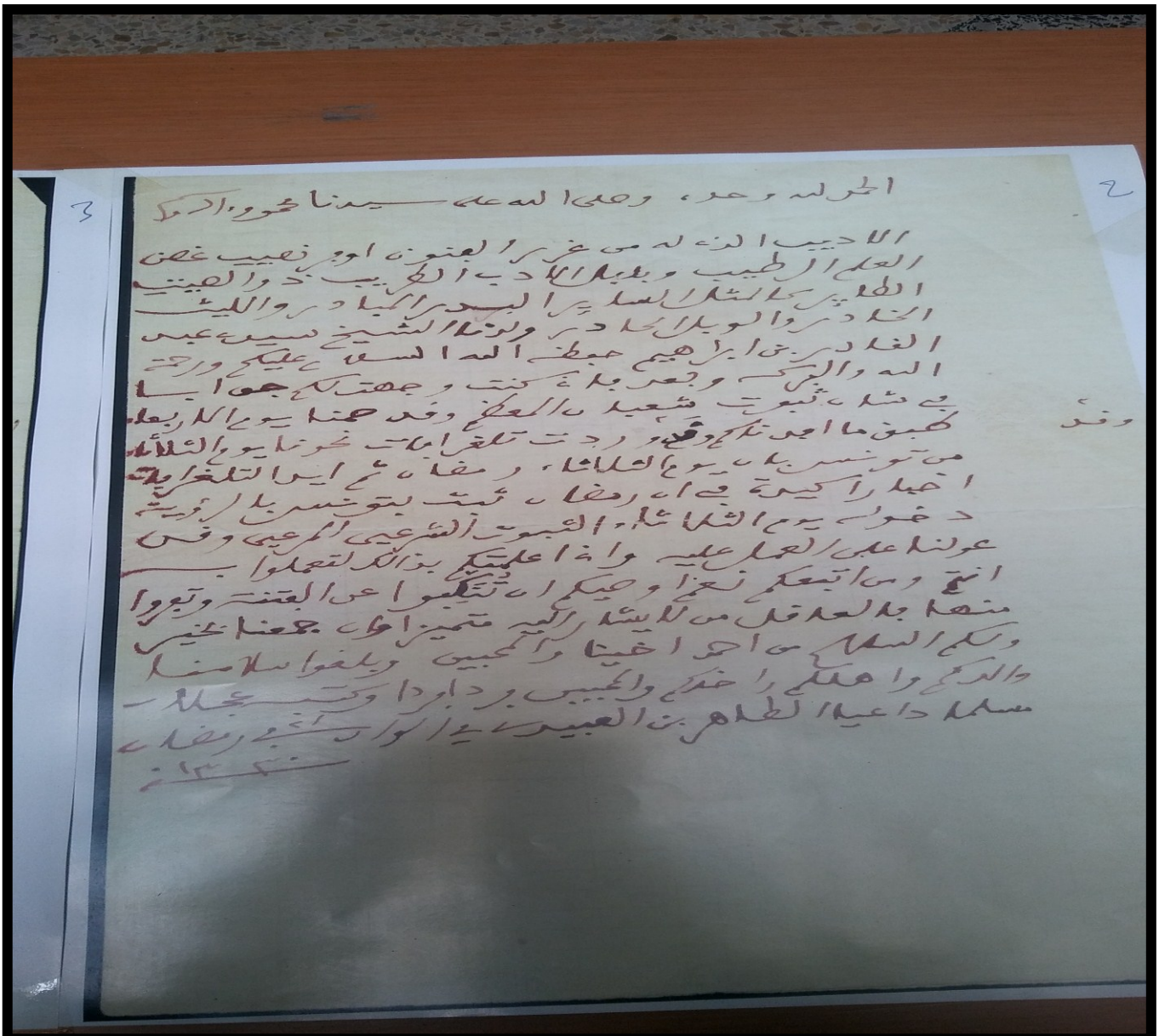
المصدر : صور متحف الكشافة الإسلامية بالجلفة

ملحق رقم 20 : صورة المشاركين في الملتقى الكشفي العالمي جومبري مواسون شمال باريس في أوت
1947



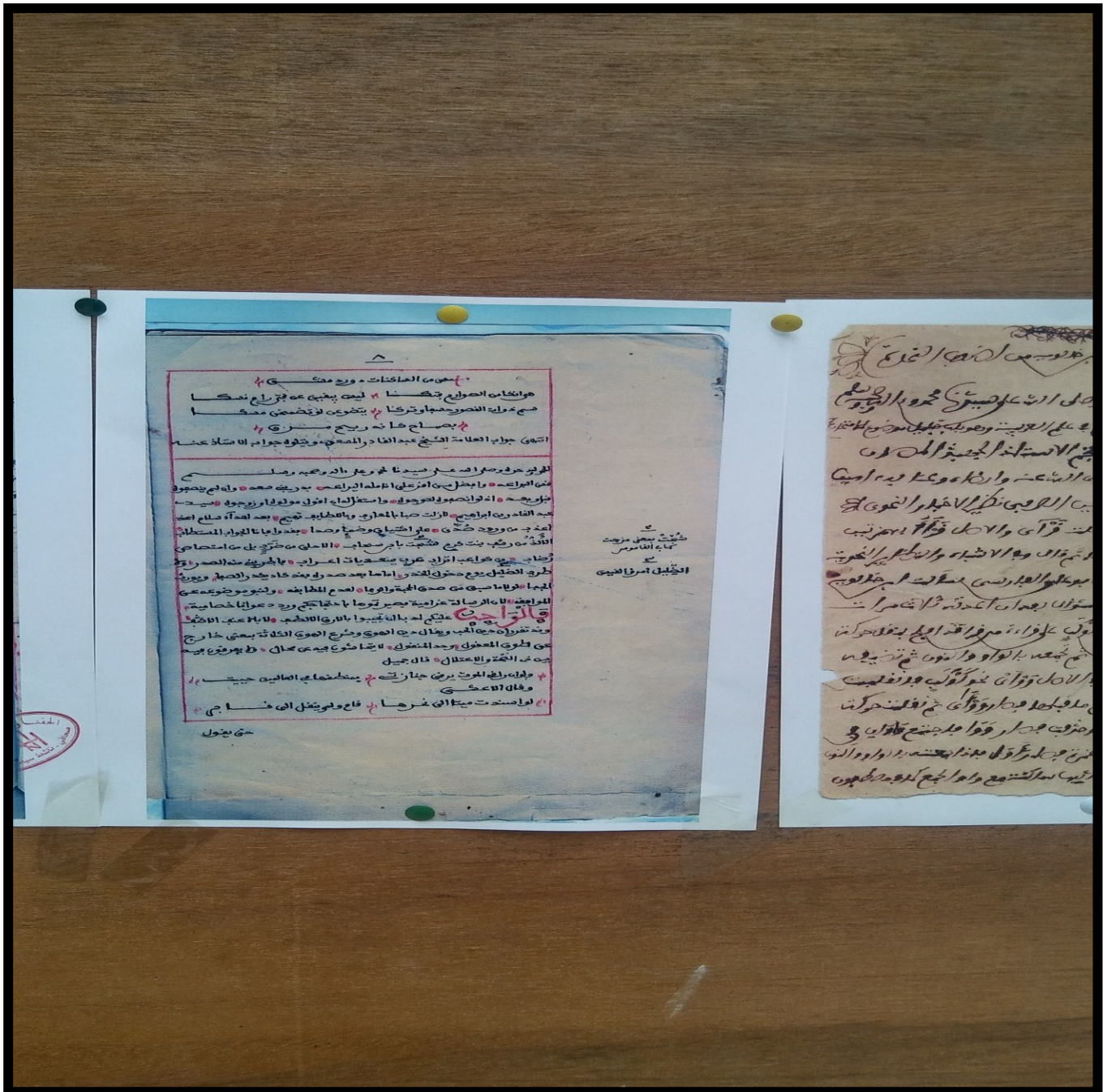
المصدر : صور الكشافة الإسلامية بالجلفة

ملحق رقم 21 : رسالة بعث بها الشيخ الطاهر العبيدي إلى الشيخ عبد القادر
المسعودي يعلمه فيها بثبوت رؤية الهلال في تونس يوم الثلاثاء 1 رمضان من سنة
1330 هـ الموافق لـ: 13 أوت 1912 م



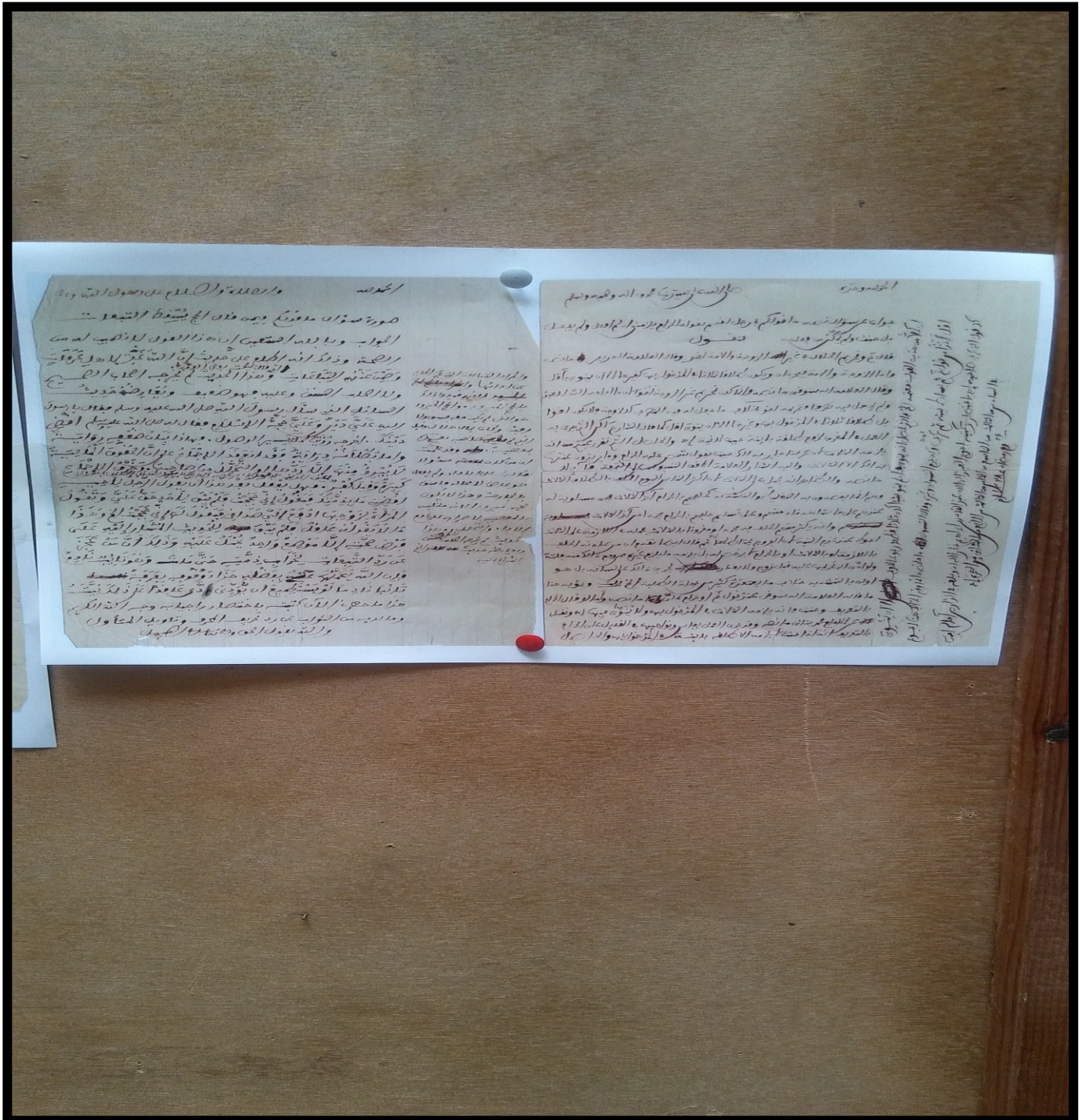
مكتبة حفاوي غول

ملحق رقم 22 : رسالة يشيد فيها الشيخ الديسي بالشيخ المسعدي



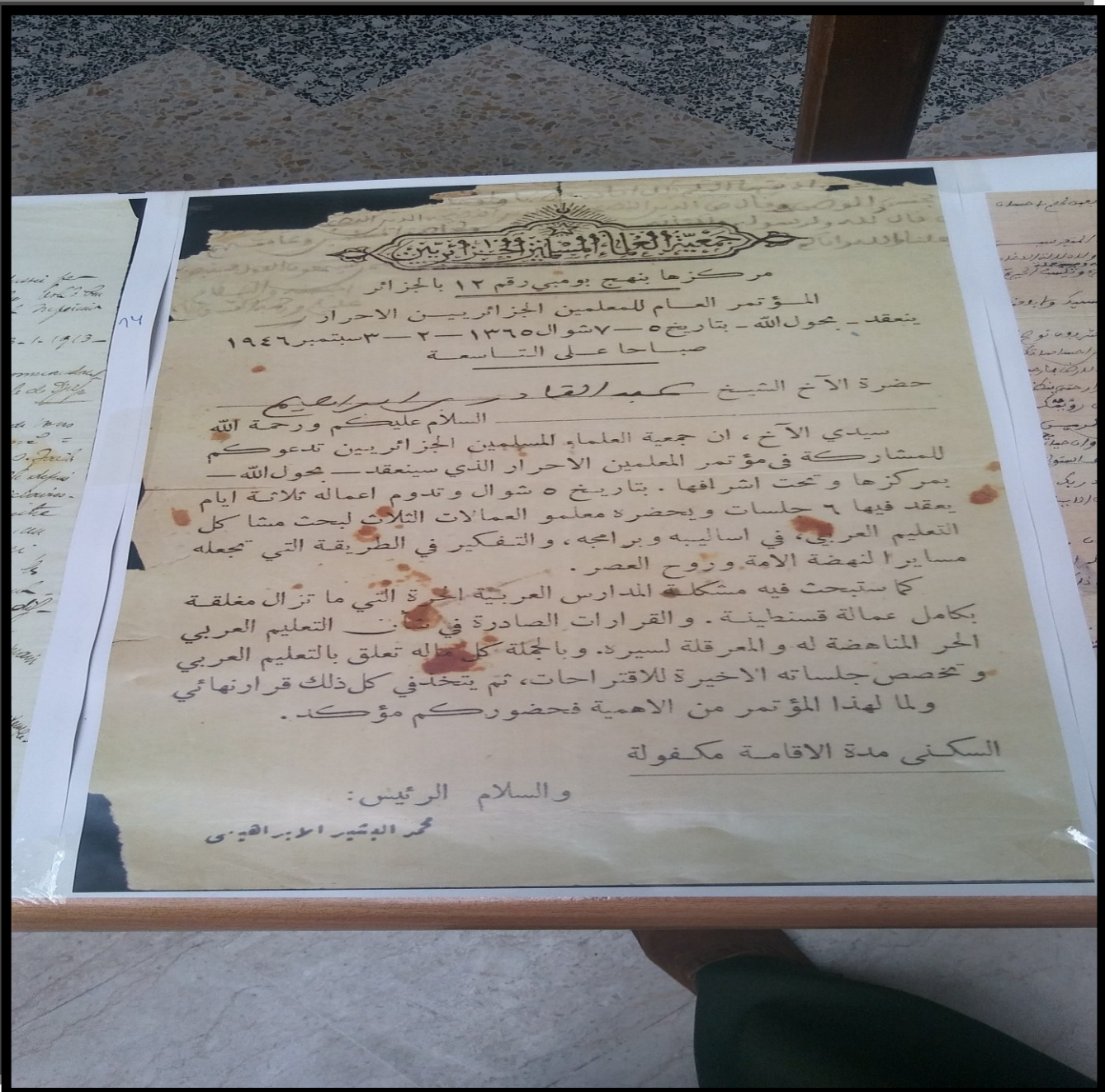
المصدر: مكتبة حفاوي غول

ملحق رقم 23 : نص الفتوى عبد القادر المسعدي لأهل بلدته



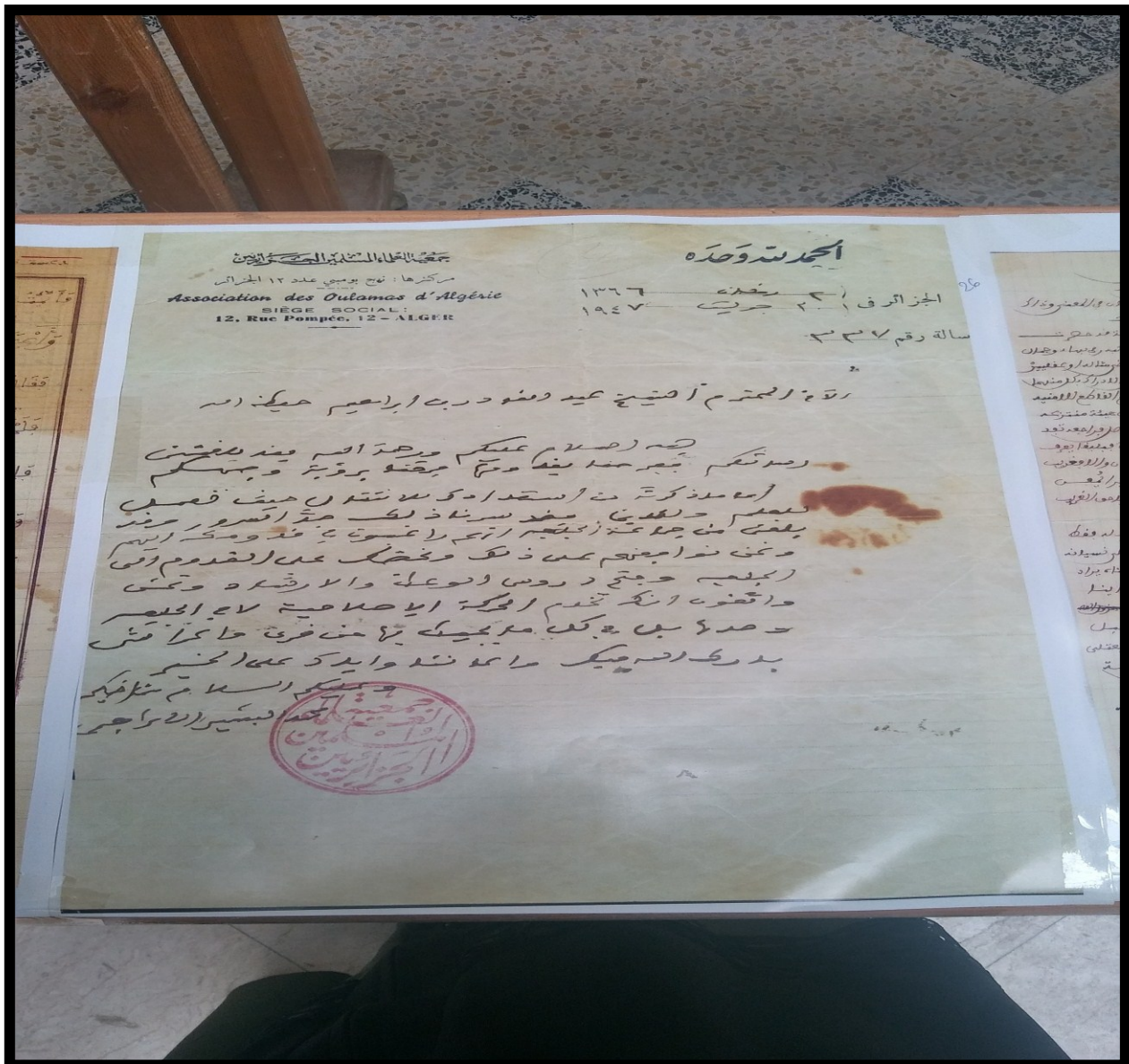
المصدر: مكتبة حفناوي غول

ملحق رقم 24 : الدعوة التي وجهت للشيخ عبد القادر المسعدي لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالعاصمة 5 ماي 1931م



المصدر: مكتبة حفناوي غول

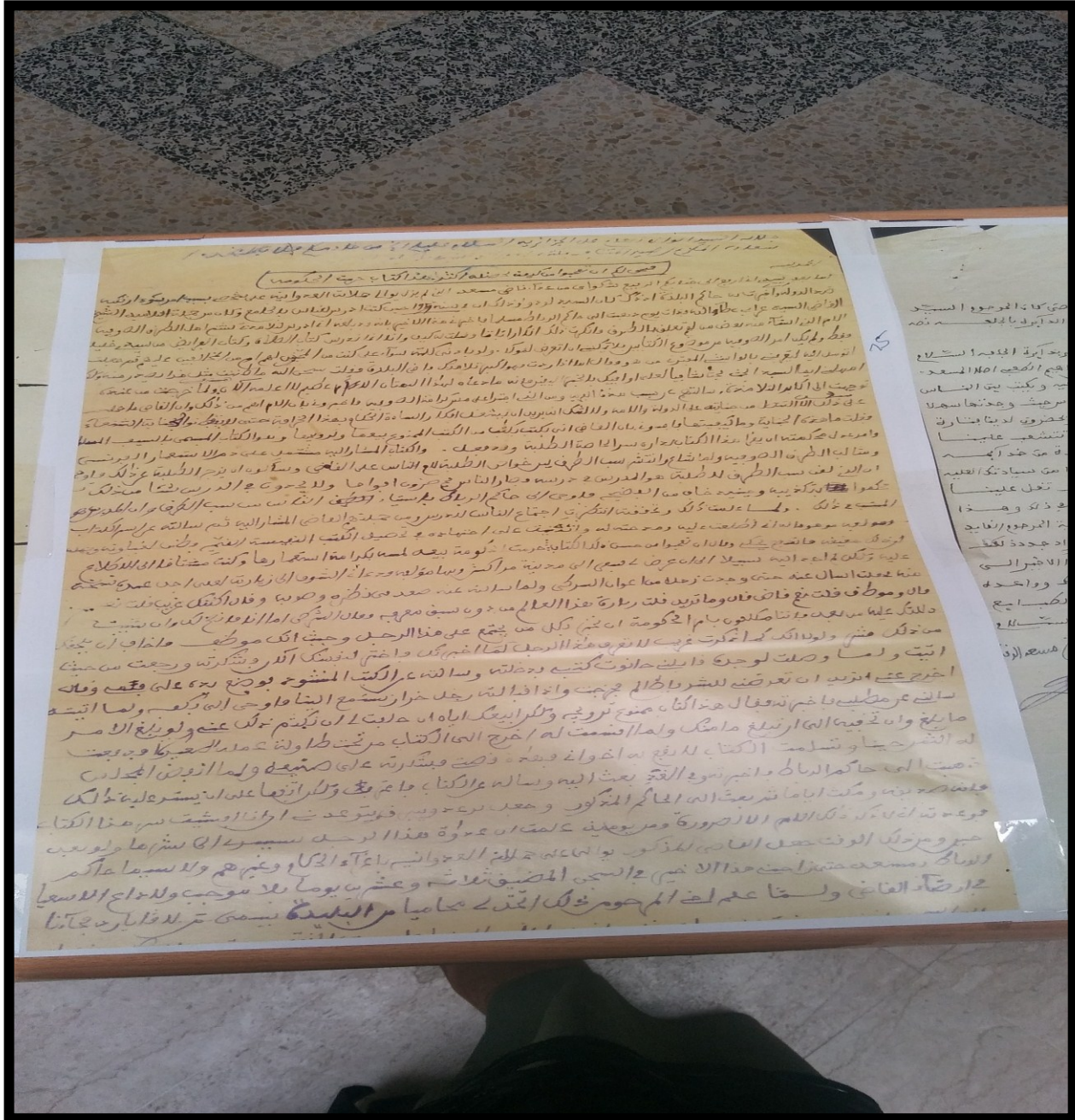
ملحق رقم 25 : رد الشيخ محمد البشير الابراهيمي على رسالة الشيخ عبد القادر
 المسعدي للانتقال إلى مدينة الجلفة مرة أخرى، بناء على رغبة أبناء هذه
 المدينة، هذه الرسالة بختم جمعية العلماء تحت رقم: 337 مؤرخة في 02
 رمضان 1366/20 جويلية 1947



المصدر: مكتبة حفناوي غول

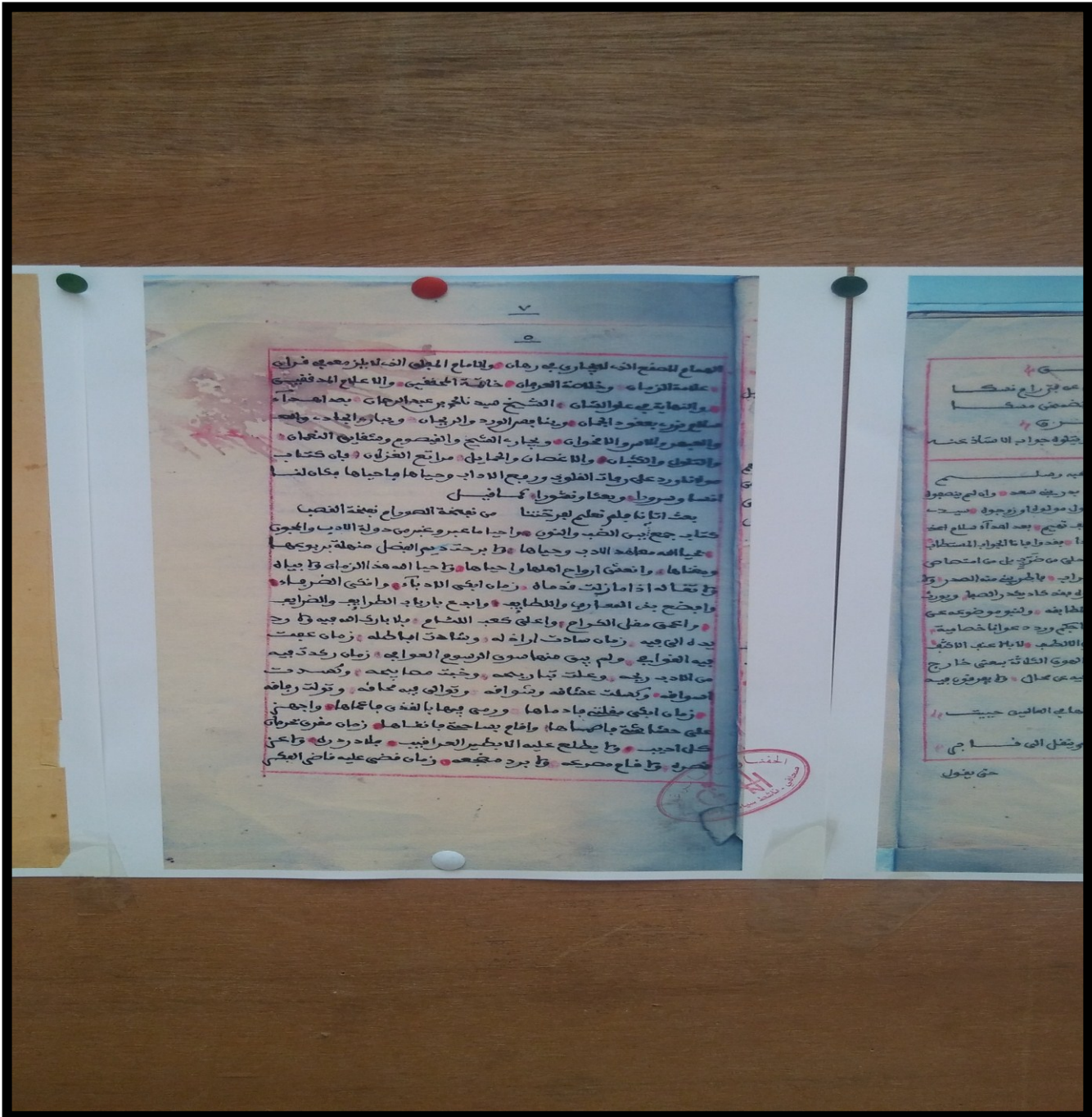
ملحق رقم 26 : شكوى عبد القادر المسعدي إلى حاكم رباط مسعد ضد القاضي

بتاريخ 10 جوان 1939 م



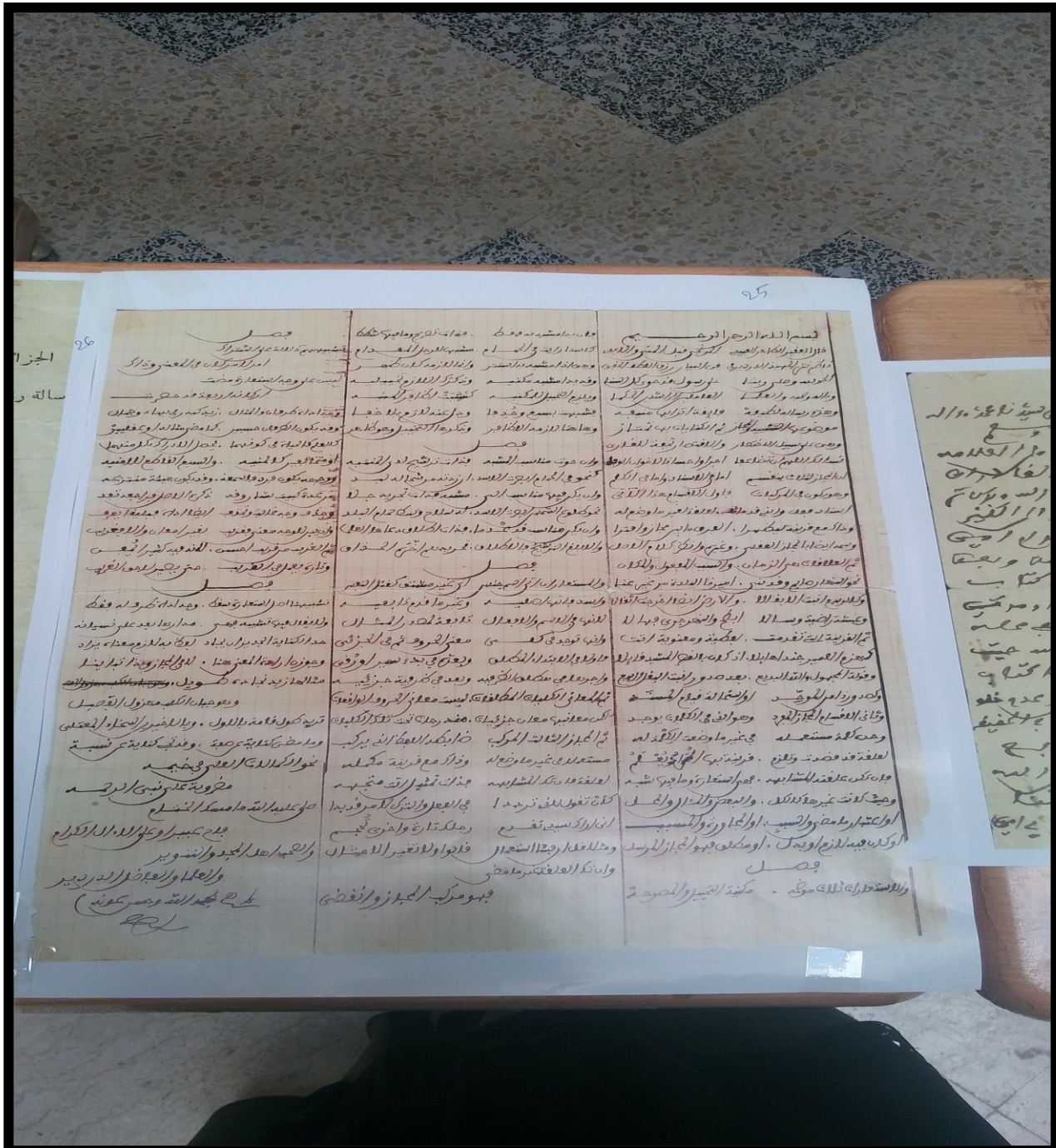
المصدر: مكتبة حفناوي غول

ملحق رقم 27 : رسالة الشيخ عبد القادر المسعدي إلى الشيخ الديسي يتذمر له فيها من الزمن الذي يعيش فيه



المصدر: مكتبة حفاوي

ملحق رقم 28 : نظم الشيخ العبيدي لرسالة الدرديري



المصدر: مكتبة حفاوي

ملحق رقم 29 : مراسلة بين الشيخين الديسي والمسعودي عن البداية

يسمى الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين
 هذه من أسلحة أدبيته . والخطبة عريضة دارت بين الشاخصين الفاضلين المتفكرين
 الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديلمي والشيخ عبد القادر بن أبي هجر الماسعودي
 قبيد تلامذاهما الذين تغلب بهما التسلسل والتفكير والبرهان على كل قبيل
 عبد ربنا العجوة ما ذنبنا محاسن البرهان المحفوظ في اعتداله بيده
 آتينا
 (المسألة الأولى) من (الشيخ الديلمي) رحمه الله يقول فيها
 الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وآله بعين الزمان الديلمي
 غير الواسعة . من مباحثه في عقد فضله في داره الواسعة . المسألة الأولى
 والبرهان على ما هو في عقد فضله في داره الواسعة . المسألة الأولى
 والتفكير والتجريب والتكرار بعد اهداء سلامه في طيبة داره (١) ربيع
 من بلاد كثيرة (٢) ربيع (٣) ربيع . اجمل ما تعبر به سعد بن سلام في اعداء أو
 رابع . وأما من رابع رابع . تديره بهتلافه (٤) ربيع (٥) ربيع الخلفاء عثر (٦) ربيع
 (٧) ربيع (٨) ربيع (٩) ربيع (١٠) ربيع (١١) ربيع (١٢) ربيع (١٣) ربيع (١٤) ربيع (١٥) ربيع (١٦) ربيع (١٧) ربيع (١٨) ربيع (١٩) ربيع (٢٠) ربيع (٢١) ربيع (٢٢) ربيع (٢٣) ربيع (٢٤) ربيع (٢٥) ربيع (٢٦) ربيع (٢٧) ربيع (٢٨) ربيع (٢٩) ربيع (٣٠) ربيع (٣١) ربيع (٣٢) ربيع (٣٣) ربيع (٣٤) ربيع (٣٥) ربيع (٣٦) ربيع (٣٧) ربيع (٣٨) ربيع (٣٩) ربيع (٤٠) ربيع (٤١) ربيع (٤٢) ربيع (٤٣) ربيع (٤٤) ربيع (٤٥) ربيع (٤٦) ربيع (٤٧) ربيع (٤٨) ربيع (٤٩) ربيع (٥٠) ربيع (٥١) ربيع (٥٢) ربيع (٥٣) ربيع (٥٤) ربيع (٥٥) ربيع (٥٦) ربيع (٥٧) ربيع (٥٨) ربيع (٥٩) ربيع (٦٠) ربيع (٦١) ربيع (٦٢) ربيع (٦٣) ربيع (٦٤) ربيع (٦٥) ربيع (٦٦) ربيع (٦٧) ربيع (٦٨) ربيع (٦٩) ربيع (٧٠) ربيع (٧١) ربيع (٧٢) ربيع (٧٣) ربيع (٧٤) ربيع (٧٥) ربيع (٧٦) ربيع (٧٧) ربيع (٧٨) ربيع (٧٩) ربيع (٨٠) ربيع (٨١) ربيع (٨٢) ربيع (٨٣) ربيع (٨٤) ربيع (٨٥) ربيع (٨٦) ربيع (٨٧) ربيع (٨٨) ربيع (٨٩) ربيع (٩٠) ربيع (٩١) ربيع (٩٢) ربيع (٩٣) ربيع (٩٤) ربيع (٩٥) ربيع (٩٦) ربيع (٩٧) ربيع (٩٨) ربيع (٩٩) ربيع (١٠٠) ربيع (١٠١) ربيع (١٠٢) ربيع (١٠٣) ربيع (١٠٤) ربيع (١٠٥) ربيع (١٠٦) ربيع (١٠٧) ربيع (١٠٨) ربيع (١٠٩) ربيع (١١٠) ربيع (١١١) ربيع (١١٢) ربيع (١١٣) ربيع (١١٤) ربيع (١١٥) ربيع (١١٦) ربيع (١١٧) ربيع (١١٨) ربيع (١١٩) ربيع (١٢٠) ربيع (١٢١) ربيع (١٢٢) ربيع (١٢٣) ربيع (١٢٤) ربيع (١٢٥) ربيع (١٢٦) ربيع (١٢٧) ربيع (١٢٨) ربيع (١٢٩) ربيع (١٣٠) ربيع (١٣١) ربيع (١٣٢) ربيع (١٣٣) ربيع (١٣٤) ربيع (١٣٥) ربيع (١٣٦) ربيع (١٣٧) ربيع (١٣٨) ربيع (١٣٩) ربيع (١٤٠) ربيع (١٤١) ربيع (١٤٢) ربيع (١٤٣) ربيع (١٤٤) ربيع (١٤٥) ربيع (١٤٦) ربيع (١٤٧) ربيع (١٤٨) ربيع (١٤٩) ربيع (١٥٠) ربيع (١٥١) ربيع (١٥٢) ربيع (١٥٣) ربيع (١٥٤) ربيع (١٥٥) ربيع (١٥٦) ربيع (١٥٧) ربيع (١٥٨) ربيع (١٥٩) ربيع (١٦٠) ربيع (١٦١) ربيع (١٦٢) ربيع (١٦٣) ربيع (١٦٤) ربيع (١٦٥) ربيع (١٦٦) ربيع (١٦٧) ربيع (١٦٨) ربيع (١٦٩) ربيع (١٧٠) ربيع (١٧١) ربيع (١٧٢) ربيع (١٧٣) ربيع (١٧٤) ربيع (١٧٥) ربيع (١٧٦) ربيع (١٧٧) ربيع (١٧٨) ربيع (١٧٩) ربيع (١٨٠) ربيع (١٨١) ربيع (١٨٢) ربيع (١٨٣) ربيع (١٨٤) ربيع (١٨٥) ربيع (١٨٦) ربيع (١٨٧) ربيع (١٨٨) ربيع (١٨٩) ربيع (١٩٠) ربيع (١٩١) ربيع (١٩٢) ربيع (١٩٣) ربيع (١٩٤) ربيع (١٩٥) ربيع (١٩٦) ربيع (١٩٧) ربيع (١٩٨) ربيع (١٩٩) ربيع (٢٠٠) ربيع (٢٠١) ربيع (٢٠٢) ربيع (٢٠٣) ربيع (٢٠٤) ربيع (٢٠٥) ربيع (٢٠٦) ربيع (٢٠٧) ربيع (٢٠٨) ربيع (٢٠٩) ربيع (٢١٠) ربيع (٢١١) ربيع (٢١٢) ربيع (٢١٣) ربيع (٢١٤) ربيع (٢١٥) ربيع (٢١٦) ربيع (٢١٧) ربيع (٢١٨) ربيع (٢١٩) ربيع (٢٢٠) ربيع (٢٢١) ربيع (٢٢٢) ربيع (٢٢٣) ربيع (٢٢٤) ربيع (٢٢٥) ربيع (٢٢٦) ربيع (٢٢٧) ربيع (٢٢٨) ربيع (٢٢٩) ربيع (٢٣٠) ربيع (٢٣١) ربيع (٢٣٢) ربيع (٢٣٣) ربيع (٢٣٤) ربيع (٢٣٥) ربيع (٢٣٦) ربيع (٢٣٧) ربيع (٢٣٨) ربيع (٢٣٩) ربيع (٢٤٠) ربيع (٢٤١) ربيع (٢٤٢) ربيع (٢٤٣) ربيع (٢٤٤) ربيع (٢٤٥) ربيع (٢٤٦) ربيع (٢٤٧) ربيع (٢٤٨) ربيع (٢٤٩) ربيع (٢٥٠) ربيع (٢٥١) ربيع (٢٥٢) ربيع (٢٥٣) ربيع (٢٥٤) ربيع (٢٥٥) ربيع (٢٥٦) ربيع (٢٥٧) ربيع (٢٥٨) ربيع (٢٥٩) ربيع (٢٦٠) ربيع (٢٦١) ربيع (٢٦٢) ربيع (٢٦٣) ربيع (٢٦٤) ربيع (٢٦٥) ربيع (٢٦٦) ربيع (٢٦٧) ربيع (٢٦٨) ربيع (٢٦٩) ربيع (٢٧٠) ربيع (٢٧١) ربيع (٢٧٢) ربيع (٢٧٣) ربيع (٢٧٤) ربيع (٢٧٥) ربيع (٢٧٦) ربيع (٢٧٧) ربيع (٢٧٨) ربيع (٢٧٩) ربيع (٢٨٠) ربيع (٢٨١) ربيع (٢٨٢) ربيع (٢٨٣) ربيع (٢٨٤) ربيع (٢٨٥) ربيع (٢٨٦) ربيع (٢٨٧) ربيع (٢٨٨) ربيع (٢٨٩) ربيع (٢٩٠) ربيع (٢٩١) ربيع (٢٩٢) ربيع (٢٩٣) ربيع (٢٩٤) ربيع (٢٩٥) ربيع (٢٩٦) ربيع (٢٩٧) ربيع (٢٩٨) ربيع (٢٩٩) ربيع (٣٠٠) ربيع (٣٠١) ربيع (٣٠٢) ربيع (٣٠٣) ربيع (٣٠٤) ربيع (٣٠٥) ربيع (٣٠٦) ربيع (٣٠٧) ربيع (٣٠٨) ربيع (٣٠٩) ربيع (٣١٠) ربيع (٣١١) ربيع (٣١٢) ربيع (٣١٣) ربيع (٣١٤) ربيع (٣١٥) ربيع (٣١٦) ربيع (٣١٧) ربيع (٣١٨) ربيع (٣١٩) ربيع (٣٢٠) ربيع (٣٢١) ربيع (٣٢٢) ربيع (٣٢٣) ربيع (٣٢٤) ربيع (٣٢٥) ربيع (٣٢٦) ربيع (٣٢٧) ربيع (٣٢٨) ربيع (٣٢٩) ربيع (٣٣٠) ربيع (٣٣١) ربيع (٣٣٢) ربيع (٣٣٣) ربيع (٣٣٤) ربيع (٣٣٥) ربيع (٣٣٦) ربيع (٣٣٧) ربيع (٣٣٨) ربيع (٣٣٩) ربيع (٣٤٠) ربيع (٣٤١) ربيع (٣٤٢) ربيع (٣٤٣) ربيع (٣٤٤) ربيع (٣٤٥) ربيع (٣٤٦) ربيع (٣٤٧) ربيع (٣٤٨) ربيع (٣٤٩) ربيع (٣٥٠) ربيع (٣٥١) ربيع (٣٥٢) ربيع (٣٥٣) ربيع (٣٥٤) ربيع (٣٥٥) ربيع (٣٥٦) ربيع (٣٥٧) ربيع (٣٥٨) ربيع (٣٥٩) ربيع (٣٦٠) ربيع (٣٦١) ربيع (٣٦٢) ربيع (٣٦٣) ربيع (٣٦٤) ربيع (٣٦٥) ربيع (٣٦٦) ربيع (٣٦٧) ربيع (٣٦٨) ربيع (٣٦٩) ربيع (٣٧٠) ربيع (٣٧١) ربيع (٣٧٢) ربيع (٣٧٣) ربيع (٣٧٤) ربيع (٣٧٥) ربيع (٣٧٦) ربيع (٣٧٧) ربيع (٣٧٨) ربيع (٣٧٩) ربيع (٣٨٠) ربيع (٣٨١) ربيع (٣٨٢) ربيع (٣٨٣) ربيع (٣٨٤) ربيع (٣٨٥) ربيع (٣٨٦) ربيع (٣٨٧) ربيع (٣٨٨) ربيع (٣٨٩) ربيع (٣٩٠) ربيع (٣٩١) ربيع (٣٩٢) ربيع (٣٩٣) ربيع (٣٩٤) ربيع (٣٩٥) ربيع (٣٩٦) ربيع (٣٩٧) ربيع (٣٩٨) ربيع (٣٩٩) ربيع (٤٠

المصدر: خزانة ضيف بلقاسم

ملحق رقم 30 : وثيقة تثبت تاريخ اتصال محمد بن عبد الرحمان
المسعودي (المعروف بالرايس) بالجامع الأعظم بتونس بتاريخ 15 جانفي 1941م



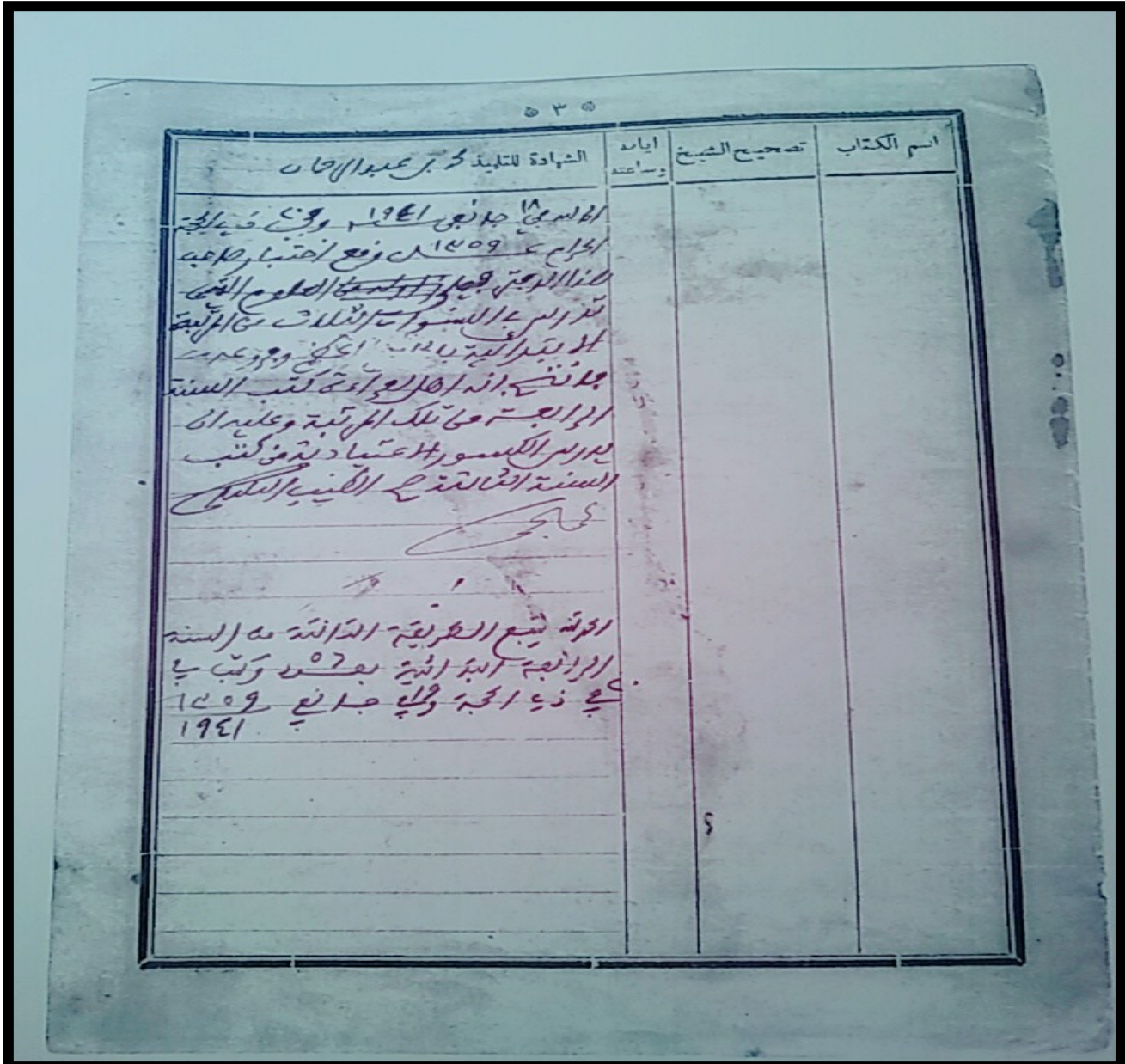
المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 31 : وثيقة تثبت قبول إدارة الجامع الأعظم بتونس محمد بن عبد
الرحمان (المعروف بالرايس) لدراسة به بعد اختباره بتاريخ 18 جانفي 1941م



المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 32 : وثيقة تثبت نجاح عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) في الاختبار الذي أجراه من طرف لجنة الجامع الأعظم بتونس للالتحاق بالسنة الرابعة من الرتبة الابتدائية بالجامع ذاته بتاريخ 18 جانفي 1941م



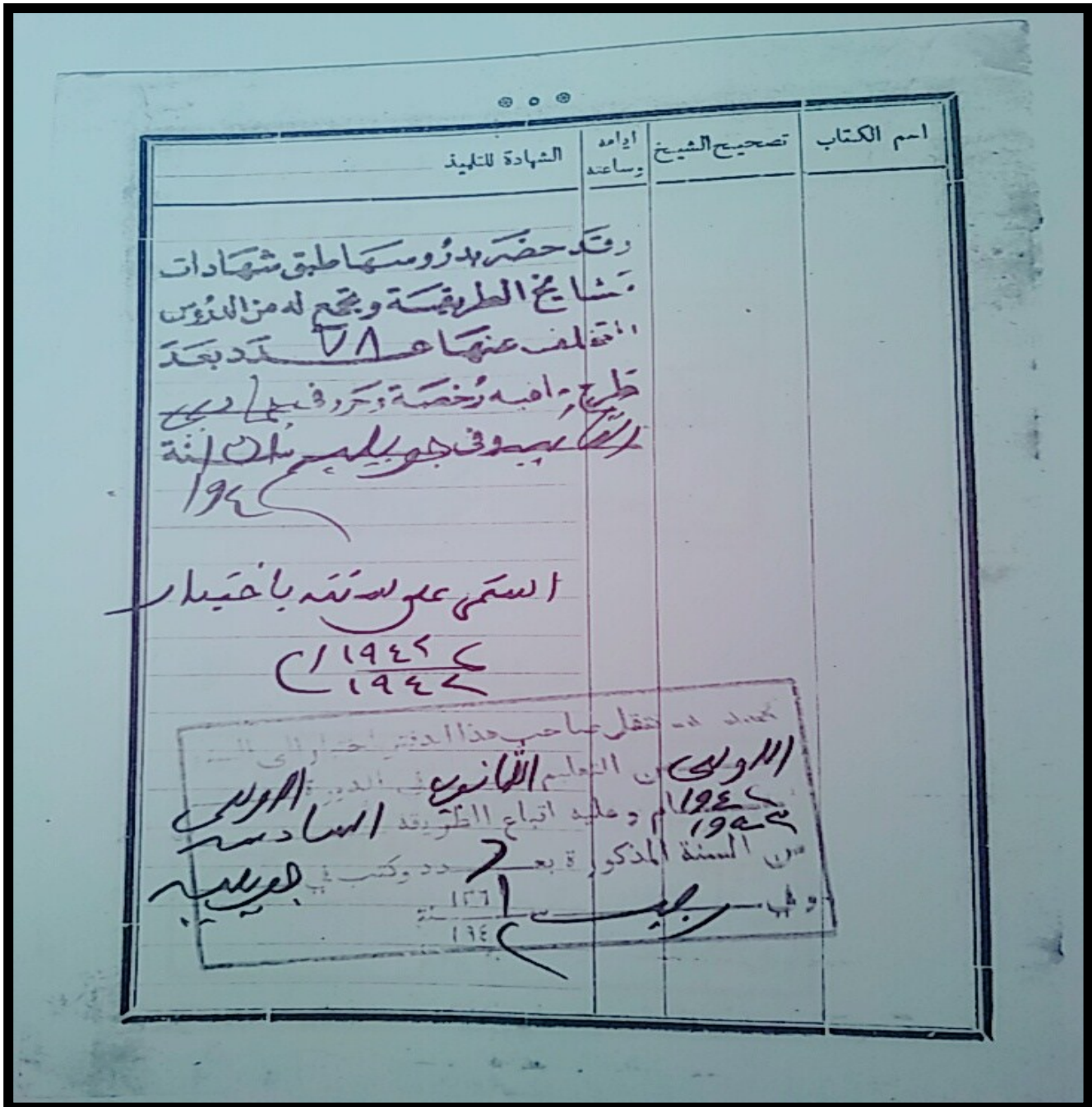
المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 33 : وثيقة تثبت حصول عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) على الشهادة الأهلية من الجامع الأعظم بتونس

اسم الكتاب	تدريج الشيخ	ايام	الشهادة للتلميذ
تد حضره بدروسه ما طبق شهادات مشيخ الطريقة ويتج له من الدروس الاختلف عنها <u>الادب بعد</u> طرح ما فيه رخصة وكرفه علمه في <u>العلم</u> وفي <u>جميع</u> سنة <u>١٩٤١</u> ١٩٤٢ م الحمد لله احرز التلميذ صاحب هذا دفتر على شهادة بالامتحان الواقع في <u>١٢٥</u> سنة <u>١٩٤٢</u> شيخ الجامع الأعظم وفروقه كرام الله المعلم يتبع ركنه ركنه من السنة الأولى ثم بعد وكتب في ركنه ركنه سنة <u>١٩٤٢</u> ١٩٤٢ م			

المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 34 : وثيقة تثبت انتقال محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس)
إلى السنة الثانية ثانوي بالجامع الأعظم بتونس



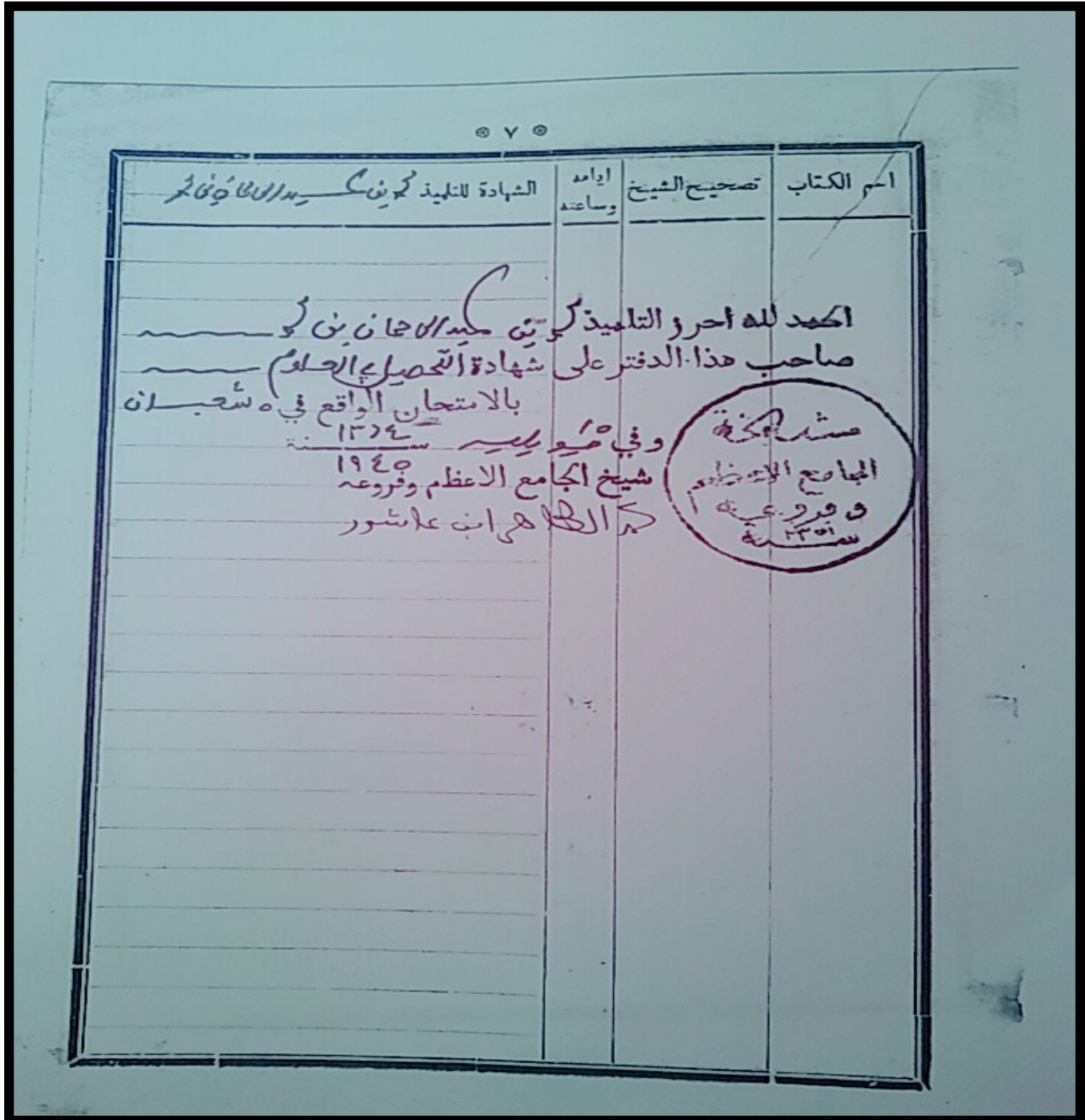
المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 35 : وثيقة تثبت انتقال محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) إلى السنة الثالثة ثانوي بالجامع الأعظم بتونس

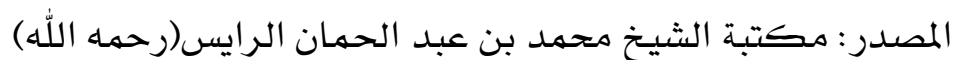
اسم الكتاب	تصحيح الشيخ	اوامد وساعد	الشهادة للتليذ كم بن محمد المسعدي
			١٩٤٤ ١٩٤٤
			محمد بن عبد الرحمان المسعدي انتقل صاحب هذا الدفتر باختيار الى السنة الثانية من التعليم الثانوي في الدورة الاولى العام ١٩٤٤ من السنة المذكورة تم عدد وكتب في رجب ١٩٤٤
			١٩٤٤ ١٩٤٤
			محمد بن عبد الرحمان المسعدي انتقل صاحب هذا الدفتر باختيار الى السنة الثالثة من التعليم الثانوي في الدورة الاولى العام ١٩٤٤ من السنة المذكورة تم عدد وكتب في رجب ١٩٤٤

المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

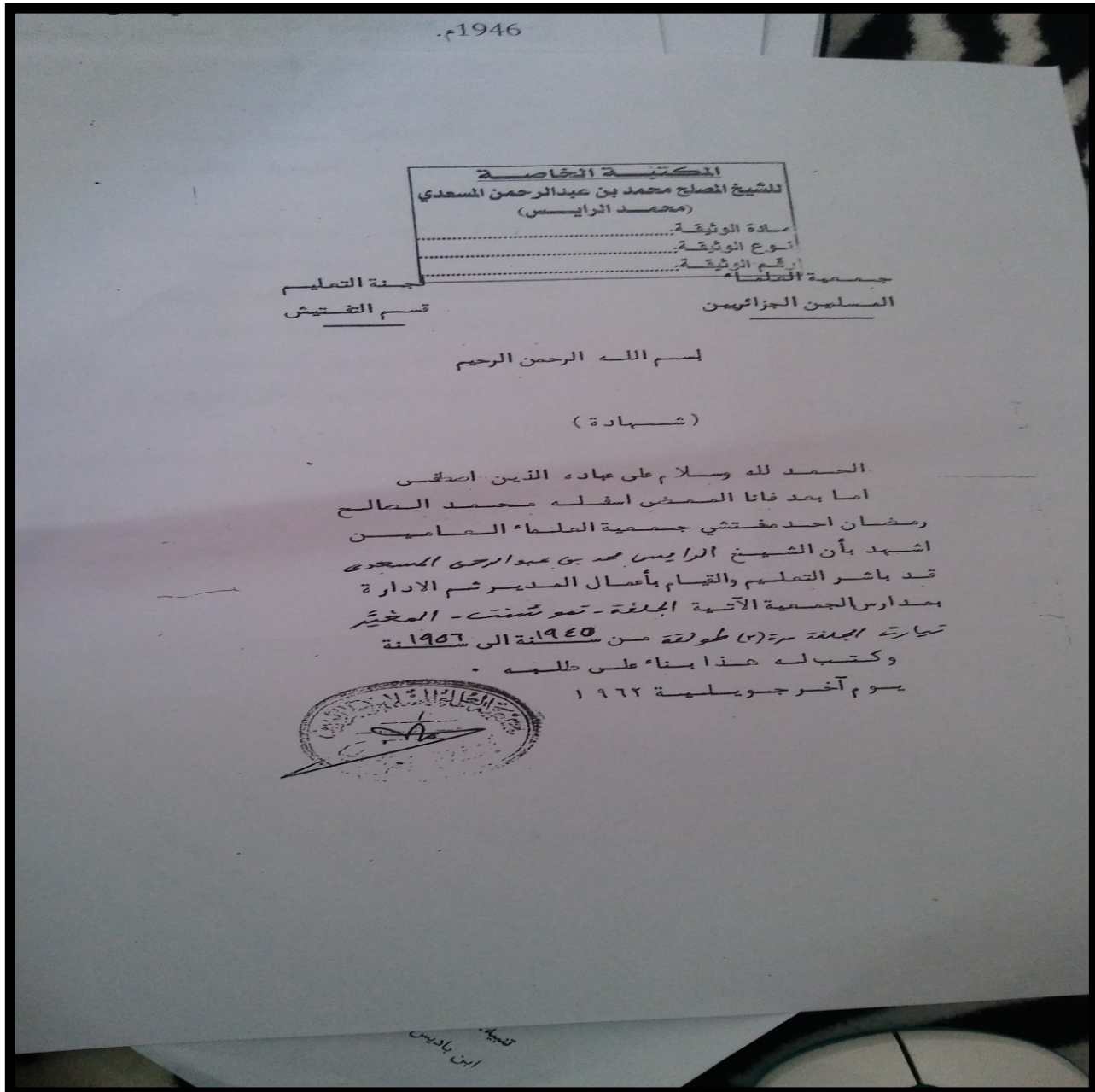
ملحق رقم 36 : وثيقة تثبت اجتياز محمد بن عبد الرحمان المسعدي
(المعروف بالرايس) امتحان السنة الثالثة ثانوي بالجامع الأعظم بتونس



المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

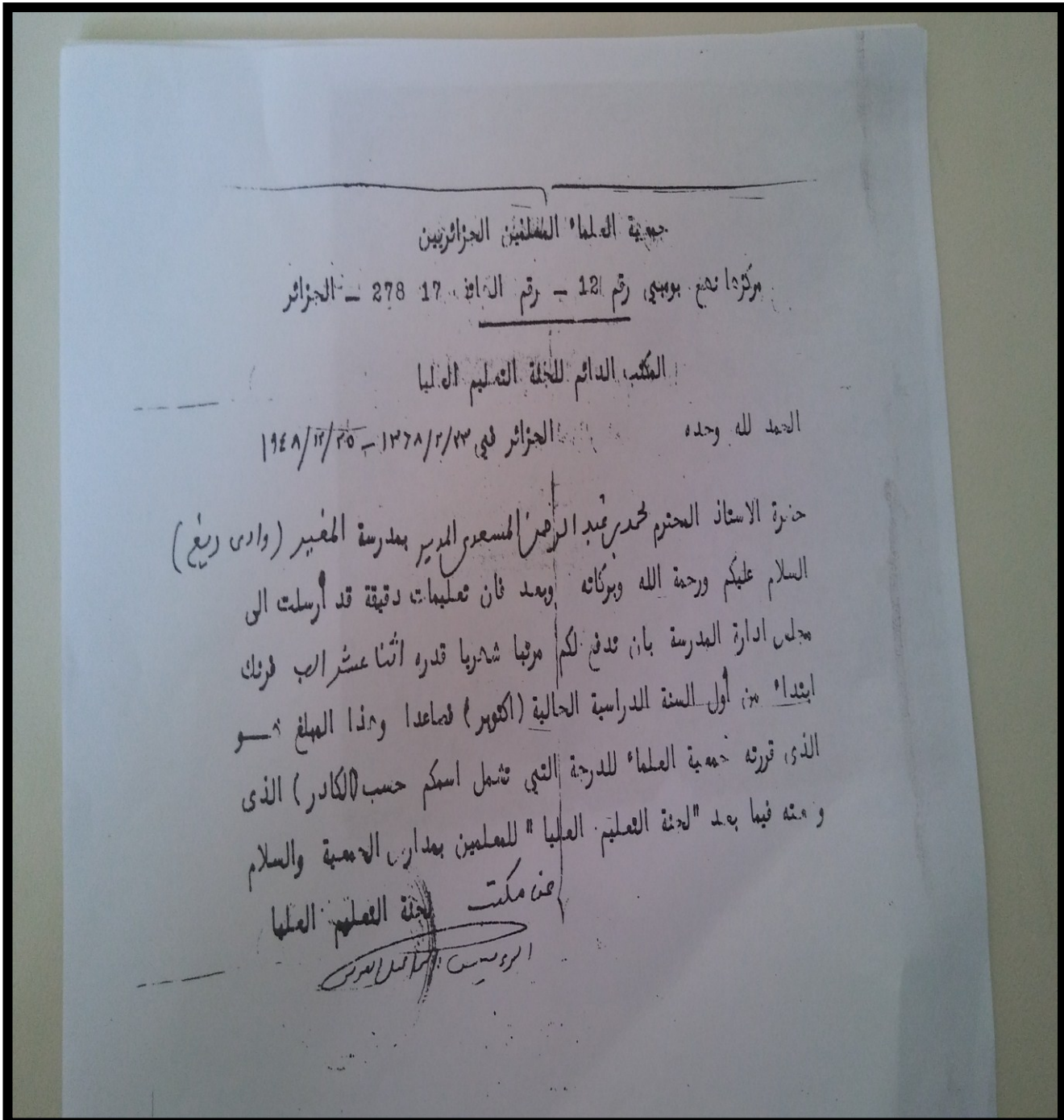


ملحق رقم 38 : شهادة أحد رجال جمعية العلماء المسلمين التحاق محمد بن عبد
الرحمان السعدي رسميا بمدارس جمعية العلماء المسلمين من 1945م إلى غاية 1956م



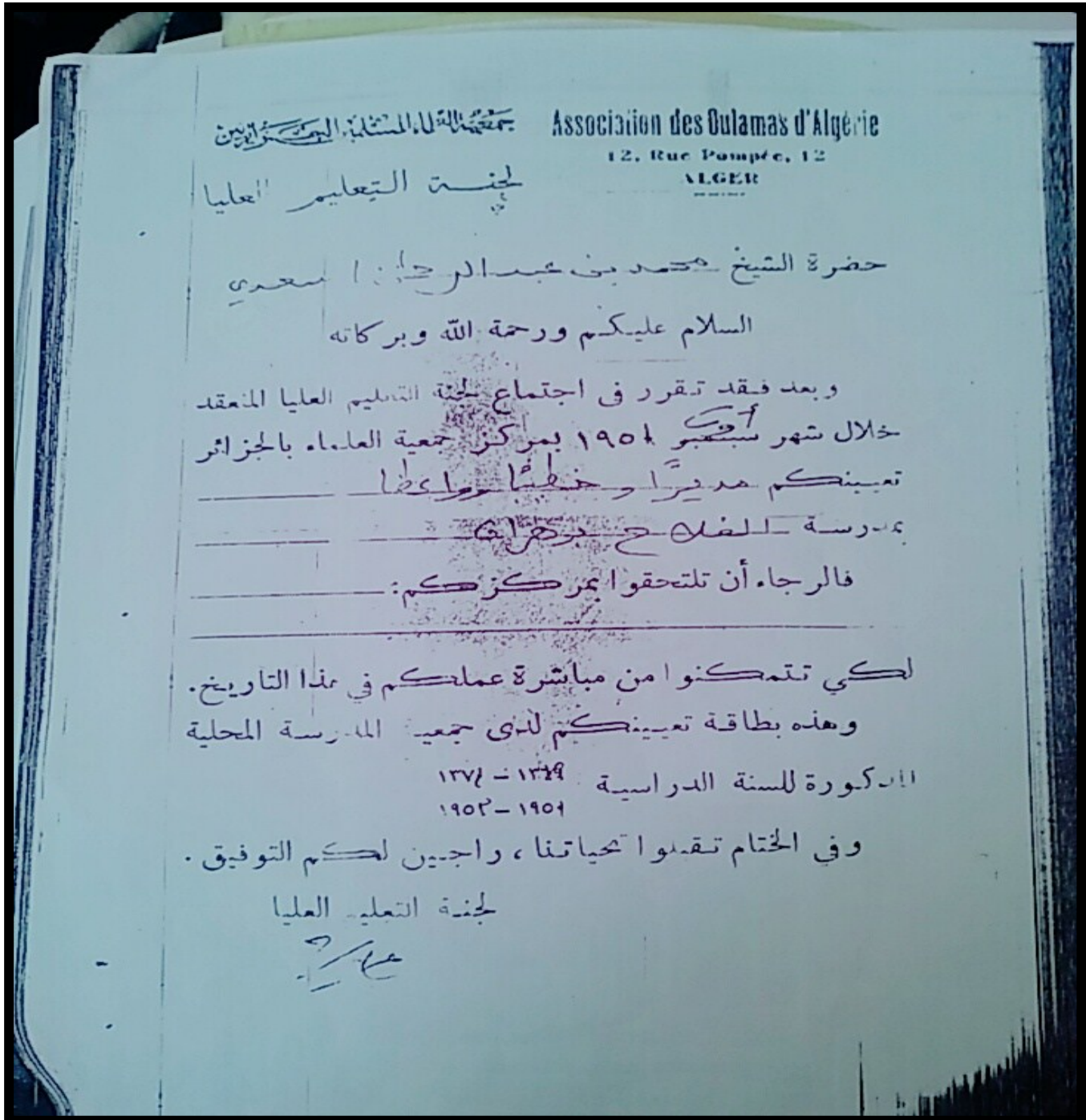
المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 39 : تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرئيس) مدير
بمدرسة المغير من طرف جمعية العلماء المسلمين



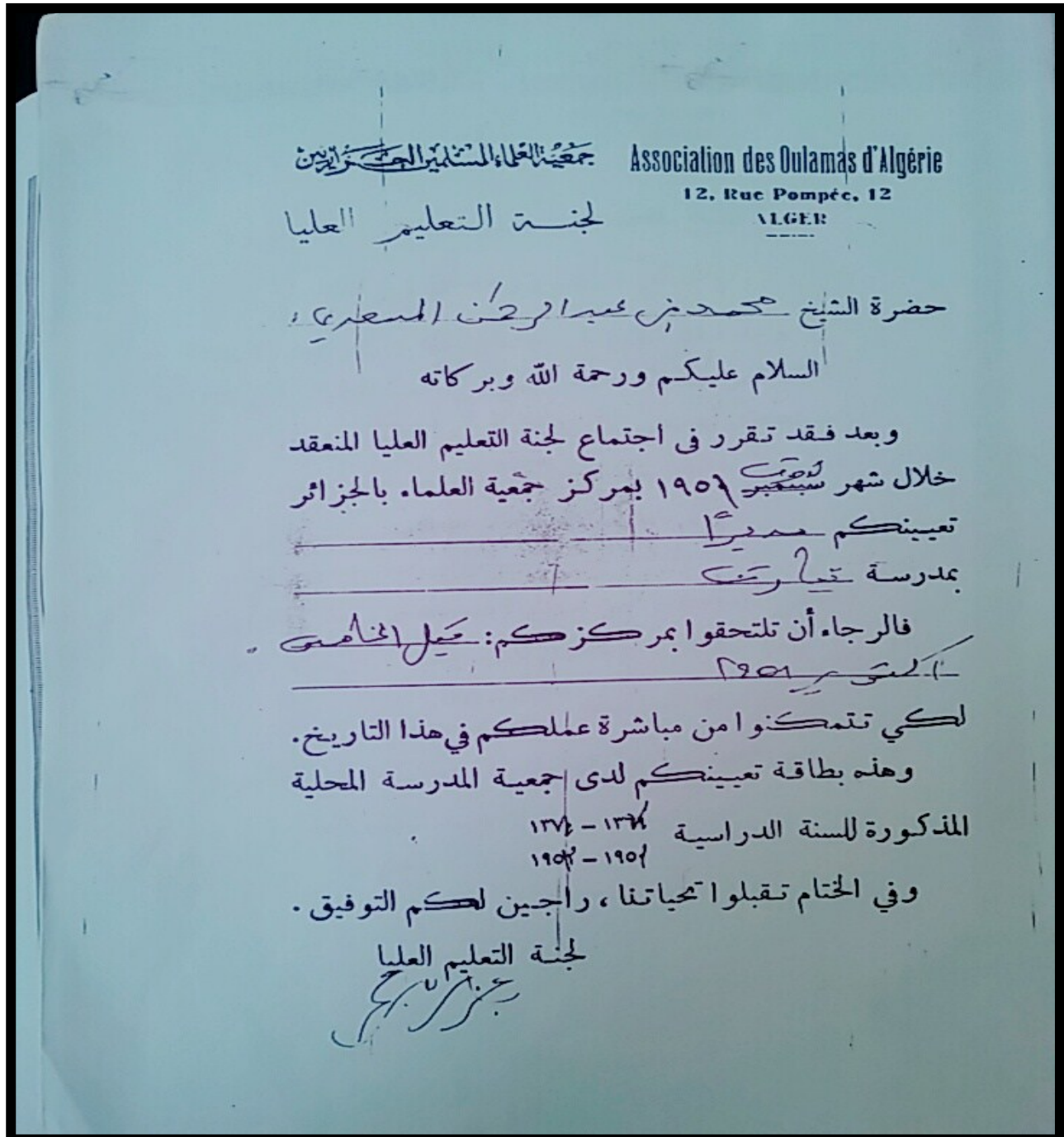
المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرئيس (رحمه الله)

ملحق رقم 40 : تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي مديرا وخطيبا وواعظا
بمدرسة الفلاح بوهران من طرف جمعية العلماء المسلمين



المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 41 : تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي مديرا بتيارت من طرف جمعية العلماء المسلمين



المصدر: مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس (رحمه الله)

ملحق رقم 42 : مراسلة الشيخ محمد شونان كل من محمد بن عبد الرحمان المسعدي
وجمعية العلماء من أجل عودة الرايس للتدريس بالجلفة

الجلفة يوم 18 أكتوبر 1949 الحمد لله
أخي السيد الشيخ محمد عبد الرحمان السلاحي عليك ورحمة
الله وبركاته وبعد هذا التأخر التي كتبت من قبله العلاء
تجدد تلك الحلة بالجلفة وقال لي الشيخ السعدي انهم من بعد هو عند
ولا قبله منكم للمساهمة وقت قريب ان شاء الله وحليته التي تملكه
تخرج اشيء على ما كان من قبله وقتها بعض الامور انما
تتأخر عن الغدوع التي لا تفي بالغرض فقدم الي صديقك
الخدمة انما كان شراحي و السلاحي عليك و ارفق التبرير
و من شونان محمد

مكتبة الشيخ محمد شونان (رحمه الله)

البيليوغرافيا

• مخطوطات و وثائق باللغة العربية :

مكتبة حفاوي غول :

- 1- الدعوة التي وجهت للشيخ عبد القادر المسعدي لحضور الاجتماع التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقى بالعاصمة 5 ماي 1931م.
- 2- رد الشيخ محمد البشير الابراهيمي على رسالة الشيخ عبد القادر المسعدي للانتقال إلى مدينة الجلفة مرة أخرى، بناء على رغبة أبناء هذه المدينة، هذه الرسالة بختم جمعية العلماء تحت رقم: 337 مؤرخة في 02 رمضان 1366/20 جويلية 1947
- 3- رسالة الشيخ عبد القادر المسعدي إلى الشيخ الديسي يتضمّر فيها له من وضعه وما آل له زمانه .
- 4- رسالة المسعدي إلى حاكم رباط يشتكي فيها له قاضي مسعد بتاريخ 10 جوان 1939م.
- 5- رسالة بعث بها الشيخ الطاهر العبيدي إلى الشيخ عبد القادر المسعدي يعلمه فيها بثبوت رؤية الهلال في تونس يوم الثلاثاء 1 رمضان من سنة 1330هـ الموافق لـ: 13 أوت 1912م.
- 6- رسالة بعث بها قاضي مسعد إلى حاكم دائرة الجلفة يشتكي فيها من عدم لجوء الناس له لحل قضاياهم.
- 7- رسالة رد الشيخ الديسي على رسالة عبد الرحمان المسعدي التي تذر له فيه.
- 8- نص الفتوى عبد القادر المسعدي لأهل بلده.
- 9- نص قصيدة عبد الحميد الثاني (بين الشيخين الديسي وعبد القادر المسعدي)
- 10- نص نظم العبيدي لرسالة الدرديري.

خزانة ضيف بلقاسم :

1. مراسلة بين الشيخين الديسي والمسعدي عن البادية.

مكتبة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الرايس :

- 1- وثيقة تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي مديرا بتيارت من طرف جمعية العلماء المسلمين.
- 2- وثيقة التحاق محمد بن عبد الرحمان المسعدي رسميا بمدارس جمعية العلماء المسلمين من 1945م إلى غاية 1956م، وذلك بشهادة أحد رجال جمعية العلماء المسلمين.
- 3- وثيقة تثبت اجتياز محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) امتحان السنة الثالثة ثانوي بالجامع الأعظم بتونس 15 جويلية 1945م.
- 4- وثيقة تثبت انتقال محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) إلى السنة الثانية ثانوي بالجامع الأعظم بتونس في جويلية 1942.

- 5- وثيقة تثبت انتقال محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) إلى السنة الثالثة ثانوي بالجامع الأعظم بتونس جويلية 1944.
 - 6- وثيقة تثبت تاريخ اتصال محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) بالجامع الأعظم بتونس.
 - 7- وثيقة تثبت حصول عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) على الشهادة الأهلية من الجامع الأعظم بتونس، وانتقله إلى السنة أولى من التعليم الثانوي في نوفمبر 1941.
 - 8- وثيقة تثبت حصول محمد بن عبد الرحمان (المعروف بالرايس) على شهادة التحصيل في العلوم من الجامع الأعظم بتونس.
 - 9- وثيقة تثبت قبول إدارة الجامع الأعظم بتونس محمد بن عبد الرحمان (المعروف بالرايس) لدراسة به بعد اختباره بتاريخ 18 جانفي 1941م تونس بتاريخ 15 جانفي 1941م.
 - 10- وثيقة تثبت نجاح عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) في الاختبار الذي أجراه من طرف لجنة الجامع الأعظم بتونس للالتحاق بالسنة الرابعة من الرتبة الابتدائية بالجامع ذاته بتاريخ 18 جانفي 1941م.
 - 11- وثيقة تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي (المعروف بالرايس) مدير بمدرسة المغير من طرف جمعية العلماء المسلمين.
 - 12- وثيقة تعيين محمد بن عبد الرحمان المسعدي مديرا وخطيبا وواعظا بمدرسة الفلاح بوههران من طرف جمعية العلماء المسلمين.
- مكتبة الشيخ محمد شونان:**
- 1- تعيين الشيخ التلي بليقع مدرسا لأولاد رقاد الشراقة والغرابة.
 - 2- تعيين محمد شونان سكريترا عام لمكتب مؤقت للثقافة الإسلامية بالجلفة بتاريخ 8 جويلية 1946.
 - 3- مراسلة الشيخ عبد الحميد بن باديس للشيخ شونان محمد بتاريخ 22 جويلية 1938.
 - 4- مراسلة الشيخ محمد شونان كل من محمد بن عبد الرحمان المسعدي وجمعية العلماء من أجل عودة الرايس للتدريس بالجلفة 18 أكتوبر 1949م.

الأرشيف:

أ- أرشيف وزارة الحربية (A. M. G) (أرشيف بحوزة الأستاذ تلمساني بن يوسف):

- 1- A. M. G: **Observations Sur les Oulad nail**, 1847, par le général Marey Monge. H229
- 2- A.M.G: **Journal du chef d'État-major de la colonne du sud-Est, 10Fev- 8 mars 1846, Commandée par le colonel Camou**, H 213.
- 3- A.M.G: **District des Oulad Nail**, H 227.
- 4- A.M.G: **Expédition dirigée contre Oulad Nail, pendant les mois de Janv- février- 1847**, H211.
- 5- A.M.G: **Journal de marches de la colonne expéditionnaire commandée par le Général Ladmirault dans le sud de la subdivision de Médéa du 17 fev - au 2 mai 1852**, H 214.
- 6- A.M.G: **Journal des opérations de la colonne du sud, Janv- Février - Mars 1847, sous les ordres de Mr le Maréchal de camp Marey -Monge**, H 211.
- 7- A.M.G: **Journal des opérations de la colonne du sud sous les ordres du général Yusuf du 1 er Mai au 2 Juin 1846**, H 213
- 8- A.M.G: **Journal des opérations expéditionnaires dirigées contre Oulad Nail**, H 211.
- 9- A.M.G: **Note sur les opérations de la colonne légère aux ordres du général yusuf dans le Sahara, 15 mars – 25 Avril 1846**, H213.
- 10- A.M.G: **Rapport de l'expédition dirigée par le Général de brigade Ladmirault dans le sud de Médéa du 6 mai au 25 juin 1849**, H 215.
- 11- A.M.G: **Rapport du chef d'État-major de la colonne expéditionnaire de Médéa, Opérant au sud de Boghar, sous les ordres de G. Marey Monge**, H212.
- 12- A.M.G: **Observations sur les Oulad Nail, par le général, Marey Monge**. H 229 .

الأرشيف الوطني لما وراء البحار (A.N.O.M):

1. A.N.O. M . G. G.A Boit 932/93 Rapport 1914
2. A.N.O.M G.G.A Boite 932/93
3. A.N.O.M /OA73
4. A.N.O.M /OA83
5. Tableaux des Zaoua (1) Division D'Alger Cercle Djelfa.
6. Louis Rinn: Carte de L'Algérie **des ordres religieux musulmans**. Adolphe Jourdan. 1884.

G. G. A.T. S. ANNEXE DE DJELFA (PLAN D' EQUIPEMENT DE LA COMMUNE MIXTE DE DJELFA), 13 AVRIL 1955.

• المصادر المطبوعة باللغة العربية:

1. ابن المنظور: لسان العرب، 9 أجزاء، دار صادر، بيروت، ج: 9، مادة جلف.
2. ابن خلدون: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج: 6، ج: 7.
3. ابن هطال أحمد التلمساني: رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري الى الجنوب الصحراوي الجزائري، تح وتق: محمد بن عبد الكريم، ط: 1، عالم الكتب، القاهرة، 1969م.
4. الأغواطي الحاج ابن الدين: رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين (منشورة في كتاب: مجموع رحلات، رحلات جزائرية 03 تأليف وتح: أبو القاسم سعد الله)، طبعة خاصة، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011.
5. أكاردو: معجم قبائل ودواوير الجزائر (مرفق بخارطة قبائل ودواوير الجزائر)، تر: حمزة الأمين يحيوي ومالك بن خيرة، ط خ، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
6. تروملي: الفرنسيون في الصحراء - يوميات حملة في حدود الصحراء الجزائرية - ، تر: محمد معراج، غرناطة، الجزائر، 2013.
7. تشرشل شارل هنري: حياة الأمير عبد القادر، تر وتق وتع: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.
8. التتيلاني عبد الرحمان: رحلة الشيخ عبد الرحمان بن ادريس بن عمر بن عبد القادر التتيلاني الى ثغر الجزائر عام 1231 - 1816م، - دراسة للواقع السياسي والاجتماعي والديني والثقافي للجزائر في أواخر العهد العثماني - ، دراسة وتح: خير الدين شترة، دار كرداد، طبعة خاصة، بوسعادة.
9. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر (1754 - 1830م)، جم وتح: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م.
10. الدرعي ابو العباس أحمد بن محمد ناصر: الرحلة الناصرية (1709 - 1710م)، تح: عبد الحفيظ ملوكي، ط: 1، دار السويد، الامارات العربية المتحدة، 2011.

11. دوماس: الصحراء الجزائرية، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، دار غرناطة، الجزائر.
12. الديسي عبد الرحمان: تحفة الأفاضل في ترجمة سيدي نايل، ط: 1، تح: محمد بسكر، دار كرادادة، بوسعادة، 2016.
13. الحفناوي أبي القاسم: تعرف الخلف برجال السلف، ج: 2، بيرفونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.
14. خالدي عبد القادر: حياة البدو الرحل - قصة عائلة نايلية-، تر: صالح بخوش، دار الهدى، الجزائر، 2015.
15. شارل أندري جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى)، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية.
16. شارل روبير أجيرون: الجزائريون المسلمون، تر: م. حاج مسعود، أ. بكلي، ج: 1، دار الرئد للكتاب، الجزائر، 2007.
17. شارل روبير أجيرون: تاريخ الجزائر المعاصر، تر: عيسى عصفور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
18. عبد القادر المسعدي: دكتاتورية غير متناهية مظالم حاكم مسعد المتوالية، تق وتغ وتغ: لحسن بن علجية، دار الهدى، عين مليلة، 2015.
19. العشماوي: السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر أهله.
20. القاضي حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس، 1929 م.
21. العياشي عبد الله بن محمد: الرحلة العياشية (1661-1663)، تح وتغ: سعد الفاضلي، سليمان القرشي، ط: 1، دار السويدي، أبو ظبي، 2006.
22. محمد الصغير: تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، تح: طاهري مختار بن الحاج مصطفى، كنوز المعرفة، الجزائر، 2013.
23. هانيريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في غربي شمال إفريقيا، ثلاث أجزاء، تر: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ج: 3.
24. اليوسي محمد العياشي بن الحسن: رحلة اليوسي (1101- 1102 هـ / 1690 - 1691)، تح: أحمد الباهي، ط: 1، سوجيم، تونس، 2008 م. الناصري أبو بكر عبد الله محمد بن عبد السلام: الرحلة الناصرية الكبرى، تح: المهدي الغالي، دار أبي الرقاق، المغرب، 2013.

• المصادر والمراجع المطبوعة باللغات الأجنبية :

1. Augustin Bernard et N. Lacroix: **la pénétration saharienne (1830- 1906)**, Réimpression de l'éditions d'Alger Jacques Gandini, algérien, 1906.
2. Cappolani (X), Depont (O): **confréries religieuses musulmanes**, Alger, A. Jourdan, 1897.
3. Davidson: **Les Africains Avant les Blancs**, traduit par: Pierre vivaud, Paris, 1962.
4. d'ideville. H (le cte): **Le maréchal Bugeaud, d'après sa correspondance intime et des documents inédits 1784- 1849**, T: 03, Librairie de Firmin-Didot Et Cie, Paris, 1882.
5. Du Barail (charles): **Mes souvenirs (1820-1851)**, T: 1, 12^e Edition , librairie plon, paris, 1897.
6. Dupin. CH: **notice sur l'expédition qui s'est terminée par la prise de la smala d'Abdelkader, le 16 mai 1843**, Imp: Vinchon des Musées royaux , 1845.
7. Eugène Daumas: **les chevaux du Sahara textes de l'Emir Abdelkader**, Edition Ola, 1998, Paris.
8. Eugène Fromentin: **Un été dans le Sahara**, Michel Lévy Frères, Paris, 1857.
9. François de Villaret: **Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa (Supplément: Généalogies)**, éd: centre de documentation saharienne Ghardaïa, Algérie, 1995.
10. François de Villaret: **Siècles de steppe Jalons pour l'histoire de Djelfa (deuxième partie: les oulad Nail)**, éd: centre de documentation saharienne Ghardaïa, Algérie, 1995.
11. G. Camps: **les Civilisations de l'Afrique du nord et du sahara**, Dion, paris, 1974.
12. Gilbert, ch. Picard: **Castellum Dimmidi**, Boccard, Paris, 1944.
13. Grébenart: **Aïn Naga; Capsien et Néolithique**, in libyca , 1969.
14. Gsell et Joly: **Atlas Archéologique de l'Algérie**, 1908, feuille: 46.
15. Henri lhote: **les Gravures Rupestres de l'atlas Saharien**, office national du parc du tassili, 1984.
16. J. Fage: **A History of Africa**, first published, Hutchinson, and com, London, 1978.
17. JONNART: **Exposé de la situation général de l'Algérie en 1918**, imp Administrative Victor Heintz, Alger 1919.
18. **LIVRE D'OR du département d'Alger**, édité sous le patronage et avec la collaboration de M.Durox, et M.firoi, édition de **l'Afrique du Nord** illustrée, sans date, A.N.

19. Léon Galibert: **L'Algérie ancienne et moderne**, Furne éditeurs, Paris, 1861.
20. Louis Rinn: **Marabouts et Khouan** étude sur L'Islam en Algérie, Libraire Adolphe Jourdan, Alger, 1884.
21. Maurice Antoine Bernard: **Les Chemins De Fer Algériens**, Adolphe Jourdan Editeur, **Alger**, 1913.
22. P. Huard et L. Allard: **les figurations rupestres de la région de Djelfa sud algérois** Libyca, T: 24, Alger, 1976.
23. Prudhomme, Émile (1871-1963): **Photographe. Dépôt d'alfa près de la gare de Djelfa** Emile Prudhomme. 1930
24. Shaw Thomas: **Travels, or observations relating to several parts of Barbary and the Levant**, Printed at the Theatre, MDCCXXX VIII, Oxford, 1738.
25. Stéphane Gsell: **Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord**, T: 1 , librairie hachette, Paris.
26. Trumelet .C: **L'Algérie Légendaire en Pèlerinage Ça et La aux tombeaux des principaux Thaumaturges de l'Islam (Tell et Sahara)**, Libraire Adolphe Jourdan Libraire, Alger, 1892.
27. Trumelet, corneille: **le Général Yusuf**, T: 2, Editeur Paul Ollendorff, paris, 1890.
28. Victor Berard: **Indicateur Général de l'Algérie Description; Géographique historique et statistique de toutes les localités**, 3^{ème} édition, Bastide libraire-éditeur, Alger, 1867.

المراجع المطبوعة والغير مطبوعة باللغة العربية:

1. بازل دافدسن: إفريقيا تحت أضواء جديدة، تر: جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لبنان، د. س. ن.
2. بسام العسلي: محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية، ط: 3، دار النفائس، بيروت، 1990
3. بلحاج لمباركي: صورة وخصائل من مجتمع، غ. م
4. بن الحاج عبد الرحمان: الدرر المكنوز، مطبعة النجاح، قسنطينة.
5. بن صحراوي كمال: معجم المقاومة الجزائرية منذ بداية الاحتلال حتى منتصف القرن 19 : شخصيات، أماكن، أحداث، معارك، ط: 1، ألفا للوثائق، قسنطينة، 2020.
6. بن علجية لحسن: الشيخ عبد القادر المسعدي (حياته وآثاره)، دار الهدى، عين مليلة، 2015.
7. بوليم دنيس: الحضارات الإفريقية، تر: على شاهين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1974 م.
8. تركي راجح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931-1956) دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ط: 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

9. الثعالبي عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، جم وتح: أحمد بن الميلود، محمد إدريس، ط: 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .
10. الجلفة مسيرة كفاح (1830 - 1962)، فعاليات الملتقى الوطني الأول المنعقد بجامعة زيان عاشور - الجلفة - يومي: 25/26 جوان 2013، دار النعمان، 2015.
11. الجندي أنور: السلطان عبد الحميد والخلافة الإسلامية، ط: 1، دار ابن زيدون، بيروت، د.س. ن
12. خذير سالم: الشيخ سي علي بن دنيدينة (1870 - 1920م) حلقة مفقودة من تاريخ الجزائر، ط: 1، مطبعة بن سالم، الأغواط، 2016.
13. خليفة لبوخ: لمحة مختصرة عن حياة البطل المقاوم التلي بن لكحل ومشاركة أولاد نايل في المقاومة، غ. م
14. خير الدين شترة: معجم أعلام الجزائر خرجي الجامع الأعظم بتونس، ط: 1، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعادة (الجزائر)، 2015، ج: 2
15. دافدنسن بازل: إفريقيا تحت أضواء جديدة، تر: جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، لبنان، د. ت. ن.
16. دونالد ويدنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر: راشد البدراري، دار الجبل للطباعة
17. رقيق صليحة: مدرسة الإخلاص - إحدى مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجلفة - (1938 - 1962 م)، ط: 1، دار الضحى، الجلفة، 2016.
18. سالم عبد العزيز: تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية.
19. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية، ج: 1، دار الغرب، بيروت، 1992.
20. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج: 1، ط: 1، دار الغرب، بيروت، 1998.
21. سعد الله أبو القاسم: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
22. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: آثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
23. سلسلة المشاريع الوطنية للبحث: آثار معالم ومواقع الأمير عبد القادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954
24. شولي بلخضر، شويحة حكيم،... وآخرون: المقاومات الشعبية ببلاد أولاد نايل - مقاومة الحاج موسى بن الحسن المدني الدرقاوي (1831 - 1849)، ط: 1، الجلفة انفو، الجلفة، 2017.
25. صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخا ونشاطها)، دار البرق، بيروت، 2002.

- 26.الصيد سليمان: تاريخ الشيخ علي بن عمر بشيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر.
- 27.عباس شونان(نجل الشيخ محمد شونان): مدرسة الإخلاص بين الحقيقة والتزييف.غ.م
- 28.عبد الباقي مفتاح: نظرات حول الطريقة الرحمانية الخلواتية، ط:1، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.
- 29.عبد الحميد يونس: الهلالية في التاريخ والأدب، القاهرة، 1986.
- 30.عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ضد الاستعمار في الجزائر (1913 – 1940م)، ط: 1، دار الشهاب، بيروت، 1999م.
- 31.عدلاوي علي بن عبد العزيز: الأمثال الشعبية - ضوابط وأصول - ، ط: 1، دار الأوراسية، الجزائر، 2010
- 32.علوي سالم: راييس محمد بن عبد الرحمان المسعدي أديب وشاعر نماذج من شعره، دار هومة، الجزائر، 2013.
- 33.علي بن لحاج بورقدة: مشارف عن الشارف، - مراحل تاريخية أيام وذكريات- غ.م
- 34.عميراوي أحميدة وآخرون: آثار السياسة الاستيطانية في المجتمع الجزائري(1830- 1954م)، سلسلة المشاريع الوطني، م، م و، د، ب، ج، ث، الجزائر، 2007.
- 35.الغربي الطيب بن لخضر قرشي: زهرة الخمائل في نسب سيدي نايل ومن جاورهم من الأشراف والقبائل، دار الخلدونية، الجزائر، 2018.
- 36.غطاس عائشة ، وآخرون: الدولة الجزائرية الحديثة، ط خ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، 2007.
- 37.فرونسوا دوفيلاري: السهوب عبر العهود (مرافئ لتاريخ الجلفة)، ط: 1، ج: 1، تر: عيسى بن محمد بونوة، منشورات دار الضحى، الجلفة.
- 38.القاسمي عبد المنعم الحسني: الطريقة الرحمانية الأصول والآثار منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل، بوسعادة، الجزائر، 2013.
- 39.القاسمي عبد المنعم: الشيخ الديسي محمد بن عبد الرحمان سيرة ومسيرة، دار النعمان، الجزائر، د.ن.
- 40.القاسمي عبد المنعم: زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء والجهاد (1862 - 1862)، ط:2، دار الخليل، بوسعادة، 2013.

41. قنان جمال: التوسع الاستعماري ظاهرة تسلطية عدوانية واستغلالية، ورقة بحثية قدمت للملتقى الدولي: حول الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
42. كميل ريسلير: السياسة الثقافية الفرنسية بالجزائر أهدافها وحدودها (1830 - 1962) (تعليقات جزائرية على شبه اعتراف فرنسي)، تر وت: نذير طيار، ط: 1، دار كتابات جديدة للنشر الالكتروني، 2016.
43. لمباركي بلحاج: الجلفة في أعلام وأقلام جنوب الولاية. غ. م
44. محفوظي عامر: تحفة السائل بباقة من تاريخ سيدي نايل، دار أسامة، الجزائر.
45. محمد شكيب الرايس: أعلام منسية - الشيخ محمد بن عبد الرحمان المسعدي (1912م - 1968م)، غ. م
46. محمد فؤاد: وثائق تاريخي من المكتبة القاسمية، ط: 1، دار الخليل، بوسعادة، 2013.
47. المختاري أحمد عباد: تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، د. س. ن.
48. مرسيل أميريت: الجزائر في عهد دولة الأمير عبد القادر، تر: عبد الحميد بورايو وحميد بوحبيب، الرائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص: 327.
49. المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م: تاريخ الجزائر من 1830 - 1962، سنة: 2002.
50. مناصرية يوسف: مهمة ليوم روش في الجزائر والمغرب (1832 - 1847م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.
51. موسوعة أعلام الجزائر 1830 - 1954م، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، 2007، ص: 33 - 35.
52. مؤنس حسين: معالم المغرب والأندلس، ط: 4، دار الرشاد، القاهرة، 2000.
53. نعاس علي: تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد - باقة من العلماء والصلحاء لمدينة الجلفة وضواحيها - ، مطبعة الرويفة، الأغواط، 2016.
54. نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط: 2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980.
55. هرماس السعيد: من فضلاء الجلفة، ط: 3، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، 2013.

المجلات والدوريات والجرائد باللغة العربية:

1. "البصائر تحي قراءها الكرام بمناسبة دخولها السنة الثانية"، في: البصائر ، السلسلة الأولى، السنة الثانية، ع: 51، 3 ذو القعدة 1355هـ الموافق لـ: 15 جانفي 1937م.
2. أحاديث جمعية العلماء وحوادثها: مظالم، مسعد، في: البصائر، سنة الثالثة، سنة الأولى، ، قسنطينة، ع: 140، 18 نوفمبر 1938م.
3. الأخضر بن الغويني المسعدي المعلم بمدرسة الجلفة: " لا عال من اقتصد"، في: البصائر السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 85، 8 رمضان 1368هـ الموافق لـ: 4 جويلية 1949م.
4. الأخضر بن الغويني المسعدي: " المعلم الحر في معترك الحياة"، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 95، 23 محرم 1369هـ الموافق لـ: 14 نوفمبر 1949م.
5. الأخضر بن الغويني المسعدي: " بريقو تلتحق بركب العرفان"، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 215، 14 جمادى الأولى 1372هـ الموافق لـ: 30 جانفي 1953م.
6. الأخضر بن الغويني المسعدي: "بريقو تحتفل بالشيخ العباس"، في: البصائر، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 218، 6 جمادى الثانية 1372هـ الموافق لـ: 20 فيفري 1953م.
7. البصائر: " قائمة توزيع المعلمين للسنة 1950 - 1951"، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 135، 8 ربيع الأول 1370هـ الموافق لـ: 18 ديسمبر 1950م، قسنطينة.
8. البصائر: "العامل المالي في مدارس الجمعية"، في: السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 93، 9 محرم 1369هـ الموافق لـ: 31 أكتوبر 1949م.
9. البصائر: "قائمة الوعاظ لشهر رمضان"، السلسلة الثانية، السنة الخامسة، ع: 190، 24 شعبان 1371هـ الموافق لـ: 19 ماي 1952م، قسنطينة.
10. البصائر: "قائمة الوعاظ لشهر رمضان"، السلسلة الثانية، السنة السادسة، ع: 190، 27 شعبان 1373هـ الموافق لـ: 30 أفريل 1954م.
11. البصائر: السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 135، 8 ربيع الأول 1370هـ الموافق لـ: 18 ديسمبر 1950.
12. البصائر: السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 53، 15 ذي الحجة 1367هـ الموافق لـ: 18 أكتوبر 1948م.
13. البصائر: الشيخ عبد القادر المسعدي في السجن، السلسلة: الأولى، السنة: الرابعة، ع: 162، بتاريخ: 16 أفريل 1939م، قسنطينة.

14. البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 93، 9 محرم 1369 هـ الموافق لـ: 31 أكتوبر 1949، قسنطينة.
15. البصائر، السلسلة الثانية، السنة الثانية، ع: 53، 15 ذي الحجة 1367 الموافق لـ: 18 أكتوبر 1948م، قسنطينة.
16. البلاغ: من الجلفة، ع: 31، 31/10/1930.
17. بن جدو أمحمد: "محمد شونان ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين"، في: جريدة الخير، ع: 7047، السنة الثالثة والعشرين، بتاريخ: 17 أبريل 2013م.
18. بن جدو أمحمد: "محمد شونان ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين"، في: جريدة الخير، ع: 7047، السنة الثالثة والعشرين، بتاريخ: 17 أبريل 2013م.
19. التواتي، عبيدي: "ومضات من تاريخ الكشافة الإسلامية بالجلفة"، في صوت السهوب، ع: 2، فيفري 1995م.
20. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: "شعبة الجلفة"، البصائر، السلسلة الثانية، السنة الرابعة، ع: 155، 8 شعبان 1370 هـ الموافق لـ: 14 ماي 1951.
21. حسان مغدوري: "أهمية أرشيف الإدارة الاستعمارية في تدوين تاريخ منطقة الجلفة"، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: الجلفة في الكتابات الفرنسية (1830 - 1954م) المنعقد يومي: 7 - 8 ماي 2014 بجامعة الجلفة، نشر الملتقى في مجلة أنسنه للبحوث والدراسات (تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة الجلفة)، ع: 10، 2014.
22. سعدي خميسي: "حملة الجنرال لادميرول على أولاد نايل ماي 1849 - 12 جوان 1849م (اسبابها ونتائجها)"، نشر الملتقى في مجلة أنسنه للبحوث والدراسات (تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة الجلفة)، ع: 10، 2014.
23. شونان محمد: "اعتداء على الأديان والأنفس والأموال بالجلفة"، في: البصائر، السلسلة الأولى، السنة الرابعة، ع: 180، 9 رجب 1358 هـ الموافق لـ: 25 أوت 1939م.
24. صوت السهوب: العيد الوطني للكشافة الإسلامية الجزائرية"، ع: 06، جوان/ جويلية 1995م.
25. عبد القادر المسعدي: "حول الصحف الفاجرة"، في: البصائر، السلسلة: الأولى، السنة الرابعة، ع: 168، 13 ربيع الثاني 1358 هـ / 2 جوان 1939، قسنطينة.
26. عمر شكيري: "المدارس ومواردها المالية" في: البصائر، في السلسلة الثانية، السنة الثالثة، ع: 93، 9 محرم 1369 هـ الموافق لـ: 31 أكتوبر 1949م

27. عيساوي محمد: "مراسلة المواطنين الجزائريين بالجلفة (1 جوان 1943) لسلطات الاحتلال الفرنسي من خلال وثيقة أرشيفية " ، نشر الملتقى في مجلة أنسنه للبحوث والدراسات (تصدر عن كلية العلوم الاجتماعية والانسانية بجامعة الجلفة)، ع: 10، 2014.
28. غول حفناوي بن عامر: "الإمام عبد القادر المسعدي مرجع في العقيدة وقاموس في الأدب"، مجلة صوت السهوب، 1995،
29. غول حفناوي بن عامر: "الشيخ الطاهر العبيدي وجوانب مخفية من حياته العلمية والأدبية"، ج: 1، في مجلة البصائر، ع: 849، 19 مارس 2017.
30. غول حفناوي بن عامر: "في ذكرى وفاة المسعدي (1888م – 1956م) "، في مجلة: ٩٩، ع: 308، 5 أوت 1997، جريدة: أسبوعية ، يومية ، ٩٩، ص: ،
31. المبشر : ع: 18، 30 ماي 1848، مطبعة الدولة، الجزائر.
32. المبشر : ع: 42، 30 ماي 1849، مطبعة الدولة، الجزائر.
33. المبشر : ع: 14، 30 مارس 1848، مطبعة الدولة الجزائرية.
34. المبشر : ع: 40، 30 أفريل 1849، مطبعة الدولة، الجزائرية.
35. المبشر: ع: 28 30 أكتوبر 1848م، مطبعة الدولة، الجزائرية.
36. المبشر: ع: 46، 30 جويلية 1849.
37. محمد بن العابد الجلالي: "وقفة بالجلفة"، في المنتقد (جريدة كانت تصدر عن نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة كل خميس)، ع: 16، 1925، دار الهدى، عين مليلة، 2012.
38. محمد بن عبد الرحمان الدمدي المسعدي: "من رأى منكم فليغيره – بيده فإن لم يستطع فبلسانه -"، في: البصائر، السلسلة الأولى، السنة الرابعة، ع: 171، 5 جمادى الأولى 1358هـ الموافق لـ: 23 جوان 1939م.
39. محمد بن عبد الرحمان المسعدي: "تحية البصائر"، في: البصائر ، السلسلة الثانية، السنة الأولى، ع: 12، 12 ذي الحجة 1366هـ الموافق لـ: 27 أكتوبر 1947م.
40. محمد بن عبد الرحمان المسعدي: "مدرسة الإصلاح بعين تموشنت (وهران)"، في: البصائر ، السلسلة الثانية، السنة الأولى، ع: 12، 8 ذي الحجة 1367هـ الموافق لـ: 11 أكتوبر 1948م.
41. محمد بن عبد الرحمان: "النادي الإسلامي بالجلفة"، البصائر ، السلسلة الأولى، السنة الثالثة، ع: 132، 28 رجب 1357هـ الموافق لـ: 23 سبتمبر 1938م.
42. محمد بن عمر (دمد): "رد تحية البصائر"، في: البصائر ، السلسلة الأولى، السنة الثانية، ع: 51، 1 ذو الحجة 1355هـ الموافق لـ: 12 فيفري 1937م.

43. محمد شونان: "مكاتبات...الجلفة"، في: البصائر ، السلسلة: الأولى ، السنة الثالثة ، ع: 99 ، 11 فيفري 1938 ، قسنطينة.
44. محمد شونان: كتاب مفتوح، في: البصائر ، قسنطينة ، سلسلة الأولى ، سنة الرابعة ، ع: 165 ، 12 ماي 1939.
45. النجاح: ع: 157 ، 2 ماي 1924.

المجلات والدوريات والجرائد باللغات الأجنبية :

- 1- Arnaud : "Exploration du djebel Boukahil (suite)" IN: R.A, VOL: 06, 1862.
- 2- Arnaud: " Histoire de Oulad Nail – faisant suite A celle des sahari ", in R.A, V: 17, 1873..
- 3- Arnaud: " Histoire de Oulad Nail ", IN: R.A, VOL: 16, 1872.
- 4- Arnaud: " Notice sur: les Sahari, les Oulad ben Ailya, les Oulad Nail Et sur l'origine des tribus Cheurfa ", IN: R.A, Vol: 8, 1864.
- 5- Arnaud: "Exploration du djebel boukahil ...", IN: R.A, V: 7, 1863.
- 6- Arnaud: Notice sur les Sahari..., IN: R.A, VOL: 10, 1866.
- 7- Aucapitaine et Federmann: "Notes sur l'Histoire et l'Administration de Beylik Titeri ", IN: R.A, VOL: 9, 1865.
- 8- Aucapitaine et Fidermann: " Notes sur l'histoire et l'administration de Beylik Titeri ", IN: R.A, VOL:11, 1867
- 9- Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, Société de géographie d'Alger et d'Afrique du Nord, Imprimerie Charles Zamith et Cie, Alger, 1906, page LIV
- 10- De Sanvitale: " tribus du Sahara algérien les – Ouled- Nayls de l'Ouest", IN: R.O, T: 15 libraire de la société orientale, Paris, 1854.
- 11- DEMONTES J: " Les voies de communications de l'Algérie et leur développement ultérieur ", in: L'Algérie, La vie technique, industrielle, agricole et coloniale, numéro spécial **hors-série**, septembre 1922.
- 12- E. Mangin: " Notes sur l'Histoire de Laghouat ", IN: R.A, VOL:37, 1893.
- 13- E. Mangin:" histoire De Laghouat ", IN: R.A, V: 39, 1895
- 14- feraud.ch: "Éphémérides d'un secrétaire officiel sous la domination turque à Alger de 1775 à 1805 ", IN: R.A, VOL: 18, 1874.
- 15- Florian pharaon: "**d 'Alger à Lar 'ouat**", R.O, 1855.
- 16- Journal de colonisation Française et revue general de la presse, Du 16 au 22 février 1845, 2^e Année, No 35, p: 138.

- 17- **Le Constitutionnel**; Journal du commerce , politique et littéraire , N^{um} 76, Mercredi 17 Mars 1847.
- 18- Lehuraux: " **Le statut territorial des territoires du sud de l'Algérie**", IN: R.A, VOL: 81, 1837.
- 19- L'Espérance, 07e année, No 43, paris Vendredi 30 Mai 1845, p: 2.
- 20- Mangin: " Notes sur l'histoire de Laghouat", IN: R.A, VOL: 38, 1894.
- 21- Marey Monge: " Algérie les ksour de Sahara ", IN: R.O, T: 6, paris, 1845.
- 22- Le moniteur Algérien, journal Officiel de la Colonie, No 751, 15e Année; 30 Avril 1846, p: 2
- 23- Le moniteur Algérien, journal Officiel de la Colonie, No 835, 16e Année; 30Juiun 1847, p: 1.
- 24- Le moniteur Algérien, journal Officiel de la Colonie, No: 567, 12 Année;30 septembre. 1843, p: 4.
- 25- Reboud: " **Notes archéologiques sur les ruines de Djelfa** ", IN: R.A, VOL: 01, Alger, 1856.
- 26- René Basse: " **Les Manuscrits Arabes du Bach- Agha de Djelfa** ", IN: Bulletin de correspondance africain, imprimerie de l'association ouvrière, Alger, 1884
- 27- Rin. L: "le Royaume d'Alger sous le dernier dey", IN: R.A, VOL: 41, 1897.
- 28- S .a, " **Le moutons** ", L' Illustration, n°2629, année 57, 15 juillet 1893, A.W.A.
- 29- S.a:" **Station expérimentale d'élevage ovin de Tadmit** ", Documents Algériens, Synthèse de l'Activité Algérienne, N° 48, Série 1948, rubrique,: ELEVAGE.
- 30- SEROKA: " **le Sud constantinois du 1830 à 1855** ", IN: R.A, VOL: 56, 1912.
- 31- Trumelet (C): " **Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864** ", IN: R. A, VOL: 23, Alger, 1879, p: 339.
- 32- Trumelet (C): "Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 ", IN: R. A, VOL: 24, Alger, 1880.
- 33- Trumelet, corneille: "Notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger En1864 " IN: R.A, VOL: 21, 1877.
- 34- Trumelet: " **notes pour servir à l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger de 1864 à 1869** ", IN: R.A, VOL: 25, 1881.

الرسائل الجامعية باللغة العربية:

1. بجاوي محمد: دراسة مونوغرافية لمنطقة باليسترو "الأخضرية" 1869 - 1962م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر - 2، 2012/2011، (غير منشورة).
2. بن عبد الله صالح: « أشعار عبد القادر بن إبراهيم المسعدي النائلي - تحقيق ودراسة مخطوط - »، رسالة ماجستير في اللغة العربية، تخصص: تحقيق مخطوطات، قسم اللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، 2015، (غير منشورة).
3. تلمساني بن يوسف: التوسع الفرنسي في الجزائر (1830 - 1870)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، معهد التاريخ، جامعة بوزريعة، الجزائر، (2004 - 2005)، (غير منشورة).
4. تلمساني بن يوسف: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني - الامير عبد القادر - الإدارة الاستعمارية) 1782 - 1900، رسالة ماجستير في التاريخ، تخصص: حديث ومعاصر، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998/1997، (غير منشورة).
5. حباش فاطمة: المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائر (1844 - 1871)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية، جامعة وهران، 2014 / 2013، (غير منشورة).
6. حوحو رضا: شبكة الطرقات الفرنسية في الجزائر القرن التاسع عشر ظاهرة حضارية أم أداة عسكرية (1830 - 1990م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2018/2017م، (غير منشورة).
7. دحماني توفيق: الضرائب في الجزائر (1206 = 1282 / 1792 = 1865م)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008/2007، (غير منشورة).
8. درياس لخضر: المدفعية الجزائرية في العهد العثماني. أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1990 - 1989، (غير منشورة).
9. سنوسي نايلي: مساهمة قبائل أولاد نايل في المقاومات الشعبية من خلال المصادر الفرنسية (1836 - 1890م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2014/2013، (غير منشورة).
10. سويس طيب: تقييم المشرع الكبرى للمحافظة السامية للسهب (1994، 2010)، رسالة ماجستير، معهد علوم الأرض - الجغرافيا - ، جامعة باب الزوار، 2004، الجزائر، (غير منشورة).

11. شلالى ضيف الله: دور سكة الحديد الفرنسية في استغلال المناطق الداخلية للجزائر - الجلفة أنموذجا - ما بين 1857 - 1962م، رسالة ماجستير في التاريخ، تخصص: مقاومة والثورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2012/2011، (غير منشورة)
12. شلبي شهرزاد: ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة باتنة، 2009
- الرسائل الجامعية باللغة الأجنبية:

- 1- Benaissa cherif noureddine: les grandes gares de la compagnie PML en Algérie coloniale (1857 - 1939), Etude architecturale et urbanistique, Projet de these pour une première inscription inscription a l'école doctoral de Géographie, paris, 2012.
- 2- Louai BENSEIGHIR: Impact de la sécheresse et de l'anthropisme sur la biodiversité et le sol dans la station de Tadmit, Magister en sciences Biologiques, U. S. T. H. B, Alger 15 mai 2008.
- 3- Tomas Faugas: Réseau ferroviaire Algérien et Ambitions coloniales 1844 a 1962, Mémoire de DEA, Université de Provence, Année 1991- 1992,(non publier), Iremam.

الملتقيات و الأيام الدراسية المطبوعة والغير مطبوعة:

1. بن سالم المسعود: " قصور بلاد أولاد نايل...النشأة و التاريخ"، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني "تاريخ و آثار الجلفة عبر العصور"، المنظم بمعهد الآثار بجامعة الجزائر 02 " أبو القاسم سعد الله" و مديرية الثقافة بالجلفة، يومي: 25 - 2017/04/26.
2. عبد القادر قوبع: أوضاع منطقة الجلفة خلال النصف الأول من القرن العشرين ميلادي، ورقة بحثية قدمت في الملتقى الوطني الأول حول: "الجلفة تاريخ و مآثر"، المنعقد يومي: 17 - 18 أفريل 2007 بالمركز الثقافي الإسلامي. غير مطبوع.

المقابلات والشهادات:

- 1- حوار مسجل للمناضل شكالي مع مناضل حزب الشعب، المسجل بتاريخ ملحق متحف المجاهد بالجلفة، تم الاستماع بتاريخ: 2018/01/29 على الساعة: 10:15 صباحا، بمقر ملحقة المتحف بمدينة الجلفة.

- 2- الشيخ بوخلخال في لقاء جمعني به بمقر سكانه بمدينة الجلفة، بتاريخ: 14 أكتوبر 2018 على الساعة 14:42 مساءً، إعادة نظر أن تاريخ قدوم مصالي لحاج إلى الجلفة كان بتاريخ 1949م.
- 3- لقاء مع الشيخ سي سالت الجابر مدير مدرسة الإخلاص حالياً، في مكتبه بمدرسة الإخلاص الكائن بمدينة الجلفة بتاريخ: 6 ديسمبر 2017، على الساعة: 15:30 مساءً.

المواقع الإلكترونية:

- بن سالم المسعود: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر المجبارة"، شوهده بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 00:42، عبر الموقع الإلكتروني:
http://www.djelfa.info/ar/mobile/homme_histoire/10882.html
- بن سالم المسعود: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر زينة وقصر بن يعقوب"، شوهده بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 00:30، عبر الموقع الإلكتروني:
https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/10879.html
- بن سالم المسعود: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر عمورة وقصر عين السلطان"، شوهده بتاريخ: 13 جوان 2017 على الساعة 01:05 صباحاً أنظر موقع:
http://www.djelfa.info/ar/mobile/homme_histoire/10891.html
- بن سالم المسعود، ذيب بلال: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر البرج"، شوهده بتاريخ: 28/05/2017، على الموقع الإلكتروني التالي:
https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/10869.html
- بن سالم المسعود: "قصور بلاد أولاد نايل بين الماضي والحاضر ... قصر زينة وقصر بن يعقوب!!"، شوهده بتاريخ: 30 ماي 2017 على الساعة 10 صباحاً، على الموقع الإلكتروني:
https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/10879.html
- بن سالم المسعود: "مقاومة أولاد أم الإخوة 12 أكتوبر 1854" ... قصة معارك بطولية ضد محاولة إبادة جماعية ومأساة قبيلة نايلية حُبِلَتْ بها أرض الجزائر وتونس وليبيا !!"، مقال شوهده بتاريخ: 2015/4/22 عبر الموقع الإلكتروني:
https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/8345.html
- هرماس السعيد: "مساهمة في التعريف بالمووروث والتراث الثقافي والحضاري للمنطقة الزوايا الجلفاوية ❖ (الجلفية) ... النشأة و التاريخ"، مقال منشور على نت شوهده بتاريخ: 17/03/2016 على الساعة: 20:30 عبر الموقع الإلكتروني:
<https://www.djelfa.info/ar/sites/9794.html>

- بن سالم المسعود: "حين أرايتها فرنسا مدينة كاثوليكية ... قصة الحرب الدينية على منطقة الجلفة!!"، مقال منشور عبر الجلفة أنفو، شوهدة بتاريخ: 2020/12/02 على الساعة: 22 و 30 دقيقة عبر الموقع: https://www.djelfa.info/ar/homme_histoire/12685.html
- غول حفناوي بن عامر: "محطات في مسيرة العلامة عبد القادر بن ابراهيم المسعدي النائلي"، شوهدة بتاريخ: 12/08/2013 على الساعة: 23: 30 ليلا ، عبر الموقع الالكتروني: https://www.djelfa.info/ar/aalam_hm/1179.html
- عبد اللطيف تامر: البعد السردى في الشعر الشعبي عند أولاد نايل - دراسة في نموذج التكلم اللهجي، جامعة وهران، منشورة عبر الموقع:
- نبذة عن حياة اشيخ سي عطية مسعودي" منشور عبر الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي : http://www.si-attia.org/?page_id=2 شوهدة بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00،
- الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي: <http://www.si-attia.org/?liss>=مراسلات- بينه- وبين- فضيلة- الشيخ- سي- مصطفى ، شوهدة بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:30 الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي:
- <http://www.si-attia.org/?liss>=رسالة- العالم- الشيخ- مبارك- الميلي- رحمه شوهدت يوم: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00
- الموقع الرسمي للفقير الشيخ عطية مسعودي:
- http://www.si-attia.org/?lisslkq;v_ufv_hgl;ru_hgvsl_d_gg=رسالة- العالم- الشيخ- مبارك- الميلي- رحمه ، شوهدة بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00
- موقع: <http://www.si-attia.org/?liss>=مع- الشيخ- الطاهر- ابن- العبيدي ، شوهدة بتاريخ: 2 فيفري 2017 على الساعة 20:00.
- عبد اللطيف تامر: البعد السردى في الشعر الشعبي عند أولاد نايل - دراسة في نموذج التكلم اللهجي، جامعة وهران، منشورة عبر الموقع الالكتروني:
- <https://www.facebook.com/TrathWlaytAljft/posts/386167331489554/>

الفهرس

إهداء

شكر وعرفان

المختصرات

مقدمة أ.

17..... الفصل التمهيدي: دراسة جغرافية وبشرية وتاريخية لمنطقة الجلفة

18..... 1 - الخصائص الجغرافية لمنطقة الجلفة

19..... 1 . 1 الجلفة المصطلح ودلالته

21..... 1 . 2 الموقع والحدود

22..... 1 . 3 التضاريس

23..... 1 . 4 الخصائص المناخية والموارد المائية

24..... 1 . 5 الغطاء النباتي و الثروة الحيوانية

30..... 2 . الخصائص البشرية لمنطقة الجلفة

34..... 2 . 1 التعمير البشري

35..... 2 . 2 التجمعات البشرية بمنطقة الجلفة

45..... 2 . 3 قصور منطقة الجلفة

57..... 3 . لمحة تاريخية عن منطقة الجلفة قبل 1830

58..... 3 . 1 منطقة الجلفة في العصور القديمة (الحجري والروماني)

59..... 3 . 2 منطقة الجلفة في الوسيط الإسلامية

60..... 3 . 3 منطقة الجلفة في الفترة الحديثة العثمانية

الباب الأول: التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة ورد الفعل الوطني والتنظيمات الفرنسية بمنطقة

66..... الجلفة

67..... الفصل الأول: التوسع الفرنسي بمنطقة الجلفة

68..... 1 - ظروف احتلال منطقة الجلفة

72..... 2 - الحملات العسكرية

72..... 2 . 1 المرحلة الأولى (1844م - 1846م)

- 2.2 المرحلة الثانية (1847 . 1852م)..... 86
- 3.2 المرحلة الثالثة (بعد 1852م) 97
- الفصل الثاني: رد الفعل الوطني لأبناء منطقة الجلفة تجاه التوسع الفرنسي 103
1. رد الفعل الوطني العسكري..... 104
- 1.1 مساهمتهم في مقاومة الأمير عبد القادر..... 105
- 1.1.1 بداية تواصل الأمير عبد القادر مع قبائل منطقة الجلفة..... 105
- 1.1.2 مشاركتهم إلى جانب الأمير عبد القادر أثناء حصاره لعين ماضي..... 109
- 1.1.3 استمرار مقاومة الأمير عبد القادر بالمنطقة بعد زحف القوات الفرنسية إليها (1844 – 1846م)..... 111
- 2.1 مساهمتهم في مقاومة الحاج موسى الدرقاوي..... 116
- 1.2.1 حلول الحاج موسى الدرقاوي بمنطقة الجلفة..... 117
- 2.2.1 مرافقة وسى الدرقاوي إلى معركة الزعاطشة سنة 1849م. 117
- 3.1 مشاركتهم في المقاومات الشعبية الأخرى..... 119
- 1.3.1 في انتفاضة بومعزة..... 119
- 1.3.3 في ثورة أولاد سيدي الشيخ..... 119
- 1.3.3 في ثورة المقراني و الشيخ الحداد (1871)..... 122
- 1.3.4 في مقاومة الأغواط و مع الشريف بن عبد الله..... 123
- 4.1 المقاومة المحلية..... 124
- 1.4.1 مقاومة التلي بن لكحل 124
- 2.4.1 مقاومة أولاد ساعد بن سالم و فرعها أولاد طعبة 127
- 3.4.1 مقاومة أولاد أم الإخوة (أكتوبر 1854) 128
- 4.4.1 مقاومة بوشندوقة 131
- 1.4.5 مقاومة عرش أولاد لعور..... 132
2. رد الفعل السياسي..... 134
- الفصل الثالث: التنظيم السياسي والعسكري لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي..... 139
1. نظام الحكم والتنظيم الإداري للمنطقة قبل الاحتلال الفرنسي 140
- 1.1 التنظيم الإداري أثناء العهد العثماني 140

142	1 - 2 التنظيم الإداري أثناء عهد الأمير عبد القادر.....
145	2 - التنظيم الإداري للمنطقة أثناء الاحتلال الفرنسي إلى غاية الاحتلال 1954.....
147	2 - 1 التنظيم السياسي والإداري (1844م - 1852م).....
155	2 - 2 التنظيم السياسي والإداري (1852 - 1954).....
164	3 - التنظيم العسكري للمنطقة أثناء الاحتلال الفرنسي إلى غاية 1954.....
165	3 - 1 حصار وتطويق المنطقة.....
166	3 - 2 إقامة الأبراج والخانات.....
179	3 - 3 انشاء مراكز الشرطة.....
169	الباب الثاني: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي
170	الفصل الأول: الحياة الاقتصادية لمنطقة الجلفة.....
171	1 - الوضع الاقتصادي لمنطقة الجلفة قبل الاحتلال الفرنسي.....
171	1. 1 الزراعة و تربية المواشي.....
172	1. 2 الصناعة و الحرف اليدوية.....
177	1. 3 الأسواق والمبادلات التجارية.....
182	2 - السياسية الاقتصادية الفرنسية بمنطقة الجلفة.....
182	2. 1 فرض الغرامات و الضرائب.....
187	2 - 2 صيانة و تشييد طرق المواصلات.....
187	2 - 2 - 1 الطرق البرية.....
189	2 - 2 - 2 السكة الحديدية.....
192	2 - 3 الخدمات البريدية و الاتصالاتية: التليغراف.....
193	2. 4 إقامة الأسواق ومراقبتها.....
194	2. 5 بناء السدود وحفر الآبار وشبكات الماء الصالح للشرب والري.....
196	2. 6 الإجراءات الفرنسية للاستحواذ على أغنام المنطقة ومشتقاتها.....
201	2 - 7 الاجراءات الفرنسية لاستغلال الحلفاء والألياف النباتية والغابات.....
205	3 - نتائج السياسة الاقتصادية الفرنسية.....
205	3 - 1 دور سكة الحديد في استنزاف ثروات المنطقة.....
207	3 - 2 استنزاف الثروة الحيوانية (الماشية).....

3 - 3	استنزاف الثروة النباتية (الحلفاء والألياف النباتية).....	210
3 - 4	استنزاف الثروة الغابية.....	212
216	الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية لمنطقة الجلفة أثناء الاحتلال الفرنسي.....	
1 - 1	مظاهر من الحياة الاجتماعية لسكان منطقة الجلفة.....	217
2 - 2	السياسة الاستعمارية الاجتماعية بمنطقة الجلفة.....	230
2 - 1	تشجيع الهجرة الأوربية.....	230
2 - 2	سياسة الادماج الاجتماعي.....	230
2 - 2	1. الصحة العمومية.....	230
3 - 3	التحولات الاجتماعية بمنطقة الجلفة.....	233
3 - 1	1. الخريطة الديمغرافية لسكان منطقة الجلفة خلال الاحتلال.....	233
3 - 1	1. الخريطة الديمغرافية للجزائريين.....	253
3 - 1	2. الخريطة الديمغرافية للأوروبيين.....	243
3 - 2	2. التهجير والتشريد.....	244
3 - 3	3. العمران.....	244
251	الباب الثالث: الحياة الدينية والعلمية والثقافية وأعلام منطقة الجلفة.....	
252	الفصل الأول: الحياة الدينية والتعليمية في منطقة الجلفة.....	
1 - 1	1. الحياة الدينية في منطقة الجلفة قبل الاحتلال.....	253
2 - 2	2. الحياة التعليمية في منطقة الجلفة أثناء الاحتلال.....	261
298	3. التعليم الفرنسي بالمنطقة.....	
300	3 - حركية الطرق الدينية بالمنطقة أثناء الاحتلال.....	
304	الفصل الثاني: الحياة الثقافية في منطقة الجلفة.....	
1 - 1	1. مظاهر الحياة الثقافية في منطقة الجلفة.....	305
1 - 1	1. 1. الشعر الشعبي (الملحون).....	305
1 - 2	2. 1. اللباس والحلي النايلى.....	308
1 - 3	3. 1. الفروسية والصيد.....	311

312.....	1 . 4 الأعراس و الأفراح
313.....	1 . 5 السهرات العائلية (الحكايات الشعبية والألغاز)
314.....	1 . 6 الأمثال والحكم
315.....	1 . 7 الألعاب الشعبية
317	1 . 8 وسائل الطرب
318.....	1 . 9 الرقص الشعبي
319.....	2 . المحاولات الفرنسية لطمس الهوية الثقافية في منطقة الجلفة
	3 . الحركية الثقافية في منطقة الجلفة من خلال الجمعيات والنوادي حفاظا على الهوية
325	الوطنية أثناء الاحتلال الفرنسية
325	3 . 1 النادي الإسلامي بمدينة الجلفة
330	3 . 2 فوج الأمل الكشفي (الكشافة الإسلامية الجزائرية)
332	4 . مكتبة الجلفة
335.....	الفصل الثالث: بعض من أعلام المنطقة أثناء الاحتلال
336.....	1 . الشيخ عبد القادر المسعدي
348.....	2 . الشيخ عطية مسعودي
352	3 . الشيخ محمد الرايس
367	4 . الشيخ الأخضر بن الغويني (الأبقع)
370	5 . ابن الجوبري الحاج يحي بن يحي
371	6 . الشيخ الإمام محمد بن ربيع
371	7 . الشيخ محمد شونان
374	الخاتمة
383	الملاحق
426	المصادر والمراجع
446	الفهرس العام